



مِنْهَاجُ الْبِرَاعَةِ

فِي شَرْحِ مَهْجِ الْبِلَاغِيَّةِ

لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ قُطْبِ الدِّينِ الرَّائِدِ

الجزء الأول

تحقيق

الشَّيْخِ سَمِيحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَطَّازِيِّ الْحَبَشِيِّ



مِنَهَاجُ الْبِرَاعَةِ

في شرح نهج البلاغة

للشيخ الجليل قطب الدين الراوندي

حقق متنه وهذب أصله



المجلد الاول

الشيخ عزيز الله العطاردي

سرشناسه	: قطب راوندی، سعید بن هبة الله، - ۵۷۳ ق.
عنوان قراردادی	: نهج البلاغه. شرح
عنوان و نام پدیدآور	: منهاج البراعة فی شرح نهج البلاغه / قطب‌الدین الراوندی؛ المحقق عزیزالله العطاردی.
مشخصات نشر	: تهران: عطار، ۱۳۹۱.
مشخصات ظاهری	: ج ۲.
فروست	: مرکز فرهنگی خراسان؛ ۱۶۳ و ۱۶۴.
شابک	: دوره: 1-33-6427-600-978؛ ج: 1-8-34-6427-600-978؛ ج: 2-5-35-6427-600-978.
وضعیت فهرست‌نویسی	: فیبا
یادداشت	: عربی.
یادداشت	: ج ۱ و ۲ (چاپ دوم).
یادداشت	: کتابنامه.
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه‌ها
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- کلمات قصار
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- نامه‌ها
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- نهج البلاغه. -- نقد و تفسیر
شناسه افزوده	: عطاردی قوجانی، عزیزالله، ۱۳۰۷ -
شناسه افزوده	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح
رده‌بندی کنگره	: ۱۳۹۱ / ۶ / ۲۸۷۰۲ BP
رده‌بندی دیوبی	: ۲۹۷ / ۹۵۱۵
شماره کتابشناسی ملی	: ۲۹۶۵۹۸۴



آشارت عطار

مرکز فرهنگی خراسان

۱۶۳

اسم الكتاب: مِنْهَاجُ الْبَرَاةِ (المجلد الاول)

المؤلف: قطب‌الدین الراوندی

المحقق: الشيخ عزیزالله العطاردی

الناشر: نشر عطار

الطبعة الثانية: ۱۳۹۱ • العدد: ۲۰۰۰

المطبعة: افست • الثمن ۲ مجلد:

□ مرکز پخش: تجریش، خیابان دربند، نبش خیابان جعفرآباد، پلاک ۱۶۴

تلفن: ۰۱۹-۲۲۷۵۷۰ - تلفکس: ۰۳۹-۲۲۷۵۷۰

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

شابک: (ج. ۱) ۸-۳۴-۳۳-۶۴۲۷-۶۰۰-۹۷۸؛ دوره: ۱-۳۳-۳۳-۶۴۲۷-۶۰۰-۹۷۸

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشارح

هو الشيخ الجليل، والمحدث النبيل، والعالم الكبير، والفقير الشهير، أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، من أعظم علماء الامامية و فقهاء الشيعة، كان ثقة ثبتاً أميناً فيما يرويه له آثار جلييلة و مصنفات عديدة جاء ذكره في كتب رجال الحديث مبعجلاً معظماً ممدوحاً.

قال الشيخ يوسف البحراني: الشيخ الثقة الجليل أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي فقيه، عين، ثقة، له تصانيف رائعة منها، شرح نهج البلاغة^(١).

قال الخوانساري: الشيخ الإمام قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي فقيه، عين، ثقة، له تصانيف منها، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة^(٢).

قال أبو علي: الشيخ الامام سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي فقيه، عين، صالح، ثقة، له تصانيف منها، منهاج البراعة في شرح نهج

البلاغة^(١).

قال الشيخ آغا بزرك الطهراني: سعيد بن هبة الله بن الحسن الشيخ الإمام قطب الدين الراوندي فقيه، عين، صالح، ثقة، له تصانيف، كذا ذكره منتجب بن بابويه وهكذا رأيتُه بخطه وإمضائه في آخر إجازته لولده^(٢).
قال الشيخ عباس القمي: قطب الدين الراوندي أبو الحسين سعيد بن هبة بن الحسن: العالم المتبحر، الفقيه المحدث، المفسر المحقق، الثقة الجليل، كان من أعظم محدثي الشيعة.

قال النوري في المستدرک: فضائل القطب و مناقبه و ترووجه للمذهب بأنواع المؤلفات المتعلقة به، أظهر و أشهر من أن يذكر و كان أيضاً: له طبع لطيف، ولكن أغفل عن ذكر بعض أشعاره المترجمون^(٣).

قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني: سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي أبو الحسين ذكره ابن بابويه في تاريخ الري، و كان فاضلاً في جميع العلوم، له مصنفات كثيرة في كل نوع، و كان على مذهب الشيعة مات في ثالث عشر شوال سنة ٥٧٣هـ^(٤).

قال علي بن طاووس رضی الله عنه في كتاب كشف المحجة لثمرة المهجة: ومما يؤكد تصديق الراويات بالتحذير من علم الكلام. و ما فيه من الشبهات أنني وجدت الشيخ العالم في علوم كثيرة قطب الدين الراوندي، واسمه سعيد بن هبة الله.

قد صنف كراساً، وهو عندي الآن في الخلاف الذي تجدد بين الشيخ المفيد و المرتضى. و كانا من أعظم أهل زمانهما، وخاصة شيخنا المفيد، فذكر

٢- اعلام الشيعة القرن السادس: ١٢٤.

٤- لسان الميزان: ٤٨/٣.

١- منتهي المقال: ١٤٨.

٣- الكنى و الالقاب: ٦٢/٣.

في الكراس نحو خمس وتسعين مسألة، قد وضع الاختلاف بينهما فيها من علم الأصول^(١).

قلت: للعالم الجليل، والمحقق البحاث السيد محمد علي الروضاتي الاصفهاني، تحقيقات نافعة حول المؤلف الشارح قطب الدين الراوندي في كتابه النفيس «نقائس مخطوطات اصفهان»، وقد طبع الكتاب باصفهان سنة ١٣٤١ ش.

آثاره العلمية

- ١- المغنى في شرح النهاية، عشر مجلدات.
- ٢- خلاصة التفاسير، عشر مجلدات.
- ٣- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، مجلدين.
- ٤- تفسير القرآن، مجلدين.
- ٥- الرايع في الشرايع، مجلدين.
- ٦- المستقصى في شرح الذريعة، ثلاث مجلدات.
- ٧- ضياء الشهاب في شرح الشهاب.
- ٨- حل العقود في الجمل و العقود.
- ٩- الانجاز في شرح الايجاز.
- ١٠- نهاية النهاية.
- ١١- غريب النهاية.
- ١٢- إحكام الأحكام.
- ١٣- بيان الانفرادات.

- ١٤- شرح ما يجوز و ما لايجوز من النهاية.
- ١٥- التعزيب في التغريب.
- ١٦- الاغراب في الإعراب.
- ١٧- زهر المباحثة و ثمر المناقشة.
- ١٨- تهافت الفلاسفة.
- ١٩- جواهر الكلام في شرح مقدمة الكلام.
- ٢٠- النيات في جميع العبادات.
- ٢١- نقثة المصدر وهى منظوماته.
- ٢٢- الخرائج والجرائح في المعجزات.
- ٢٣- شرح الكلمات المائة.
- ٢٤- شرح العوامل المائة.
- ٢٥- شجار العصاة في غسل الجنابة.
- ٢٦- المسألة الشافية في الغسلة الثانية.
- ٢٧- مسألة في العقيقة.
- ٢٨- مسألة في صلاة الآيات.
- ٢٩- مسألة في الخمس.
- ٣٠- مسألة فيمن حضره الأداء و عليه القضاء.
- ٣١- جنا الجننتين في ذكر ولد العسكريين.
- ٣٢- قصص الأنبياء.
- ٣٣- فقه القرآن.
- ٣٤- رسالة في أحوال أحاديث أصحابنا و إثبات صحتها.
- ٣٥- شرح آيات الاحكام. لعله هو بحينه (٢٣٣)
- ٣٦- البحر.

- ٣٧- الاختلاف بين المفيد، و المرتضى في الكلام.
 ٣٨- المزار و هو كتاب كبير.
 ٣٩- رسالة في الناسخ و المنسوخ في القرآن.
 ٤٠- رسالة في أسباب النزول.
 ٤١- رسالة الفقهاء.
 ٤٢- اللباب في فضل آية الكرسي. أم لب اللباب ٢٩٠
 ٤٣- التلخيص من فصول عبد الوهاب.
 ٤٤- سلوة الحزين في الدعاء.
 ٤٥- تحفة العليل في الأدعية والآداب^(١).

مشايخه و من روى عنه

- قال في الروضات: يظهر من كتابه قصص الأنبياء وغيره، أن له ما يزيد على عشرين شيخا من الخاصة والعامة، ونحن نذكر هنا، عدة منهم ذكره صاحب الروضات، كذا شيخنا الطهراني في أعلام الشيعة.
- ١- أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي صاحب مجمع البيان.
 - ٢- محمد بن الحسن والد الخواجه نصير الدين الطوسي.
 - ٣- السيد أبو الصمصام الحسيني.
 - ٤- السيد مرتضى بن الداعي الرازي.
 - ٥- السيد مجتبي بن الداعي الرازي.
 - ٦- الشيخ الإمام عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري.
 - ٧- الشيخ أبو منصور بن شهريار الديلمي.

- ٨- علي بن عبد الصمد.
- ٩- محمد بن عبد الصمد.
- ١٠- أبو القاسم بن كميح.
- ١١- أبو جعفر بن كميح.
- ١٢- محمد بن علي بن المحسن الحلبي.
- ١٣- أبو نصر الغازي.
- ١٤- محمد بن المرزبان.
- ١٥- الحسين بن المؤدب القمي.
- ١٦- الحسن بن علي الارابادي.
- ١٧- الحسن بن محمد الحديقي.
- ١٨- أحمد بن محمد بن علي المارشكي.
- ١٩- هبة الله بن دعويدار.
- ٢٠- السيد علي بن أبي طالب السليقي.
- ٢١- أبو السعادات هبة الله بن علي الشجري.
- ٢٢- مسعود بن علي الصواني.
- ٢٣- ذوالفقار بن محمد بن معبد.
- ٢٤- عبدالرحيم بن اخوة البغدادي.
- ٢٥- محمد بن علي النيشابوري^(١).

تلامذته والراوون عنه

- ١- الشيخ الجليل أحمد بن علي الطبرسي القاضي.

- ٢- الشيخ الفقيه عماد الدين علي بن سعيد.
- ٣- الشيخ برهان الدين أبو الفضائل محمد بن علي بن سعيد.
- ٤- الشيخ أبو الفضل ظهير الدين محمد.
- ٥- الشيخ الإمام الشهيد نصير الدين أبو عبدالله الحسين.
- ٦- عبدالله بن الحسين بن هبة الله الراوندي.
- ٧- هبة الله بن سعيد أبو سعيد الراوندي.

وفاته ومدفنه

في مجموعة الجبعي نقلاً عن الشيخ الشهيد محمد بن مكّي، إنه توفي صاحب الترجمة ضحوة يوم الأربعاء ١٤ شوال سنة ٥٧٣، ودفن عند السيدة فاطمة بقم، وقبره اليوم مزار معروف عند الباب الجنوبي بالصحن الشريف.

أولاده

- ١- الحسين بن أبي الحسين الشيخ نصير الدين أبو عبدالله بن الشيخ الإمام قطب الدين الراوندي. عالم، صالح، شهير، ذكره منتجب بن بابويه.
- ٢- علي بن سعيد بن هبة الله الشيخ عماد الدين أبو الفرج بن الإمام قطب الدين الراوندي. فقيه، ثقة، ذكره منتجب بن بابويه، ورأيت مجموعة بخط بعض العلماء في حدود ١٠٨٧ حكى فيها أدعية السر قال: إنه وقع في صدر السند أخبرني عماد الدين علي بن قطب الدين الراوندي، في ربيع الأول سنة ٦٠٠^(١).

٣- محمد بن سعيد بن هبة الله بن الشيخ الإمام ظهير الدين أبو الفضل بن قطب الدين الراوندي فقيه، ثقة، عدل، يروى عنه قطب الدين الكيذري محمد بن الحسين في كتابه بصائر الأنس^(١).

الراوندي وابن أبي الحديد

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة: ولم يشرح هذا الكتاب قبلي فيما أعلمه إلا واحد، وهو سعيد بن هبة الله الحسن الفقيه، المعروف بالقطب الراوندي، وكان من فقهاء الإمامية ولم يكن من رجال هذا الكتاب لاقتصار مدة عمره على الاشتغال بعلم الفقه وحده. أني للفقهاء ان يشرح هذه الفنون المتنوعة، و يخوض في هذه العلوم المتشعبة، لاجرم أن شرح لا يخفى على الذكي، وجرى الوادي فطم على القرى. وقد تعرضت في هذا الشرح لمناقضته في مواضع يسيرة. اقتضت الحال ذكرها، و أعرضت عن كثير مما قاله لم أر في ذكره ونقضه كثير فائدة^(٢).

قلت: وقد نقض ابن أبي الحديد في موارد كثيرة على الراوندي في الأدب و الكلام و الأنساب و الإمامة و غيرها و لو تأملنا بعين الإنصاف يكون محققاً في بعض ما نقض من المسائل النحوية، و اللغوية، و الأنساب، وهذا واضح لمن تأمل موارد النقض.

أما نقضه على الراوندي في المسائل الكلامية، وما يتعلق بالإمامة، و الخلافة، و فضائل أهل البيت و مناقبهم، و فضائح أعدائهم، فغير وارد لأنه

١- اعلام الشيعة: القرن السادس: ٧٣ - ١٩٠ - ٢٤٥.

٢- شرح النهج: ٥٠١.

يرى مايقوله الراوندي مخالفاً لمايعتقده، فلهذا تحامل عليه وردّه وهذا أيضاً واضح لمن تدبر موارد النقص.

الراوندي

هذه النسبة إلى راوند، وهي قرية قريبة من كاشان على يمين الجائي من كاشان إلى قم، خرج منها جماعة من العلماء، منهم هذا العالم الجليل والمحدث النبيل الذي ذكرنا ترجمته.

خرج منها أيضاً العلامة المحقق والأديب المتكلم الماهر أبو الرضا فضل الله بن علي الحسيني الراوندي نزيل كاشان. ذكره أبو سعد السمعاني في الأنساب وأثنى عليه وكتب عنه في منزله بكاشان.

قال الزبيدي في تاج العروس: راوند قرية بكاشان بنواحي إصفهان وأهلها شيعة، منها أبو حيان بن بشر الأسدي القاضي بإصفهان مات سنة ٢٣٨. ومنها الإمام المحدث ضياء الدين فضل الله بن علي الراوندي، وولده الشريف العلامة علي بن فضل الله صاحب كتاب نثر اللثالي وله عقب.

نسخ منهاج البراعة

عندنا ثلاث نسخ من هذا الشرح، إحداهما في المكتبة الرضوية في مشهد طوس (على صاحبها السلام) وهي نسخة كاملة مصححة غير مؤرخة، يكون كتابتها قبل القرن العاشر.

الثانية: نسخة في مكتبة المجلس الإسلامي في طهران، وهي عتيقة ثمينة، تاريخ كتابتها في يوم الاربعاء ثالث ذي الحجة سنة ٦٥٢. وهذه النسخة تكون ناقصة وتنتهي بخطبة ١٤٧ من أبواب الخطب، أوله: قُبعت الله محمداً - صلى الله عليه وآله - بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى

عبادته!

الثالثة: في مكتبة ملك بطهران، و هي أيضاً نسخة كتبت في سنة ٦٨٦، وفيها حذف واسقاط.

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم
أحينا حياة محمد وآله عليهم السلام وأمتنا مماتهم واحشرونا في زمريهم وأوردنا
حوضهم واسقنا بكأسهم رياً رويأً هنيئاً سائغاً لاظماً بعده يا أرحم
الراحمين.

قد تم هذه المقدمة - والله الحمد - يوم الفطر من سنة ١٤٠٢ في
محروسة حيدر آباد الدكن صعيّت عن الحوادث والفتن.
خادم العلم و الدين - عزيز الله العطاردي

الرموز في تعليقات الشرح

- ض - نسخة المكتبة الرضوية على صاحبها آلاف السلام و التحية.
- م - نسخة مكتبة ملك بطهران.
- ج - نسخة مكتبة المجلس الاسلامي بطهران

للسودان رخص على ان لا يطبق الاضلاع داخل في الكواكب في احوال
 قتلها التي جمعها بنسب الكلاب في العالم وما عطا الى رخصه في ذلك
 الايمان والى الضلع الميم بالكل للطاق والاشغال واعطاه سلوان
 الانام او رخصه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 لعمده سما الى ارضه وروى لوطم هذا روى الى الاضلاع سلوان في
 الام احسن رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 عينه ينظر الى الارض وقوله ولا اعلم اي رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 انظار الملقاه وارصد له اي اعنه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 من خطبه لعمده الميم والملاح وهي السليمان في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 ولم ومع الرابع من رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 منه العبد الميم في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه
 عن رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه في رخصه في ارضه



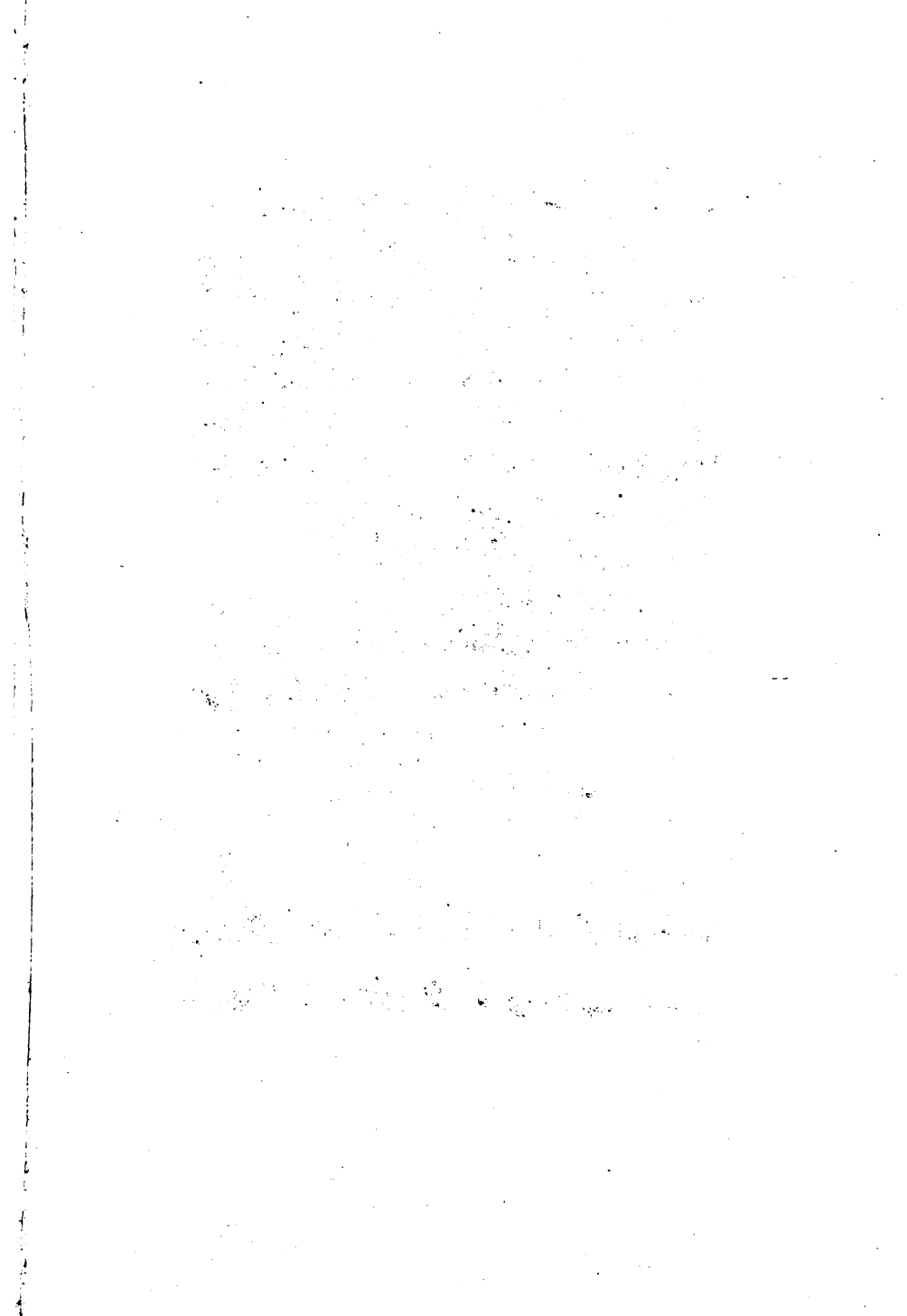
المسلمون بمرئيه امة والمرئيه بمرئيه

صورة فتو عرانية من نسخة مكتبة مجلس طهران

على الطريقة الأولى كقولهم فقد خلا ذلك في يدنا في الأخبار كقولهم بسبب القليل
 على يديهم النهار فهذا نتيجة طبع كالما، رقيق وضعف في البصيرة الكلام
 رقيق والتراجم عشرة ذبوعين ونسبها للاجتماع الثمانيين من هذه
 الأوصاف والاقاب كقولهم لما قابلت بصغيري رديرو ولا سألت بصغيري
 فمديرو وروى بصغيري جريرو وكقولهم خاند الزهر فاضى على حيايه وعانه
 وعينه فمديرو ثم القباله وإذا نظرت في كلام أمير المؤمنين عليه
 السلام رأيت الكلمات كثيرة لهذه الأسئلة تزيد في المسح على حيايه
 قابلها على القائلين والله سبحانه المجدود والشكور على ما وقفنا
 من اتمام هذا الكتاب في ربيعنا براسر طائفة في أوله وقال الله ان
 يجعله لعبد ويتعنا به ونقسم على التناظر فيه ان اليجليان من
 صلح دعا به انشاء الله لقد فرغ الصنف رحمه الله واعلم دعائه
 من اتمامه في أواخر شعبان سنة ست وخمسين ومسمائة

سلكها في حوزة
 دار من سنة ١٣٠٠ هـ

صورة فتوغرافية من نسخة الخزانة الرضوية على
 صاحبها الآف الشاء والتحية في معهد طوس .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ و به نستعين رب يسر و تمم بالخير

الحمد لله الذي جعل آل محمد ﷺ أصول البراعة و فروعها، و اتخذهم و هم رحمة للعالمين، معدن البلاغة و ينبوعها، و هدايا إلى الاقتباس من أنوارهم، و جعلنا ممن يعيشو إلى ضوء نارهم. و الصلاة على محمد و آله أهل الفصاحة، و محل الساحة و الصبابة

و بعد: فإن العلوم في هذا الزمان تكاد تنهار إلى الطمس، و تقرأ إليها آية «كأن لم تغن بالأمس» و لكن الله سبحانه بفضله و إفضاله و كرم جلاله يحفظ علم الدين و يهدي أصحابه إلى درك كماله.

و لو لم يكن إلا هذا الكلام المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) لما جزرت في الأرض أمواه الفضل، و لا كثرت عند أهل التحقيق أفواه الجهل، فإنه قلب النبوة و مظنة الفتوة.

و قد كنت قديماً شرحت الخطبة الأولى من نهج البلاغة بالإطناب، و كشفت بيان جميع ما فيها من أنواع العلوم التي أوما إليها بالإسهاب، و هو كلام عند أهل الفطنة و النظر دون كلام الله و كلام رسوله و فوق كلام البشر، و اضحه مناره مشرقة آثاره. و لا يستبعد في هذا الدهر أن يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس.

أما من ألفاظه الغرائب أو معانيه العجائب، فعزمت على شرح جميع الكتاب مستعينا بالله على وجه الصواب، وأن أستخرج مكنونه وأستكشف مخزونه و مصونه، لينتفع به المسلمون ويستفيد منه الناظرون، و أول ما أتكلم في المواعظ و الحكم و الأمثال و الأدب، دون الخطب الطويلة و الكتب المبسوطة.

(١) لعلهما سنة إن، و يسهيها ههنا
خطبة الكتاب: سنة الأول.

أقول: أخبرنا السيد أبو الصمصام ذو الفقار^(١) بن محمد بن معبد الحسيني، قال: أخبرنا الشيخ محمد بن علي الحلواني^(٢)، قال: الرضي أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي^(٣) قال أخبرنا الشيخ أبو جعفر الطوسي^(٤). قال: قال السيد الرضي (رضي الله عنه و أرضاه):
* أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعائه و معاذاً من بلائه و وسيلاً إلى جنانه و سبباً لزيادة إحسانه، و الصلاة على رسوله نبي الرحمة و إمام الأئمة و سراج الأمة، المنتخب من طينة الكرم و سلالة المجد الأقدم و مغرس الفخار المعروق و فرع العلاء المثمر المورق.

١- ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني عماد الدين أبو الصمصام المروزي عالم دين يروي عن السيد المرتضى و الشيخ أبي جعفر الطوسي قال: منتجب الدين و قد صادفته و كان ابن مائة و خمس عشرة سنة.

٢- لم نجد له ذكراً في كتب الرجال قال النووي في المستدرک ٩٦٣/٣: محمد بن علي الحلواني تلميذ

السيد المرتضى. و له كتاب (نزهة الناظر و تنبيه الساطر) على هيئة حريية من

٣- محمد بن علي المحسن أبو جعفر الحلبي فقيه صالح أدرك الشيخ أبا جعفر الطوسي و قرأ عليه السيد كتاب

الامام أبو الرضا فضل الله و الشيخ الامام قطب الدين أبو الحسين الراوندي.

(تفسير العقول)

٤- محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي شيخ الطائفة الحقة، صاحب الآثار المشهورة و المآثر المعروفة لابن

فقيهه، متكلم، مفسر، فضائله كثيرة، و مناقبه عديدة و ولد في طوس سنة ٣٨٥ و توفي في النجف الأشرف سنة

٤٦٠ و قبره مشهور يزار.

و على أهل بيته مصابيح الظلم و عصم الأمم و منار الدين الواضحة و مثاقيل الفضل الراجحة. صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء فضلهم و مكافأة لعملهم و كفاء لطيب فرعهم و أصلهم، ما أنار فجر ساطع و خوى نجم طالع.

فإني كنت في عنفوان السن و غضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام) يشتمل على محاسن أقوالهم و جواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب و جعلته أمام الكلام، و فرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين - عليه السلام - و عاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام و مماطلات الزمان.

و كنت قد بويت ما خرج من ذلك أبواباً و فصلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نُقِلَ عنه - عليه السلام - من الكلام القصير! فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين بدائعه و متعجبين من نواصعه، و سألوني عند ذلك أن ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين - عليه السلام - في جميع فنونه و متشعبات غصونه من خطب و كتب و مواعظ و أدب.

علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة و غرائب الفصاحة و جواهر العربية و ثواقب الكلمة الدينية و الدنيوية. ما لا يوجد مجتمعاً في كلام و لا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين - عليه السلام - مشرع الفصاحة و موردها، و منشأ البلاغة و مولدها،

منه - عليه السلام - ظهر مكنونها، و عنه أخذت قوانينها و على أمثلته هذا كل قائل خطيب، و بكلامه استعان كل واعظ بليغ، و مع ذلك فقد سبق و قصروا و تقدم و تأخروا، لأنّ كلامه - عليه السلام - الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي و فيه عبقة من الكلام النبوي. فأجبتهم

١١
الخطيب
١٠
في مولده
١٠
دوره
١٠
الكتب الخطيب
بسم

إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع و منشور الذكر و مذكور الأجر.

واعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين - عليه السلام - في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدثرة و الفضائل الجمّة، و أنه - عليه السلام - انفراد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر و الشاذ الشارد.

فأما كلامه - عليه السلام - فهو البحر الذي لا يساجل، و الجسم الذي لا يحافل، و أردت ان يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام - بقول الفرزدق:

أولئك آباي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع

بيانه

اعلم أني بصدد أن أشرح هذا الكتاب شرحاً كافياً أتكلم في كل فصل منه على فقره اللفظية و نكته المعنوية و الاصلية، و أفسر غريب ألفاظه و أبين عجيب معانيه، و أتبه على كل أعجوبة و أشير إلى كل نادرة، و أذكر المعاني بلفظ سهل حيث يصعب استخراجها (أو يكون بعض إشكال، و الكلام في هذه الخطبة و إن لم يفتقر إلى جميع^(١)) ذلك فإني ألم به إماماً و أقول:

قولہ: أما بعد، هو عند أهل هذا الشأن فصل الخطاب، و معناه البين من الكلام، فالفصل التمييز^(٢) بين الشئيين، و هم يستعملونه على وجهين.

إِمامه على إضافته إلى ما يفصل منه الكلام إلى شيءٍ آخر، كما هو ها هنا ونصبه على الظرف أو بينونه، و الإضافة مرادة و يذكر بعد الانفصال من كلام إلى آخر فهذا حكمة مع التركيب، و أما تفسير كل واحدة من الكلمتين، فإن "أما للتخيير يدل على معنى الشرط؛ لدخول الفاء بعدها وهي تجيء لتفصيل ما هو مجمل، و بعد كلمة دالّة على الشيء الأخير، و الحمد الثناء على الفاضل و من في معناه، و يكون شكراً للمفضل، و الشكر أخص من الحمد؛

لأنه^(١) لا يكون إلا على النعمة، و كون الحمد ثمن النعمة مجازاً وإنما جعل الحمد سبباً لهذه الأشياء الأربعة لما روي أن من قال الحمد لله فقد أدى حق نعم الله، و من قال: الحمد لله فقد تخلص من بلاء الله، و كفران النعمة يؤذن بانقطاعها

و قال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»^(٢). و المعاذ: الملجأ، و كلاهما مصدر و يجوز أن يكون موضعاً، و البلاء: البلوى، يقال بلاء الله بلاء سيئاً و أبلاء إبلاءً حسناً. و أصل الكلمة الاختبار.

و الوسيل: جمع وسيلة، و هو ما يتقرب به إلى الغير، و الجنان جمع جنة، و السبب كل شيء يتوصل به إلى الغير، و أصله الحبل. و الطينة: الخلق، يقال هي من الطينة الأولى. و سلالة الشيء ما استل منه. و النطفة سلالة الإنسان، و المجد: الكرم قال ابن السكيت^(٣): الشرف و

١- في ج: فانه لا يكون

٢- ابراهيم: ٧.

٣- أبو يوسف يعقوب بن السكيت بكسر السين و تشديد الكاف. الدورقي الأهوازي النحوي الإمامي اللغوي الأديب اثنى عليه المؤلفون في كتبهم، و وصفوه بكثرة العلم و الأدب و تبحره في علم اللغة و كان ثقة جليلاً من خواص الإمامين الهادي و العسكري عليهما السلام قتله المتوكل في قصة مشهورة.

المجد يكونان في الآباء

و «الأقدم» بمعنى القديم، وفيه شمة من المبالغة. و مغرس الفخار: مستعار من غرس الشجر، والمغرس هاهنا المكان، والفخار أن يكون أكرم أباً و أمماً هذا أصله ثم قيل فاخرت فلانا، و التفخر التعظم.

و المعرق: ذو العرق، و منه أعرق الشجر: إذا امتدت عروقه. ويقال: انه لمعرق في الكرم و اللؤم إذا كان له عرق في ذلك.

و العلاء المثمر: استعارة من أثمر الشجر طلع ثمره. و المورق: ذو الأوراق، من أورق الشجر، أي خرج ورقه. و المصباح: السراج. و عصم الأمم: أي هم أطفاف يمتنع الخلق بهم من المعاصي. و العصمة: المنع و الحفظ أيضاً، يعني أنهم حفظة الأمم (أي كل واحد منهم حافظ لأمة في زمانه)^(١).

و المنار: الأعلام، و هو جمع منارة، و لذلك أنث صفته. و مثاقيل الفضل استعارة من مثاقيل الذهب، و مثقال ميزانه من مثله.

الراجحة: الرزينة من قولهم رجح الميزان أي مال، و الإزاء: الخداء. يقال جلست بإزائه. و مكافأة: أي مجازاة، بغير همز- من الكفاية و بالهمز من الكفو، و الأوّل أليق هنا.

الكفاء: النظير، يقال فلان لا كفاء له: أي لا نظير، و هو في الأصل مصدر. الفجر الساطع المرتفع، و خوى: أي سقط

عنفوان الشيء أوله، يقال: هو في عنفوان شبابه. و الغضاضة: الطراوة، و شيء غض أي طري، و كل ناضر نحو الشباب و غيره غض.

حداني: أي ساقني من قولهم حد الريح السحاب و حدوت الإبل.
الأمام: القُدَّام، و عاقت: شغلت و حبست و صرفت. و المحاجزات:
الممانعات.

إنما جمع المصدر؛ لاختلاف أجناس المنع كقوله تعالى: «و تَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونَا»^(١)، و كلٌّ ممدود ممدول، يقال: مطلت الحديدية: إذا ضربتها و
مددتها لتطول، و منه المطلُّ بالدين.

قوله: «بويت ما خرج»، أي جعلت باباً باباً ما حصل.

قوله: «معجبين» ببدائعهم يقال عجبت من كذا و عجبت غيري، و
العجب ما لا يُدرِي سببه و موجب و يكون على غير العادة. و الكلمة
البديعة المخترعة على غير مثال، و الجمع بدائع، أي يعجبون غيرهم بها و
بمن ابتدعها، أو ينسبون ذلك إلى العجب

و روي: معجبين: من قولهم: أعجب فلان برأيه. و عجبهم بتلك
البدائع أما من حيث أنها علموها و أدركوها؛ لأنّ الفضلاء يعجزون عن
تعلم مثل ذلك، أو من حيث أن لهم إماماً يأتي بهذه البدائع. و الناصع
الخالص من كل شيء، أي تعجبت أنفسهم من الكلمة الفصيحة.

النواصع: و هو جمع ناصعة، و هي الكلمة خالصة فصيحة. و الثواقب
المضيئة: استعارة من شهاب ثاقب.

و قوله: (عالمًا: حال و روي)^(٢) علماءً مفعول له، أي سألوني العلم بأن
ذلك (متضمن للبلاغة العجيبة)^(٣) أو مصدر في موضع الحال.

القوانين: الأُصول، الواحد قانون^(٤) و ليس بعربي. و حدوت النعل

٢- بين المهلاين ساقط في ج.

٤- القانون القياس كل شيء و طريقه.

١- الاحزاب: ١٠.

٣- ساقط في ج.

بالنعل: إذا قدرت كل واحدة على مثال صاحبها.

إنما قال: مسحة من الكلام الإلهي: إشارة إلى أن على كلام أمير المؤمنين - عليه السلام - صقلاً و ضواءً من كلام الله، أي ضوؤه يأخذ في طريق ذلك الضوء، لا أنه هو أو يشبهه هو؛ لأن المسحة مؤذنة بأنها مسة ولطخة لم تنزل في سنخه.

ثم قال: وفيه عبقة من الكلام النبوي، و العبقة لا تكون إلا حيث يتحقق كون صاحبها، و كلامه (عليه السلام) فرع على كلام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فعروق كلامه في كلامه راسخة، و أساليبه منه متناسخة، ويقال: عقب به الطيب أي لزق به. و لو وضع المسحة مكان العبقة و جعل هذا مكان ذلك لم يستقم. و الدثرة: الكثيرة

قوله: «إنما يؤثر عنهم منها»، أي ينقل و تذكر عنهم من تلك المحاسن و الفضل، و الضمير في "منها" لها

قوله: في وصف كلام علي (عليه السلام) «و الجم الذي لا يحافل» أي لا يفاخر بالكثرة، و المحافلة: المفاخرة بالامتلاء.

يقال: ضرع حافل أي ممتلئ. و من شجون الحديث: إنني لما كنت بالحجاز، حدثني هناك بعض العلماء أنه وجد بمصر مجموعاً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نيف و عشرين مجلداً، و خلاصة معنى ذلك أنه يقول تيمناً و تبركاً باسم الله أبتدئ و أخبر بعد حمد الله و الصلاة على محمد و آله.

أني كنت في أول شبابي جمعت كتاباً مختصراً من الكلام القصير للإمام علي عليه السلام، فاستحسنه الناس فسألوني أن أجمع كتاباً كبيراً من درر ألفاظه، و غرر معانيه، ففعلت ذلك و لم يتصعب علي؛ فإن كلامه بحر لا يبلغ ساحله، أي شاطئه و طرفه

هذا إذا^(١) زوي بالحاء "و لا بساحل" و ساحل البحر مقلوب، وإنما الماء سحله أي قشره. فإذا روي "لا يساجل" بالجيم أي لا يفاخر، و المساجلة، المفاخرة، بأن تصنع كصنيعه، و أصله من الدلو. تمام خطبة الكتاب.

✽ ورأيت كلامه (عليه السلام) يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب و الأوامر و ثانيها الكتب و الرسائل، و ثالثها الحكم و المواعظ.

فأجمعت بتوفيق الله (تعالى) (على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم و الأدب. مفرداً لكل صنف من ذلك باباً، و مفصلاً فيه أوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً و يقع إليّ آجلاً.

إذا جاء شيء من كلامه (عليه السلام) الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض^(٢) غير الأنحاء التي ذكرتها و قررت القاعدة عليها نسبتته إلى أليق الأبواب و أشدها ملاحظة لغرضه، و ربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة^(٣) و محاسن كلم غير منتظمة؛ لأنني

أورد النكت و اللمع و لا أقصد التتالي و النسق. ^{٢٤} النهج: "التي"، و هي النكت التي من عجائبه (عليه السلام) أنه أنفرد بها، و أمن المشاركة فيها: أن كلامه الوارد في الزهد و المواعظ و التذكير و الزواجر. إذا تأمله المتأمل و فكر فيه المفكر و خلع من قلبه أنه كلام مثله (عليه السلام) بمن عظم قدره و نفذ أمره و أحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه كلام من لاحظ له في غير الزهادة و لا شغل له بغير العبادة.

٢- في ج: في غير الانحاء.

١- في ج: إذا كان.

٣- في ج: مستقيمة.

قد قنع في كسر بيت أو انقطع إلى سفع جبل، لا يسمع إلا حسه و لا يرى إلا نفسه، و لا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلاً سيفه فيقط الرقاب و يجدل الأبطال و يعود به ينطف دما و يقطر مهجا.

هو مع تلك الحال زاهد الزهاد، و بدل الأبدال، و هذه من فضائل العجيبة و خصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد و ألف بين الأشتات، و كثيراً ما أذكر الإخوان بها و أستخرج عجبهم منها، و هي موضع للعبرة بها و الفكرة فيها.

فربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد و المعنى المكرر، و العذر في ذلك أن روايات كلامه (عليه السلام) تختلف اختلافاً شديداً.

فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول.

إما بزيادة مختارة أو لفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار، و غيره على عقائل الكلام. و ربما بعد العهد أيضاً بما اختير. أولاً فأعيد بعضه سهواً و نسياناً لا قصداً أو اعتياداً.

و لا أدعي مع ذلك أنني أحيط بأقطار جميع كلامه (عليه السلام) حتى لا يشذ عني شاذٌ و لا يتد ناداً.

بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ و الحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي، و ما عليّ إلا بذل الجهد و بلاغ الوسع و على الله سبحانه نهج السبيل و رشاد الدليل.

رأيت من ^{عرفنا} (١) بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة، إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها و يقرب عليه طلابها، و فيه حاجة العالم و المتعلم و بغية ^{نهج}

البليغ والزهدي، ويمضي في أثنائها من عجيب الكلام في التوحيد والعدل و تنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق، ما هو بلال^(١) كل غلة و شفاء كل علة و جلاء كل شبهة. و من الله سبحانه أستمد التوفيق و العصمة و تنجز التسديد و المعونة، و أستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، و من زلة الكلم قبل زلة القدم، و هو حسبي و نعم الوكيل.

بيانه

(ذكر أن مباني كلام أمير المؤمنين عليه السلام: التي يدور عليها ذلك هي الخطب و الكتب و الحكم، و كل واحدة منها لكلامه كقطب الرحى، يعني لم تكن الدواعي التي دعت إلى الكلام إلا هذه الثلاثة و ما يجري مجراها).

قوله: «فأجمعت على الابتداء» و هو على إضمار فعل، كأنه قال: أجمعت عازماً على الابتداء باختيار خطبه بلطف من الله. قوله: بتوفيق الله: اعتراض، و نحو ما قدمناه تقدير قولهم: إذا قالوا أجمعت على الأمر. و إنما قلنا ذلك لانه لا يقال إلا أجمعت (الأمر)^(٢).

قال الله تعالى: «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ»^(٣). و المحاسن جمع الحسن الذي هو نقيض القبح على غير قياس، كأنه جمع محسن.

قوله: «ما عساه»، ورد على اللغة الشاذة مثل لولاه و لولاك، و روي عسى أن يشذ، و على هذا يمكن أن تعد من كلتا اللغتين. و ملاحظة الشيين، هو أن ينظر كل واحد منهما إلى صاحبه نظراً كلا ولا، و هي هاهنا استعارة

١- اللبال ككتاب: الماء و الغلة: العطش أو شدته.

٢- يونس: ٧١.

٣- بين الملأين في ض.

حسنة لتناسب الكلام بعضه من بعض.

يقال لمح: و ألمح إذا أبصره بنظر خفيف، و في فلان لمحة من أبيه أي شبهه، ثم جمعوه على غير لفظه، فقالوا: فيه ملامح من أبيه أي مشابه.

و رُويَ ملاحمة: يقال لاحمت الشيء بالشيء إذا ألصقته به، و الملحم الملتصق بالقوم. و اللحمة بالضم القرابة و بالفتح لحمة الثوب و قد تضم.

قوله: «إنه كلام مثله»، أي كلام مثل الإمام علي (عليه السلام): وأصلت السيف جرّده من غمده، و القط: القطع^(١) عرضاً.

و قطر الماء و غيره، و قطرته إما يتعدى و لا يتعدى.

و المهجة: دم القلب خاصة، و نطف الماء: سال ينطف.

قوله: «قبع في كسر بيت»، أي انزوى إلى زاوية، و البيت: الخيمة وكسرها أسفل شقتها التي تلي الأرض، و يقال: كسر بالفتح أيضاً. و قبع الرجل: إذا أدخل رأسه في قميصه، من قولهم قبع القنفذ رأسه في جلده. و سفع الجبل: أسفله حيث يسفح فيه الماء.

الحس و الحسيس: الصوت الخفي، و قوله: ينغمس في الحرب: استعارة، أي يتستر فيها لشدة دخوله بين الشجعان، من قولهم غمسته في الماء فانغمس

قوله: مجدل الأبطال: أي يرميهم على الجدالة وهي وجه الأرض، يقال: طعنه فجدله أي رماه بالأرض فانجدل و سقط. و البطل: الشجاع.

الأبدال: قيل هم قوم من الصالحين لا يتخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر، و البديل و البدل بمعنى. و بدل الشيء غيره.

١- القطع عامة أو القطع: القطع عرضاً و هو قول الخليل، و في الحديث: كانت ضربات علي أبكار إذا اعتلى قدّاً وإذا اعترض قط.

قال ابن دريد: واحد الأبدال بديل

قوله: «و استخرج عَجَبَهُم»، أي أعرفهم أنهم عاجزون عنها و عن أمثالها، فلا يبقى لهم حينئذ عجب أنفسهم، و منها أي من معرفتها. و روي عَجَبَهُم، و الأول أحسن. و أثناء الشيء تضاعيفه، يقال: كتبتة ثنى كتابي أي في طيه و وسطه.

قوله: «غيرة على عقائل الكلام»، أي كرائمه، و عقيلة كل شيء أكرمه، و منه عقيلة المحي، و عقيلة الإبل، و الدرّة عقيلة البحر. و أصلها أنها تعقل ولا تتبدل.

الغيرة: مصدر غرت على أهلي أغار. و القُطر: الناحية و الجانب، و الجمع الأقطار.

شد عنه يشد شذوذاً: انفرد عن الجمهور و ندر، و أشده غيرهه. و ند البعير: نفر و شرد. و الربق: بالكسر حبل فيه عدة عرى تشدُّ في كل عروة بهم، فأما الربة: فهي الحبل، و الجمع ربق.

المجد و الوسع: الطاقة و النهج: الطريق الواضح، و كذلك المنهج و المنهاج، و أنهج الطريق أي استبان و صار نهجاً، و نهجت الطريق أتيته.

البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة اللفظ.

التوفيق: لطف يفعله الله بالعبد يختار معه الطاعة.

العصمة: لطف يمتنع من المعصية معه، و كل ما يبيلُّ به الحلق من الماء و اللبن فهو بلال. يقال أيضاً: ما في سقايك بلال أي ماء. و البلة: الندوة. و الغلة: الحرارة و العطش.

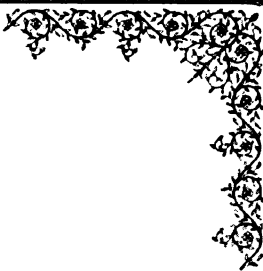
و جلوت السيف: جلاء أي صقلت و جلاء الشبهة كشفها.

نجز حاجته ينجزها بالضم نجزاً قضاها، و الاستنجاز و التنجز:

الاستنجاح.


و الخطاء: نقيض الصواب، يقال: منه أخطأت و تحطأت، و الخطاء
الذنب، و يقال: منه خطى يخطأ: و الخطئة الاسم. الجنان: القلب.





باب المختار من خطب
أمير المؤمنين (عليه السلام)

و أوامره. و يدخل في ذلك المختار من كلامه
الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة و
المواقف المذكورة و الخطوب الواردة.



(١) فمن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم. وفيها ذكر الحج.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ^(١)
 الْعَادُونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمِ وَلَا
 يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ (الَّذِي)^(٢) لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ
 مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ؛ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَ
 نَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ.
 أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ
 التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ
 لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ^(٣) كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ وَ
 شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ

٢- ساقطة من م.

١- في م: نعمه العادون.

٣- في م: بشهادة كل صفة.

قَرَنَهُ، وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَ مَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ وَ مَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ،
 (وَ مَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ) ^(١)، فَقَدْ حَدَّهُ، وَ مَنْ حَدَّهُ
 فَقَدْ عَدَّهُ، وَ مَنْ قَالَ «فِيمَ»؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَ مَنْ قَالَ «عَلَامٌ» فَقَدْ أَخْلَى
 مِنْهُ.

كَأَنَّ لَّا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لَّا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَّا
 بِمُقَارَنَةٍ ^(٢). وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا بِمُزَايَلَةٍ فَاعِلٌ لَّا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ
 الْأَلَّةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَّا مَنْظُورٌ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَّا سَكَنٌ يَسْتَأْنِسُ بِهِ
 وَ لَّا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِِنْشَاءً، وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ^(٣)، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَ لَّا
 تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَ لَّا حَرَكَةٍ أَحَدَتْهَا، وَ لَّا هَمَامَةً ^(٤) نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا.
 أَحَالٌ ^(٥) الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَ لِأَمٍّ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَ غَرَزَ غَرَائِزَهَا، وَ
 أَلَزَمَهَا أَشْبَاحَهَا ^(٦) عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا
 عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَ أَخْبَائِهَا ^(٧).

٢- في ك: لا بمقاربة بالباء.

١- ساقطة في م ون ور.

٣- في ن: وابتدأ ابتداء.

٤- في م: ولاهمة نفس وفي ك: ويروي هما هم نفس.

٦- في ك: وروى اسناخها.

٥- في ك: وروى أجل الاشياء.

٧- في ك: وروى اختافها وفي ر: وروى أخباؤها.

بيانه

أخبر عليه السلام عن نفسه بأنه يحمد الله بظاهر كلامه، وأمر غيره من فحواه بأن يمدوا الله وأنه ثابت على ذلك مدة حياته، ويجب على المكلفين ثبوتهم عليه ما بقوا ولو قال: أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك و الحمد أعم من الشكر و لفظ^(١) الله أخص من الإله ثم قال:

«الذي لا يبلغ مدحته القائلون»، أظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بحامده، والمعنى أن الحمد كل الحمد ثابت للمعبود الذي حقت له العبادة في الأرض واستحقها حين خلق الخلق وأنعم بأصول النعم الذي يستحق بها العبادة الذي لا يصل قائل إلى كنه مدحه.

و المدحة: فعلة كالركبة والمشية والجلسة التي هي حالة الركوب و هيئة المشي و غاية أكثر الجلوس، و المدح يُسْتَحَقُّ بفعل الواجب و بفعل ماله صفة الندب و بالتحرز من القبيح) و الحمد و المدح يكونان بالقول و الفعل.

الألف و اللام في قوله: «القائلون»، لتعريف الجنس كمثلها في الحمد، ولو قال: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحه قائل، لكان أيضاً عاماً شائعاً إلا أنه خصص القائلين المبالغين؟ في ذلك ليكون أكد لفظاً، و معنى، و راعى الجمعية و عذوبة اللفظ، و البلوغ: الوصول، بل هو أعم، يُقال: بلغت المكان إذا أشرفت عليه و إن لم تدخله.

قال الله تعالى «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» و هذه

١- في ج: والله أخص من الإله.

مشاركة وإذالم يُشَرَّف على حمده تعالى بالقول، فكيف يُوصَل إليه بالفعل هو الاله مصدر بمعنى المألوه.

و أما قوله: «و لا يحصي نعمائه العادون»، فهو إشارة إلى ما زوي أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: يا علي ما أول ما أنعم الله به عليك فقال: أن خلقتني حياً قادراً مشتهياً، فقال: و ما الثانية، فقال: أن عرفني نفسه و مكنتني من طاعته، و لطف معي توفيقاً و عصمة.

فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : و ما الثالثة فقال يا رسول الله: وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا. فقال: ملئت علماً و حكماً فاقتبس كلامه ها هنا من كلام الله، ففصل مجمله و قيد مطلقه و جمع مفرده. و في ايراد لفظ النعمة مفرداً في كلام الله، و على لفظ الجمع في كلام أمير المؤمنين - عليه السلام - سر عجيب، و هو أن الله دل عباده على آلائه العظام بأن قال: نعمة واحدة منها لا يمكنكم عدّ وجوه كونها هذا حقيقته، و الا فالشيء الواحد لا يمكن عده.

قيل: المراد بها الجنس، و انما ذكر علي نعمائه و نعمه على الجمع بين الروايتين اشعاراً أن أصول نعمه لا تحصى لكثرتها، فكيف تعد وجوه فروع نعمائه. و كذلك لطيفة عجيبة في ايراد كلامه على لفظ الخبر و في كون كلام الله على لفظ الشرط.

لأنه تعالى يقول لعباده، ان أردتم أن تعدوا نعم الله لا تقدروا على حصرها، لأن تفاصيلها لا يعلمها الا الله، و أخبر على أنه أنعم النظر فعلم إن أحدا لا يمكنه حصر نعمه غيره تعالى.

لو قال و لا يعد نعمه الحاسبون لم يحصل المبالغة التي أَرادها - عليه السلام - بعبارته، لأن الحساب اشتقاقه من الحسبان الذي هو الظن، و العدد من العد، و هو الماء الذي لا ينقطع كماء العين، و الاحصاء الاطاقة، يقال

أحصيته أي أطبقته.

قال تعالى: «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ»^(١) و قال تعالى: «إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا»^(٢) أي لا تحصروها و لا تطبقوا عدّها.

فقوله: «و لا يحصي نعماء العادون» أي لا يطبق عدّ نعمائه العادون، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه، فأكد بهذه الجملة القرينة الاولى، والمعنى ان مدائح الله لا يشرف على ذكرها الانبياء و المرسلون لأن نعماء اكثر من أن يعدّها الملائكة المقربون و الكرام الكاتبون.

أما قوله: «و لا يؤدي حقه المجتهدون»، فالتأدية ايصال الشيء إلى الغير بأداء و الحق ما يكون أخذه حقيقاً.

و المجتهد: من يحتمل المشقة في فعل، أو ترك أي أن حقوقه على العباد عظيمة لا يمكن المجتهدين في الطاعة و في التحرز من المعصية القيام بقضاء حق من تلك الحقوق على الوجه الذي يجب، و انما ذكر حقه مفرداً و له تعالى حقوق كثيرة، إما لأن الحق مصدر يقع على القليل و الكثير، أو لأن حقاً من حقوقه لا يمكن العباد أن يؤديه

فلينظر البلغاء في هذه الكلمات الثلاث فانها يتضمن فوائد جمّة، ذكر أنه لا يستحق العبادة غيره تعالى، و جعله محموداً ممدوحاً و منعماً عاجلاً و آجلاً، و أن له حقوقاً واجبة على الخلاق.

ثم حقق هذا الاثبات الذي هو الله تعالى بالنفي من جهة عباده بأنه لا يمكنهم تأدية حقوقه، و لا احصاء نعمائه و لا ذكر مدائحه و لا بلوغ محامده و ان بالغوا في ذلك و اجتهدوا فيه و بالغ في تعظيم مدحه بتقديم ذكره تعالى مع كونه في موضع المفعول.

و آخر الفاعل كقوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(١) وراعى الفواصل بحروف (متشاكله في المقاطع توجب الافهام المعنى لم يتكلف السجع، و زاد معنى)^(٢) القرينة الاولى بتقرير البيان مع تلام الحروف و تكرير المعنى و اظهار المعاني الكثيرة باللفظ اليسير. و كلها من مراتب البلاغة.

قال: «الذي لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن». فالادراك إذا أضيف إلى ذوي الحواس، و ما في جملتهم يستعمل بمعنى الرؤية، و لا فرق بين أدركت إذا كان مطلقاً و لا بين رأيت و التبعد ضالقرب سواء كانا محسوسين أو لم يكونا، و الهمة ما هممت به و هو عزم مخصوص. و النيل: الاصابة. و الغوص: الدخول تحت الماء لاستخراج الدر و نحوه. الفطنة: علم متجدد من سماع كلام، أو اشارة، أو كناية، و هذه الجملة صفة لله، لأن الذي معرفة بصلته، و هذا صفة لموصوف يستغني عن التخصيص والبيان والتحلية، و انما هو صفة جارية عليه تعالى على سبيل الثناء و المدح و التعظيم.

كما يقال: في «بسم الله الرحمن الرحيم» إن الرحمن الرحيم صفتان للمدح و الثناء على جهة التخصيص والتحلية، و نحوه، ما حُكي عن بعض العلماء أنه سمع المقرئ يقرأ «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» فلما أتمها أنشد.

أسامياً لم تزده معرفة و انما لذة ذكرناها

و نزل عن المنبر. والمعنى ان الحمد كائن لله الذي ليس بجسم و لا عرض، بل هو خالقهما و لو كان بصفة شيء منها لراه الراؤن أو أصابوه.

انما خص الهمة العالية باسناد نبي ادراكه إليها، وخصَّ الفكر الخالص في قعر بحر العلم باسناد نبي اصابته لغرض صحيح، وهو أن الثنوية يقولون بقدم النور والظلمة وانهما حيان هذا مطبوع على الخير و هذه مطبوعة على الشر، و أنَّ العالم ممتزج منهما و يثبتون للنور خالصاً جهة العلو و للظلمة خالصاً جهة السفلى.

فرد - عليه السلام - عليهم ذلك بأن النور والظلمة جسمان والأجسام كلها محدثة، والله تعالى قديم، وان كانت الظلمة هي فقدان النور فلا يضرنا ولا ينفعهم.

فان قيل: كلامه - عليه السلام - هذا ينقض أصلكم و يبطل مذهبكم، وأنتم تقولون إن النظر في طريق معرفة الله يوصل إلى العلم به تعالى.

قلنا: لا تناقض بينه و بين ما نقول، بل كلامه - عليه السلام - ينبه على صحة جميع ما نعتده و يؤكده، لانا ثبت صانع العالم من طريق الصنع و نستدل عليه بأفعاله.

فان الموجودات على ما تدل عليه الدلائل العقلية ثلاثة، ذات الله و ذوات الجواهر والاعراض و طريق اثبات الأجسام، و كثير من الاعراض الادراك، و طريق اثبات ما سواهما من الاعراض والاحكام، و لا يجوز هاتان الطريقتان في اثبات الله تعالى.

فصحَّ أنه تعالى لا يُدرك و لا يُرى بالمشاهدة و لا ينال بالاصابة كالأجسام والاعراض، و لا يحيط العلم به تعالى على أحد الوجهين المذكورين، و انما يعلم سبحانه من طريق فعله و ذلك على منهاج قوله

تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(١).

رُوي أن رجلاً جاء إليه فقال لأمير المؤمنين - عليه السلام - أخبرني عن الله أرايته حين عبدته، فقال عليه السلام: لم أك بالذي أعبد من لم أره، فقال له كيف رأيته.

فقال: ويحك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان.

معروف بالدلالات منوعة بالعلامات لا يقاس بالناس ولا تدركه الحواس.

و يجوز أن يقال ان البعد والغوص مصدران بمعنى الفاعل والمصدر يوضع مكان الفاعل للمبالغة كقولهم هو عدل، أي عادل قال تعالى: «إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا»^(٢) أي غائرا.

فيكون المعنى: لا يدركه العالم البعيد المهم فكيف الجاهل، و حذف الموصوف كثير في كلامهم فكأنه رد على المشبهة فيما تزعمه من اسراء الله بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى ما فوق السماوات السبع إلى الافق الأعلى من أنه رأى ربه هناك.

كذا في انزال الله يونس - عليه السلام - في بطن الحوت إلى قعر البحر لم يكن لمثله، و لم يكن صعود محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا هبوط يونس - عليه السلام - الا لمصلحة و في هاتين الكلمتين أنواع من البلاغة منها المجاز الذي هو وصف الهمة بالبعد و الفطنة بالغوص، و في الحقيقة توصف بذلك أربابها.

منها جمع الكلام المبالغ فيه ما هو دونه، فانه لما قال: «لا يدركه بعد

الهمم على أن الهممة القريبة لا تدركه أيضا. وكذا الكلام في غوص الفتن و ما دون ذلك و نحوه الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.

فانه لما استوى على العرش مع أنه اكبر المخلوقات فأن يكون غالبا على ما دونه أولى^(١) و نحوه (و ان كان)^(٢) بالعكس من وجه آخر قوله: «فلا تقل لها أف»^(٣)، فانه أدنى العقوق و قد نهى سبحانه عن كثير العقوق أيضا، أي لا تؤذها بقليل و لا كثير، و منها المقاطع بالحروف غير المتجانسة.

كقوله تعالى: «وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ»^(٤) والعلة في حسن ذلك أن المراد بالمقاطع الدلالة على انتهاء كلام وابتداء كلام. وإذا اظهرت بالحروف المتقاربة فقد قامت مقام المتجانسة، و صح أن تزوج الهمم بالفطن لقرب مخرجي الميم والنون و كذلك تدغم فيها.

قال تعالى: «فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا»^(٥)، هو أن الشرط و ما المزيدة، للتأكيد ثم قال:

«الذي ليس لصفته حد محدود» و ذكر بعد اثبات ذات الله تعالى وجوها من النفي على ما تقدم، و ذكرها هنا أيضا بعد اثبات صفته تعالى فنونا من النفي يريد بها جلالاً و عظمة. و نحن نتكلم عليه من حيث وضع اللغة أولاً ثم نبين معانيه ثم نذكر ما يتعلق به من علم الاصول.

فنقول ليس كلمة لنفي الحال و هو فعل والصفة في أصل الوضع مصدر كالوصف، و في العرف اسم صريح، و أصل الصفة و صفة حذف فاء فعلها كالزنة و العدة، و لم تكن العرب ممن يثبت الصفات على ما اصطلاح

١- في ج: فلا يكون عاليا على ما دونه

٣- الاسراء: ٢٣.

٥- مرجم: ٢٦.

٢- ساقط في ج.

٤- الطور: ٤ - ٥.

عليه أهل الاصول.

و انما يعرفون من حيث الصفات الصور والهيئات، و ذلك منفي عنه ايضاً.

و أوضاع الصور أغيار للذات فيجوز أن يكون مراده عليه السلام ذلك والحد في اللغة منتهى الشيء، و غايته و يكون بمعنى المنع. انما قال: «حد محدود»، وصفه بما هو منه للمبالغة، كقولهم «شعر شاعر».

النعته: وصفك الشيء بما فيه من حسن قاله الخليل فكل شيء جيد بالغ فهو نعت، و الموجود هو الذي له صفة الوجود من المعلومات و الاصح أن لا يحد الموجود، لأن الحد انما يذكر ليكشف المحدود. و الموجود أظهر من كل ما يحد به، و لذلك عيب على من حده بأنه الكائن أو الثابت، و تصح القسمة بالنفي والاثبات في الموجود، لأنه إما لا بد أن يكون لوجوده أول، و هو المحدث أولاً أو لوجوده و هو القديم. الوقت: الزمان، و هو عند المتكلمين هو عبارة عن تحريك الفلك و دورانه على وجه و هو حادث أو في حكم الحادث.

الاجل: مدة الشيء يقولون المحرم وقت مولد فلان و صفر أجل موته، و الاصل في الاجل أيضاً الوقت والمدة، والوقت سواء يقال مددت الشيء مداً طولته و زدته، و أما المعنى فانه يقول الشكر لله تعالى متجدد علي^(١) عند تجدد كل ساعة، و لهذا أبدل هذه الجملة من الجملة التي قبلها و هي الثانية كما أبدل الثانية من الاولى.

ثم قال: «الذي ليس لصفته حد محدود»، يعنى معبودي الذي له

صفات العظمة و هو منزه عن صفات النقص، فانه تعالى قادر عالم حي موجود على سبيل الوجوب يقدر على كل ما يصح أن يكون مقدورا له، و يعلم جميع المعلومات سواء كانت موجودة أو معدومة.

فلا يبلغ كونه قادراً إلى غاية من المقدورات لا يصح^(١) فعل شيء منها، و لا يبلغ كونه عالماً إلى نهاية لا يعلم شيئاً آخر، و لا يصح منه احكام فعل اذ ليس لكونه قادراً عالماً و نحوهما حدّ و هو تعالى متفرد بذلك على هذا الوجه لأن غيره و ان كان عالماً قادراً.

فان هاتين الصفتين له جائزتان، و هذا الغير^(٢) قادر بقدره و عالم بعلم، ينتهي كونه قادراً إلى أحد لا يصح له فعل شيء و ينتهي كونه عالماً الى حد لا يعلم شيئاً آخر فصح أن صفات الواحد منافي حكم المخالف لصفاته تعالى.

و إذا كان كذلك فليس نعت الموجودات من المعقولات، مثلاً لصفته و الأحسن أن يكون المراد بالنعت ها هنا المعنى كالقدرة والعلم والحياة على ما نذكره، و كذلك ليس لكونه تعالى حياً موجوداً أول اذ لم يكن في وقت ميتاً او مائتاً أو معدوماً.

ثم صار حياً موجوداً. و إذا كان هكذا ليس لصفته وقت معدود و هو الموصوف بهذه الأوصاف لا يخرج منها أبداً، لانها واجبة له، فلا يصير قط عاجزاً و لا جاهلاً و لا ميتاً و لا معدوماً و إذا كان كذلك فليس لصفته أجل ممدود أيضاً. فان قيل بينوا هذه التفاصيل التي ذكرتموها يفيدها قوله الذي ليس لصفته حد و هل يجوز فيه غير ذلك.

قلنا: لا شك أنه عليه السلام أثبت لله تعالى صفة و نفى أن يكون لها

١- في ج: لا يصح منه.

٢- في ج وم: وهو قادر.

حد، و لا يخفى ذلك على من له أقل استيناس بكلام العرب، و قريب من ذلك ما سألتني بعض العلماء هو كلمتان لله شريك غير بصير و ليس شريك الله بصيرا.

قال: ان احديهما كفر و الأخرى ليس كذلك، فأيهما كلمة الكفر قلت: على مذاق كلامه ان قوله: ليس شريك الله بصيراً كفر لأن قائله أثبت الشريك لله تلويحاً (أخبر بعد مشيراً إلى نحو الاصنام)^(١) أن ذلك الشريك غير بصير تصريحاً.

فأما الكلمة الأخرى فليس بكلام عليه مسحة من الفصاحة، و لعله كلام وضع للمطارحة يمتحن أهل العلم بمثل ذلك بعضهم بعضاً قوله لله تقديره الله استفهام على سبيل الإنكار يخاطب به عابد الوثن، و حذف الهمزة في مثل هذا الموضع كثير و قد أجبتة بغير ذلك أيضاً.

و الغرض بإيراد الكلمة الأولى فإنها كالاستشهاد فيما نحن بصدده، و اذا ثبت ذلك فاعلم أن أصحابنا قد اضطرب كلامهم فيه، و اختلفوا في تفصيل ذلك اختلافاً و ان اتفقوا فيه جملة فاذا خلا فهم كلا خلاف.

انما قلنا ذلك لأن كل واحد من أصحابنا يقول: انه تعالى هو المتميز تمييزاً يصح لأجله أن يفعل و أن لا يفعل إذا لم يكن الفعل في نفسه مستحيلًا، و هذا هو القادر و يقولون أيضاً: إن الله سبحانه هو المتميز و هو الذي يصح أن يفعل الأفعال محكمة تحقيقاً أو تقديراً، و هذا هو العالم و يقولون انه تعالى هو المتميز تمييزاً لأجله يصح أن يعلم و يقدر.

هذا هو الحي و كلهم يقولون: انه موجود لأن وجوده عندهم ذاته و كل ما يدل على أنه خالق للعالم يدل على وجوده من وجه. و يقولون: إنه

قديم لأنه لو كان محدثاً لكان قادراً بقدرة واستحال منه فعل الأجسام. فن قال انه تعالى ذات مخصوصة و يجري عليه جميع ما ذكرنا، ثم يقول إنه لا يوصف بصفة فلا مشاحة.

فان قيل فإنَّ قوله عليه السلام: «ليس لصفته حد»، لا يدل على أكثر من صفة قلنا إن أهل اللغة فسروا ذلك بأنه ليس لعظمته حد، على أن بعض أصحابنا قال: إن المعنى بها صفته الخاصة التي هي الالهية، و الوجوه الاربعة تكون منفية عنها يعني ان ليس لها نعت و لا ابتداء و لا آخر.

قال أكثر أصحابنا: إن ذلك يدل على صفاته الأربع الذاتية الواجبة له، لأن الصفة في الأصل مصدر، والمصدر يدل لفظه على القليل و الكثير فأثبت له تعالى كونه قادراً و عالماً على العموم، فلا يقال: إنه قادر على جنس دون جنس، أو عالم بشيء. دون شيء، اذ ليس لكل واحد منها غاية تحدّ دونها كما يحّد من يكون قادراً بقدرة و عالماً بعلم.

ليس لصفة من صفاته أيضاً نعت موجود، لأن الصفات الحاصلة للواحد منا لا يشابه صفته تعالى، و لا يقال إنه تعالى كذلك لم يزل، و يكون لا يزال كذلك، و أما من يختار من أصحابنا طريقة أبي الحسين البصري^(١) في ذلك فانه يقول: معنى قوله.

«ليس لصفته حد»، أي ليس لوصفنا اياه بما تذكره من الحمد والمدح و نحوهما غاية، و يقول: هذا على أصل الوضع فالصفة في اللغة هي قول الواصف و هي فيها بمعنى الوصف كما أن العدة بمعنى الوعد.

قيل: المراد بقوله «نعت موجود» أي قدرة موجودة و علم موجود، و

١- محمد بن علي ابوالحسن البصري المتكلم على مذهب المعتزلة، و هو احد ائمتهم الاعلام المشار اليه في هذا الفن له تصانيف منها المعتمد في الفقه و هو كتاب كبير توفي ببغداد سنة ٤٣٦.

أما جاز ذلك لأن كل واحد منهما يوجب صفة، فسمي الموجب باسم الموجب توسعاً، أما اختيار المجاز فيه دون الحقيقة لقريظة وهي وصفه عليه السلام النعت الموجود والصفة لا يوصف وحدها.

و المتكلمون يعبرون بالصفة عما يكون عليه الذات من الحال التي اختصت هي بها وتميزت على وجه الخلاف من الذوات التي ليست على مثلها من الأحوال، و طرق اثبات الصفة ثلاثة: الحكم، و الوجدان والادراك.

فمثال الحكم صحة الفعل التي تدل على كون القادر قادراً، و صحة أحكام الفعل التي تدل على كون فاعله عالماً، و صحة كونه قادراً عالماً التي تدل على كونه حياً و تعلق الشيء بغيره لذاته التي يدل على كونه موجوداً الى غير ذلك من أحكام الصفات.

مثال الوجدان هو أن يجد الانسان من نفسه صفة عند ادراكه شيئاً من المحسوسات، نحو الجسم واللون والطعم والرائحة و غيرها، فانه يجد من نفسه حينئذ صفة كان لا يجدها قبل ذلك، و هو كونه مدركاً، و كذلك يجد من نفسه صفة عند اشتهاه شيئاً كان لا يشتهي من قبل و هي كونه مشتتياً.

مثال الادراك هو إنا ندرك الجسم رؤية و لمساً و ندرك الصوت والطعم والحرارة والبرودة والالام، فنعلم أن كل واحدة من هذه الاجناس على صفة يتناول إدراكنا إياه تلك الصفة فليتأمل المتأمل^(١) عذوبة اسجاع هذه الكلمات.

و لينظر إلى تناسب ألفاظه و معانيه و إلى ما ذكر أيضاً بعد إثبات

صفته تعالى، فنونا من النبي يزيد بها في التعظيم لله سبحانه، والسجع قسماً يحمد أحدهما، وهو أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني و يذم القسم الآخر وهو أن يكون المعاني تابعة للألفاظ.

ثم قال: «فطر الخلائق بقدرته»، مع قرينتين، أما تفسير ألفاظه فإنَّ فطر بمعنى خلق وابتدع قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى فاطر، حتى اختصم اليّ أعرابيان في بئر فقال: أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها.

والخلائق: جمع الخليفة و هي البرية عرفاً و يحمل على جميع المخلوقات وضعاً، والخلائق أبلغ في التأكيد من الخلق لفظاً و معنى، و أعم شياً، و قدرة الله على خلقه كونه قادراً عليهم. و أصل القدرة أن يكون مصدراً.

يقال: القدرة العظيمة والباء في قوله: بقدرته لاستصحاب الحال كقولنا رفع يديه بالتكبير أي مكبراً، أي أنشأ الخلق قادراً عليهم، و ليس تأثيره فيهم تأثير العلل و انما أثره أثر القادرين، ليس على سبيل الايجاب بل على طريق الاختبار.

قوله «نشر الرياح برحمته»، أي وسعها طويلة و أصله من نشرت الكتاب خلاف طويته، و يعتبرون في صفة الريح النشر إذا كان فيه خيراً لا شر معه كالرياح الملقحات التي ينشرها الله فيكون بسببها الأنوار والأزهار والفواكه والثمار، و كالناشرات التي رياح الرحمة ينشرون السحاب في الجوف. فيكون منه الأمطار والرياح تجمع قطع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب أنزلت الامطار، و في الخبر: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً، و هذا إشارة إلى عرف العرب في ذلك فانهم يقولون ريح العذاب و رياح الرحمة، و به نزل القرآن و قال:

«رِيحاً صَرْصَراً»^(١) «الريح العقيم»^(٢) ينشر الرياح^(٣) و هذا ايماء إلى أن ثواب الله مزيد مضاعف على المستحق، و عقاب الله مقصور على الاستحقاق، فلذلك جمع ما فيه النعمة و أفرد ما معه العقمة و برحمته أيضاً حال.

والرحمة من الله إنعام و إفضال، و من الآدميين رقة في القلب تقضي الاحسان إلى المرحوم، يقال ارحم ارحم إذا رق و تعطف و نحوها الغضب فأنه في الواحد منا تغير يقتضي عذاب، و من الله الغضب على الكفار ارادة إنزال العقاب بهم فيحمل على المسبب في الموضوعين دون السبب.

قوله: «و وتد بالصخور ميدان أرضه»، عبر بالتوديد عن إزالة اضطراب الأرض الكائن أول مرة، أو عن كونه أماناً عن زلزالها، الذي يكون في آخر الأمر يقال: وتدت بالوتد أتده و للتكثير و تدّ يوتد. والله تعالى أرسى الأرض و ثبتها بالجبال كما يرسى البيت بالاو تاد و الجبال والصخر: الحجر الشديد الصلب والمراد بالصخور الجبال.

يقال: مادت الاغصان ميداناً أي تحركت و تمايلت والفعالان انما يقال: في شيء يكون فيه اضطراب شديد، و تحرك عظيم و تزلزل قوي، والأرض لم يجيء في القرآن جمعها، و أما المعنى فانه نبه المكلفين على النظر في نعماء الله.

فانه ابتداء خلقهم و قدرهم و مكنهم و أقدرهم و أعلمهم: فمنهم من خلقه الله نطفة ثم علقته ثم مضغة ثم عظماً ثم أنشأه خلقاً سوياً (و هذا يكون في مثل بني آدم)^(٤) بالتناسل، و منهم من خلقه على سبيل الانشاء والابتداء

١- الحاقه: ٦.

٢- الذاريات: ٤١.

٣- في ج: ترسل الرياح و هذا ايماء.

٤- بين الهلالين ساقط في الرضوية.

كالملائكة على ما تقتضيه المصالح.

ثم هيأ أسباب أرزاقهم و هيأ أمر معاشهم، أرسل الرياح فجمعت السحاب فأنزل المطر منه فأنتب به الزروع والأشجار يأخذون منه المآكل والثمار، و جعل الأرض قراراً مهينا للتصرف فيها كالمهد للصبي، و جعل الجبال للارض أوتاداً لئلا تميد بأهلها، كما أن الخيام إنما تستقر و تثبت بالأوتاد فيسمهد أهلها لكونها و يستقيمون لمكانها.

أما ما يتعلق به من الكلام: فإن أصحاب الصفات من الأشعرية و نحوهم يتمسكون بمثل ذلك، و يقولون: إنه إثبات القدرة لله و لا طائل لهم في ذلك، لأن الدلائل العقلية التي لا يدخلها التأويل تدل على أنه لا يحتاج الى القدرة.

سواء كانت قديمة أو محدثة، و لا إلى غير ذلك، فهو تعالى قادر لا بقدرة عالم لا بعلم، حي لا ب حياة بل هو قادر لذاته عالم لذاته، حي لذاته والقدرة كما تحمل على معنى مخصوص فانها تكون مصدراً في كلا الموضوعين تستعمل على الحقيقة، و إنما تخصص بأحدهما لقرينة و لا قرينة أكد من دليل العقل.

فان قيل: تركيب هذه الجملة يدل على أنه فطر الخليفة قبل خلق السماوات و الارض. قلنا: في ذلك وجهان أحدهما أن ما يحسن منه تعالى أن يخلقه ابتداء خلق حي و خلق شهوة فيه لمدرک موجود يدركه فيلتذ به، و يجوز أن يكون ذلك المدرک هو الحي نفسه.

يجوز أن يكون غيره لانه يجوز أن يشتهي الحى إدراك نفسه، وإدراك ما يحل فيه كما يشتهي غيره، لانه يجوز أن يشتهي غيره من المدركات، و لهذا قيل ان تقديم الجهاد على الحيوان مطلقاً قبيح من حيث كان عبثاً.

والثاني ما قال: المرتضى^(١) رضي الله عنه و هو أنه لا يمتنع أن يبتدأ بخلق الجهاد إذا علم أنه إذا خلق بعد ذلك مكلفاً، وأخبره بأن الجهاد خلق اولاً كان ذلك لطفاً له، و لا يمكن أن يكون هذا الخبر صدقاً الا بأن يكون خلق الجهاد قد تقدم، و يطعن على هذا بأن يقال: وجه الحسن لا يجوز أن يتأخر عن حال حدوث الفعل، و الخبر عن خلق الجهاد بعد خلقه الجهاد متأخر و لا يجوز أن يكون وجهاً في حسن خلق الجهاد.

و الجواب عنه أن نقول: انه إذا (علم الله من حال ما خلقه جماداً^(٢) انه يجعله مكلفاً) فيما بعد و يخبره بذلك فينتفع به وقع في الحال خلق الجهاد حسناً كما أن وجه حسن التكليف علمه تعالى بأن المكلف متى فعل ما كلف فعل به الثواب المستحق و ان كان فعل الثواب متأخراً.

ثم قال: «أول الدين معرفته»، إلى قوله: «و لا يستوحش لفقده». جعل عليه السلام الدين على أربعة أصول: معرفة الله، و الايمان به، و توحيده، و الاخلاص له. ثم جعل تمام الاخلاص نفي صفات المخلوقين عنه، و جعل تمام التوحيد الاخلاص، و جعل تمام الايمان به التوحيد، و جعل تمام معرفته الايمان.

ثم استدل على صحة ما هو تمام الفصل الرابع، بأن قال: ان في الشاهد لا يلتبس فعل بفاعله و لا يشتهب فاعل بفعله.

فكذلك الخالق، و الخلق لا يجري صفات الخلق على خالقهم، اذ لا مشابهة و لا مماثلة و لا مناسبة بينهما، و اكتفى بالاستدلال على ما ذكره

١- ابو القاسم علي بن الحسين المشهور بالسيد المرتضى: جمع من العلوم ما لم يجمه احد و حاز من الفضائل ما تفرد و توحده و اجمع على فضله المخالف و المؤلف، له آثار كثيرة و تأليفات شهيرة توفي سنة ٤٣٦ بغداد.

٢- في ج و م: انه علم من حاله انه يخلق المكلف فيما بعد.

أخيراً من إirاده على ما سواه اذ هو يرجع قهقري بصحة لاصول الاربعة من آخرها إلى أولها.

فليفكر البلغاء في ذلك يطلعون على فصاحة ما وراءها مرتقى لبليغ، و أما اللغة فان الأول هو ابتداء الشيء و هو أفعل من الأول و هو الرجوع، يستوي فيه المذكر والمؤنث إذا لم يكن فيه الألف و اللام.

اذا كان فيه قيل للمؤنث الاولى، والدين للطاعة لغة و الاسلام و الملة عرفاً و لا تنافي بينهما لأن الله قد أمر العقلاء أن ينظروا في الدليل ليعرفوا الله فن عرفه فقد أطاعه، و أمر ان^(١) لا يشركوا به شيئاً و يوحده فن وحد فقد أطاعه، و أمر أن يخلصوا له في العبادة و لا يخلطوها بالنفاق و الرياء و السمعة فن أخلص الله فقد أطاعه فهذه بعينها هي الملة و الاسلام.

و العرف: ضد النكر و المعرفة و العلم اخوان و كلاهما ما يقتضي سكون النفس، و الكمال مصدر كمل أي تمّ و الكمال أبلغ من التمام و «كمال الدين» الفرائض، فأما السنن فانها زينته و الصدق خلاف الكذب، و التصديق من أفعال القلوب لأن من علم أن ما أوجبه الله على عباده أنه مصلحة لهم. و حقق ذلك و صدق أنه مصلحة لهم.

و الاخلال به على كل وجه مفسدة منهم فهو مؤمن و صرح بلفظ التصديق و لم يذكرها هنا لفظ الايمان، و ان كانا سواء رفعا للايهام الذي ذهب إليه جماعة أن الايمان هو تصديق بالجنان و اقرار باللسان و ان كانا واجبين فهما حليتان للايمان و فرعان لأصل.

اذا ثبت لا يزول بزوالها و وحدت الشيء أي قلت انه واحد، أو علمت كقولهم أثبت الشيء إذا قلت بثبوتها و الاصل أن يجعلها كذلك

١- في ج: و أمر أيضا بالايمان به و التصديق له، فن آمن به و صدقه فقد أطاعه.

والاخلاص أن يفرد الانسان المعبود بعبادة لا يشرك فيها غيره.
 النفي الاعدام ويستعمل في الخبر عن العدم على وجه التشبيه بما سمي
 نفيًا في أصل اللغة، وكذا الاثبات هو الایجاد وقد يستعمل في الخبر عن
 الوجود تشبيهاً والشهادة والاختبار بما شوهد في الاصل و شهد عند
 القاضي.

إذا بَيَّنَّ و أعلم لمن الحق و على من هو و اسناد الشهادة إلى الصفة
 مجاز حسن و قيل: الامور الصامته الناطقة هي الدلائل المخبرة والعبر
 الواعظة. و قال قوم: المراد بالصفات ها هنا المعاني لإن أصحاب الصفات
 هم الاشعريه، القائلون: بأن الله تعالى قادر بقدره قديمه، و عالم بعلم وحي
 بحياة قديمه.

قال الاكثرون: المراد بالصفات الاحوال على ما هو معروف الا أنها
 مخصوصة ها هنا بصفات المخلوقين للدليل الذي قبلها و بعدها على ما نبينه
 ولا خلاف أن العام يخص بالدليل المنفصل، فان قيل: بينوا عن ذلك. قلنا
 لاصحابنا في ذلك ثلاثة أقوال، فقال بعضهم: المراد من عرف أن له صانعاً،
 و عرف أنه قادر عالم حي، فلا يكمل له هذا حتى يعلم أنه قادر لا بقدره،
 عالم لا بعلم، حي لا بحياة.

يعني لا يكون كامل الاخلاص حتى يصف الله بتلك الاوصاف لا
 على الوجه الحاصل (للوحد منا بل نقول: ان تلك الصفات له تعالى واجبة
 و لو كانت معنوية لكانت جائزة)^(١) كما للواحد منا فينبغي أن ينفى عنه
 هذه الصفات على هذه الوجوه لنا.

والاشعري و كل من يثبت لله تعالى قدرة و علماً و حياة و غيرها من

المعاني، ويقولون: انها قديمة يلزمهم أن تكون تلك المعاني كلها مثل القديم، (تعالى) و إذا قال: هؤلاء من أصحابنا ان كونه تعالى قادراً عالماً (ان الله تعالى قادر عالم حي)^(١) حياً صفات واجبة فيما ذكرنا في قوله: «و كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه».

اما أن يكون على سبيل الاستعارة و المجاز على ما حكيناه، اما أن يكون على جهة التحقيق بعد تجوز و هو أن يكون المراد بالصفات المعاني من القدرة و العلم و الحياة فان هذه المعاني إذا وجدت توجب صفاتها البتة على كل حال.

و لما لم ينفصل تلك العلل حيث كانت من معلولاتها جاز أن يقام مقامها، كما يذكر المسببات و تقام مقام الأسباب و على عكس ذلك و جمعه^(٢) حسن في العربية لا مانع منه سيما إذا اقترن به أدلة عقلية، و الذي يؤكد هذا التأويل ما أورده الشيخ المفيد في كتاب الارشاد برواية أخرى عن علي عليه السلام أنه قال:

أول عبادة الله معرفته، و أصل معرفته توحيده، و نظام توحيده نفي التشبيه عنه جل أن تحله الصفات لشهادة العقول أن كل من حلته الصفات مصنوع و شهادة العقول انه تعالى صانع ليس بمصنوع بصنع الله يستدل عليه، و بالعقول يعتقد معرفته، و بالنظر تثبت حجته، جعل الخلق دليلاً عليه فكشف عن ربوبيته (هو الواحد الفرد في أزليته لا شريك له في الهيته و لا ند له في ربوبيته)^(٣) بمضادته بين الاشياء المتضادة علم أن لا ضد له و بمقارنته بين الامور المقترنة علم أن لا قرين له.

٢- في ج: جميعه.

١- بين الهلالين ساقط في ج.

٣- بين الهلالين ساقط في ج.

فهذه الرواية تصحح ما ذكرناه و ما نذكره من بعد و قال: أكثر أصحابنا المراد بنبي الصفات عنه و ان أطلق اطلاقاً صفات المخلوقين على التخصيص كما ذكره في آخر هذه الخطبة في وصف الملائكة أنهم لا يجرون على الله صفات المصنوعين، و ذلك لانه عليه السلام أثبت الصفة لله في أول الخطبة بقوله:

«ليس لصفته حد محدود»، على ما تقتضيه أدلة العقول فان صفات العظمة لا تنفي عنه تعالى، و إنما يجب نفي الصفات النقص عنه^(١) و كيف يجوز أن يقال: انه لا يوصف بكونه قادراً عالماً حياً، و قد نطق القرآن بذلك فضلاً عن الدلائل العقلية.

قال الله تعالى: «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(٢) «هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»^(٣).

فلما أثبت له تعالى الصفة أولاً و قال هاهنا «و كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه»، علمنا أن اثباته في الأول على وجه، و نفيه ثانياً على وجه آخر، اذ لا يجوز ان يتناقض كلام مثله، و معنى ذلك ان كمال الاخلاص لله تعالى نفي صفات مصنوعاته عنه.

قال بعض أصحابنا: ممن يختار طريقة أبي الحسين البصري، ان لله ذات مخصوصة ليس له صفات، و انما يخالف غيره بذاته^(٤) المتميزة لانه لو تميزت بصفة متميزة لوجب في تلك الصفة أن يتميز أيضاً من سائر الصفات بصفة أخرى، و ذلك يؤدي إلى ما لا نهاية له من الصفات و ان كانت تلك الصفة متميزة من غيرها بحكم.

١- في ج: نفي الصفات عنه.

٢- الانعام: ١٠١.

٣- غافر: ٦٥.

٤- في ج و م: يخالف غيره بذاته.

لكان ذلك الحكم يجب أيضاً أن يتميز من سائر الاحكام بحكم آخر حتى يؤدي أيضاً إلى ما لا يتناهى فاذا يخالف ذات الله غيره بنفسها و لا حاجة إلى اثبات صفة له تعالى. قالوا: وذلك هو التوحيد و كمال الاخلاص نفي الصفات عنه تعالى كلها على العموم و تعليقه عليه السلام نفي صفات المصنوعين عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف.

معناه أن الفعل في الشاهد لا يشابه الفاعل، و الفاعل غير الفعل، لأن ما يوصف به الغير انما هو الفعل، أو معنى الفعل كالضرب و الفهم، فان الفهم و الضرب كليهما فعل و الموصوف بهما فاعل و الدليل لا يختلف شاهداً و غائباً، فاذا كان الله قديماً و هذه الاجسام محدثة كانت معدومة ثم وجدت على أنها غير الموصوف بأنه خالقها و مدبرها.

ثم قال: «فن وصف الله سبحانه فقد قرنه»، فكأنه عليه السلام قال: (يا أيها الذين تظنون أنهم يعرفون الله و أنهم يوحدون ثم يصفونه بصفات المخلوقين ليس الأمر على ما تظنون بل أنتم تجهلون)^(١).

لان كل من وصف الله بصفات المصنوعين فقد جعل له قريناً و مثلاً، و جمع حكمه تعالى و حكم المصنوعين في قرن واحد لان ما شارك الجسم في تحيزه فهو مثله، و ما شارك الحمرة في هيئتها فهو مثلها، و إذا كان مذهب من يصف الله بصفات المخلوقين يؤدي إلى أن يكون له تعالى قرين فليس بموحد بل جعل له ثانياً.

و من أدى كلامه إلى هذا، فقد جعل معبوده ذا أجزاء و أبعاد، و من كان هذا طريقته فهو جاهل بالله تعالى، و إذا كان كذلك فلا دين له لأن أول الدين معرفة الله، و لو قال فن وصف الله فقد جهله كان كلاماً مجملاً،

ففضله تفصيلاً عجيباً وبينه بيانا غريباً.

فان قيل: هذا الكلام على الاطلاق فبأي دليل قيدته بصفات المخلوقين قلنا: التناقض في كلام الحكيم غير صحيح فلما أثبت في صدر الخطبة لله تعالى الصفة بقوله: «ليس لصفته حد محدود».

قال في صفة الملائكة بعد هذا في هذه الخطبة: انهم لا يجرون عليه تعالى صفات المخلوقين»^(١) فقال هاهنا فن وصف الله فقد قرنه وجب حمل كلامه المطلق على المقيد، والمحمل على المفصل، لئلا يؤدي إلى التنافي على أن بعض أصحابنا يحمل ذلك على العموم، ان لله تعالى ذات مخصوصة متميزة ولا يصفه بصفة من الصفات على حال ما يقوله المشايخ و يقول انه يؤدي إلى التثنية من حيث أن الصفة والموصوف أمران.

انما اختار أكثر أصحابنا القول الأول لدليل العقل والسمع على ما قدمناه، وقد جمعنا بين القولين على وجه لا يطعن في اعتقاد أحد القائلين منهم

قوله: «و من أشار إليه فقد حده»، عطف هذه الجملة على التي قبلها بالواو مؤكداً لهما ما تقدمهما فقال: و من أشار إلى معبوده بنظير، و توهمه بتصوير فقد جعل له من المكان غاية، أو من المحل نهاية و من حده بالمحال والجهات فقد جعله من المعدودات.

و من قال: انه حالّ (في شيء)^(٢) فقد جعله من الاعراض الحادثات و من تصوره متمكناً مستقراً على العرش فقد أخلى منه الارضين و السماوات.

١- في م: صفات المصنوعين.

٢- فاقد في ج.

هذا نهي أن يعتقد^(١) أحد مثل اعتقاد المشبهة في معبودهم أنه متكئ على العرش و أن الكرسي موضع قدمه، و لو كان ربهم هناك فكل ما اسوى العرش خال منه، و ذلك من صفات الاجسام لا خالقها، و كذا هو نهي أن يعتقد المكلف.

مثل ما كان يقول البرقي^(٢) أن آدم إنما تشرف بالنبوة لأن الله دخل في صورته، و كذلك نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و غيرهم من الانبياء، و كان يدعي ذلك لنفسه و لأن ما كان بهذه الصفة فهو العرض غير القائم بنفسه^(٣) فهو أدنى حالاً من الجسم و الله ليس في مكان فلا يصح الإشارة. فن أشار إليه فقد جعله جسماً في مكان أو عرضاً في محلّ، و من جعل له مكاناً أو محلاً فقد عده من جملة الاجسام و الاعراض، و من جعل له محلاً فقد جعل وجوده مضمناً بوجود محله و هذا في الفساد أظهر

ثم قال: «كائن لا عن حدث»، انه عليه السلام حمد الله في أول الخطبة ثم أثبت له ما هو له أهل و نفي عنه ما هو منزه عنه و بين حكم العارف به و الجاهل، ثم قال: هذا المعبود هو الكائن لم يزل و الباقي لا يزال لانه قديم لا أول لوجوده و لا آخر، لا يقال: انه تعالى كان معدوماً.

ثم حدث فصار موجوداً، و لا يقال: انه تعالى مع كونه إلى الان موجوداً فانه يصير معدوماً قريب مع كل شيء بمعنى الحفظ و العلم لا بمعنى الحلول و المجاورة بعيد من أن تدركه الحواس أو يقاس^(٤) في المباينة و المزايلة هو الفاعل للاجسام و الاعراض التي لا يدخل جنسها تحت مقدور القدر على سبيل الاختراع.

١- في ج: أن يعتقد أحد مثل.

٢- ما وجدنا له ذكراً و اثراً و يمكن ان يكون هو صاحب الزنج.

٣- في ج: فهو العرض القائم بنفسه. ٤- في ج: أو يقاس بالناس.

لم يحتاج إلى الآلة في فعلها لكونه قادراً لذاته فيما كان^(١) لم يزل سمياً بصيراً و على سائر صفات الكمال^(٢) و الجمال، و يكون كذلك فيما لا يزال هو الواحد المتوحد بالالهية لا يجوز عليه الاستيناس و الاستيحاش اذ ليس شيء يشاكله و لا يماثله.

قوله: «اذ لا منظور إليه»، اذ عبارة عن تقدير الوقت، و قوله: «و لا يستوحش»، كلام مستأنف و حقيقة الواحد أنه شيء لا ينقسم في نفسه، أو في صفته، فاذا أطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد في نفسه، تقول: الجزء الذي لا يتجزأ واحد، و إذا أجزى على موصوف فهو واحد في صفته.

تقول: هذا الرجل انسان واحد و اذ اوصف الله بأنه واحد فمعناه أنه لا نظير له و لا شبيهه، أو أنه مختص بصفات لا يشاركه فيها غيره على ذلك الوجه و السكن ما سكنت إليه من العيال، و أهل البيت الواحد ساكن و الاستيناس التأنس، و الاستيحاش ضده.

قوله: «أنشأ الخلق إنشاءً»، يقال أنشاء الحديث ابتدأه و رفعه و أنشأ الله الخلق: أحدثهم على سبيل الابتداء، و حقيقة الانشاء الاظهار ابتداءً الله الخلق و ابدأهم و بدأهم بمعنى و يذكر المصدر مع فعله لأحد ثلاثة أشياء. هي توكيد الفعل و بيان النوع و عدد المرات و الروية: الفكرة غير مهموزة أصلها من روات في الامر، إذا دبرته و أجلت الشيء صرفته و المحرب من عضّ عوداً ليعرف صلابته من خوره و لم يكن عالماً به فاطلع عليه بالتجربة، و الله عالم بالحقايق فلا يحتاج إلى تجربة و الفائدة استحداث الخير و استفدته: استحدثته.

يقال: ما له همامة في هذا الأمر و لا همة: أي لا يهتم به، والهمامة: التردد، و هي ما هممت به كالعزم لأمر عال، و زوي همامة أي همة و زوي همامة نفس و هو اسم الفاعل.

النفس الروح و كلاهما كناية عن هذه الجملة المشاهدة
الاضطراب: افتعال من الضرب في السير و هو الاسراع و اضطرب أي تحرك المتحير. مع اسراع في البدن و القلب
«أحال الاشياء»^(١) أي أعادها وردھا أي وقتها و خلقها في لأوقاتها، و الوقت: مقدار من الزمان، و اللام في «أوقاتها» لام التخصيص، و يقال: لاءمت الصدع و غيره على فاعلت شددته و جمعته، و يقال: لاءم على فعل و المختلفان ما لا ينوب أحدهما مناب الاخر فيما يرجع إلى ذاته.

الغريزة: الطبيعة، و غرزها الله في الخلق بالتخفيف و التشديد، أي ركبها فيهم و هذا يجوز أن يكون تجنيساً لأنه من غرزت الابرة في شيء و غرزت الجوادة بذنها إذا جعلته في الأرض و يجوز أن يكون فعلاً مشتقاً من الغريزة.

الشبح، الشخص، و شبحت الشيء مددته و أحاط بالشيء ملكه و حازه و بلغ عمله أقصاه.

حدود الاشياء غاياتها، و يقال: عرف الله الاشياء عرفاناً و عرفته معرفة. و يقال: لزوج الشيء قرينته

الاحناء: الاعطاف الحنو: الضلع المعوج كحنو السرج، و زوي أخبائها.

الخبى: الشيء المستور، و أما المعنى فانه عليه السلام قال: قبل هذا

الفصل جملة كلها على لفظ اسم الفاعل و هو كائن قبل كل شيء و ذكر بعده هاهنا على لفظ الفصل فقال: أنشأ الخلق و ابتدأهم و هذا مقتبس من قوله تعالى: حكاية عن هود «وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ»^(١) و من قوله تعالى: حكاية عن نوح: «وَأَنْصَحُ لَكُمْ»^(٢).

أي خلق الله الخلق اختراعاً وابتدعهم بأسرع من كن فيكون ابتداءً، و لم يحتج إلى أحد الاشياء الأربعة التي يفتقر اليها القادر بالقدرة، فانه القادر لذاته أنشأهم و لم يكن فكر زماناً في ذلك حتى تولد العلم له من تفكره و تأمله.

كما يكون الواحد منا إذا أراد أن يفعل شيئاً محكماً، و ما جرب الله مدة مديدة مثلنا حتى انفتح له ما كان متعلقاً و لا استعمل سبحانه بلاء في ذلك و لا آلة في إحداثهم، و ما من شأن المخلوقين و لا عزم تعالى ذلك مضطرباً كما يكون الواحد منا إذا أراد فعل ما دبر فيه، و فكر وهم ليكون مطمئن القلب لدفع مضرة أو جلب منفعة.

و الله تعالى لا يجوز عليه المنافع والمضار، و انما خلق الخلائق للاحسان اليهم والانعام عليهم. عاجلاً و آجلاً، و قد دعاه داعي الحكمة إلى خلقهم، و انما أنشأ في وقت دون وقت، و على صورة دون صورة، لكونه عالماً بهم و بمصالحهم و أطفاهم، ففعل ما فعل على وجه الأصلح و الألفظ لدينهم، بأن خلق شيئاً في حاله و لم يخلقه قبلها و لا بعدها، أو ركب في صورة مختلفة الاعضاء معدوم العقل، أو شهوات مخصوصة لم يخلقها في هيئة أخرى، فان جميع ذلك لغرض صحيح، اذ هو علام الغيوب و يظهر كونه مصلحة للعقلاء إذا فكروا في صنایعه تعالى من هذه السماوات و الأرضين و

من هذه الاشباح ذوات القرائن والاحناء والغرائز.
 فان قيل: ما أول ما أنشأه الله أولاً، قلنا: لا يفعل تعالى الا ما يقتضيه
 الحكمة، و إذا ابتداء تعالى بخلق عاقل و كلفه لم يكن ذلك عبثاً و كان فعلاً
 حسناً فيه غرض المثل و لا يستبعد أن يعلم الله من بعض المكلفين أنه متى
 كان أول خلقه جماداً فاذا أحياه و أقدره و مكنه في اعلامه أن مبدأه كان
 ماءً أو ناراً أو تراباً فيكون ذلك لطفاً له، فعلى هذا لا يكون خلقه جماداً أول
 مرّة عبثاً.

فان قيل: لم نفي منه تعالى العزم و هو إرادة مخصوصة و ان استحال
 عليه التجربة والتحرك و معرفة الشيء على سبيل الروية، قلنا: العزم أولاً لا
 يجوز على الله، لأن الواحد منا انما يعزم على فعل شيء في وقت متراخ عنه
 ليطمئن على ذلك الفعل و يتقوى دواعيه و ليسر بذلك نفسه والله متعالى
 عن ذلك، والارادة التي يؤثر في وقوع الفعل على وجه دون وجه لا يكون
 الا مقارنة للفعل تحقيقاً أو تقديراً.

وجه الحكمة في ابتداء مخلوق ظاهر، لأنه لا يخلوا إما أن يكون فيه
 غرض أو لا يكون (لا يجوز ان لم يكن)^(١) غرض فيه لأنه عبث. و لا يجوز
 أن يكون الغرض عائداً إليه تعالى، لانه غني على الحقيقة لا ينتفع بشيء
 فلا بد أن يكون الغرض لا ينتفع بشيء.

فلا بد أن يكون الغرض نفع ذلك المخلوق، أو نفع غيره أولهما مع تعري
 ذلك من وجوه القبح، و إذا حسن أن يخلقه لنفسه حسن أن يخلقه لينتفع به
 و ان اجتمعا كان أولى بالحسن و المكلف منفع بالتفضل والثواب و
 بالعوض ان كان في ايلامه مصلحة لغيره من المكلفين.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ وَ شَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَ سَكَئِكَ الْهُوَاءَ
فَأَجْرَى ^(١) فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّارُهُ مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَشْنِ
الرَّيْحِ الْعَاصِفَةِ وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ ^(٢) فَأَمْرَهَا بَرْدُهُ وَ سَلْطَهَا عَلَى شَدِّهِ
وَ قَرْنَهَا إِلَى حَدِّهِ الْهُوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَيَتَّقُّ وَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ ثُمَّ
أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَمَمَ مَهَبَّتُهَا وَ أَدَامَ مُرَبَّتُهَا، وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَ
أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا.

فَأَمْرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَ إِثَارَةَ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ
مَخْضَ السَّقَاءِ وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ. تَرُدُّ أَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ وَ
سَاجِيَهُ ^(٣) عَلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ. وَ رَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي
هُوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَ جَوٍّ مُنْفَتِقٍ، فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ
مَوْجًا مَكْفُوفًا وَ عَلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَ سَمَكًا مَرْفُوعًا، بِغَيْرِ عَمَدٍ
يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ ^(٤) يَنْتَظِمُهَا.

ثُمَّ زَيْنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَ ضِيَاءِ الشُّوَابِ، وَ أَجْرَى فِيهَا
سَرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَ قَمْرًا مُنِيرًا: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَ سَقْفٍ سَائِرٍ، وَ رَقِيمٍ
مَائِرٍ ^(٥). ثُمَّ فَتَقَّ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ

١- ساقط في ج. ٢- في ر: وروي والرعود القاصفة.

٣- في ض و ب: ترد اوله إلى آخره و ساجيه إلى مآثره.

٤- في ض: ولا دثار ينظمها. ٥- في ع: وسقف مائر ورقم سائر.

مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَزْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ،
وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمٌ^(١) الْعَيْنِ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَلَا
لَا فِتْرَةَ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةَ النَّسِيَانِ.

وَمِنْهُمْ^(٢) أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ، وَالسِّنَّةُ إِلَى رُسُلِهِ وَ مُخْتَلِفُونَ
بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ وَ مِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ^(٣) وَ
مِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ^(٤) السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ
الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ. وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ
الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفَعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ،
مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا
يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَ
لَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِنِ^(٥)، وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ^(٦).

بيانه

ذكر قبل هذا الفصل أنشأ الله خلقا ذا شبح و حياة و غريزة له أحناء
و أعضاء، ثم ذكر هاهنا انشاء الله السماوات و أول خلقها و فتق بعضها من
بعض و تمييزها و ترتيبها فقال:

٢- في م: فمنهم امناء.

٤- في م: في الارض أقدامهم.

٦- في ك: و روي بالنواظر.

١- في ب: نوم العيون.

٣- في م: لاابواب جنابه.

٥- في م: ولا يحدونه بالمواطن.

«ثم أنشأ سبحانه فتق الاجواء»، كأنه قال: ثم أنشأ الله و أنا أسبحه تسبيحاً و سبحوه تسبيحاً أيها السامعون في هذه الحال و في كل حال التفت الى تعظيم الله و تسبيحه و تنزيهه عن شبه الخلق، و كل ما لا يليق به لما قال:

ثم أنشأ الله قبل أن ذكر مفعوله، الذي هو فتق الاجواء حتى تعلم العلماء منه وخذوا على مثاله في كلامهم، و جو السماء: هو الهواء تحتها و الجمع «أجواء» و «الرجاء»: مقصورا الناحية، و الجمع أرجاء السكاك: الهواء بين السماء و الارض، و الجمع سكاك، و انما أضافها الى الهواء و معناهما واحد لان الأول أخص من الثاني كما يقال: كرى النوم فكأن السكاك هو الهواء الذي فيه جواهر لطيفة و الهواء ما لا شيء فيه من الجواهر.

رُوي «فأجار فيها ماء»، أي أنفذه و التطمت أمواج البحر ضرب بعضها بعضاً و هذا مستعارة من اللطم الذي هو ضرب الوجه بالراحة^(١).
التيار: موج البحر الذي ينضح الماء و عرق تيار: سريع الجرية سحب مرتكم و متراكم: بعضهم فوق بعض و كل شيء علا شيئاً فقد ارتكمه و ارتكبه فكأن الميم بدل من الباء لقرب مخرجيهما
بجر زخار: موج يطول موجه، من زخر النبات إذا طال ريج عاصف: شديد سريع يعصف النبات أي يكسره.

الريج الزرع: الشديدة التي تزعزع كل شيء و تحركه الريح، و القاصف: المهلكة في البحر، و العاصف: المهلكة في البر و رُوي و الرعود القاصفة

١- في م: ضرب الراحة بالراحة.

قوله «فأمرها»، مجاز لإين الحكيم لا يأمر الجهاد بشيء، و كذلك ان قلنا ان المراد أمر الملائكة الموكلين بالريح برد الماء (و هو مجاز على وجه آخر)^(١).

و سلَّطته على كذا فتسلط، و هو قهر مع حجة، فالتسليط ها هنا ايضاً استعارة على الوجهين والشد: العدو.

«قرنها إلى حده»، أي جمع الريح و ضمَّها إلى حدِّ الماء. و الهواء من تحت الريح مفتوق و الماء من فوق الريح مصبوب بسرعة. دفيق: بمعنى مدفوق أكثر، و اما المعنى فإنه يقول: كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقتها الله سبع سموات، و كانت الارضون كذلك ففتقتها الله سبع أرضين كما هو مضمون الآية، «أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»^(٢).

المعنى كانتا ملتزقين ففصلنا بينهما بالهواء، و لا خلاف أن فتق الاجواء ليس هو بخلق لها، و انما هو فصل سماء من سماء و اظهار هواء بينها ثم ذكر بعد هذا تمام هذا التدبير الالهي الذي فيه المصالح و الألفاف إذا علموا تفصيل ذلك أو جملته.

و جاء في الاخبار: ان الله لما أراد خلق السماء و الأرض خلق جوهرأ اخضر ثم ذوبه و جعله ذائباً فصار ماء مضطرباً ثم أخرج من ذلك الماء بخاراً و دخاناً مرتفعين فخلق من ذلك الدخان السماء كما قال: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ»^(٣).

ثم فتق تلك السماء فجعلها سبع سموات، ثم جعل من ذلك الماء زبدأ و

٢- الانبياء: ٣٠.

١- بين الهلالين في ض.

٣- فصلت: ١١.

خلق منه أرض مكة ثم بسط الأرض كلها من تحت الكعبة و لذلك يسمى مكة أم القرى لانها أصل جميع الأرض ثم شقَّ من تلك سبع أراضين.

و جعل بين كلِّ سماء و سماء مسيرة خمسمائة عام، و كذلك بين كل أرض و أرض، و كذلك بين هذه السماء و هذه الأرض ثم بعث ملكاً من تحت العرش حتى حمل الأرض على منكبيه و عنقه و مد اليدين فبلغت أحدهما إلى المشرق و الاخرى إلى المغرب.

ثم بعث لقرار قدم ذلك الملك بقرة من الجنة كان لها أربعون ألف قرن و أربعون الف رجل و يد، و بعث ياقوتا من الأعلى حتى وضع بين سنام تلك البقرة و أذنها، فاستقرَّ قدما ذلك الملك على السنام و الياقوت، و ان قرون تلك البقرة لمرتفعة من أقطار الأرض إلى تحت العرش و ان مناخر انوفها بأزاء بحار الارض.

فاذا تنفست البقرة مد البحر و إذا قبضت أنفاسها جزر البحر من ذلك، ثم خلق لقرار قوائم تلك البقرة صخرة و هي التي حكى الله عن لقمان في قوله: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ»^(١) و يزيد مقدار سعة تلك الصخرة سبع مرات على مقدار سبع السهوات و سبع الارضين.

ثم خلق حوتاً و هو الذي أقسم الله فقال: «ن وَالْقَلَمِ»^(٢)، و النون الحوت، و أمر تعالى بوضع تلك الصخرة على ظهر ذلك الحوت و جعل ذلك الحوت في الماء و أمسك الماء على الريح، و يحفظ الله الريح بقدرة.

فان قيل: أليس الله قادراً على خلق الاشياء لا من شيء و على حفظ كل شيء بلا شيء آخر. قلنا: ان الله قادر على ذلك، و انما خلق هذه

الاشياء على هذا التدبير، والترتيب والتقدير لما علم أن فيها لطفاً لعباده من الثقلين الجن والانس من المكلفين والملائكة المقربين.

كما أنه يخلق الآدمي من نطفة، ثم علقته ثم مضغة ثم عظماً ثم يكسوها لحماً ثم ينشئه خلقاً سوياً، والله قادر على خلق الخلائق لا من التراب ولا من الماء ولا من النور ولا من النار ثم خلق منها لكون ذلك مصلحة. وهذه السماء معلقة فوقنا بغير عماد ولا علاقة مع عظمها و ثقلها فهو تعالى خالق ما يشاء كما يشاء

قوله: «ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها»، وهذا تمام ما تقدم ومعنى الفصلين متعلق ببعضه ببعض، ففصل أولهما بآخرهما فانه عليه السلام ذكر أن الله أنشأ فتق الاجواء، فكأنه اشارة إلى الجهات التي كان عليها أو بقرها. أو فوقها الجوهر الاخضر، الذي ذكرنا في الخبر بأن الله خلقه في الاصل. «و شق الارعاء»: اشارة إلى النواحي عن يمينها و شمالها و ذلك حين ذوب ذلك الجوهر الاخضر و جعله ماء سائلاً.

فأجرى بعض ذلك الماء المتلاطم فيها ثم حمله على متن الريح ثم أنشأ الله تعالى ريحاً أخرى شديدة فصفقت ذلك الماء حتى أزيد ثم رفع ذلك الزبد في هواء آخر أعلى من الهواء المذكور فخلق منه السماوات السفلى^(١) قائمة بغير عماد يكون قرارا لها من تحتها، ولا هي معلقة من فوقها إلى حبل و علاقة، بل الله يحفظها بقدره.

أما ألفاظه فان «اعتقم مهبها» أي شدّ و عقد، و قيل أي ذلك و هو من الاضداد فعلى الأول عبارة أن الله تعالى أهب الريح و لم يطلقها بمرّة فتفسد ما تأتي عليه كله بل عقد مهبها حتى تهب بقدر.

١- في ج: السماوات السبع على ما فصله الخبر المتقدم و هذه السماء السفلى.

أدام مع ذلك ترتيبها للماء و ترتيبها له و تسويتها، «و مر بها»: مجتمعا والصحيح أنه مصدر ربّ ضيعته، أي أصلحها و أرب على الشيء: أي لزمه «و اعصف مجراها» أي أسرع قوتها في الجري. «أبعد منشأها»: أي ارتفاعها، و قيل: المنشأ الحدوث.

قوله «أمرها بتصفيق الماء» أي أمر الملائكة الموكلين بالريح لتضرب الماء الكثير الموج بعضه ببعض من قولهم صفق بيديه أي ضرب احديهما بالآخرى، و منه الصفقة في البيع و البيعة، و هي ضرب اليد على اليد، و مخضت الريح ذلك الماء، أي حركته تحريكاً شديداً متتابعاً كمخض اللبن و هو تحريكه في سقاء و هو القربة أو في ممخض ليزيد، و عصفت به أي اشتدت الريح بالماء مثل عصفها.

«الفضاء»: و هو المكان المتسع و هبوب الريح فيه أشد «ترد أوله على آخره»، و هذا حال من الأول و الرد الصرّف أي لما اعتقم مهبّ الريح مع تربيتها الماء كان ذلك الماء مردوداً ساكنة إلى مترددة.

و سجا: أي سكن و مار، سال، حتى عب كبايه: أي اجتمع موجه و كثر، و عب النبات طال، و عباب الماء معظمه و للبحر زبد إذا هاجت أمواه فيرى على وجه الماء بياض و الركام ذلك الماء المنضم الذي رمى بالزبد فرفعه مجتمعا ذلك الركام ذلك الزبد «في هواء واسع» منفتح و الجوّ المنفهب هو الهواء الممتليء بالزبد. حين رفع إليه. الهواء العالي.

«فسوى منه سبع سموات»، أي خلقها منه و قيل معنى تسوية السموات السبع، هو تعديل خلقهن و تقويمه و اخلاؤه من العوج و الفطور و إتمام خلقهن.

فمن ثم خلقهن خلقاً ثوياً مستويا من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات أهلها و منافعهم و مصالحهم.

«سفلاهن»: هي السماء التي تليها

«موجاً مكفوفاً»، يحتمل أن يكون شبهها بالموج لصفاتها وارتفاعها
و يمكن أن يكون قد كانت أول ما كانت موجاً ثم عقدها، أو ما كان ارتفاع
من موج الماء من الزبد المشبه بالدخان فشبه ذلك المرتفع بالموج.
«المكفوف»: الممنوع من السقوط، والنزول كف مثل كفة الثوب و هو
حاشيته.

«و سقفاً محفوظاً»، أي السماء حفظها من غير عماد، و هي كالسقف
للارض.

يقال: للسماء سمك أيضاً أي عال مرتفع، و هو وصف بالمصدر أي
مسموك وضع للمفعول. والعماد: الاسطوانة. و دعمت الشيء أدعمه: قوته
بدعامة «و الدسار»: خيط من ليف يشد به ألواح السفينة، والجمع دسر و
قيل الدسر المسامير.

قال الباقر عليه السلام: و لما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربن
البحر حتى أزيد فخرج من ذلك الموج، والزبد دخان ساطع من وسطه من
غير نار فخلق منه السماء.

قال الفراء^(١): في قوله «حَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِعَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»^(٢)، فيه
قولان أحدهما أنه خلقها مرفوعة بلا عمد و لا تحتاجون مع الرؤية إلى
خبر.

و الثاني أنه خلقها بعمد لا ترون تلك العمد قال الليث: أن عمدها
جبل قاف المحيط بالدنيا و السماء مثل القمة، أطرافها على قاف من زبرجدة

١- أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الكوفي تلميذ الكسائي و صاحبه كان عالماً بالنحو والادب و كان

مقماً عند المأمون مات سنة ٢٠٧.

٢- لقمان: ١٠.

خضراء، السماء من ذلك الجبل فيصير يوم القيامة ناراً و الذي تقتضيه العربية في قوله: ماء متلاطماً تياره.

في قوله: «بتصفيق الماء الزخار» أنها ماء واحد. كقوله: «كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (٢٦) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ»^(١) نكر الرسول أولاً ثم عرف لانه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل و هو موسى، فلما أعاده و هو معهود بالذكر أدخل لام التعريف اشارة إلى المذكور بعينه، و كذا قوله: «فتق الاجواء»، و قوله: «الهواء من تحتها فتيق»: فهما جهة واحدة لكونهما معرفين.

فأما قوله: «حمله على متن الريح العاصفة»، و قوله: «ثم أنشأ ريحاً اعتقم مهبتها»: فالريحان مختلفان لان الاولى معرفة، والثانية نكرة و للنحويين على هذا أربع مسائل قالوا لو قال صم يوماً صم اليوم كان يوماً واحداً، و كذا لو قال صم اليوم صم اليوم.

فأما صم يوماً صم يوماً فانه يقتضي يومين، و كذا صم اليوم صم يوماً و أنكر المرتضى في الذريعة بعض ذلك فان قيل: الهواء مخلوق أم لا، قلنا: قد تقدم أن الله خلق السماء والارض أولاً متلاصقين ثم فتق ما بينهما فجعل هواء من هذه و هذه.

فالهواء إذا لم يكن فيه جواهر و لا هباء فيه فهو جهة و تقدير مكان و هو خلو، و روي أن زرارة^(٢) و هشاماً^(٣) اختلفا في الهواء أهو مخلوق، أم

١-المزمّل: ١٥-١٦.

٢- زرارة بن اعين شيخ من اصحابنا في زمانه و متقدمهم كان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً اديباً ثقة صادقاً فيما يرويه روى عن أبي جعفر و ابي عبدالله عليهما السلام.

٣- هشام بن الحكم أبو محمد عظيم الشأن رفيع المتزلة ولد بالكوفة و نشأ بواسط و انتقل إلى بغداد في

لا فرغ ذلك إلى الصادق عليه السلام بعض مواليه فقال: اني أرى أصحابنا يختلفون، فيه. فقال: ليس هذا بخلاف يؤدي إلى الكفر والضللال.

فان قيل: انه عطف قوله: «سكائك الهواء» على قوله: «فتق الاجواء»، وهذا يدل على أن الا هوية مخلوقة، قلنا: تقدير الكلام، أنه تعالى أنشأ فتق الاجواء وفتق سكايك الهواء فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه، أو يكون السكايك تلك الأهوية التي هي مدائن لطيفة فيها الملائكة بين السماء والأرض على ما ورد في الاخبار والله أعلم بصحة ذلك.

و يجوز أن يجزّ سكايك عطفاً على الأرجاء، وقال المفسرون في قوله: «و كان عرشه على الماء»^(١) فيه دلالة على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض، و كان الماء قبل ذلك قائماً بقدرة الله على غير موضع قرار و في ذلك أعظم الاعتبار

ثم خص بالوصف السماء الدنيا التي هي أقرب السموات إلينا فان أطلق إطلاقاً فان الله قيد ذلك و خصه بقوله: «أَنَا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ»^(٢)، فالله تعالى خصها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة.

والتزيين تحسين الشيء على وجه يميل النفس و زين الله هذه السماء ليتمتع الراؤون لها بحسنها و سوءها و يعتبرون بالفكر فيها و يستدلون بها على صانعها

والمعنى ان الله لما خلق السماء الدنيا، زينها بالنجوم الصغار والكبار والكواكب السيارة و غير السيارة جعل منها سبعة سيارة، و هي زحل

^١ آخر عمره، وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق و رُوِيَ له مدائح جليلة و اخباره كثيرة و فضائل مشهورة توفي سنة ١٩٩.

١- هو: ٧.

٢- الصافات: ٦.

والمشتري والرياح والزهرة و عطارد والقمر و جعل لها اثني عشر برجاً.
 و هي الحمل والثور والجوزاء و السرطان و الأسد و السنبله و الميزان
 و العقرب و القوس و الجدي و الدلو و الحوت.
 و أجرى فيها سراجاً يعني الشمس المنتشر ضوءها على الشيع
 و العموم (و جعل بالليل للقمر مضيئاً اذ لم يكن شمس)^(١) ليعلم بها عدد
 السنين و الحساب.

فالحكمة ظاهرة في خلق هذه الثواقب فانها دلالات لا مؤثرات
 و الزينة اسم لما يزان به شيء، و يكون مصدراً و يحتملها هذا الموضع فان
 كان المراد المصدر فعلى وجهين.

إما أن يكون مضافاً (الى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب أو تكون
 مضافاً)^(٢) إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب، و ان أريد الاسم فإضافة
 أيضاً و جهان أن يقع الكواكب بياناً للزينة، أو يراد اشكالها المختلفة كشكل
 الثريا و الجوزاء و بنات نعش و غير ذلك، و الرقيم اللوح الذي فيه كتابة
 شبه السماء به.

قيل: «الرقيم المائر»: كناية عن الفلك الدائر المتردد، و فيه الكواكب
 كأنه لوح عريض مرقوم كتبت عليه حروف معجمة.
 و قوله: «فتق ما بين السموات العلى فملأهن أطواراً من ملائكته»،
 صنف عليه السلام الملائكة الذين أسكنهم الله ما بين السموات العلى ثلاثة
 أصناف، فصنف منهم مشغولون بالعبادة، و جعلهم على أربعة أحوال من
 ركع و سجود، و صافين و مسبحين.

صنف هم أمناء الله، و جعلهم على أربع أحوال من رُسلٍ إلى الأنبياء

١- بين الهلالين ساقط في م.

٢- بين الهلالين في ج.

و مختلفين بتدبير الله في الأرض والحفظة لبني آدم والسدنة للجنة أي الخدم، و صنف هم حملة العرش، و قد وصف جميعهم وصفا حسناً و أثنى عليهم ثناءً جميلاً و مدحهم بالعلم والعمل. و أنهم يصفون الله بالتعظيم والجلال و ينزهونه من صفات النقص، و أنهم يعرفون ربهم علم اليقين بعد النظر والاستدلال لا بالتقليد والتبخيت و لا بالتوهم والتمثيل والظن والتصوير و لا يثبتون له تعالى من مثل و لا نظير.

تلخيص جميع ذلك أنه لما ذكر خلق الله السموات السبع و أنه فتق بينها و ملأ كل واحدة منها ملائكة، و صفهم بأنهم معصومون، و أما ألفاظه فالعلي جمع العلياء والأطوار الضروب، والاجناس والسجود جمع ساجد و يجوز أن يكون وصفاً بالمصدر.

الراعي: المنحني، و كذا القول في قوله: هم ركوع و انتصب: استقام و ارتفع، و تزييل: زال من مكانه، و قوله: «لا يتزايلون»: دخل النفي في النفي فصار اثباتاً و المسيح: القائل باللسان سبحان الله المعتقد بالقلب تزيهه، «و لا يساءمون»: لا يملون.

قوله «لا يغشاهم نوم العيون»، أي يكون لهم نوم و لهم عيون و لكن لا يغفلهم النوم عن ذكر الله أثبت لهم نوماً قليلاً و ان نفي عنهم النوم الكثير، و الله تعالى لا تأخذه سنة و لا نوم، مع أنه حي و هذا هو المدحة العظمى، و كنى بالألسنة عن الرسل.

«المختلفون»: المترددون، والاختلاف المجيء والذهاب، والقضاء: الحكم والمنية والعبادة، و لا يقال: الا لمن ينسب إلى الله و يجوز عبيد زيد، والسادن: الحاجب و الخادم.

المروق: الخروج من شيء و يكنى عن الأيدي بالأركان و مناسبة مماثلة، استعارة من النسب، «و ناكسة دونه أبصارهم»، أي مطرقون الروس

حياءً و تعظيماً لله تحت العرش، و دون بمعنى وراء و قبل والبصر العين، إلا أنه مذكر «متلفعون تحته بأجنتهم»، أي مشتملون بها و يقال: ضربت حجاباً بيني و بين الناس أي اتخذت.

والحجاب: ما يمنع بينك و بين غيرك. والعزة: الغلبة. والقدرة: العظمة، وصفهم بأنهم أكرم من غيرهم من الملائكة الذين دونهم.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلَهَا وَ عَذْبَهَا وَ سَبَخِهَا،
 تُرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ^(١). وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ فَجَبَلَ
 مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ، وَ أَعْضَاءٍ وَ فُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى
 اسْتَمْسَكَتْ وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَّصَتْ لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ، وَ أَمَدٍ مَعْلُومٍ.
 ثُمَّ نَفَعَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَدْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَ فِكْرٍ
 يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَ جَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَ أَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا،
 بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِّ، وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ،
 مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَ الْأَضْدَادِ
 الْمُتَعَادِيَةِ وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ، وَ الْبَلَّةِ وَ الْجُمُودِ
 (وَ الْمَسَاءَةِ وَ الشَّرُورِ)^(٢) وَ اسْتَادَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَ دِيَعَتَهُ

١- في ع: حتى خضلت.

٢- ساقطة من ب.

لَدَيْهِمْ وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْأَدْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَ الْخُشُوعِ^(١)
لِتَكْرِمَتِهِ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «اسْجُدُوا لِآدَمَ» فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُمْ
الْحَمِيَّةُ وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ، وَ تَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ وَ اسْتَهْوَنَ خَلْقَ
الصَّلْصَالِ؛ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ، وَ اسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ وَ
إِنِّجَازًا لِلْعِدَةِ؛ فَقَالَ: إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) ثُمَّ
أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَتَهُ وَ آمَنَ^(٢) فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَ
حَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَ عَدَاوَتَهُ فَأَغْتَرَهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً^(٣) عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ وَ
مُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ.

فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَ اسْتَبَدَلَ بِالْجَدَلِ وَجَلًّا،
وَ بِالْإِغْتِرَارِ نَدْمًا ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَ لَقَاهُ كَلِمَةَ
رَحْمَتِهِ، وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وَ أَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَ تَنَاسَلَ
الذُّرِّيَّةَ.

وَ اضْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ،
وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ
فَجَهَلُوا حَقَّهُ وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَ اجْتَالَتْهُمْ^(٤) الشَّيَاطِينُ عَنِ

١- في م: والمنوع والخضوع لتكريمته. ٢- وامن فيها.

٣- في م: فاغتره عدوه ابليس وفي ع: فاغتره ابليس.

٤- في ح: و اجتالهم الشياطين. وفي ع: في بعض النسخ و احتالهم بالحاء و هذه صحيحة. ر: و

مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ.

فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ
وَ يُذَكِّرُوهُمْ^(١) مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَ يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَ يُشِيرُوا لَهُمْ
دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَ يُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ^(٢) مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَ
مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَ مَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَ آجَالَ تُقْنِيهِمْ، وَ أَوْصَابٍ
تُهْرِمُهُمْ، وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

وَ لَمْ^(٣) يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ،
أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ: رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَ لَا
كَثْرَةُ الْمُكْذِبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ
قَبْلَهُ:

بيانه

اعلم أن أمير المؤمنين على عليه السلام لما علم أن للمكلفين مصالحاً
و اللطافاً في أن يعلموا أصل خلقة السماوات والارض، و كذلك لما علم أنهم
إذا علموا أحوال أهل كل سماء من الملائكة (كانوا أقرب إلى الطاعة)^(٤) بين

احتالتهم.

١- في م: و يذكرونهم.

٢- في ض و ب: و لم يخل سبحانه.

٣- في ض و ب: الآيات المقدرة.

٤- بين الهلالين ساقط في ج.

لهم ذلك و ذكر أن الله أنشأهم على سبيل الابتداء من غير تناسل و لا ميلاد، و فصل لذلك تفصيلا اقتضته الحكمة و المصلحة.

كما أن الله تعالى لما علم أن خلق الملائكة من النور، و خلق آدم من التراب، و خلق الجنّ من النار، و خلق الأرض و السماء من زبد الماء و بخاره، لطف و مصلحة لأهل السماء و أهل الأرض من المكلفين.

خلقهم كذلك على هذا الترتيب و التدرّج، و الأّ كان الله قادراً على أن يخلقهم لا من شيء كما خلق التراب و النار لا من شيء، و لما كان المصلحة في خلق أهل الأرض من البشر أن يكون على سبيل التوالد و التناسل و أن يكون كلهم من أصل واحد.

خلق تعالى أولاً آدم على طريقة، و خلق أولاده على طريقة أخرى، فذكر أمير المؤمنين عليه السلام صفة خلقه آدم عليه السلام و ابتداء أمره الى انتهائه في هذه الخطبة، و ذكر كيفية أحوال الملائكة معه عليه السلام و ذكر عداوة ابليس و أكثر نسله لآدم و ولده.

الى أن ذكر بعثة الله الرسل و الانبياء من أولاده في كلّ زمان إلى أمهم، و يذكر بعد هذا الفصل نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم و شريعته، و يفصلها و يبينها و نحن نذكر الان غريب هذه الجملة ثم نرجع الى معناها أما ألفاظها.

فالحزن: ما غلظ من الأرض. و السهل: خلاف الجبل. و العذب: من الارض ما ينبت. و السبخة: ما يضيع فيها البذر لا ينبت شيئاً. قال تعالى: «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبَثَ لَآ يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا»^(١).

فالطيب و الخبيث استعارة للعذب و السبخ. و قوله: «تربة سنها» أي

جمع تراباً بلها و خلطها بالماء (خلطاً شديداً حتى صبتها يقال: سن الدرع عليه يسنها إذا صبا و سنتت الماء على وجهي أي أرسلته أرسالاً من غير تفريق قال تعالى: «مِنْ حَمَاءٍ مَسْتُونٍ»^(١) أي خلصها الماء حتى خلصت عما سواها من الأقدار و لاطها بالبلّة أي ملطها)^(٢) وألصقها بالندوة حتى التصقت، يقال: لطت الحوض بالطين أي ملطته و طينته و بللت الشيء نديته.

و البلة مصدر و لزبت: بفتح الزاء لصقت. و جبل: خلق خلقاً عظيماً. و الجبلّة: الخليقة. و الاحناء: الاضلاع. و الاعضاء المعوجة والوصول: جمع وصل و هو العضو و كل شيء اتصل فما بينهما وصلة.

الفصول: جمع الفصل و هو الشيء المنفصل، و أجمدها: جعلها كالجماد، و الجمد و استمسكت أخذ بعضها بنفس غيره فلا ينفصل كما كان تراباً و أصلدها أي يبسها و صلها حتى صلصت أي صوتت.

من قولهم صلصال: و هو الطين الحرّ إذا خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جفّ. و النفخ: جعل الروح أو الريح في شيء، و الروح ريح مخصوصة تترد في مخارق هذه الجملة و مثلت وانتصبت و قامت و صارت جثة إنسان على هذه الصفات صاحب ذهن و قوة و فكرة و تأمل و ذا جوارح و أعضاء تقوم بخدمته.

يقال: استخدمته لنفسي و لغيري و استخدمته لنفسي خاصة و ذا علم يميز بين ما يذاق و ما يشمّ و معجوناً صفة انسانا أو حال من ضعيره و يعنى بالطينة السنخ و الاصل و يعنى بالألوان: الأجناس و رُوي الألوان و الاضداد المتعادية المتباعدة من قولهم تعادى أي تباعد.

والاخلاط: جمع خلط و هو الشيء المخلوط والاستبداء طلب الاداء، يقال: استاده مالا أي صادره و استخراج منه. والعهد: الأمان والوصية، الأمر بما يعمل به بعد حال مقترناً بوعظ و عهد وصية، كأنه إشارة إلى أمر سابق منه تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام إذا خلق.

و هو قوله تعالى: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»^(١). والاذعان: الانقياد والخنوع والخضوع، و إنما كرر لفظ الخضوع لتكرمه بعد الاذعان بالسجود له.

لأن الأول يفيد أنهم أمروا أولاً بالخضوع له في السجود، والثاني يفيد ثباتهم على الخضوع له لتكرمه أبداً، وقيل: الجنّ نسله قال تعالى: «يَزِيكُمُ هُوَ وَ قَبِيلُهُ»^(٢)، و كل جيل من الجن و الانس قبيل و اعتراه همّ: أصابه و روي اغترتهم أي خدعتهم.

والحمية: الانفة التي تحمي الانسان قال تعالى: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ» أي حميت قلوبهم بالغضب ثم فسرهما، فقال: حمية الجاهلية»^(٣) أي عادة آبائهم. ان لا ينقادوا لأحد و غلبت عليهم الشقوة أي ملكتهم المضرة في العاقبة.

قال تعالى: حكاية عن أهل النار: «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا»^(٤) أي أوجبت سيئاتنا الشقاوة لنا. و تعزوا: أظهروا العز. و استوهنوا: استضعفوا. والصلصال: الطين الجاف. والنظرة: التأخير أي أخر الله أجل موته للاعذار. و قوله استحقاقاً: أي استوجب بفعله الغضب كقوله: «إِنَّمَا نَعْلَمُ لَهُمْ لَيْزَادُؤًا إِثْمًا»^(٥)، والسلام للعاقبة و أرغد عيشه في سعة و خصب، والعيش

٢- الاعراف: ٢٧.

١- ص: ٧١ - ٧٢.

٤- المؤمنون: ١٠٦.

٣- الفتح: ٢٦.

٥- آل عمران: ١٧٨.

الحياة و نفاسة أي حسداً من النفس.

يقال: نفست عليه بكذا عليه، أي حفظت جانب (نفسى)^(١) و مرافقة الأبرار ملاطفة الملائكة و حسن معاشرتهم لأن كل واحد منهم برٌّ مطيع. قوله: «فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه»، استعارة في استعارة من وجهين. لأن بيع اليقين بالشك على الحقيقة، و لا يبيع العزيمة بالوهن، و كان معيشتة في الجنة على أحوال كان تيقنها و تعلمها على اليقين، و ما كان يعلم كيف يكون معاشه في الدنيا إذا انتقل إليها و ان كان خلق لأجلها.

قال تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^(٢)»، و لو لم يأكل الشجرة لخرج من الجنة إلى الدنيا، ولكن على وجه أسهل له من ذلك مثلاً بعد أن بني له في الأرض دور و قصور و مساكن طيبة و جيران من الملائكة و قدر له من الأرزاق ما يكفيه عفواً صفواً، فلما تناول الشجرة و فعل ما كان تركه أولى استحق التحول من دار إلى دار و تغير لطفه.

فخرج من الجنة التي أعدت فيها الأسباب من الأرزاق والمسكن والجيران، إلى أرض وحشة، لا زرع فيها و لا ضرع و لا عطاء و لا وطاء و لا جليس و لا أنيس و كلتاها له في تلك الحال دار التكليف، إلا أن تكليفه في الثانية كان أشقّ.

فكانه رضي بمقامه في الدنيا ثمناً لمقامه في الجنة كرضى البائع بما يأخذ ثمناً لما أعطى^(٣)، و كان المقام الأول كالعلق الخارج من اليد بثمرن دون، و بالاغترار أعاد الباء لثلا يكون عطفاً على عاملين مختلفين.

قوله «و تناسل الذرية»، أي أهبطه إلى دار البلاء و دار تناسل

٢- البقرة: ٢٩.

١- بين الهلالين: في الرضوية.

٣- في م: لما يعطي.

الأولاد. «و اصطفى أنبياء»، أي اختارهم افتعل من الصفوة، والولد: المولود. يقال: للواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل و بدل غير. الميثاق: العهد^(١)، و اشارة إلى ما هو مقرر في العقول من أن الفعل لا بد له من الفاعل، والمحدث لا بد له من محدث، و قد نصب الله لكل عاقل حجة دالة على توحيده و عدله.

هذا هو الفطرة التي فطر الله عليها الخلق^(٢)، والنّد المثل. و احتالتهم: عدلتهم، و جالت الريح التراب: أثارته. و معايش: لا تهمز لأن الياء فيها عين بخلاف المداين فهزمتها بدل من ياء زائدة. و واطر: أي تابع. والواصب: المرض. و أحداث الدهر: نوازله.

قوله: «أو حجة لازمة»، اشارة إلى من يقوم مقام أمر الرسول «أو محجة قائمة»، هي المعقولات والسنن والمحجة جادة الطريق، و رُوي لا يقصر بهم بضم الياء أي لا يعيبهم. والغاير: الباقي المستقبل هنا و ان كان من الأضداد.

أما المعنى فانه يقول: ان الله تعالى جمع من أجناس تراب الأرض، أربعة لخلق آدم كما خلق الجان من مارج من نار أي من خلط من النار. قبلها بالماء حتى التصق بعضها ببعض فخلق منها صورة ذات جوارح بعضها معوج، و بعضها مستقيم، و بعضها متصل، و بعضها منفصل، فكانت أولاً تربة مسنونة ثم صورة (مصورة)^(٣) ثم نفخ الله فيها الروح و جعلها حية قادرة عالمة مشتتية نافرة.

بأن خلق الله فيها المعاني التي هي الحياة والقدرة والشهوة، والنفرة و

٢- في ج: الخلائق.

١- في ج: المعاهدة.

٣- ساقط في م.

علوم العقل التي يتميز بها بين الأشياء على ما فصل، و يعرف بها المتأملات والمتضادات و المختلفات، منها و من غيرها.

والحي هو هذه الجملة المشاهدة دون أبعاضها و بها يتعلق جميع الأحكام من الأمر والنهي والمدح والذم، و للناس خمسة مذاهب آخر في ذلك ذكر أولاً أنه تعالى جمع التربة التي خلق منها آدم عليه السلام، و إنما كان^(١) بأمره كان ذلك و بتوفيقه على يد عزرائيل عليه السلام على ما رُوي في الاخبار.

ثم أمر تعالى ملكاً آخر فاغترف غرفة يمينه من الماء العذب فصلصلها في كفه^(٢) فجمدت، فقال الله: منك أخلق النبيين والمرسلين و عبادي الصالحين، ثم أمره تعالى فاغترف غرفة بكفه الاخرى من الماء المالح الاجاح فصلصلها في كفه فجمدت.

ثم قال تعالى: منك أخلق الجبارين و الفراعنة، و معنى ذلك أنه تعالى أعلم الملائكة أن في بني آدم يكون الصالحون و الطالحون كما أن في تربة الأرض الطيب و السبخ.

و ليس المعنى أنه تعالى خلق من العذب من يصير مؤمناً و من السبخة من يكون كافراً فلا يقدر كل على غير ما في طبعه و أصله فيكون تنبيه الملائكة (على مثل ذلك بتلك النظائر، ثم أمر تعالى الملائكة)^(٣) الأربعة الموكلة بالشمال و الجنوب و الدبور و الصبا أن حولوا على هذا الطين و انسموه بتلك الرياح.

ثم جزؤه و فصلوه و ركب فيه الطبائع الأربع التي هي الريح و البلغم و

٢- في م: في يده.

١- في م و ج: ان كان بأمره.

٣- بين الهلالين في ج.

المرّة والدّم، فحالت^(١) عليه الملائكة وأجرت فيه ذلك فالترّيح في البدن من قبل الشمال، والبلغم من ناحية الصبا، والمرّة من ناحية الدبور، والدم من ناحية الجنوب.

فاستقلت النسمة وكمل البدن وكل ذلك من تدبير الله لا من تأثير طبع وغيره، فدخل عليه من ناحية الريح: حب الحياة، وطول الأمل والحرص، ومن البلغم: حبّ الطعام والشراب واللباس واللين والحلم والرفق، ومن المرّة: الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة، ومن الدم: الشهوة للنساء واللذات وركوب الشهوات من الحلال والحرام. هذه إشارة إلى أن الله أقدره على جميع ذلك كقوله: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ»^(٢) طريقَي الخير والشرّ ليصح تكليفه بفعل هذا والاجتناب، من ذلك فلا اجبار ولا الجءاء في ذلك و يتعلق بجميع ذلك ألطاف الملائكة وغيرهم من المكلفين كما في غير ذلك.

وعن الصادق عليه السلام: (ان الله كان أودع الملائكة تلك التربة)^(٣) كانت الملائكة تمرّ بآدم، وهو ملقى في الجنة بين طين فتقول: لأمر ما خلقت ثم قال: أمير المؤمنين عليه السلام «ان الله كان أودع الملائكة تلك التربة المصورة وكان أمرهم أن يسجدوا لآدم إذا أحياه». فلما دخل الوقت الذي اقتضت الحكمة أن ينفخ في تلك الصورة، طلب من الملائكة أن يؤدوا إليه وديعته و يردوها عليه فلما أدوا تلك الصورة إلى الله فنفخ تعالى فيها الروح فقامت منتصبه. رُوي أن آدم نهض ليقوم قبل أن تم في جميع البدن الروح، فقال

٢- البلد: ١١.

١- في م: فجالت.

٣- بين الهلالين في الرضوية.

تعالى: «خلق الانسان عجولاً» ثم صارت انساناً له الأذهان والفكر كما تقدم، وهذا إشارة إلى أنه نظر و عرف الله ثم توارد الشبهات عليه فجعل يحلها و يدفعها بالاستدلال.

فطفق يجيل الأذهان و يتصرف بالفكر حتى حصل من المعارف ما استحق لأجلها التعظيم، و استأهل لذلك زيادة اللطاف فعلمه الله الأسماء كلها، و أمر الملائكة بالسجود خضوعاً منهم و تكرامة له فسجدوا كلهم لكن إبليس و نسله أنفوا من ذلك بسوء اختيارهم و قالوا: خلقنا من النار و خلق هو من التراب و ان النار خير من التراب.

و هذا قياس باطل لأن الأمر بالعكس من ذلك فالتراب خير من النار، لأن كل ما يدخل النار ينقص، و كل ما يدخل التراب يزيد على أن الخيرية في العبد انما تكون بالأعمال الصالحة، لا بأنه خلق من نار أو نور أو تراب.

أما وصف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، فانه إما بخطاب^(١) من الله لهم أو بوحى منه تعالى (اليهم)^(٢) إلى من بعثه من رسله اليهم، لان كلام الرسول كلام المرسل، أو بأن الله أظهر فعلا دهم به على أنه أمرهم بالسجود «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ.»

في هذا تأكيد العموم و هذا السجود لتعظيم شأنه، و لما كان تقديم المفضل على الفاضل قبيحاً علمنا أنه كان في ذلك الوقت أفضل من الملائكة و فيما بعده فسجدوا الا إبليس كان من الجن و لم يكن من الملائكة، و ان له نسلأ و ذرية و الملائكة لا يتوالدون، ثم ذكر كيفية عيش آدم في بدء أمره في الجنة و مرافقته مع الملائكة و محاسبة إبليس له و معاداته.

ثم خروجه إلى الدنيا و مقاساته فيها بالتفرد مرة، و بطلب المعاش أخرى، و بشدة التكليف التي ضوعفت عليه هنا و لم يكن ثم تربية الاولاد و لا تأديب الذراري و يكدح المؤمن حتى يلتقي ربه، و قال تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ»^(١) أي في تعب و مشقة.

عن الصادق عليه السلام: «هبط آدم عليه السلام على الصفا و حواء على المروة فاعتزها آدم فكان يأتيها بالنهار فيتحدث عندها فاذا كان الليل خشي أن تغلبه نفسه فيرجع فيمكث بذلك ما شاء الله».

ثم أرسل الله جبريل فقال: السلام عليك يا آدم الصابر لبليته ان الله بعثني اليك لأعلمك المناسك التي يريد الله أن يتوب عليك بها علما فلما فرغ من الطواف والسعي وغيرهما و حلق رأسه بمنأى عرض عند الجمرة ابليس له. فقال جبريل: يا آدم ارم سبع حصيات ففعل فذهب، فقال جبرائيل: انك لن تراه بعد مقامك هذا أبدا، ثم انطلق فطاف بالبيت فقال جبريل: حلت لك زوجتك فكان الله زوجها اياه في الجنة، و أما كيفية تناسل الذرية.

فقال الصادق عليه السلام «ان آدم ولد له سبعون بطناً فلما قاتل قابيل هابيل جزع جزعاً فقطعه»^(٢) عن إتيان النساء، فبقي لا يستطيع أن يغشي حواء خمسمائة عام، ثم وهب الله له شيئاً ثم ولد له بعد يافث فلما أدركا أراد الله أن يبلغ بالنسل ما ترون».

أنزل له بعد العصر في يوم خميس حوراء من الجنة وأمر آدم ان يزوجها من شيث فزوجها منه، ثم انزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة أخرى، و أمر آدم أن يزوجها من يافث ففعل فولد لشيث غلام و

لياft جارية.

فأمر الله آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، و أمر تعالى أن يزوج أولاد شيث من ولد يافث هكذا فولد الصفوة من النبيين من نسلهما و لم يكن التناسل من ولد هابيل ولا من ولد قاييل. و ما يقول: هؤلاء أن آدم زوج بناته من بنيه باطل^(١)، و من قال: هذا قوى قول المجوس فان قيل أنتم لا تميزون من الانبياء أرتكاب الذنوب و قال: الامام علي عليه السلام في حق آدم انه باع اليقين بشكه، ثم بسط الله في توبته.

قلنا: لا خلاف في الانبياء أنه لا يجوز عليهم المعاصي عندنا لا كبيراً و لا صغيراً لا قبل النبوة و لا بعدها، بل نقول: في الآفة مثل ذلك لأن استحقاق الدم والعقاب منفي عنهم فوجب أن تنفي عنهم ساير الذنوب. فان أنفسنا لا تسكن إلى قبول قول من تجوز عليه كبائر المعاصي كسكوننا إلى من لا يجوز عليه الاقدام عليها و تجويز الكبائر (عليهم يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول و هذا معنى قولنا ان وقوع الكبائر)^(٢) ينفر عن الامتثال. والمرجع فيما ينفر و ما لا ينفر إلى السعادات.

فن رجع اليها علم ما ذكرناه، و كل من فيه، مجون و سخف فان ذلك ينفر من الاقتداء به فكيف ارتكاب الذنوب، والطريقة في نفي الصغائر مثل ذلك فانها منفرة أيضا و ليس ترك النوافل كذلك فالانحطاط عن رتبة ثانية بخلاف أن لا يكون قط رتبة، و إذا دل الدليل العقلي على أن الانبياء منزهون عن فعل القبيح و كل كلام ظاهره أنهم أذنبوا يجب أن يأول على وجه يوافق أدلة المعقول، أما أخذ آدم شكاً و تركه يقيناً فانه يجوز أن

١- في ج: فباطل.

٢- بين الهالين في ج و م.

يكون ذلك في مباح أو مندوب، فلا يجب حمله على ما لا يليق بهم
أما التوبة فهو الرجوع وضعاً، وقد دل الدليل على أن التوبة لا تسقط
العقاب والذي توجبه هو استحقاق الثواب، ومعنى قوله: ثم بسط الله في
توبته: أنه تعالى وفقه في هذه الطاعة أو قبلها منه وضمن ثوابها والتوبة
يحسن أن تقع ممن لا يعهد^(١) من نفسه قبيحاً على سبيل الانقطاع إلى الله
والرجوع ويكون وجه حسنها استحقاق الثواب، أو كونها لطفاً له ولغيره.
ثم أشار إلى ما كان بعد وفاة آدم من غلبة ولد قابيل وعبادتهم
الأصنام (فانه أخذ بكفره اختاله واستولدها هارين من آدم إلى خلف
جيل باليمن على ما روي)^(٢) وكان آدم يدعو ولده وولد ولده إلى الله و
يعلمهم الشرايع وينبهم على الدلالات إلى أن توفي فكان شيث وصيه فقام
مقامه.

ثم قام وصي وصيه محافظاً لشريعة آدم، وكلما مضى وصي قام وصي
آخر مقامه من قبل الله إلى أن غير الخلق دينهم واشتغلوا بعبادة الأصنام،
فبعث الله إليهم يونس، ثم نوحاً، ثم هوداً، ثم إبراهيم عليهم السلام.
فذكروهم ووعظوهم ومنعواهم من القبائح وأرى كل واحد منهم
أهمهم ومقدورات الله مما ينتفع به عاجلاً وقلة صبرهم عنها، ومما يستضر
به في الدنيا وقلة صبرهم عليها.

ثم قال: وما أخلى الله الخلق قط من رسول، أو وصي له من كتاب و
سنة: وكل واحد من الرسول والائمة كان يقوم بما يجب عليه لا يدفعه قلة
عدد أوليائه ولا كثرة أعدائه، وكان من أطاف الانبياء المتقدمين و

١- في أم: وحسن أن يمنع ممن لا يعهد في نفسه.

٢- بين الهلاليين في ض.

أوصيائهم أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصيائهم فعرفهم الله ذلك، وكان لطف المتأخرين منهم أيضاً أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء فعرفهم الله أيضاً ذلك فتم اللطف لجميعهم.

عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَ مَضَتِ الدُّهُورُ وَ سَلَفَتِ الْآبَاءُ وَ خَلَفَتِ الْآبْنَاؤُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِإِنجَازِ عِدَّتِهِ وَ تَمَامِ نُبُوتِهِ ^(١) مَاخُذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ مَشْهُورَةً سَمَاتُهُ كَرِيماً مِيلَادُهُ وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَ أَهْوَاءٌ مُتَشَبِّهَةٌ وَ طَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ بَيْنَ مُشَبَّهِهِ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ (فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ). ^(٢)

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِقَاءَهُ وَ رَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَ أَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا وَ رَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَارِنَةِ الْبُلُوى ^(٣) فَقبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ خَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهِ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَ لَا عِلْمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ مُبَيَّنًّا حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ ^(٤) وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ وَ رُخْصَهُ وَ عَزَائِمَهُ وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ وَ عِبْرَهُ وَ

٢- ساقطة من ن و ش.

٤- في ر: مبين حلاله و حرامه.

١- في ج: واتمام نبوته.

٣- في ن و ج: عن مقام البلوى.

أَمْثَالُهُ وَ مُرْسَلُهُ وَ مَخْدُودُهُ وَ مُحْكَمُهُ وَ مُتَشَابِهُهُ.

مُفَسَّرًا مُجْمَلُهُ^(١) وَ مُبَيَّنًا غَوَامِضُهُ بَيْنَ مَاخُودِ مِيثَاقِ عِلْمِهِ^(٢) وَ مُوسِعَ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وَ بَيْنَ مُثَبَّتِ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ وَ مَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ وَ وَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ وَ مُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ وَ بَيْنَ وَاجِبٍ^(٣) بِوَقْتِهِ وَ زَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَ مَبَايِنَ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدَّ عَلَيْهِ نَيْرَانُهُ أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانُهُ وَ بَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ وَ مُوسِعٍ فِي أَقْصَاهُ.

وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حِجَّ بَيْتِهِ^(٤) الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَ لُؤَهَ الْحَمَامِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضِعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَ تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُخْرِزُونَ الْأَرْبَابَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدًا^(٥) مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا وَ لِلْعَائِدِينَ حَرَمًا فَرَضَ حَجَّهُ^(٦) وَ أَوْجَبَ حَقَّهُ وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ».

١- في ب: مجمله.

٢- في ب: ميثاق في علمه.

٣- في ض و ن: واجب بوقته.

٤- في ك: و يروى و فرض عليهم و في ح و ض: حج بيته الحرام الذي.

٥- في ض و ب: عند موعده مغفرته.

٦- في ح: فرض حقه و أوجب حجه.

بيانه

أشار عليه السلام بقوله ذلك لما قال «على ذلك نسلت القرون»، إلى قوله: - من قبل -، «و لم يخل الله من نبي أو حجة» يقول: ما مضى دهر و لا انقضى قرن إلا كان فيهم معصوم منصوب للرياسة من قبل الله، مذ عهد آدم إلى عهد محمد عليهما السلام.

كلما غاب نجم طلع نجم: فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه و آله و سلم أنجز الوعد الذي كان قد أخذ بالعهد على كل نبي قبله بالبشارة به فكانوا يبشرون بمحمد فكان في كل قرن معروفاً و بكرم الأصل موصوفاً. ختم الله به النبوة و أظهر أمره في حالة كان بسيط الأرض فيها ملأناً من الكفر، لا يعبد الله إلا نادراً، فدعاهم إلى الهدى و خلصهم من الردى، ثم قال: «و كلما مات الانبياء كلهم نقلهم الله إلى جواره».

فهو عليه و آله السلام خلف في أمته مثل ما خلف النبيون قبله و خلف كتاب الله المنزل إليه كما خلفوا كتبهم، و هو القرآن المبين فيه جميع أحكام شرعه، و نحن نذكر بيان ما أشار إليه من تفصيله من بعد:

ثم حث المكلفين على زيارة بيت الله (و بالغ في ذلك حيث أطلق فرضه و ان كان الحج مقيد افرضه، و أكد ذلك بأن ذكر أن بيت (الله)^(١) الذي يجب زيارته هو الكعبة التي جعلها الله قبلة للمكلفين.

و هو المأمّن عاجلاً، و آجلاً حتى أن الوحوش و الطيور قد ألهما الله بأنها تأمن حين دخولها حرم الله الذي حول مكة قد حرم الله تعرضها بصيد و غيره، و ان الطيور لتفزع إليه و تتخذه مأمناً مع أنه لا عقل لها

ثم إن الانبياء والاصياء والصلحاء كانوا يزورون هذا البيت و يدعون الله عنده و يطوفون به و يتضرعون إلى الله و يتواضعون له و يعظمونه، و ان الله اختار محمداً وأوصيائه و جميع أمته للوقوف بالموقفين اللذين كان الانبياء قديماً، و حديثاً.

يقفون بهما للدعاء والتضرع والاستغفار وللطواف والسعي والتنسك بمناسكهم فان آدم و نوحا و ابراهيم و غيرهم من النبيين و الصديقين عليهم السلام كانوا قد اتخذوا تلك المتعبات سوق الآخرة، و كان تجارتهم إليها و طلب الربح عندها.

كانوا يسارعون إلى مكة مرة للحج، و مرة للعمرة يستغفرون الله لأثمهم و لجميع المذنبين، و كان قبل أن خلق الله آدم هذا البيت مطاف ملائكته، و مزارهم و موضع طلب الحاجات، و محل أشرف الطاعات و من طاف بالبيت فقد تشبه بالملائكة الخافين من حول العرش المطيفين به. و أكد الله تعظيمه في شريعة الاسلام، و جعل حوله مشاعر و معالم للعبادات يعوذ بها المذنبون، و ان لكل ملك حمى و حرماً و الله جعله حرماً للعايدين به، و أوجب الوفادة إليه مذ عهد آدم على الناس أمماً قائماً.

فهو حق من حقوق الله يزدحم إليه و يعظم الله حواليه لطفاً و مصلحة لهم، و ان من دخله مؤدياً بجميع ما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من العقاب الدائم، و هو المروي عن الباقر عليه السلام ثم أكد كلامه بقوله: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ»^(١).

معناه و لله على من استطاع إلى حج البيت سبيلاً من الناس حج البيت، أي من وجد إليه طريقاً بنفسه و ماله (فعليه الحج)^(٢) و من جحد

فرض الحج ولم يره واجباً فإن الله غني عن العالمين، لم يتعبد بهم بالعبادة لحاجة اليها، وانما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم.

أما تفسير ألفاظه فقوله: «على ذلك»: يتعلق بقوله: «نسلت القرون»، أي مضت مسرعة، من نسلان الذئب قال تعالى: «إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ»^(١)، وقيل: هو من نسلت الانثى بولد كثير.

القرن: أهل كل مدة فيها نبي ووصي، وفيها طبقة من العلماء و سلف أي تقدم، و خلف فلان أباه أي صار خليفة عنه و خلفاً بدلا عن أبيه، و انجاز الوعد اعجال قضاء الوعد.

السمات: العلامات و الميلاد: الولادة، و يومئذ أي يوم اذ كان كذا.

فلما حذف الجملة نون إذ و ملة كل قوم مذهبهم والجمع ملل و هوى النفس، مقصور والتشتت: التفرق بعد الاجتماع والمشبهة: الذين^(٢) يجوزون على معبودهم ما يصح على الاجسام و يشبهونه بها.

والملحد: المائل على الاستقامة، والعاذل عن الحق، و قوله: «ملحد في اسمه»، أي يميل في تسميته فيسميه بما لا يستحقه، أو يسمي الأصنام باسمه كما قالوا: اللات بدلا عن الله، و العزى بدلا عن العزيز، و قبض الله للعباد إمامتهم.

و خلفت كذا أي تركته بعد موتي فكان خلي خليفتي و أمة كل نبي أتباعه و من لم يتبع دين محمد، و ان كان في زمانه فليس من أمته والمهمل^(٣): الغنم ترعى نهراً بلا راع، والعلم: الجبل والراية و القائم الثابت، أي ترك محمد صلى الله عليه و آله فيما بينكم مثل ما ترك الأنبياء في

٢- في م وج: هم الذين.

١- يس: ٥١.

٣- في ج: والحمل.

أهمهم، اذ لم يترك نبي مذ عهد آدم إلى زمان محمد صلى الله عليه وآله أمته هملاً، بل وصى إلى معصوم يقوم بعده في أمته مقامه، وان كان له كتاب و شريعة فانه لا بد له من حافظ و مبین

و كتاب ربكم: بدل قوله: «ما خلفت الانبياء»، و بين لازم و متعدى و مبيناً حلاله: المسموع بكسر الياء و ما بعده مفعول و زوي فيه مبيناً حلاله أي بين حلاله و الحلال: مستعار من حلّ العقدة و الحرام: الممنوع منه، و الفريضة: ما أوجبه الله و له حدود و معالم و بين وجوبه

الفضيلة: الدرجة الرفيعة و الناسخ: هو الدليل الشرعي الذي يدل على زوال، مثل الحكم الذي ثبت بدليل شرعي آخر مع تراخيه عنه فهذا الدليل الآخر هو المنسوخ، و النسخ في اللغة أن تزيل أمراً كان من قبل، و الرخصة في الامر خلاف التشديد.

العزيمة: العزم و هو عقد القلب على الشيء يريد أن يفعله. و العزيمة الواجب. و المخصوص: كل لفظ يقع على شيء بعينه دون ما عداه. و الخاص: ما تناول شيئاً واحداً. و العام: ما تناول لفظه شيئين فصاعداً. و العبرة: الاعتبار بما مضى.

المثل: قول سائر يشبه حال الثاني بالأول، و الاصل فيه التشبيه و المرسل: هنا^(١) المطلق. و المحدود: المقيد المظهر حده و غايته. و المحكم: من القول لا يحتمل التأويل الا وجهاً واحداً. و المتشابه: ما يحتمل وجهين، أو أكثر. و المفسر: المبين.

الغامض: المستتر و يكون المفسر المظهر بلفظ آخر فائدته والله قد وسع على المكلفين في مواضع فيما كلفهم. و الجهل: في اللغة هو أن لا يعلم

ذلك الشيء، والمثبت في الكتاب المدام فيه الذي أوجده الله فيه.
 السنة: كل فعل شرعي أدامه الرسول بشيء ولم يثبت أنه مخصوص
 به عليه السلام أو نسخ (والفوق بين)^(١) الفريضة والواجب (أن الفريضة
 أخص من الواجب لأنها) الواجب الشرعي والواجبات إذ كانت مطلقة
 يجوز حملها على العقلية والشرعية. والاختذ: الفعل والترك أن لا يفعله. لغة
 الكبيرة: خطيئة تكبر بالاضافة إلى أصغر منها.
 الصغيرة: خطيئة تصغر بالاضافة إلى أكبر منها. الإيعاد: الوعد بالشر
 وأرصد له كذا هيأه و ترقبه: و أعده له. الغفران: ستر الذنوب. والاقصى:
 الأبعد. والادنى: القريب.

أما أمثلة هذه الاحكام فالآيات الدالة عليها كثيرة و تفصيلها يشتمل
 على كتاب كبير. أما الحلال والحرام، فنحو قوله **أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ**
الرِّبَا^(٢)، **«أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ»**^(٣)، **«و حُرِّمَتْ**
عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ»^(٤) إلى قوله **«و أُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ»** إلى قوله^(٥)
 أما فضائله فهي بالآيتين بها أولى كقوله: **«وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ**
نَافِلَةً»، **«وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»**، **«وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»**، وأما
 فرائضه فكقوله: **«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ»**، **«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»**،
«وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ».
 و أما الناسخ والمنسوخ فكقوله: **«اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ»**، نسخ قوله: **«لَكُمْ**
دِينُكُمْ، وَ لِي دِينٌ».

و كقوله: **«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ»**

٢- البقرة: ٢٧٥.

٤- النساء: ٢٣.

١- بين الهلالين: في م.

٣- المائدة: ١.

٥- النساء: ٢٤.

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»، منسوخ بقوله: «الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ».

كقوله: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»، فهي الناسخة لقوله: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ»، وان كانت (١) تلك في القراءة مقدمة، وأما رخصة فقد قال تعالى: بعد تحريم الميتة: «فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

قال: «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا - إلى قوله: - فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»، وقال: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا»، «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا»، وكلاهما أيضاً نوع من الرخصة.

و أما عزائم فقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»، فان هذه الطاعة واجبة على التضييق، و هو عزمة من عزمات الله لا يقوم شيء مقامه.

قال: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»، و قال: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ»، فهذه الولاية (٢) واجبة لا تسقط عن مكلف في حال، و أما خاصة فكقوله: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا وَ جُوهَكُمْ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»، فانه مخصوص مع الاختيار بمن يصلي نافلة على الراحلة.

قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ»، «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ»، «وَ كُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ»، فالآيتان و ان كانتا على

٢- في ج: فولايتهن.

١- في م و ج: وان كانت الآية الاولى.

الاطلاق خاصة^(١).

والمعنى أنه إذا قتلت نفس على العمد نفساً أخرى، وكان القاتل عاقلاً مميّزاً، و كان المقتول مكافياً للقاتل، إما أن يكونا مسلمين حرين، أو كافرين، أو مملوكين و ان كان القاتل حراً مسلماً والمقتول كافراً و مملوكاً فعندنا لا يقتل به، و له حكم اخرى سوى ذلك.

أما عامه فكقوله: «ان الله بكل شيء عليم»، «و جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ»، والجهاد واجب عام على جميع المكلفين بالشرائط، و قال «وَلَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذًا مَادُعُوا»^(٢) و كل ما يصلح للعموم والمخصوص في اللغة يقتضي العموم شرعاً الا ما أخرجه الدليل.

أما غيره فالآيات التي فيها قصص الانبياء و أمهم قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ»، «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ ضَاقِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ»^(٣)، و قال: بعد ذكر ما فيه اعتباراً: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ»^(٤).

أما أمثاله فكقوله عز و علا: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا»^(٥)، «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً»^(٦)، «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ»^(٧)، و قال: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظْرِهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»^(٨).

قال الصادق عليه السلام: «ان أمثال القرآن لها فوائد فأنعموا النظر و أكثروا التفكير و التدبر في معانيها و لا تمروا بها»، و أما مرسله فكقوله

١- في ج: فكلتاها خاصة.

٣- فصلت: ١٧.

٥- البقرة: ١٧.

٧- آل عمران: ٥٩.

٢- البقرة: ٢٨٢.

٤- آل عمران: ١٣.

٦- البقرة: ١٧١.

٨- العنكبوت: ٤٣.

تعالى: «فَاعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ»^(١)، فانه ما ذكر له حدا قيل هو المجرى. كقوله: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً»^(٢)، فانه لا يجب أن يؤخذ كل صدقة بل صدقة مخصوصة، و كقوله: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»، فلو فعلنا كل صلاة لكننا فاعلين، ما لم يرد الله منا والفرق بين المجرى والعام هو أن كل لفظ فعل لأجل ما أريد به فهو عموم مثاله.

قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^(٣)، و لو خَلينا و هذه الآية لقلنا: الوثني واليهودي والنصراني و كل من تناوله هذا الاسم و كنا فاعلين بموجب اللفظ و هو العموم شرعاً.

أما محدوده فكقوله: «وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»^(٤)، «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ»^(٥)، و قال: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَ الْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»^(٦).

أما محكمه فكقوله: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^(٧) «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ».

أما متشابهه فكقوله: «يَدُ اللَّهِ»، و «جَنَّبَ اللَّهُ»، «و خَلَقْتُ يَدَيَّ»، «و كل شيء هالك الا وجهه»، «و جَاءَ رَبُّكَ»، و قوله: «و جُؤة يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ».

أما قوله: مفسراً جملة فكقوله: «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» ثم قال: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ»، «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا

٢- التوبة: ١٠٣.

١- المائدة: ٦.

٤- المائدة: ٦.

٣- التوبة: ٥.

٦- البقرة: ١٨٥.

٥- البقرة: ١٨٧.

وَ حِينَ تَظْهَرُونَ»^(١)، و فسر في هذه الآية ما أجمل في هناك، و قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ»^(٢)، ثم، فسر كيفية طلاق الحامل بقوله، «و اولات الاحمال» و فسر طلاق الآيسة من المحيض، و هى على ضربين، و طلاق اللائي لم يحضن و هى أيضاً على ضربين.

و فسر طلاق التي لم يدخل بها بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ»^(٣) و فسر طلاق المستقيمة الحيض بقوله: «و الْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»^(٤) و فسر كيفية الطلاق بقوله: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمِنْ سَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ»^(٥).

أما قوله: «مبيناً غوامضه»، فكقوله: «و لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ»^(٦)، ثم بين بقوله: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^(٧)، و كآيات المواريث و أشباهها فانه قال: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ»^(٨).

ثم بين ذلك في سورة النساء بقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ»^(٩) - إلى ثلاث آيات ثلثا في الأولاد، و ثلثا في الأبوين، و اثنين في الزوج، و اثنين في الزوجة و اثنين في الاخوة و الاخوات من الأم.

و ذكر أربعاً في آخر السورة في الاخوة و الأخوات من الأب و الام، أو من الأب في قوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ»، و ذكر واحدة في

٢- الطلاق: ١.

٤- البقرة: ٢٢٨.

٦- البقرة: ١٧٩.

٨- النساء: ٧.

١- الروم: ١٨.

٣- الاحزاب: ٤٩.

٥- البقرة: ٢٢٩.

٧- البقرة: ١٩٤.

٩- النساء: ١١.

قوله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ».

هي أصول الفرائض كلها، وهي سبع عشرة فريضة، فأما قوله: «بين مأخوذ ميثاق علمه»، فقد قال تعالى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»^(١)، فاعلم أنه لا اله الا هو على كل شيء قديرٌ وهو بكل شيءٍ عَلِيمٌ فان جميع ذلك يجب علمه بالنظر.

قال: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ^(٢) و قال: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ»^(٣)، الذين هم الائمة وقيل: هو مثل معرفة الحلال و الحرام، كقوله: «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ»^(٤)، و قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ»^(٥) الآيتان ونحوهما.

أما قوله «و موسع على العباد في جهله»، فانه يجوز أن يكون كقوله: «كهيعص، حم، عسق، المر، المص، الر، الم، طسم، طه، حم. ق و القرآن، ن والقلم، ص و القرآن» وغيره من الحروف المقطعة في أوائل بعض السور. فان من علم حكمة الله على الجملة في هذه الخماسيات والرباعيات والثلاثيات والثنائيات والوحدانيات، و لا يعلم تفصيل هذه الأشياء و ما أشبهها فليس عليه شيء.

قيل: مثال ذلك قوله: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»^(٦)، و ليس لأحد من المكلفين أن يطلب علم ذلك و من الجائز أن يعلم الله من حال بعض المكلفين أن يكون لطفه في علم شيء من هذه الخمسة.

٢-الفتح: ٢٩.

١-الحشر: ٢٢.

٤-المائدة: ٤.

٣-النساء: ٨٣.

٦-لقمان: ٤٣.

٥-المائدة: ٣.

فيجب أن يطلعه الله عليه بأن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بذلك فيخبر الرسول ذلك المكلف به، أو وصي النبي إلى من بعده من حجج الله باعلامه ذلك الانسان إذا لم يكن هو في زمان الرسول و قيل: انه مثل قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَنْقُصْ عَلَيْكَ»^(١)، فانه لا يجب علينا معرفة الانبياء كلهم، و يجوز أن يقال: ان قوله «بين مأخوذ ميثاق علمه و موسع على العباد في جهله»، الجملة كلها حكم واحد كحكم كل واحد من الجمل التي بعدها من القرائن.

فيكون معناه ان في أحكام القرآن غوامض^(٢) التي لا يجب معرفتها على العامة و ان وجب على النبي والأئمة أن يعلموه و ذلك على ما يقتضيه المصالح.

فعلى هذا إذا علم الله ذلك أوحاها إلى نبيه، و بَيَّنَّ أن تلك الاحكام كلها يجب عليه و على من يقوم مقامه من بعده، أن يعلموه على التضييق و ان توسع^(٣) على غيرهم من أمته أن يعلمه و أن كان علم ذلك أفضل. و ان الله أوجب على حججه وأوصيائهم خلفا عن سلف، معرفة ذلك كله، و هو علم الشريعة و أحكامها كلها على الشيعاء و العموم، لانه رئيس الكل و مرجع الخلق إليه في كل صغير و كبير حتى أرش الخدش، و يجب عليه قراءة مسائل الشرع المنصوص عليها من قبل الله تعالى المبعوثة الى محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

و قد أملاها إلى وصيه و كتبها في صحائف مفصلة حتى يطلع على جميع تفريعات كل مسألة شرعية لعمومها، و لا يجب ذلك على افناء

٢- في ج: غوامض الفقه.

١- غافر: ٧٨.

٣- في م و ج: على التحقيق و ان وسع.

الرعية، و لأن يكون لكل قرينة منها حكم آخر أظهر و تقدير ذلك: بين حكم مأخوذ ميثاق علمه على كل مكلف و بين حكم موسع جهله عليهم على ما قدمناه.

و أما قوله «و بين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه»: فكقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ»، «و لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ، وَ لَهُنَّ الرَّبْعُ بِمَا تَرَكَتُمْ... وَ لِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ»^(١)،

فظاهر هذه الآية يقتضي أن الاولاد يرثون من الابوين، سواء كانوا أحرارا أو عبيدا، وكانوا مسلمين أو كفارا، و سواء كانوا قاتلين للأبوين ظلما عمدا أو لم يكونوا. و كذلك الابوان و الزوجان يرثون على كل حال، لعموم ألفاظ الايات و هي شرعية.

و يعلم من السنة أن الكفر في الوارث و الرق في الوارث على وجه و القتل عمدا على سبيل الظلم من الوارث يمنع من الارث^(٢)، و اتصال هاتين القرينتين أكد و أبلغ من اتصال القرينتين المتقدمتين، لأن قوله «معلوم في السنة» هاهنا.

قوله مثبت: و الصفة و الموصوف شيء واحد. و قوله «و موسع على العباد» معطوف على «مأخوذ ميثاق علمه»، و المعطوف و المعطوف عليه في الاكثر أمران، فأيات المواريث التي تلونها أنفا، و نحوها كالمسنوخة في حق القاتل ظلماً عمداً بقول النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - لا يرث القاتل من مقتوله.

و في رواية: لا ميراث لقاتل. و التخصيص شرعا قريب من النسخ. و قال تعالى: «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» و ظاهره يوجب قطع

كل سارق. و من السنة يعلم أن من سرق دون نصاب و هو ربع دينار أو ما قيمته فلا يقطع، أو سرق من غير حرز.

و كان علي عليه السلام يقطع من يد السارق أربع أصابع و يترك الكف و الراحة و الابهام، فهو أيضا تخصيص. و قال: «اني لأكره أن تدرکه التوبة فيحتج عليّ عند ربي اني لم أدع من كرائم بدنه ما يركع به و يسجد. و أما قوله: «و واجب في السنة أخذه مرخص في الكتاب تركه».

فهو كقوله: «وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ»^(١)، فان قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ رخصة في القصر. و جاءت السنة ففرضت القصر في ثلاث صلوات من جملة الخمس إذا كان السفر مباحا أو طاعة و كان قدر ثمانية فراسخ فصاعدا.

فالواجب في ذلك بالسنة و الرخصة فيه بالكتاب، و هو من باب نسخ الكتاب بالسنة. و قيل: ان الصحيح في مثاله قوله: «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ»^(٢)، و هذا على العموم في كل رجل زنا أو امرأة زنت.

أقسام الزناة الأحرار على خمسة أوجه في السنة: منهم من يجب عليه القتل. على كل حال كمن وطىء ذات محرم له، و منهم من يجب عليه الجلد مائة ثم الرجم فهو الشيخ و الشبيخة، إذا زنيا و كانا محصنين.

و منهم من يجب عليه الرجم دون الجلد و هو كل محصن أو محصنة ليسا بشيخين، و منهم من يجب عليه الجلد ثم النفي و هو البكر و البكرة و البكر هو من املك على امرأة و لم يدخل بها.

و منهم من لا يجب عليه أكثر من الجلد و هو كل من زنا وليس

بمحسن ولا بكر فان كان حراً ثمانية، وان كان مملوكاً فخمسين، والحز إذا زنا أربع مرات و ضرب الحد في كل مرة يقتل في الخامسة.

فقد ترى في هذه الاقسام ما يزيد على جلد مائة (و ما ينقص من مائة)^(١) وليس ذلك في كتاب الله ظاهراً، فكأنه متروك مرخص في الكتاب نسخه، و ذكر ذلك في السنة على الوجوب.

فقد قال النبي - صلى الله عليه و آله - : البكر بالبكر جلد مائة و تغريب عام، و كذلك نص على الاقسام الآخر و بينها و فصلها. و أما قوله: و بين واجب بوقته و زائل في مستقبله» فكآية النجوى، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ»^(٢) أمر تعالى الرسول لاصحابه و لجميع أمته إذا ساررتهم الرسول فقدموا قبل أن تساروه صدقة.

و أراد بذلك تعظيم النبي صلى الله عليه و آله، و ان يكون ذلك سبباً لان يتصدقوا فيوجروا، و يكون ذلك أيضاً تخفيفاً عنه. (و ان يكون ذلك سبباً لان يتصدقوا فيوجروا، أو يكون ذلك أيضاً تخفيفاً عنه)^(٣).

قال المفسرون: فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضمن كثير من الناس فكفوا عن المسألة و لم يناجيه الا علي بن أبي طالب عليه السلام، و الآية نزلت في الاغنياء لأنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيكثر من مناجاته فأمر الله بالصدقة عند المناجاة.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي و لا يعمل بها أحد بعدي، و هي: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ

١- بين الهلالين في الرضوية

٢- المجادلة: ١٢.

٣- بين الهلالين في الرضوية.

الرَّسُولَ» كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكلبات أردت أن اناجي رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت درهما.

فنسختها الآية الأخرى وهي «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»^(١). وقال: عليه السلام: بي خفف الله عن هذه الامة و قيل: ان مثال ذلك: «فَأْتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِّهِمْ».

قال تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ مُبْتَلًىٰ لَا يَتْلُو سِوَةَ اللَّهِ لَأَنَّ اللَّهَ يُبْدِي سِرَّهُ وَيَكْفِي سِرَّهُ وَيَكْفِي سِرَّهُ»^(٢) الآية، و قيل: انه مثل الهجرة التي كانت عند خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة إلى وقت فتح مكة، فقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا» الآية. و قال النبي صلى الله عليه وآله: لا هجرة بعد الفتح، و قيل: انه كصلاة العيدين و صلاة الجمعة.

فانها تجب بوقتها مع وجود شرائطها و يزول ذلك الوجوب في المستقبل. و التقدير: و بَيْنَ واجب بوقته و زائل في مستقبله، فحذف الموصوف و عطف الصفة على الصفة، و ذلك جائز

أما قوله «و مباين بين محارمه» فكأحكام السرقة و الزنا و شرب الخمر و قذف المحصنات، فانها كلها مختلفة، و كذلك ما سواها. ألا ترى إلى قوله «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»^(٣) و قال: «وَ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً»^(٤)، و غير ذلك. من ثم فصل الكلام فقال: من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغير أُرصد له غفرانه، و قد قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ

٢- التوبة: ٥.

١- المجادلة: ١٣.

٤- النور: ٤.

٣- النساء: ٩٣.

ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»، وقال: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»^(١).

و قال تعالى: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ»، فالكبيرة كل ذنب حتم له بالنار، و الفاحشة كل ذنب فيه الحد، و اللمم صغار الذنوب كالنظرة و نحوها^(٢). و أما قوله «و بين مقبول في أدناه و موسع في أقصاه».

فقد قال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَ تُلْتَهُ وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ - إِلَىٰ قَوْلِهِ: فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ»^(٣) و كآية الصدقات، فقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ»^(٤) الآية.

فان من تدل على التبعض و ان أنفق الغني كثيرا من ماله فذلك حسن. و ان قرأ المصلي ليلا طوال السور و كثيرا من القرآن فذلك موسع عليه و هو أحسن و أفضل من قراءة سورة من المفصل على بعض الوجوه. قيل: ان المقبول في أدناه هو الاقتصار في الفقه على تعلم الفرائض منه دون مندوباته، و ان الموسع في أقصاه هو التعمق في طلب العلوم و اشتغال العلماء بمدرسة تفرعات أحكام الشريعة و تفسير القرآن و غير ذلك من العلوم التي هي كالمركبات لعلم الدين بعد احكام الاصول نظراً و استدلالاً و حل الشبهة و غير ذلك، وأمثلة كل واحد منها أكثر من أن يذكر هاهنا، و فيما ذكرناه مقنع، نرجع إلى تفسير ما في الخطبة.

فنقول: الحج: قصد بيت الله لزيارته مع مناسك و اضافة البيت إلى الله

٢- في م: كالنظرة و غيرها

٤- البقرة: ٢٦٧.

١- النساء: ٩٣.

٣- المزمل: ٢٠.

للتفضيل و التشریف و التخصیص، و ان كانت الدنيا و ما فیها لله. و القبلة: اسم للمكان المتوجه إليه للصلاة و غيرها و الانام: الخلق. و الورود: الدخول فی الماء، و الانعام: الابل و البقر و الغنم.

و آله یأله أها: أي تحیر، و الأصل وله یوله و لها. و قال ابو الهیثم: أصل الله الاله، و اصله ولاه، فقلبت الواو همزة، فالخلق یوهون إليه فی حوائجهم و یفزعون إليه فی کل ما ینوبهم.

و حمام الحرم ینتجىء إليه الهاما من الله لها أنه المأمّن، و یقال: انها من نسل طیر أبابیل. و ولهت إلى کذا: اي کذا فزعت و الضمیر فی قوله: «أجابوا إليه» للبيت، و فی دعوته لله تعالى أي أجابوا قاصدين إلى البيت دعوة الله^(١).

«الملائكة المطيفون بالعرش»: هم الكروبيون، مثل أشرف الملائكة و عظمائهم و طاف بالبيت طوافاً: أي دار حوله، و حقيقة اطاف أن المطيف هو الذي يطيف نفسه، كأنه فزعها لذلك، فهو بكليته مفتعل به من أفعال القلوب و أفعال الجوارح. و الاحراز: الحفظ. «و كتب عليكم وفادته»: أي أوجب عليكم أيها المكلفون المستطيعون أن تفدوا إليه ركبانا من بعيد كما یأتونه من قريب.

(و أما رواية الخطبة فعن الشيخ ابی جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي، عن الشيخ ابی جعفر الطوسي، عن الشيخ المفيد ابی عبد الله الحارثي، أخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب، عن الحسن بن علي الزعفراني، حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الثقفي ابو الوليد، عن العباس ابن بكار الضبي، عن ابی بكر الهذلي، عن الزهري، و عيسى بن يزيد، عن

صالح بن كيسان، عن أمير المؤمنين عليه الصلوة والسلام - و لو أردت ما حذفه الرضي من الخطبة لطال هذا الكتاب.

(٢) ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين

أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ وَ اسْتِسْلَامًا لِعِزَّتِهِ، وَ اسْتِعْصَامًا^(١) مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَ اسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَ لَا يَيْلُ مَنْ عَادَاهُ وَ لَا يَقْتَرِفُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ، مَا وَزَنَ وَ أَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ خَدُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُتَّحِنًا إِخْلَاصَهَا، مُعْتَقِدًا مُصَاصَهَا نَتَمَسَّكَ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَ نَدَّخِرُهَا لِأَهْوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيْمَانِ، وَ فَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ وَ مَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَ مَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمَشْهُورِ، وَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ وَ الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَ النَّوْرِ السَّاطِعِ، وَ الضِّيَاءِ اللَّامِعِ وَ الْأَمْرِ الصَّادِعِ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَ احْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَ تَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَ تَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ وَ النَّاسِ فِي فِتْنٍ أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَ نَزَعَزَعَتْ^(٢) سَوَارِي الْيَقِينِ، وَ اخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَ تَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَ ضَاقَ الْمَخْرَجُ وَ عَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَ الْعَمَى شَامِلٌ:

١- في حاشية م: واعتصاماً.

٢- في روك: و ترحزحت.

عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنَصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيْمَانُ.

فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ^(١) سُبُلُهُ، وَعَقَتْ شُرْكُهُ: أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَوَقَامَ لَوَاؤُهُ، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهَمَّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهَادٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمَهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلَهَا مُكْرَمٌ.

و منها و يعني آل النبي عليه و الصلاة و السلام:

مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ، وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَ مَوْتِلُ حُكْمِهِ، وَ كَهُوفُ كُتُبِهِ، وَ جِبَالُ دِينِهِ. بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَ أَذْهَبَ اِرْتِعَادَ فَرَائِصِهِ. وَ مِنْهَا يَعْنِي قَوْمًا آخِرِينَ:

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَ سَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَ حَصَدُوا الثُّبُورَ، لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَ عِمَادُ الْيَقِينِ: إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي، وَ بِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي، وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَ فِيهِمْ الْوَصِيَّةُ وَ الْوِرَاثَةُ؛ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَ نُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

بيانه

لا يثيل: أي لا ينجو فانه أرجح: أي فان الحمد أثقل في الميزان من كل طاعة، والضمير في فانه: للحمد الذي يدل عليه أحمده فان الفعل يدل على مصدره ممتحنا: أي مختبراً.

اعتقد كذا بقلبه: والمعتقد ما يجعل اعتقاداً و مصاصها: أي خالصها والضمير المجرور للشهادة، و مصاص كل شيء خالصه و يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والجمع والتثنية.

فانها عزيمة الايمان: فان الشهادة يجب قولها بعد الايمان، و هي واجبة من واجبات الايمان.

و مدحرة الشيطان: أي مبعدة له من الدحور و هو الطرد والابعاد والعلم المأثور: أي المعجز الذي ينقل و يذكر عنه.

والأمر الصادع: أي البين، يقال: صدعت الشيء أي أظهرته و بينته و صدعت بالحق إذا تكلمت به جهاراً و منه قوله: «فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ»^(١)، قال الفراء: أي أظهر دينك و زاح الشيء، يزيح بعد و ذهب و أزاحه غيره.

والمثلات: العقوبات الواحدة مثلة. وانجذم: انقطع. و تزعزعت: أي تحركت، و رُوي تزعزحت بالحاء أي تنحت.

السارية: الاسطوانة و سوارى اليقين استعارة. والنجر: الاصل الذي خلقوا عليه و غرز فيهم من الضبط و التحري للخير. و انهارت: انهدمت. الدعامة: عماد البيت، و هذا مجاز أيضاً والشرك، جمع شرك و هو الطريق و رُوي شركة، والشركة معظم الطريق و وسطه والجمع شرك. و

عفت: اي درست.

المنهل: المورد و هو عين ماء يرده الابل في المراعي، و يسمى المنازل التي في المفاوز على طريق السفار مناهل لان فيها ماء.
العلم: الراية والجمع أعلام. واللواء المطرد والجمع ألوية و مطارد هي دون الأعلام والبنود.

الاخفاف: للبعير والاطلاف: للبقرة والشاء واحدهما خف و ظلف.
السنبك: طرف مقدم الحافر والجمع سنايك، و يقال: داستهم الخيل: أي دقتهم^(١) و استعار للفتن هذه الاشياء التي يكون بمنزلة الرجل من للانسان و تحت أقدامهم، أو يكون المراد هم في فتن داسهم أهلها على أنواعهم ممن هو فارس أو راكب أو باقر.

والتايه: الحاير المتحير في خير دار: الكوفة و قيل الشام لأنها الأرض المقدسة و أهلها شر جيران: لانهم عساكر معاوية أي شر جيران دار و على الأول شر جيران أهل الكوفة.

نومهم سهود: إذا كان صفة أهل الشام أي لا ينامون طول الليل يرتبون أمر معاوية، و ان كان وصفاً لأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام - و هو الأقرب.

فالمعنى أنهم خايفون و يسهرون و يبكون لعله موافقتهم و يكون ذلك شكاية لهم و كحلهم دموع: نفاقاً (فانه إذا تم نفاق المرء ملك عينيه بأرض)^(٢) عالمها ملجم: هو علي عليه السلام (و إذا كان بين فجرة يكون أيضاً)^(٣) و التقي على كل حال ملجم عن الخناء والفحش كما، قال: النبي

٢- بين الهلالين: في الرضوية.

١- في م: أي دفعتهم.

٣- في ج.

عليه الصلاة السلام و إذا كان بين فجرة يكون أيضاً ملجأً عن قول الحق. جاهلها مكرم: يعني معاوية و أمثاله، و أهل بيت محمد لجأ أمره: أي هم الملجاء، لما جاء به يقوي شرعه بهم، و يلتجئ أهله إليهم بهم أقام رسول الله انحناء ظهر الدين يعني أن آل محمد عليهم السلام يقيمون اعوجاجاً يبتدع فيه المبتدعون.

والفريضة: اللحمة التي بين الجنب والكتف التي لا تزال ترعد من الدابة والجمع فرائض، و قوله: و أذهب ارتعاد فرائضه: استعارة أي و أذهب الله بسبب آل محمد عن دينه كل خلل به و اضطراب و لما ذكر المنافقين بأنهم زرعوا الفجور بالغ في تشبيه ذلك الزرع في الفجور بذكر سقيه و حصاده.

و الثبور: الهلاك والخسران والاساس يد و يقصر، ثم أشار إلى رجوع عهد إمامته ظاهراً (فقال الان اذ رجع: و تقديره كنت منتظراً مذ وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله هذا الوقت).

قوله اذ رجع: بدل من الان فيكون العامل في الظرف الذي هو الآن فعلاً مضمرأً على ما قدرنا و الاحسن أن يكون تقدير الكلام هذا الوقت وقت رجوع الحق إلى أهله فيكون مبتدأ و خبراً^(١).

خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة بعد أن رجع من موضع كانت به وقعة تسمى صفين بينه و بين معاوية.

فقال: «أحمده استتماماً لنعمته»، أي أشكره طلباً لتتمام نعمته، و هو أن يوصل النعم الدنياوية المنفصل بها بنعم الآخرة الباقية المستحقة (والمفضل بها)^(٢) و أشكره انقياداً لعظمته و غلبته على حسن توفيقه لي في أداء طاعته

١- بين المهالين: في الرضوية.

٢- ساقط في ج.

و أشكره أيضاً على عصمته إياي من المعاصي فيما مضى طالباً أن يعصمني فيها فيما يستقبل.

ثم قال: «و أستعينه»، أي أطلب العون منه في جميع أموري لفاقتي و حاجتي إلى كفايته تعالى، ثم ذكر ثلاثة أشياء بأنها ثمرة الاستغاثة من الله و هي الهداية، والنجاة والكفاية.

ثم قال: فانه أرجح يجوز أن يعود الضمير إلى المذكور من الحمد والاستعانة كليهما ثم ذكر فوائد الشهادتين و قال بعد ذلك إن الله بعث محمداً بالاسلام المعروف في الزمن الأول.

و بعث بهذا القرآن لحل الشبه، و ايعاد المجرمين بأنواع العذاب في وقت كان الناس مفتونين فيه لا يقين لهم.

و الدين قد تغيرت معالمه: أهل الفتنة استولوا على جميع أهل الأرض و أهلكوهم على اختلاف أصنافهم، فالخلاق، حيارى جهال في هذه الدنيا التي هي سوق الآخرة، و هي خير دار لمن عمل فيها: فعلى هذا يكون خير دار على العموم.

ثم نبه على فضائل أهل البيت عليهم السلام و ذكر أنهم موضع سر الله، و أن أعداءهم ما بين الفجور والغرور والثبور لا يكون أحد من الخلق معهم سواء بأنهم الاساس والأصول، يفيء و يرجع إليهم كل من غلا و تجاوز الحد و تابعهم^(١) و شايعهم يلحق بهم.

(أما رواية الخطبة فعن أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، عن الشيخ الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق، عن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي عاصم، عن أبي هاشم الزماني محمد بن

فيصل السري بن إسماعيل، عن سفيان بن أميل عن الحسن بن علي عن أبيه
عليهما السلام^(١).

(٣) و من خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية

أَمَّا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ^(١)، وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ
الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَ لَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ؛
فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا. وَ طَفِقْتُ أَرْتَبِي بَيْنَ أَنْ
أُصُولَ بَيْدِ جَدَاءٍ^(٢) أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَ
يَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَ يَكْدُحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى^(٣) رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ
الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجِي، فَصَبْرْتُ وَ فِي الْعَيْنِ قَدَى، وَ فِي الْحَلْقِ
شَجَا؛ أَرَى تُرَائِي نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدَلَى بِهَا إِلَي
فُلَانٍ^(٤) بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعَشَى)^(٥).

سْتَانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَ يَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ
فِيَا عَجَبًا!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقْبِلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ
وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ

٢- في ر: والجزاء بالجيم والخاء.

٤- في ح و ض: إلى ابن خطاب.

١- في ض و ح: ابن أبي قحافة.

٣- في م: يلقي فيها ربه.

٥- ساقطة من ح.

كَلْمَهَا وَ يَخْشَنُ مَسَّهَا^(١) وَ يَكْثُرُ الْعِتَارُ فِيهَا وَ الْإِعْتِدَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا
كَرَّابِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْتَقَ لَهَا خَرَمَ وَ إِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمِنِّي^(٢)
النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبِطٍ وَ شِمَاسٍ، وَ تَلَوْنٍ وَ اعْتِرَاضٍ^(٣)؛ فَصَبْرَتْ
عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَ شِدَّةِ الْمِحْنَةِ.

حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا
لِلَّهِ وَ لِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ
أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ!! لِنَكْيِي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُؤُوا، وَ طِرْتُ إِذْ طَارُوا؛
فَصَعَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضْغَنِهِ وَ مَالَ الْآخَرَ لِصَهْرِهِ^(٤) مَعَ هَنِ وَ هَنِ إِلَى أَنْ
قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنِيهِ، بَيْنَ نَشِيلِهِ وَ مُعْتَلْفِهِ، وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ
يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ انْتَكثَ^(٥) عَلَيْهِ
فَتْلُهُ، وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَ كَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ.

فَمَا رَاعِنِي إِلَّا وَ النَّاسُ إِلَى كَعْرِفِ الضَّبْعِ^(٦) إِلَيَّ؛ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ، وَ شُقَّ عِطَافِي^(٧) مُجْتَمِعِينَ
حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكثَتْ طَائِفَةٌ^(٨) وَ مَرَقَتْ
أُخْرَى^(٩)، وَ فَسَقَ آخَرُونَ^(١٠) كَانْتَهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا^(١١) اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ:

١- في ر: يعظم كلمها وفي ك: في ناحية خشناء.

٢- من باب التفعيل.

٤- في ك: و مال رجل واصغى آخر لصهره.

٥- في ض وح: الى ان انتكث قتله.

٧- في ض وح ول: وشق عطفاي.

٩- في ك: وروي وقسط اخرى.

٣- في حاشية م: بتلون واعتياض.

٦- في ض: و الناس كعرف الضبع.

٨- في ك: نكصت طائفة بالصاد.

١٠- في ض: وقسط آخرون.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

بلى! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَ لَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَ رَاقَهُمْ زَبْرُجُهَا^(١٢). أَمَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيِ الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَيِ كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَ لَا سَعَبِ مَظْلُومٍ لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَيِ غَارِبِهَا، وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِهَا، وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ.

قَالُوا: وَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَيِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَابًا، فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ (فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ قِرَاءَتِهِ)^(١٣) قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اطردت^(١٤) مقالتك مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ.

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَوَاللَّهِ مَا أَسْفَتْ عَلَيِ كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي^(١٥) عَلَيِ ذَلِكَ الْكَلَامِ أَنْ لَا يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَيْهِ السَّلَام - بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ.

١١- في ض و ب وح: لم يسمعوا كلام الله.

١٢- في م: وأراقهم زبرجها.

١٣- ساقطه من ب وح.

١٥- في ض و ح: على هذا الكلام.

١٤- في ض و ب: لو اطردت خطبتك.

بيانه

قوله عليه السلام في هذه الخطبة «كراكب الصعبة ان أشنق لها خرم، و إن أسلس لها تقحم»، يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام و هي تنازعه رأسها خرم أنفها، و ان أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها.

يقال: أشنق الدابة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه و شنقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق، إنما قال أشنق لها و لم يقل أشنقها لأنه جعله في مقابلة قوله أسلس لها، فكأنه عليه السلام قال: ان رفع رأسها بالزمام - يعني أمسكه عليها.

في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خطب الناس و هو على ناقه قد أشنق و هي تقصع بجزتها، و من الشاهد على أن أشنق بمعنى شنق قول: عدي بن زيد العبادي:

ساءها ما بناتين في إلا يدي و اشناقها إلى الأعناق
قوله: «لقد تقمصها ابن ابي قحافة»، فانه أراد إنه لبس الخلافة و اشتملت عليه كما يشتمل القميص على لابسه.

والمراد بقوله: «و إنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي»، أن أمر الخلافة عليّ يدور و بي يقوم، و إنه لا عوض عني فيها و لا بديل مني لها بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم أي دخل في هذه الأمر و قعد في مجلسي مع علمه بأنه ليس من أهله، و إنه يقوم بي كما أن قطب الرحي و هو الحديدة الموضوعة وسطها عليها مدار الرحي.

و لو لا هي لما انتظمت حركتها و لا ظهرت منفعتها، ثم استأنف كلاما آخر فقال: «ينحدر عني السيل»، و ليس هذا متصلاً بالكلام الأول من ذكر

قطب الرحي.

المراد به أنني عالي المكان، بعيد المرتقى لأن السيل (لا ينحدر الا عن الأماكن العالية والمواقع المرتفعة أي أنا فوق السيل)^(١) بحيث لا يرتفع الي فالسيل نازل عن درجتي، ثم أكد هذا المعنى بقوله:

«و لا يرقى الي الطير»، لأنه ليس كل مكان علا عن استقرار السيل عليه و اقتضى تحدره عنه يكون مما لا يرقى إليه الطائر.

فان هذا وصف يقتضي بلوغ الغاية^(٢) والارتفاع ثم قال: «لكني سدلت دونها ثوباً»، فعنى سدلت ألقيت بيني وبينها حجاباً، أي تزهدت عن طلبها، و عزفت نفسي عنها و حجبت بدني عن مرامها^(٣).

«و طويت عنها كشحاً»، نظير القرينة الاولى، و معناه أي أعرضت عنها و عدلت عن جهتها، و من عدل عن جهة إلى غيرها فقد طوى كشحه أي خاصرته عنها «و طفقت أرتئي»، أي ظللت أجيل رأبي، بين أن أحمل على القوم مع قلة الناصر.

اليد المقطوعة: كناية عنه أو اصبر على ظلمهم المظلم مكان الرأي أن أصبر و طفق: بمعنى ظل و أرتئي افتعل من الرأي و التدبير و رحم حذاء و جذاء إذا لم توصل.

والجذاء بالجيم والحاء: القطع (و معنى يد حذاء بالحاء غير المعجمة أي بيد قصيرة أي لا أعوان لها، و منه يقال: للقطاء الحذاء لقصر ذنبها و قصيدة حذاء خفيفة الوزن)^(٤).

الصولة: الحملة. والطحية: الظلمة، و وصفها بالعمياء مجازاً إذ لا يكاد

٢- في ج: بلوغ الغاية في العلو.

٤- بين الهلالين: في الرضوية.

١- بين الهلالين: في الرضوية.

٣- في م: و حجبت يدي عن مرامها.

يبصر فيها الدين، و زُوي و يشيب، كقوله: «يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا»، لشدة ذلك و هاتا بمعنى هذه و أحجى: أولى والشجى: ما اعترض في الحلق أي صبرت مع الغصّة في حلقي.

المؤمن في تعب حتى يلقي الله: و نكر لفظة مؤمن شياعاً. والترات: الميراث، أي أرى حقي من الامامة و خلافة الرسول الذي ورثته بنصه عليّ و إشارته اليّ نها: غارة مقسمة متداولة موزعة، حتى هلك فأدلى بتلك الخلافة إلى ابن الخطاب، بعد موته، من قولهم أدلى بماله إلى الحاكم إذا دفعه إليه رشوة أرادها ألقاها إليه، و أرسلها إلى جهته كإدلاء الدلو في البئر أي إلقائها منها.

و أما انشاده بيت أعشى قيس فالغرض في تمثله به تباعد ما بينه و بين القوم، لأنهم ظفروا بما قصدوه، و اشتملوا على ما اعتمدوه، و رجعوا بطلاهم و هو عليه السلام في أثناء ذلك كله محقق من حقه مكّد من نصيبه فالبعد كما تراه بينهم بعيد و الاختلاف شديد والاستشهاد^(١) واقع موقعه و وارد في موضعه.

فحيان هذا رجل من بني حنيفة كان ينادم الأعشى و هو من سادات بني حنيفة فأراد يا بعد ما بين يومي على كور المطية، و رحلها أدب و أنصب في الهواجر و بين يومي وادعاً منادماً لحيان في نعمة و خفض و أمن و خصب.

و كان كذا حال علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه و آله و بعده تغيرت، و زُوي أن حيان عتب على الأعشى كيف نسبه إلى أخيه مع استغناء حيان بشرفه عن ذكر أخيه فاعتذر الأعشى أن القافية ساقته إلى

ذلك فلم يعذره.

ثم تعجب من دقيق محاسبتهم^(١) و شديد مناقشتهم لأن من يستقيل من أمر على ظاهر الحال يجب أن يكون زاهداً فيه متبرماً به، و هذا ايماء إلى ما كان من الأول من قوله: أقبيلوني اذ لست بخيركم و من عقد لغيره و وصى به إلى سواه فهو على غاية التمسك.

ثم أقسم فقال: «لشد ما تشطرا ضرعي ناقة الخلافة (و هذا استعارة أي اقتسما منفعتها و تناصفا. من الشطر الذي هو النصف فلما وصى إليه بالخلافة)^(٢) صير مطيتها في حوزة أي في ناحية خشناء يجفو مسها و يعظم كلمها. و هو تعريض بجفاء خلق الرجل الثاني و نفار طبعه.

ثم شبه ذلك براكب الصعبة التي ما ذللت و لا ريضت فهي بين خطتين ان أرخى لها الزمام توجهت به حيث شاءت حتى أوقعه في المهالك و ان ضيق عليها الشناق: خرق أنفها لأن الزمام يتصل بالانف فاذا والى بين جذبه لشدة إمساكه خرقة فبلي الناس بخطط و هو السير على غير جادة و حلف على ذلك ببقاء الله.

الشماس: النفار، والتلون: التقلب والتبدل والاعتراض نوع من التغير، و ترك لزوم العقد و جادة الطريق، و قيل أي كانوا يعترضون عليّ في أفعالي ثم ذكر شدة محنته و صبره بطول مدة عمر الثاني إلى أن هلك، فجعل الخلافة في ستة و هم أصحاب الشورى طلحة و زبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن ابى وقاص و عثمان و الامام علي، فصرح عليه السلام بدم الشورى و الانفة من الاقتران ممن لا يساويه.

ثم ذكر مقارنته و مباهلته و استصلاحه فقال: «لكني أسففت» أي

أجري معهم على ما يجرون، من أسف الطائر: إذا دنا من الأرض في طيران. فصفا سعد بن أبي وقاص لحقده، و مال فانه كان منحرفاً عن الامام على فانه عليه السلام كان قتل أباه بيدر، و هو أحد من قعد عن بيعته في وقت رجوع الأمر إليه و مال عبد الرحمن بن عوف لصهره، كانت بينه و بين عثمان مصاهرة معروفة، فقعد الأمر و مال إليه بالمصاهرة.

و هي أن عبد الرحمن بن عوف كان زوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، و أمها أروى بنت كرز و أروى أم عثمان فلهذا قال: صهره، و قال: عمر للناس كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، قال العباس للامام علي عليه السلام: ذهب الأمر منا، والرجل يريد أن يكون الأمر لعثمان.

فقال الامام علي عليه السلام: اني أدخل معهم في الشورى لأن عمر قد استأهلني، الآن للامامة، و كان من قبل يقول: ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ان النبوة والامامة، لا يجتمعان في بيت واحد و اني لأدخل في ذلك ليظهر ليكذب هو نفسه^(١) مما روى أولاً.

و قوله: «مع هن وهن»، أي لامور عظيمة شديدة، وهن كلمة كناية، و معناه شيء و أصله هنوء و نفج ثدي المرأة قيصها أي رفعه، والحضن: ما دون الابط إلى الكشح، و هو الصدر والعضدان و ما بينهما.

و نثيل: الروث و بين نثيله و معتلفه: أي بين الموضع الذي يروث فيه والموضع الذي يأكل منه، و قام جميع بنى أمية مع الرجل الثالث يأكلون مال الله خضماً بجميع أفواههم، و منه قول أبي ذر يخضمون و نقضم والموعد الله. والنقضم: الأكل بأطراف الأسنان، والنخضم: بالفم كله، و ذلك بالاشياء

الرطوبة أي اكلو الدنيا أكل الابل نبات الربيع، و في نباته ما يهلك.
الانتكاث: الانتفاض إذا تزايلت قوى الحبل وأجهز عليه عمله: أي قتله فعلة والاجهاز لا يستعمل الا في اتمام قتل الجريح على إسرار.
البطنة: كثرة الاكل والسرف في الشبع و ذلك غير محمود في ذوي الفضل. والضبع: ذات عرف كثير. و ينثالون: أي يتتابعون و يتزاحمون و ينصبون على كثيرين مثل كثرت عرف الضبع حتى زحم علينا بجيئ وطأ الحسن و الحسين والحسان كناية عنها و غلب في التثنية اسم الكبير على الصغير.

قيل: هما ابهاما الرجلين. والعطف: المنكب و زوي عطافي و هو الرداء شبههم بالغنم الرابضة لقلّة فطنتها و بعد تأملها والعرب تصف الغنم بالعباوة و قلة الذكاء.

ثم قال: فلما قت بالأمر نكت طلحة والزبير و من معها و مرق الخوارج، و فسق معاوية و أصحابه و زوي و قسطت، و حليت تزينت في [أعينهم من الحلي و راقهم: أعجبهم. والزبرج: كالزخرف و هو ماله ظاهر جميل و باطنه، بخلافه.

ثم قال: انّ الفرض تعين عليّ و توجه اليّ مع وجود من أنتصر به في الظاهر على دفع المنكر و منع الباطل، و أبين لكل من لا علم له بسبب قعودي في أول الأمر مع النهوض^(١) في حرب الجمل، و ما بعدها أن ذلك لفقد الأنصار، أولاً و حضورهم ثانياً^(٢).

والكظة: الامتلاء من الطعام و معنى «ألقىت حبلها على غاربها»، أي تركتها و تخلّيت منها، والغارب أعلى السنام و إذا ألقى زمام البعير على

غاربه فقد خلي بينه و بين اختياره «و لسقيت آخرها بكأس أولها» أي لولا اجتماع هؤلاء الآن لكنت استعملت في آخر الأمر ما استعملت في أوله والعفطة: عطسة عنز أو ضرطته.

الشقشقة: التي يخرج البعير عند قطمه و غضبه، أراد عليه السلام أنها سورة التهبت ثم خمدت و نشأت ثم وقفت، والكلام يتبع بعضه بعضاً فإذا قطع انحل نظامه: و لما اقتضى عبد الله بن العباس بقية الكلام و قد انقطع بما اعترضه و زال عن سنته، اعتذر عليه السلام في العدول عن تمامه بانطفاء ناره و تلاشي دواعيه.

أما الرواية للخطبة فعن الشيخ أبي نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم ابن اليون ارتي^(١)، عن الحاجب ابي الوفاء محمد بن بديع و أبي الحسين أحمد ابن عبد الرحمن الذكواني، عن ابي بكر مردويه، عن سليمان بن أحمد الطبراني عن أحمد بن علي الأبار عن اسحق بن سعيد بن سلمة الدمشقي عن خلود بن دعلج عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال: كنا مع علي عليه السلام بالرحبة فجرى ذكر الخلافة و من تقدم عليه فيها فقال: «أما والله لقد تقمصها إلى آخرها...».



(٤) و من خطبة له عليه السلام

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ، وَ تَسَنَّمْتُمْ العُلْيَاءِ، وَ بِنَا انفجرتم عَنِ السَّرَارِ وَ قِرَّ سَمْعُ لَمْ يَقْفِهِ الوَاعِيَةَ، وَ كَيْفَ يُرَاعِي النُّبَأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ رَبَطَ^(١) جَنَانَ لَمْ يُفَارِقْهُ الخَفْقَانُ؛ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبِ العُدْرِ وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُعْتَرِّينَ سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَ بَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الحَقِّ فِي جَوَادِّ المَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لَا دَلِيلَ، وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لَا تَمِيهُونَ^(٢).

الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ العَجَمَاءَ ذَاتَ البَيَانِ عَزَبَ^(٣) رَأْيِي امْرِي تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَّكَتُ فِي الحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ^(٤) لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ: أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الجُهَّالِ وَ دُولِ الضَّلَالِ^(٥).
الْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَ البَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

١- في ر: و روي ربط على ما لم يسم فاعله.

٢- في حاشية م: ولا يميون.

٣- في ض: غرب رأى امرء.

٥- في حاشية م: دولة الضلال.

٤- في م: منذ رأيت.

بيانه

قال أبو علي مسكويه^(١) خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل طلحة والزبير و قوله تسنمت: أي علوتم أي كنتم خاملِي الذكر فشرفتم بنا: و اشتقاقه من السنام.

السرار: آخر ليلة من الشهر و ربما كان ليلتين والفجر: في آخر الليل كالشفق في أوله و يقال: منه أفجرنا و انفجرنا يقول: بسببنا و ببركتنا دخلتم في فجر الدين عن ظلمة الجاهلية، و هذا استعارة، أي متخلصين عن السرار.

ثم ذكر كلمات كأنها أمثال أولاً على سبيل الدعاء صمت اذن من لم يفهم الصارخة و لم يتدبر العبر التي كان فيها الصوت والجملة و يقال: وقر الله أذنه و وقرت أذنه على ما لم يسمّ فاعله.

وقرت: بكسر القاف و فتح الواو لازم، أي صم سمعه ثم قال: كيف يعتبر بكلامي من تغافل، أو غفل عن تدبر كلام الله، و النبأ: الصوت الخفي، والصيحة: الصوت العالي أي من لم يراع عظام الأمور كيف يمكنه مراعاة صغايها.

فان من لم ينتفع بموت آبائه و أمهاته و هلاك من كان قبله من الجبابة كيف يتنبه بوعظ واعظ، ثم دعا لمؤمن يكون قلبه أبداً على خوف و وجل و زوي ربط على ما لم يسم فاعله أي ربط الله (و ثبت قلباً لا يزال يخفق من خوف العقاب و إذا زوي ربط)^(٢) بفتح الراء فتقديره ربط قلب له

١-الحكيم أبو علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه الخازن الرازي كان من أعيان العلماء و اركان الحكماء صحب الوزير المهلي في أيام شبابه إلى أن أتصل بخدمة عضد الدولة فصار من كبار ندمايه له مؤلفات في المحكمة توفي سنة ٤٢٦هـ.

٢-بين الهلالين ساقط في ج.

و جيب من خشية الله نفسه و عزائه و بقينه، فيكون المفعول محذوفاً و لم يفارقه الخفقان: صفة جنان نبه عليه السلام أولاً قريشاً على عظيم شأن آل محمد عليهم السلام و خاطبهم.

فقال: «ان من اهتدى منكم كان ذلك بهدايتنا، و من شرف بعز الاسلام فهو بداللتنا»، ثم ضرب مثلين لمن تغافل، و لم يتفكر و دعا لمن استبصر و خشى، ثم ذكر جملة على سبيل الخطاب لطلحة والزبير و من كان سبب حرب الجمل.

فقال: «إني لم أزل أتفرس فيكم الغدر و كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم ناجاني بنكت العهد منكم في العاقبة فكنت أنتظر ذلك و توسمت فيه الخير» أي تفرست و وسمته بكذا و توسمته به إذا ائرت فيه بسمة و كي و إذا أمرت منه قلت توسمته.

و قوله: «سترنى عنكم جلباب الدين»، أن حالت الديانة بيني و بينكم فلست آخذكم على ما أقهركم به فكاني لا أراكم و لا ترونني، و روي ستركم عني جلباب الزينة و هذا ظاهر، و أما بيان الرواية الأولى المعروفة فموردها على الوعيد و التهدد للقوم في تناقلهم عن نصره و مخالفتهم لأمره و استهانة بعذره و نذره كما يقول: أهدنا لغيره إذا استهان بحق القائل و استخف بأمره و نهيته أنت لا تعرفني و لو شئت لعرفتكم نفسي.

فيكون معنى الكلام «سترنى عنكم جلباب ديني» منعني من أن أعرفكم بما أقوى عليه من وجوه تقويمكم و تأديبكم، و ذلك إنكم لا تستقيمون إلا بالخشونة و العنف أو بالظلم و العسف و أنواع الحيف، و ينعني ديني عن ذلك كما قال: في موضع آخر «و اني لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم». لكن لا أرى اصلاحكم بافساد نفسي، و يجوز أن يكون المعنى إن

الدين والتزام حكمه حكم بالأغضاء عنهم و سحب الذيل على أذاهم^(١) كما قال: «كم أغضي الجفون على القذى» إلى آخره وقال: «التقيّ ملجم و كان هذا دأبه مع القوم».

فاذا كان كذلك فكان جلاباب الدين قد غطى عليهم و لم يرخص في الكشف عنهم، فقلوه: «سترنى عنكم»، اما أن يكون على القلب أي ستركم عني و يقويه الرواية الأخرى التي قدمناها، و أما أن يكون على معنى أنه إذا سترهم عنه فقد ستره عنهم، لأن الجلاباب إذا كان بينه و بينهم فقد صار حاجزاً ساتراً للجانبين و لكل واحد منهم عن الآخر معنى.

«و بصرنينكم صدق النية»، أي صدق النية مني قد بصرنى أحوالكم، فيكون من باب قوله: المؤمن ينظر بنور الله و يحتمل وجهاً آخر و هو أن يكون المعنى إنما أخفى رتبتي و منزلتي عليكم و ما أنا متعاطيه من التخلق بأخلاق الديانة، و هو أنه لا يعرفهم نفسه بمفاخرها و مآثرها.

فيكون من باب قوله: «انّ هاهنا علماً جما لو أصبت له حملة»، أو من باب ما قيل المؤمن يعضّ من نفسه و على هذا يكون معناه إنكم إذا صدقتم نياتكم و نظرتم بأعين لم تطرف^(٢) بأهداب الحسد والغش و أنصفتموني أبصرتم منزلتي.

ثم قال: «محرضاً لهم على طلب العلم في الشرع منه و درايته فلعلهم يستضيئون بدلالته و هدايته و ذكر أنه عليه السلام مقيم لأجله^(٣)، على طريق الحق في جواد يضل فيه الطريق.

و لو طلبتم بعد رسول الله غيري هادياً ما وجدتم، و لو حفرتم بمعول

٢- في ج: لم تطرف الحسد.

١- في م و ج: و سحب ذيل العفو عنهم.

٣- في م و ج: مقيم لأجلهم

النظر في ذلك لما أمهتهم»^(١). والسنن: الطريقة، يقال: استقام فلان على سنن واحد وامض على سنتك و سننك أي على وجهك، و تتح عن سنن الطريق أي عن وجهه.

السنة: السيرة، و يقال: أرض مضلة بفتح الضاد و كسرهما التي يضل فيها الطريق و العجباء صفة موصوف محذوف، أي أنطق لموعظتكم الكلمات العجباء التي لا يكون لها نطق في الحقيقة.

فاذا نظر فيها الناظر و تأمل أطلع على ما يفيد و يكون له فيها فائدة و عائدة^(٢)، فكأنها ذات بيان فالعجباء إشارة إلى ما يذكر في هذه الخطبة من الرموز تشبها بالعجباء من الحيوان.

يعني أعرض عليكم الأدلة التي لا محيص لكم عنها فكأنها تنطق و لا لسان، و تقول و لا بيان إذ الأدلة منطوق بلسان الحال^(٣) و إن كانت يعجز عن المقال كما قيل: ما الأمور الصامتة الناطقة، فقال: الدلائل المخبرة والعبر الواعظة.

ثم ذكر خمس كلمات كلها غرر فقال: «من تخلف عني فقد عزب رأيه»، إذ رضي بالطريقة الجاهلية لأن من لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، ثم نبه على كونه معصوماً بأن قال: أنا منذ حصلت المعارف الواجبة ما دخلني شك قط بعد ذلك.

فأنا على اليقين و من ضل عني فهو شاك كافر و أنا أخاف على الأمة غلبة معاوية و أصحابه و دولة أمثاله فان ما أخبر الله به عن كليمة عليه السلام بقوله: «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى»^(٤).

٢- في م: فائدة عظيمة.

٤- طه: ٦٧.

١- الامه: النسيان.

٣- في م و ج: ينطق بلسان الحال.

فانه خاف أن تلتبس على الناس سحر السحرة و تطول دولة فرعون
فتصير القلوب قاسية، و قد كان من قبل في أيدي الناس الحق و الباطل
(فلما رجع الأمر إليّ تواقفنا على سبيل الحق و الباطل)، أي أنا وأصحابي
على الحق وأعدائي على سبيل الباطل^(١).

ثم قال: ان استظهرتم بي و بمكاني و بعلمي اكتفيتم و لم تحتاجوا إلى
غيري في الأمور الدينية فان كان معه ماء زلال لا يصير عطشان كما لم
يعطش قبل ذلك لما وثق بالماء.

وأما الراوية فعن جماعة عن جعفر الدوريسي عن أبيه محمد
ابن العباس، عن محمد بن موسى عن محمد بن علي الاسترآبادي عن
علي بن محمد بن سيار عن أبيه عن الحسن العسكري عن آبائه عن
أمير المؤمنين عليه السلام.



(٥) و من كلام له عليه السلام

لما قبض رسول الله صلى الله عليه و اله و خاطبه العباس و أبو
سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة.

أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَ عَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ
الْمُنَافَرَةِ وَ ضَعُوا تَيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ
فَأَرَاخَ مَاءً^(١) آجِنٌ، وَ لُقْمَةً يَعْصُ بِهَا آكِلُهَا. وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ
وَقْتِ إِنْبَاعِهَا كَالزَّرَّارِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى
الْمُلْكِ، وَ إِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتِيَّ وَ
الَّتِي، وَ اللهُ لِأَبْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْسٌ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثُدْيِ أُمِّهِ، بَلِ
انْدَمَجَتْ عَلَى مَكْتُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ
فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.

بيانه

رُوي إنه لما تم في سقيفة بني ساعدة لأبي بكر من البيعة، أراد أبو

١- في ض و ب وح: هذا ماء آجن.

سفيان بن حرب أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً فيكون في ذلك دمار الدين^(١)، واندراسه فشى إلى العباس بن عبدالمطلب.

فقال: له يا أبا الفضل ان هؤلاء القوم ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم وجعلوه في رذل تيم وانه ليحكم فينا غداً هذا الفظ الغليظ من بني عدي قم بنا حتى ندخل على عليّ و نبايعه بالخلافة فأنت عم رسول الله و أنا رجل مقبول القول في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم قتالاً شديداً و قتلناهم إلى آخرهم.

فأتوا أمير المؤمنين و ذكر أبو سفيان له يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر متى كنا تبعاً لتيم الأرزال و كان الامام علي عليه السلام علم أن أبا سفيان لا يقول ذلك غضباً لدين الله فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان قد شافهه لجميع ما يكون، بعده بوحي من الله.

و أمره بلزوم البيت والسكوت لفقد الأنصار و ازدياد الفساد فساداً إن حرك يداً في ذلك فقال مجيباً له بهذا الكلام و معناه أنه يقول: يا معشر الناس إن هذه فتن قد تلاطمت أمواجه فاعبروها بسفينة النجاة وانصرفوا عن التفاخر وضعوا تاج التكبر.

و كيف أنهض في طلب حقي بلا ناصر و لا معين، فان المفلح و الظافر ببغيته من إذا قام في طلب أمر عظيم كان له في ذلك جناح و معين يكون معه يداً واحدة، و من لم يجد الناصر على مثل ذلك ليس له إلا الاستسلام، والانتقياذ فيستريح الناس، ثم هذه الدنيا فانية بمنزلة ماء ممتن لا ينتفع به شاربه و كلقمة من الطعام ذات غصة.

هؤلاء قد زرعوا في غير أرضهم فلا فائدة لهم و لا طائل تحت ما

فعلوا وأنا لو طلبت أمراً بغير وجه مطالبته و في غير وقته لم أظفر في ذلك، فيختل عاقبة أمري كاختلال الزارع في غير أرضه.

ثم إني لا يمكنني إلا رضا الخالق فرضا الخلق غاية لا تنال، (فان أقل لم أخذتم حقي)^(١) قالوا: ان علياً لحريص على الملك، وإن لم أتكلم في ذلك قالوا: يخاف على أن نقتله ان نطق في الخلافة^(٢).

ثم قال: ليس الأمر على ما يظنون فان سروري بالموت مثل سرور الطفل عند الارتضاع و لو أظهرت مما أعلم في ذلك شيئاً قليلاً لا اضطربتم بسببه مثل اضطراب الحبل في البئر التي لها قعر عظيم.

«شق إمواج الفتن» - استعارة - «و سفن النجاة»، هم أهل البيت لقول النبي ﷺ مثل أهل بيتي كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. و انعرج الشيء: انعطف و عرجته عطفته على هذا مفعول عرجوا عن طريق المنافرة محذوف، أي عرجوا أنفسكم عنها.

قيل: التعرّيج على الشيء: الاقامة عليه، يقال: عرج فلان على المنزل إذا حبس عليه مطيته، والتقدير على هذا عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة و هي المحاكمة في الحسب.

قوله: «أفلاح من نهض بجناح»، مورده على سبيل المثل و هو إشارة إلى نفسه ﷺ يعني لا ناصر له والاستسلام: الانقياد. والماء الآجن: المتغير. و ايناع الثمر: ادراكها، وإنما يقولون: جزع من الموت: لأنه سكت و لم يقا تل القوم. واللثيا و التي: الداھية الكبرى و الداھية الصغرى. و آنس: أسرّ.

اندج الشيء: دخل و استتر. و بحت به: أظهرته. والرشاء: الحبل، و الجمع أرشية. و الطوى: البئر المطوية بالحجارة و البعيدة: أي بعيد قعرها (و

أما اسناد رواية هذا الكلام و ما بعده فلم يحضرنى أصول ذلك وقت املائي
هذا الشرح فلذلك أخللت به^(١).

(٦) و من كلام له عليه السلام

لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال.
 وَ اللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ ^(١) تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا
 طَالِبُهَا، وَ يَخْتَلِهَا ^(٢) رَاصِدُهَا؛ وَ لَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ
 الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَ بِالسَّمْعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ
 عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْتِرًا عَلَيَّ ^(٣) مُنْذُ
 قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

بيانه

رُوي أنه لما كان من أمر عثمان ما كان و قتله بايع الناس علياً عليه
 السلام فأول من بايعه هو طلحة والزبير فلما رأيا أن لا نصيب لهما في ذلك
 على الخصوص استأذنا أمير المؤمنين في الخروج إلى مكة للعمرة فقال لهما

٢- في م: ويختلسها راصدها.

١- في م: لا اكون مثل الضبع.

٣- في م و ل: مستأترأ على غيري مذ.

علي عليه السلام: انكما لا تخرجان الا لثقت العهد والفساد بين المسلمين فحلفا أنها لا يريدان الا العمرة.

فلما دخلا مكة وكانت عائشة بها استخرجا (حبيس رسول الله) ^(١)، وحملاها إلى البصرة في جماعة معهم مروان بن الحكم، ولما دخلوا البصرة قتلوا جماعة من أصحاب أمير المؤمنين كثيرة غدرًا فاستنفر عليه السلام الناس ليخرج إلى البصرة. فأشار ^(٢) أسامة بن زيد ^(٣)، إليه عليه السلام أن لا يخرج خلفهم وأن لا يجعل القتال، برصدهما فأقسم عليه السلام أنه لا يكون قاعدًا هناك حتى يجتمع عليه طلحة والزبير، بعسكرهما فان ذلك مثل من لا عقل له كالضبع في جحرها يدخل عليها قوم ويقولون: خامري ام عامر و البشري ام عامر بلحم سمين و خير كثير و هو يتاغفل و يعقدون الحبل في رجلها و تغافل فاذا وصل اليها الشر فلا ينفعها ^(٤).

ثم قال: و أنا اليوم أجد أنصاراً على الحق فليس لي القعود في البيت بل يجب عليّ مع التمكن محاربة أهل البغي علي و لما لم يكن في ظاهري ناصر من الناس كان لي العذر في قعودي، و هذا ليس أول ظلم يجري عليّ فاني منذ نقل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى جوار رحمة الله كنت مظلوماً إلى اليوم.

الدم: صوت الحجر يقع على الأرض و ليس بصوت شديد، و قيل: ان الضبع إذا سمع الدم خرج فاصطيد.

قال الاصمعي: الدم صوت الشيء يقع بالأرض و ليس بالصوت

١- بين المهملين في الرضوية. ٢- في ج: فأشار بعض أهل الكوفة.

٣- أسامة بن زيد بن حارثة وقيل أبو زيد مولى رسول الله ﷺ واستعمله النبي وهو ابن ثمانية عشر سنة على المهاجرين والانصار وأجهزه وامره بغزو الروم ثم تخلفوا عنه إلى ان توفي رسول الله ﷺ و حديثه مشهور.

٤- في ج: فلا ينفعها صباحها.

الشديد، و في الحديث: والله لا أكون مثل الضبع يسمع اللدم حتى يخرج فيصاد، ثم يسمى الضرب لدماء فعلى هذا المراد بكلامه عليه السلام اني أخرج اليهم^(١) و أدفعهم بعون الله و أكفي المسلمين شرهما و شر من اتبعهما و لا أخرج خروج الضبع فتصاد.

ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام تدل المعنى الذي تقدم من أن الضبع تتغافل و تنام في جحرها مع طول سماعها صوتاً غير شديد على باب الجحر من علاج الصياد، و إذا كانت كذلك فهي تصاد لغفلتها. و أراب الرجل: صار ذا ريبة فهو مريب، والريبة: التهمة والشك. و قوله: «و كنت مستأثراً عليّ»، أي اختاروا علي قديماً من لا يساوي.



(٧) و من خطبة له عليه السلام

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ^(١) لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً، فَبَاضَ
وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَ
نَطَقَ بِالسِّنْتِيهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدَّ
شَرِكُهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

(٨) و من كلام له عليه السلام

يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك
يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ أَقْرَّ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى
الْوَلِيَّةَ فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ؛ وَ إِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

(٩) و من كلام له عليه السلام

وَ قَدْ أَرَعَدُوا وَ أَبْرَقُوا وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَسْلُ؛ فَلَسْنَا
نُرْعِدُ^(١) حَتَّى نُوْقِعَ، وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمَطِّرَ.

(١٠) و من خطبة له عليه السلام

أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَ اسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجُلَهُ، وَ إِنَّ
بصيرتى لَمَعِي^(٢)؛ مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَ لَا لُبَّسَ عَلَيَّ. وَ ائِمُّ اللّٰهَ
لَأَفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَا تَحَهُ! لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ وَ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

بيانه

ذكر في الخطبة الاولى أئمة الضلالة الذين لا يفعلون ما يفعلون و لا
يقولون ما يقولون إلا على حسب هوى أنفسهم و اتباع الهوى يكون
بوسواس ابليس و تزيينه فكأنهم اتخذوه في جميع أمورهم مالكا لها يأمرهم

١- في ض و ح ول: ولسنا نرعد.

٢- في ص و ح ول: وإن معي بصيرتى.

بها و يأترون.

اتخذ اللعين هؤلاء المضلين أشراكاً، أي شركاء. والأشراك جمع شريك مثل شريف و أشراف، و قيل الاشراك جمع شرك كجبل و أجبال والشرك حباله الصياد الواحدة شركة

و زُوي لأمرهم ملاكاً، أي جعلوا وسواسه قواماً لامورهم فباض ابليس، أي وضع البيض في صدورهم، يقال باضت الطائر و فرخ الملعون أيضاً في صدورهم، أي دعاهم إلى الذنوب، فأجابوه و تمكن و رسخ وسواسه في قلوبهم، فمنها ما أبدى شروراً كثيرة، و أفراخاً جمّة و من تلك الوسواس^(١)، ما هو دون ذلك و دب، أي مشى مشياً رويداً و درج مشى كثيراً فيما بينهم.

فاذا ما نظروا إلى شيء فكأنه نظر بأعينهم و إذا نطقوا فكأنه ينطق بألسنتهم لأن جميع أحواله مصروفة في الفواحش و هم لا ينظرون إلا إلى المحرمات و لا ينطقون إلا بالباطل.

الخطل: المنطق الفاسد، ففعلوا فعل من يكون الشيطان شريكاً في مملكته فنصب فعل على المصدر من فعل مقدر، أو يكون منصوباً باتخذوا فيكون مصدراً من غير لفظ الفعل.

أما تفسير الكلام الذي هو كالجواب للزبير لما نكت عهده بعد البيعة و ادعى أنه و ان كان بايع باليد واللسان، فكان قد ورى و لم يكن في قلبه وقتئذ الوفاء بذلك و اتمامه.

فقال: عليه السلام انه مقر ببيعته لي و ادعى دخيلة و تورية فليثبت تلك الوليجة والا فليدخل في البيعة و كانوا في الجاهلية إذا عقدوا عقداً و

حالفوا أحدا استنكفوا نقض ذلك فكانوا كذلك بعد الاسلام.

يقول: أنت قد عاهدتني على معاونتي فكن على ما بايعتني عليه من النصرة و هو واجب على طريقتمكم أيضا.

ثم ذكر الكلام الآخر لأصحاب الجمل الخارجين عليه، يقول: كان لهم مع جنهم أرداد أو أبراقاً و توعده و تهدد و ان وعيدنا القتل يقال: وقعت بالقوم في القتال و أوقعت بهم بمعنى.

قوله «لا نسيل حتى نطر»، استعارة حسنة أكد بها كلامه الاول. ثم ذكر في الخطبة الأخيرة ما جرى بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الاختلاف و قال:

ألا ان الشيطان: استفتح بألاء تنبيهاً للمخاطبين أن الملعون جمع أصحابه و جلب فرسانه و رجالته من كل موضع عليّ و على خلافي و جلب و استجلب بمعنى و أن لبس ابليس عليهم أو لبسوا على أنفسهم فلست كذلك.

ثم أقسم بالله لا تركن حوضاً لهم أنا المستقي له: فانهم ييقون حيارى لا يخرجون من ذلك الحوض و لا يرجعون إليه و كأن هذا الكلام منه عليه السلام إشارة إلى الخلافة فيكون الكلام وارداً مورد شكايتهم و أنه يذكر لهم جميع مشكلاتهم، و يقال: أفرطت المزايدة إذا ملأتهما.

المعنى أن معاوية جمع الشاميين و والله لا ملأنَّ حوضاً من الشر والحرب لهؤلاء يتحسون منه لا يرجعون إلى مثله و لا يخرجون منه، و أنا مانع ذلك و هذا استعارة كقول الشاعر:

مخضت بدلوه حتى تحسا ذنوب الشر ملئى أو ترابا

و يقال فرطه: أي تركته و تقدمته و فرط، أي سبق و أيم الله: أصله أيمن الله و رفعه على الابتداء و خبره محذوف و حذف النون تخفيفاً، أي و

أيم الله قسمي و أيمن جمع يمين و همزته كالاصلية الا أنه كثر استعمالهم أيمن الله، فتصوره همزة الوصل.

رُوي لأفرطن، أي لا سبقن، بقوله عليه السلام لأ تركن فكأنه عليه السلام السبب لما يعود عليهم و رواية لأفرطن لهم، أي لأملأن يرجع أيضا معناه إلى هذا.



(١١) و من كلام له عليه السلام

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل
 تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلُّ! عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ، أَعْرِ اللَّهَ جُمُجُمَتَكَ،
 تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ، ازِمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَ غُضَّ بِبَصْرِكَ،
 وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

(١٢) و من كلام له عليه السلام

لما أظفروه^(١) الله بأصحاب الجمل،
 وَ قَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنْ أَخِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا
 نَصَّرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ.
 فَقَالَ لَهُ^(٢) عليه السلام: أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ
 شَهِدْنَا وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَضْلَابِ الرَّجَالِ وَ
 أَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَ يَتَقَوَّى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

٢- في ن: لما ظفر باصحاب الجمل.

١- في ن: فقال علي: اهوى

(١٣) و من كلام له عليه السلام

في ذم البصرة و أهلها

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَ أَتْبَاعَ الْبَيْهَمَةِ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَ عَقَرَ فَهَرَبْتُمْ،
أَخْلَقَكُمْ دِقَاقُ، وَ عَهْدَكُمْ شِقَاقُ، وَ دَيْنُكُمْ نِفَاقُ، وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقُ،
وَ الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَ الشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ
بِرَحْمَةٍ^(١) مِنْ رَبِّهِ، كَانِي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُو سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا
الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَ مِنْ تَحْتِهَا وَ غَرِقَ مَنْ فِي ضَمَنِهَا.

(و في رواية): وَ أَيْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بِلَدَّتِكُمْ حَتَّى كَانِي أَنْظُرُ إِلَى

مَسْجِدِهَا كَجَوْجُو سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ.

(و في رواية): كَجَوْجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

(١٤) و من كلام له عليه السلام

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، حَقَّتْ عُقُولُكُمْ وَ
سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَانْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَ أَكْلَةٌ لِأَكِلٍ وَ فَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

بيانه

وصى ابنه محمداً بسبع وصايا حسنة، يكون سبب استحقاق الفتح لما كان حامل الراية في الحرب التي جرها طلحة والزبير و مروان بن الحكم على باب البصرة، يقول: اعتماد عسكر أمير المؤمنين عليك فأنت تحمل رايتهم.

فمن ححك ألا تزول عن مركزك و أن لا تبرح من مقامك إلا إلى قدم، و إن زالت الجبال لشدة الواقعة و ثبت قلبك عاضاً على سنك الناجذ تحرق الارم^(١) على أعدائك غضباً لله، و جد برأسك في حفظ دين الله معيراً له تعالى جمجمتك فانه يرد العارية سالمة.

و لفظة أعر تنبىء أن محمد بن الحنفية لا يقتل في هذا المحاربة، و أمره أيضاً أن يجعل قدمه في الأرض كالوتد و لا يتأخر، و ارم أقصى القوم، و أبعدهم ببصرك: أي كلما قتلنا الذين يلونك من البغاة ينبغي إن يكون همتك إلى من بعدهم إلى آخرهم.

«غض بصرك»، أي انظر إليهم و لكن لا تعبا بهم: يأمره بنظر من يستقلهم لا نظر من يستكثرهم و يمكن إن يقال: البصر هاهنا هو حاسة الرؤية كما يفعله النظارة.

و في الكلمة الأولى البصر بمعنى العلم، والتبصر والتأمل و معنى القرينتين، أي لا تكثر النظر إلى جمعهم تأمل جميعهم لئلا يستعظموا في عينك و لكن كن^(٢) عارف أحوال كلهم من أولهم إلى آخرهم و لا تناقض بين قوله: «ارم ببصرك أقصى القوم» .

٢- في ج: وكن عارف أحوالهم.

١- ارم الأرض لم يترك اصلاً ولا فرعاً.

قوله «غض بصرک»، لأنه يقال: رميت ببصري أمراً عظيماً وإن لم يكن ثم نظروا علم أنك إذا احتملت الأذى في جنب الله فهو تعالى ينزل النصر والكلام الآخر واضح الالفاظ وهو سيرعف بهم الزمان: أي سيأتي بهم ويقال: رعى الشيء: يرفع، أي سبق و تقدم.

و أما كلامه في ذم أهل البصرة فلا اشكال في معناه ويقع في ألفاظه ما يحتاج إلى تفسير قال عليه السلام كنتم أتباع البهيمة: لأن الراكبة كانت في الهودج مستورة، ثم قال: رغا و عقر و إنما ذكر الضمير لأن مراده بالبهيمة حملها، وقيل: هي المراد باللفظة.

الرغاء: صوت البعير. و عقره: قطع ساقه. والشقاق: الخلاف والعداوة. والماء الزعاق: الملح، وهذا لا يكون عيباً على أهله كان النفاق الذي هو فعلهم القبيح، ولعله عليه السلام أراد أنه كالعقوبة لهم ثم قال: «الاقامة بين ظهرانكم»، هي الذنب والشخوص والذهاب من بينكم رحمة من الله فذنب المقيم عندهم الذي هو به مرتين هو اقامته بينهم، وجوء جُوء الطائر. والسفينة: صدرهما. و جثم الطائر: إذا تلبد بالأرض يجثم.

لجة البحر: معظمه. و إنما شبه مسجد البصرة بصدر السفينة والنعامة وقت نزول العذاب على أهلها بانفجار الماء الأسود من دورهم^(١) فيغرق ديارها لبقاء ذلك المسجد بحاله و ان انهدم ما حوله.

ثم قال: «ان البصرة بعيدة من السماء»، لا يسمع دعاء أهلها و لا يستجاب و أرضها تقرب من الماء الذي يغرقها و أهلها سفهاء يتخذهم كل ذي نبل مرمى لمطلبه مع أنهم لقمة لاكل، و رُوي لوسائل: أي لمن يصول و

يحمل عليهم.

قيل: فائدة قوله: «فانتم غرض لنا بل»، ان كلّ خارجي يأتي إليكم ليقوى بكم و أنتم ضعاف مع الخبث الظاهر منكم.

* * *

(١٥) و من كلام له عليه السلام

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

وَ اللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَ مَلَكَ بِهِ الإِمَاءَ، لَرَدَدْتُهُ
فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ.
أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ المَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ خَفَّتْ عُقُولُكُمْ
وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَ أَكَلَةٌ لِأَكِلٍ وَ فَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

(١٦) و من خطبة له عليه السلام

لما بويع بالمدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً، وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ العَبْرُ
عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثَلَاتِ حَجَزَةٌ^(١) التَّقْوَى عَنِ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا
وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ

١- في ض و ح و ب: حَجَزَتْهُ التَّقْوَى.

الهِ، وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لِنُبْلُلَنَّ بِلَبْلَةٍ، وَ لَتُعْرَبِلَنَّ غَرْبَلَةً وَ لَتُسَاطَنَّ سَوَاطَ الْقَدْرِ، حَتَّى يَعودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَ لَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوا وَ لَيَقْصِرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا.

وَ اللهُ مَا كَتَمْتُ^(١) وَ شِمَّةً، وَ لَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَ لَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَ هَذَا الْيَوْمِ؛ أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسُ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خِيلَتْ لُجْمُهَا فَتَفَحَّخَمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ؛ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَرِمَتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ، حَقٌّ وَ بَاطِلٌ، وَ لِكُلِّ أَهْلٍ، فَلَيْنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَ، وَ لَيْنَ قَلِّ الْحَقِّ فَلَرِيمًا وَ لَعَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

قال الشريف: أقول: إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به، وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجعها إنسان ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق. «وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ».

و من هذه الخطبة

شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ أَمَامَهُ، سَاعَ سَرِيحٍ نَجَا وَ طَالِبُ بَطِيءٍ رَجَا وَ مُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى الْيَمِينِ وَ الشَّمَالِ مَضَلَّةٌ وَ الطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَةُ عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ^(٢) وَ آثَارُ التُّبُوَّةِ، وَ مِنْهَا مَنْقُذٌ

١- في ك: مَا كَتَمْتُ وَ شِمَّةً بالسين وفي ع: وروى وشمة بالسين.

٢- في ر: وروى عليها في الكتاب وعلها آثار التُّبُوَّةِ.

السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ؛ هَلَكَ مَنْ ادَّعَى، وَخَابَ مَنْ افْتَرَى مَنْ
أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ.

وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى
سِنْخُ أَصْلِ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ. فَاسْتَرُوا فِي بُيُوتِكُمْ، وَ
أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَ التَّوْبَةَ مِنْ وِرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ،
وَلَا يَلْمُ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

بيانه

قطائع عثمان ما أدن لبني أمية في قطعها لأنفسهم خاصة من أرض
الحراج و نحوها من أموال بيت المال، يقال: أقطعه^(١)، أي طائفة من أرض
الحراج، بين إن مال المسلمين إذا غصبه غاصب يجب على الامام عند التمكن
أن يأخذ المغصوب و يرده على من يستحقه.

وإن تصرف فيه الغاصب تصرفاً شديداً بحيث لو اشترى به جارية
لكان من الواجب أن يسترد منه تلك الجارية إن اشترها بعين المغصوب، و
إن كان اشترها على ذمته.

ثم دفع المال المغصوب عوض ثمنها يأخذ ما يقاومه بدلا منه و يرد
على أربابه، و كذا إذا ما جعله الغاصب مهر الزوجة فان كان المغصوب عيناً
قائمة كالأرض و غيرها أخذها، و ان كان شيئاً استهلك أخذ قيمته و رده
على مستحقه، و إنما كان كذلك لأن العادل يسعه كل ما هو عدل أن يفعله.

يقال: وسعه الشيء يسعه سعة، و السعة: الجدة و الغنى أيضا، و في العدل سعة على كل أحد ضعيفا كان أو قويا، اذ ليس لعاقل استعمل عقله أن يدفعه عن ذلك، و من ضاق عليه أن يعدل بين الناس لضعفه فبأن يجور عليهم أعجز، لان للعبد دفعه عنه.

أما الكلام الذي تكلم به لما بايعه الناس بعد قتل عثمان، فقد قال أولاً: اني مرهون بجميع قولي و بما أقوله الان، و أنا ضامن بجميع ما أدلكم عليه أنه حق و هذا كالترغيب منه لهم في استماع كلامه و تدبره.

و الذمة: العهد و الامان، و يكنى بها عن العتق، يقال: هو في عنتي و في ذمتي، و بما أقول ما مصدرية أو موصولة. و الزعيم: الكفيل.

ثم قال: تفكروا في أحوال من كان قبلكم من الملوك و الجبابرة و الظلمة و الفسقة كيف أهلکهم الله هلاك الاستيصال، و ان كل من ظهر له نفس الاعتبار عن الاشياء التي بين يديه، أي قدامه من كل عقوبة، و مثله رآها منعة تقوى الله عن الدخول في كل شبهة.

ثم استفتح كلامه فقال: اعلموا يقينا أن البلاء نزل بكم كنزوله يوم بعثت محمد صلى الله عليه و آله و سلم ثم أقسم و قال لتحركن بالشدائد و النوائب تحريكاً شديداً، و لتغربلن في كل نازلة و حادثة عظيمة كغربلة الدقيق.

و قيل البلبلة الهم، و الغربلة الهلاك. و لتختلطن اختلاط القدر إذا جاشت حتى يصير كل رذل سيدا عليكم و كل عزيز يصير ذليلاً، ثم حلف بأنه ما كتم شيئاً قليلاً، و الوسمة: السمّة. و روي وشمة بالشين المعجمة، أي كلمة.

ثم بين ما أراد فقال: ان مثل كل خطيئة مثل فرس شمس لا لجام عليها تدخل براكبها في نار جهنم، و ان تقوى الله بمنزلة ناقة ذلول يكون

زماما في يد راكمها فتورده جنة الخلد، ثم قال: هذا حق و هذا باطل، (و لكل واحد منهما أهل أو يكون التقدير و في الدنيا حق و باطل)^(١).
فعلى الأول حذف المبتدأ، و على الثاني خبر المبتدأ (محذوف) ثم فصل ذلك بأن قال: فلئن أمر و كثر الباطل، ازمانا قديماً فعلة الناس، و لئن صار الحق قليلاً لربما يكثر و ترجع دولته.

ثم ذكر ما هو لتضجر بأحوال نفسه، فقال: هيهات ذلك إذا أدبر شيء في نادر يقبل و قيل: في قوله لقدما فعل: أنه بمعنى انفعل، كما يقال: جبرته فجبر مكان انجبر. و ما من فعل يذكر إلا و يكون فاعله ظاهراً و مضمراً إلا قلماً و طالماً، فانها يتركب ما خرجا عما هو الاصل و صارا ظرفين، نحو كلما.

ثم قال: من كانت الجنة قدامه و النار قدامه يجب أن يشغل عما سواهما، ثم ذكر كلاماً ذا شعب ثلاث، كأنه مقتبس من قوله تعالى: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ»^(٢).

فقال: الناس على ثلاث طبقات: اما ساع يسرع في الطاعات فانه ناج، أو مقصر في الواجبات فهو هالك، أو طالب للخير يتباطأ فيه فهو راج. فالاول هو المعصوم.

الثاني ذكرته في التفسير هو الكافر، و الثالث خلط عملاً صالحاً و آخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليه، ثم أمر بالتزام جادة الحق، فان يمينها و شامها مضلة يضل فيها، و على هذه الجادة امام معصوم هو باقي الكتاب، و هما الثقلان كتاب الله و عترتي الخبر.

و قيل: باقي الكتاب هو التأويل و الأوامر و النواهي التي في القرآن

جملته و في السنة تفصيله و زوي عليها ما في الكتاب و عليها آثار النبوة مما أمر عليه السلام أو نهى عنه.

و منفذ السنة: طريق الشريعة و الكلم الآخر واضحة إلا قوله: «من أبدى صفحته»، أي من تجرد لآظهار الحق و تشمر لتمشيته عند الجهاد، فانهم يسعون في هلاكه و إذا زوي من أبدى صفحته للحق هلك فقط فعناه من خاصم الحق فقد صار هالكا «و سنخ أصل»: مثل كرى النوم، السنخ. أصل مخصوص.



(١٧) و من كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل
 إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ
 جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ وَ دُعَاءِ ضَلَالَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ
 لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مُضِلُّ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي
 حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ وَ رَجُلٌ قَمَشَ
 جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ غَارٌّ فِي أَغْبَاشِ^(١) الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي
 عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ.

بَكَرٌ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا ارْتَوَى
 مِنْ^(٢) مَاءِ آجِنٍ، وَ اكْتَتَرَ^(٣) مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا
 ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ

١- في ح: عاد في اغباش. «م»: في اغطاش. الهامش اغباش الفتنة. «ك»: غاد في اغطاش. «ر»: و روى عاد في اغطاش الفتنة.

٢- في «ن» و «ح» و «ب» و «ل» و «ش»: من آجن.

٣- في «ن»، «ك»: و اكثر من غير طائل.

هَيَّأَ لَهَا حَشَوًّا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لُبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ:

لَا يَذْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَ
إِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابٌ
عَشَوَاتٍ لَمْ يَعْضْ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ يُذْرِي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ
الرِّيْحِ الْهَشِيمِ لَا مَلِيءٌ - وَاللَّهِ - بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَ لَا هُوَ أَهْلٌ
لِمَا فُوِّضَ ^(١) إِلَيْهِ لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ وَ لَا يَرَى أَنَّ
مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَذْهَبًا ^(٢) لِغَيْرِهِ وَ إِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اِكْتَمَّ بِهِ لِمَا
يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ.

تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءِ، وَ تَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ إِلَى اللَّهِ
أَشْكُو ^(٣) مِنْ مَعْشَرٍ يَعْيشُونَ جَهَالًا وَ يَمُوتُونَ ضَلَالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ
أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلِّيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْنَعَاءَ وَ لَا أَعْلَى
ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ لَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ
الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ.

١- في ساقطة من «م»، «ل»، «ش»: وفي بعض النسخ «لما قرظ به».

٢- في «ض» و «ح»: ما بلغ مذهبا لغيره.

٣- في «م» و «ل»: اشكو الى الله من معشر. «ن» و «ح» و «ش»: الى الله من معشر.

(١٨) و من كلام له عليه السلام

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا
بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بَعَيْنَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ثُمَّ
يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ^(١) عِنْدَ إِمَامِهِمُ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ
جَمِيعاً، وَاللَّهُمْ وَاحِدٌ وَ نَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَ كِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَمْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَاطَاعُوهُ أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ؟

أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَ
أَدَائِهِ، وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» وَ قَالَ:
«فِيهِ تَبَيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ» وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَ إِنَّهُ لَا
اِخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافاً كَثِيراً». وَ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى
عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَ لَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ.

١- في «ض» و «ح» و «ل» و «ش»: عند الامام الذي.

بيانه

يصف^(١) عليه السلام أولاً من يتعرض للقضاء من الأمة و لم يكن أهلاً له فقال: ليس أحد أبغض إلى الله من رجلين أحدهما انسان خذله الله و وكله إلى نفسه، عادل عن الطريق المستقيم، حريص بقول البدعة، فهو ضال مضل.

و الثاني انسان حفظ مقيسات^(٢) قوم في الشرع مغرور بذلك عم عن الحق، يقضي بين الخلق، و كلما ورد عليه مسألة شرعية اجتهد فيها برأيه بالحشو الرث و يقطع أن هو ما استخرجه^(٣) و ان كان عنده مظلوناً لا معلوماً، يخبط بالجهل، و لا يعلم أن ما وراء ذلك ما هو خير منه، فللدماء و المواريث صراخ و عجيح إلى الله من هؤلاء.

أما ألفاظه فأصل الفتن الاحراق، يقال: فتنته فافتتن و قمش: جمع و موضع مسرع و غار: أي غافل، ذو غرة. و الغبش: ظلمة الليل، و الجمع أغباش و روي غاد في أغطاش الفتنة و هي الظلم.

و قوله «عم» بما في عقد الهدنة، و روى ريب الهدنة، كأنه إشارة إلى ما كان من علي عليه السلام في زمان الهدنة مع القوم، فتركه ظاهراً لما كان لصلاح كان يراه^(٤).

و قوله «استكثر من جمع منون»، و ما بعده تفصيل و صفة له و إن روي جمع ما قلّ على الاضافة فله وجه، وهو أن يكون ان محذوفة منه، تقديره استكثر من جمع ما ان قل خير مما كثر كأنك قلت: قليله خير من

٢- في ج: مقيسات.

٤- في م: كان رآه.

١- في ج: وصفه.

٣- في م و ج: أن الحق ما استخرجه

كثيره، من باب قولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.
و اكتنز: أي اتخذ لنفسه كنزاً و أمر غير طائل: إذا لم يكن فيه غناء
ولا كفاية. و غاش: داخل في ظلام. و الغشوة: أن يركب الانسان أمراً على
غير بيان، و ركاب غشوات: أي أمور ملتبسة.

و قوله «لم يعض على العلم بضرر قاطع»، أي لم يحكمه، و ضرست
السهم: عجمته، و الضرر: السن. و الأسنان كلها مؤنث، إلا الضرر
و الناب، و هو استعارة عنم لم يعلم شيئاً على اليقين.

و الهشيم: النبات المكسور. و أصل الملىء الهمز من قولهم: ملؤ الرجل
إذا صار ثقة، و منه غني أملى. لا يحسب: من الحسبان و الظن، و روي بضم
السين من الحساب. و أنكر و نكر: بمعنى. و لا يرى: أي لا يعلم، و يجوز أن
يكون من الرأي. و روي لا يرى: أي لا يظن.

و العج: رفع الصوت، و الصراخ مثله، و روي يضج، و هذا يقرب منه
أيضاً.

و أما الكلام الآخر فهو في ذم الذين يفتون بالقياس و الاجتهاد في
الشرعيات، فقال: ان ورد على قاض نضبه مالك، أو ابن حنبل أو نحوهما
حكومة ففضى فيها باجتهاده على وجه و إن وردت تلك الحكومة على
قاض آخر من قضاته ففضى فيها على خلاف ذلك الوجه.

فان اجتماعاً عند مالك، أو عند احمد بن حنبل أو غيرهما ممن يقيسون
في الشرع صوب رأي كل واحد منها، و قال كل مجتهد مصيب. فسبحان
الله ما هذا الاختلاف في الدين و الله تعالى المنزل للشرعيات، واحد و نبيه
المبعوث لذلك و كتابه وكلاهما واحد.

فاذا لم يكن هؤلاء شركاء الله في ذلك و لا أنزل الله ديناً ناقصاً، و ما
نقص عن ذلك الرسول شيئاً، و ليس هاهنا دليل على أن الله اذن لهم في

ذلك، و ليس الا أنهم عصوا الله تعالى، و قوله: «لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»،
أي اختلاف التناقض. و الانيق: المونق المعجب.

* * * * *

(١٩) و من كلام له عليه السلام

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال:

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكُ ابْنِ حَائِكٍ مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ وَ اللَّهُ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَ الْإِسْلَامُ أُخْرَى فَمَا فَذَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَالِكٌ وَ لَا حَسْبُكَ وَ إِن^(١) أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ لِحَرِيِّ أَنْ يُقْتَتَهُ الْأَقْرَبُ وَ لَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ.

قال الشريف يريد عليه السلام أنه أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة و أما قوله عليه السلام دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه و مكر بهم حتى أوقع^(٢) بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار و هو اسم للغادر عندهم.

١- في «ش»: فان امرءا دل.

٢- في «ش»: اوقع خالد بهم.

(٢٠) و من خطبة له عليه السلام

فَأَنَّكُمْ لَوْ^(١) عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَ
 وَهَلْتُمْ وَ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ لَكِن مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ^(٢) عَايَنُوا وَ
 قَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ وَ لَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ أَسْمِعْتُمْ إِنْ
 سَمِعْتُمْ وَ هُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ بِحَقِّ أَقْوَالِ^(٣) لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعَبْرُ وَ
 زَجَرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَ مَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشْرُ.

(٢١) و من خطبة له عليه السلام

فَإِنَّ الْعَايَةَ أَمَامَكُمْ وَ إِنْ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَخْدُوكُمْ تَخَفُّوْا
 تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ.

١- في «ح»، «ل»، «ش»: فانكم لو قد عايينتم.

٢- في «ح»: و بحق أقول.

٣- في «ش»: ما عابنوا.

قال الشريف: أقول: إن هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه و اله بكل كلام لمال به راجحا^(١) و برز عليه سابقا فأما قوله عليه السلام تخفوا تلحقوا فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر محصولا ما أبعد غورها من كلمة و أنقع نظفتها من حكمة و قد نهينا في كتاب الخصائص على عظم قدرها و شرف جوهرها.

(٢٢) و من خطبة له عليه السلام

أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَ يَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصِيفًا وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا^(٢) هُمْ تَرَكَوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ فَلَيْنَ كُنْتُ^(٣) شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لِنَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَ لَيْنَ كَانُوا وَ لُوهُ^(٤) دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَ إِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أَمَّا قَدْ فَطَمَتْ وَ يُحْيُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أُمِيتَتْ.

يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا؟ وَ الْإِمَامُ أَجِيبُ^(٥)؟ وَ إِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ عِلْمِهِ فِيهِمْ؛ فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيْتُهُمْ حَدَّ السِّيفِ وَ كَفَى بِهِ شَافِيًا

١- في «ش»: رجحانا. الهامش: راجحا.

٢- في «ش»: حقا تركوه.

٣- في «ش»: كانوا تركوه. الهامش كانوا ولو.

٤- في «ض»، «ح»: الى م اجيب.

مِنَ الْبَاطِلِ، وَ نَاصِراً لِلْحَقِّ، وَ مِنَ الْعَجَبِ ^(١) بَعَثْتُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُبْرِزَ
لِلطَّعَانِ! وَ أَنْ أَضْبِرَ لِلْجَلَادِ هَبْلَتَهُمْ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَ مَا أَهْدَدُ
بِالْحَرْبِ، وَ لَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَ إِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَ غَيْرِ
شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

بيانه

انما عاب عليه السلام الأشعث بأمرين أحدهما عيب على الحقيقة
عند كل محقق و هو النفاق والكفر، (والثاني عيب عند أصحاب الدنيا كما
قال تعالى: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ» إلى قوله: «عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ»^(٢).
والزئيم: ولد الزنا و ليس ذلك ذنباً منه؟ و لا عيباً عليه من حيث
الحقيقة)^(٣) و أما الحياكة و ليست بنقيصة لأهل الاسلام و إن كانت هذه
الحرفة في الأراذل والسفل في الأكثر و ذلك عيب عند أهل الدنيا والشرف.
فكأنه قال: أنت عندي معيب من حيث نفاقك و أبوك معيب من
حيث مات كافراً^(٤)، و أنت عند نفسك، و عند كل من يفتخر بشرف الدنيا
معيب أيضاً لأنك حايك بن حايك.

فيك عيبان آخران اسرت مرتين و لم يكن منهما^(٥)، فدية من مالك
ولا دافع من العشيرة و غدرت قومك بدلالتك الخصم عليهم والحسب
الشرف و هو ما يحتسب به و يكون الحسب العرض أيضاً. والمقت: البغض.

٢- القلم: ١٠-١٣.
٤- في نسخة: ملك كان كافراً.

١- في «ض»، «ب»: من العجب بعثهم.
٣- بين المهالين: في الرضوية.
٥- في ج: و لم يكن لك فدية.

ثم بالغ في خطبته يعظ الناس فيها بأن قال لو عاينتم و رأيتم مجاهرة ما يرى الموتى منكم لو هلتم: أي لفرعتم و لصرتم سامعين مطيعين اجباراً و لا عذر لكم.

فقد بصر الله كل واحد منكم بالعبر، و هداكم إلى وجوب طاعتي و أنا، مبلغ إليكم ما هو مستور عنكم من أحوال القيمة و غيرها و قوله: «إلا البشر» أراد به نفسه، و قريب ما يطرح المحجاب ماصلة زائدة، ثم قال: «فان الغاية» يعني الجنة والنار. أمامكم: أي قدامكم.

الساعة: يعني القيامة قدامكم، و في اختصاص القدام بهذا والخلف لسر يكفيه أدنى نظر بعد التنبيه عليه، و إنما نصب الامام والوراء لكونهما ظرفين، و جعل الساعة اسم إن. و برز الرجل: فاق أصحابه. و تقع الماء العطش: سكنه. والنطفة: الماء، و روى نطفتها

ثم ذكر أصحاب الجمل فقال: «ان الشيطان قد ذمر»، أي حرض أصحابه ليعود الظلم إلى قطانه و روي ليعود إلى أوطانه، أي ليعود الشيطان إلى مستقره و يرجع، الباطل إلى نصابه و أصله و إذا رُوي ليعود الجور في الخطيئة يكون الباطل^(١) مرفوعاً، و رجع لازماً و على الأول يرجع يكون متعدياً.

ثم حلف بأنهم ما أنصفوني والنصف النصفة، و أن دم عثمان هم سفكوه فلا تبعة عليّ منه، و قيل إن هذه الخطبة في حق معاوية، و هذا أظهر فانه كان يبعث إلى علي عليه السلام (من يقول)^(٢) بأنك خذلت، و كان عثمان استعان بمعاوية وقت حصاره فما أجابه (و لا نهض من الشام إلى

١- في م و ج يكون قوله الباطل.

٢- بين الهلالين في ج.

المدينة لمعاونتة^(١) فعرض عليه السلام من فحواها إلى هذا. قوله «يرتضعون أما قد فطمت»، كناية و استعارة أي يسعون فيما لا خير لهم فيه وطائل تحته ثم قال «يا خيبة الداعي»، تقديره يا هؤلاء خاب هذا الداعي خيبة و هو معاوية دعا علياً عليه السلام إلى المحاربة بدلالة قوله: «و من العجب بعثتهم إليّ أن أبرز و أن اصبر»، كلاهما على هذا الوجه أيضاً على لفظ الخبر والسماع على الأمر ثم استأنف فقال: «(من دعا) يحتقر شويته^(٢)»، ثم ذكروا إلي ما أجيب، أي الى أي شيء أجيب هذا الداعي، فيكون أجيب فعل ماض ما لم يسم فاعله، و روي ألام أجيب على أن يكون أجيب للمتكلم برفع الباء: أي و إلى أهون أمر أجيبه قوله: هبلته: أي ثكلته والهبول من النساء الثكول: أي ثكلته أمه لقد كنت غير جبان في الحروب، قبل: هذا العلمي بأن يقيني يقيني و لم يكن لي شبهة في صحة ديني^(٣)

٢- كذا في النسخ.

١- بين الهلالين: في الرضوية.

٣- في م: في صحة دين الله.

(٢٣) و من خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ^(١) الْمَطْرِ:
إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ فَإِذَا^(٢) رَأَى أَحَدُكُمْ
لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ
الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَعْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيُخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَ تُعْرَى بِهَا
لِئَامِ النَّاسِ؛ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ^(٣) فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ
تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ وَ يُرْفَعُ^(٤) عَنْهُ بِهَا الْمَغْرَمُ وَ كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ
الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ.

فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَ إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ
دِينُهُ وَ حَسْبُهُ إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَيْنَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ
الْآخِرَةِ وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا^(٥) اللَّهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ
نَفْسِهِ وَ اخْشَوْهُ خَشِيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ وَ اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لَا

٢- في «ح»: «ح»: فان رأى.

٤- في «ض»، «ب»: «ب»: ويرفع بها عنه.

١- في «ض»، «ب»: كقطرات المطر.

٣- في «ر»: «ر»: و روى ينتظر من الله اول.

٥- في «ش»: «ش»: وقد جمعها الله.

سُمِعَ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِعِزِّ اللَّهِ يَكِلُهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ^(١) لَهُ نَسَأَلُ اللَّهَ
مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَ مُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ وَ مُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ
لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنِ عَشِيرَتِهِ وَ دَفَاعِهِمْ عَنْهُ
بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلْمُهُمْ
لِشَعْنِهِ وَ أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ^(٢) بِهِ وَ لِسَانُ الصِّدِّقِ
يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ الْمَالِ يُورَثُهُ غَيْرُهُ.

و منها: أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ
يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أُمْسَكَهُ وَ لَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ وَ مَنْ يَقْبِضُ
يَدَهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَ تَقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ
أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَ مَنْ تَلَنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ^(٣).

قال الشريف: أقول: الغفيرة هاهنا الزيادة و الكثرة من قولهم للجمع الكثير
الجم الغفير و الجماء الغفير و يروى عفوة من أهل أو مال و العفوة الخيار من الشيء
يقال أكلت عفوة الطعام أي خياره و ما أحسن المعنى الذي أراداه عليه السلام بقوله
و من يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام فإن المسك خير من عشيرته إنما
يمسك نفع يد واحدة فإذا احتاج إلى نصرتهم و اضطر إلى مرافقتهم قعدوا عن
نصره و تتافلوا عن صوته فمنع ترافد الأيدي الكثيرة و تناهض الأقدام الجمّة

٢- في «ش»: ان نزلت به.

١- في «ض»: لمن عمل له.

٣- في «م»: من قومه المحبة.

(٢٤) و من خطبة له عليه السلام

وَ لَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وَ خَابَطَ الْعَيَّ، مِنْ
 إِذْهَانٍ وَ لَا إِيْهَانٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَ فِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ وَ
 امْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ وَ قُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَلَيَّْ ضَامِنٌ
 لِقُلُوبِكُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا.

بيانه

ذكر أولاً أن الأمر السماوي لكل واحد^(١)، و هو الرزق الذي ينزله الله
 أو نحوه، يكون على وفق المصلحة الدينية، يزيد ذلك و ينقص على ما
 يقتضيه المصالح، فلا ينبغي لأحد أن يحسد ذا مال كثير فان من كان مؤمناً و
 لا مال له فهو للظافر حقيقة، و ضرب له مثلاً.

ثم طيب قلبه، بأنه ان لم يبق له عمر طويل فما يصنع هو بمال الدنيا، و
 قد أعد الله له الخير الجزيل عنده و ان عاش فاليسران بعد عسر واحد
 يكونان له من الأهل و المال، و لم يهن نفسه بالمحاسدة و لا غبار على دينه و

لا على حسبه.

ثم أشار إلى قوله تعالى: «المَالُ وَ النَّبُوتُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ النَّبَاتَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ»^(١)، فهذه أربعة أشياء مجموعة بالألفاظ^(٢)، ثم حذر من عقاب الله، و دعا إلى فعل الطاعة مع الاخلاص، و سأل الله منزلة الشهداء و لمن يكون على منهاجه ثم وصى باعانة الاقرباء و مراعاتهم و بالغ في ذلك.

أما قوله: «فاذا رأى أحدكم غفيرة في أهل أو مال فلا تكوننَّ له فتنة»، فالغفيرة هنا الكثيرة، و الزيادة من قولهم: للجمع الكثير الجَمُّ الغفير و الجَماء الغفير، و يروى عفوة في أهل أو مال، و العفوة: الخيار من شيء، يقال: أكلت عفوة الطعام أي خياره، و انما قال: لا تكونن له فتنة لأن من نظر في أحوال الدنيا إلى من فوَّقه يستحقر ما عنده من نعم الله فيكون ذلك فتنة عليه.

قوله: «و تغري بها لئام الناس»، من أغريت الكلب بالصيد، و أغريت بينهم إغراء و غرى به: أي أولع به غريت الجلد: ألصقته بالغراء. و الفالج: الظافر. و الياسر: اللاعب بالقداح، و هذا يكون في تلك الحالة طيب النفس يرجو غنيمة يدفع بها غرامة، و رُوي ينتظر من الله، و احد الحسينين: الوفاء أو الثروة: أي الحاليتين الحسينيين للمؤمن.

أما قوله «اما داعي الله» هو الموت، و ليست بتعذير: أي بتقصير، و انما سأل منازل الشهداء و لم يسأل الشهادة اختياراً، للأحسن على الحسن و طلباً لجميع درجاتها.

٢- في م: مجموعة في هذا الألفاظ.

١- الكهف: ٤٦.

ليس الشهادة هي القتل (فهي ضعف للاسلام وقوة لأها الكفر)^(١) وإنما هو الاضطراب عليه لله على أنه لا يحسن منا أن نسأل درجة المقتولين في سبيل الله، وقد يكون ذلك مع الموت على الفراش. أعظم حيطة: أي احتياطاً، على وزن بينة. و زُوي حيطة: و هي الحياطة و الحفظ، و قد حاطه يحوطه حوطاً، وحيطة: أي كلاًه و رعاه، و مع فلان حيطة لك، و لا تقل عليك أن تحن و تعطف. واحتاط: أخذ بالثقة. ولسان الصدق: أي كلمة الخير والصلاح، ولما كان اللسان جارحة الكلام جاز بأن يكنى عنها.

قوله: «يرى بها الخصاصة» أي الفقر، و الخصاصة: الخلل، و الثقب الصغير. و ان يسدها: بدل من القرابة للاستعمال، و قوله: «من ادهان»، أي مداهنة. و الايهان من الوهن.

قوله: «فروا إلى الله»، أي باعتبار ذنوبكم إلى الله (باعتبار توبتكم)^(٢)، و لياذكم^(٣) بالله، أي اهربوا إلى رحمة الله من عقاب الله. «وقوموا بما عصبه بكم»: أي جعله كالعصاة و شدها بكم، و هو التكليف الذي تعبدنا الله به. و الفلج: الظفر.

٢- بين الهلالين في الرضوية.

١- بين الهلالين ساقط في م وج.

٣- كذا في النسخ.

(٢٥) و من خطبة له عليه السلام

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد و قدم عليه عاملاه على اليمن و هما عبيد الله بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب عليها بسر بن أبي أرتاة فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتناقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له في الرأي، فقال:

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَ أَبْسَطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ
أَعَاصِيرُكَ فَقَبَّحَكَ اللَّهُ.

(وَ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ):

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي

عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ):

أُنْبِتْتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمْنَ وَ إِنِّي وَ اللَّهُ لِأَطْنُّ أَنْ هُوَ لَاءِ الْقَوْمِ
سَيِّدَالُونَ مِنْكُمْ: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ بَاطِلِهِمْ، وَ تَفَرُّقِكُمْ عَن حَقِّكُمْ وَ
بِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَ طَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَ بَادَائِهِمْ
الْأَمَانَةَ إِلَيَّ صَاحِبِهِمْ وَ خِيَانَتِكُمْ وَ بِلَادِهِمْ وَ فَسَادِكُمْ.

فَلَوْ اِتَّمَمْتُمْ اَحَدَكُمْ عَلٰى قَعْبٍ لَخَشِيتُ اَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ!
 اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ قَدْ مَلَيْتُهُمْ وَ مَلُوْنِيْ وَ سَمَيْتُهُمْ وَ سَمِيْتُوْنِيْ فَاَبْدِلْنِيْ
 بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ اَبْدِلْهُمْ بِيْ شَرًّا مِنِّْيْ اَللّٰهُمَّ مِثْ قُلُوْبِهِمْ كَمَا يُمَاطُ
 الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ اَمَّا وَ اَللّٰهُ لَوَدِدْتُ اَنْ لِّيْ بِكُمْ اَلْفَ فَاْرِسٍ مِنْ بَنِي
 فَاْرِسٍ بِنِ غَنَمٍ.

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ اَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ اَرْمِيَةِ الْحَمِيْمِ
 ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُنْبَرِ.

أقول: الأرمية جمع رمي وهو السحاب والحميم^(١) هاهنا وقت الصيف و
 إنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولاً وأسرع خفولاً لأنه لا
 ماء فيه وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلأته بالماء وذلك لا يكون في الأكثر
 إلا زمان الشتاء وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا استغيثوا
 والدليل على ذلك قوله: هنالك لو دعوت أتك منهم.

(٢٦) و من خطبة له عليه السلام

اِنَّ اَللّٰهَ بَعَثَ^(٢) مُحَمَّدًا (صلى الله عليه و اله) نَذِيْرًا لِلْعَالَمِيْنَ، وَ
 اَمِيْنًا عَلٰى التَّنْزِيْلِ، وَ اَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلٰى شَرِّ دِيْنٍ، وَ فِيْ شَرِّ دَارٍ،
 مُنِيْخُوْنَ بَيْنَ حِجَارَةِ حُسْنٍ، وَ حَيَاتٍ صُمِّ تَشْرَبُوْنَ الْكَدِرَ، وَ تَأْكُلُوْنَ
 الْجَسْبَ، وَ تَسْفِكُوْنَ دِمَاءَكُمْ، وَ تَقْطَعُوْنَ اَرْحَامَكُمْ، الْاَصْنَامُ فِيْكُمْ

١- في ش: والحميم في هذا الموضع.

٢- في ش: إن الله سبحانه.

مَنْصُوبَةٌ وَ الْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

ومنها: فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَ أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَ شَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَ صَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ وَ عَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ.

ومنها: وَ لَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْمُبَايِعِ^(١)، وَ خَزَيْتُ أَمَانَةَ الْمُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا، وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ سَبَّ لَظَاهَا وَ عَلَا سَنَاهَا (وَ اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ).

بيانه

هذا بسر بن أبي ارطاة أحد بني عامر بن لوئي، ذكره المبرد و كان قائداً من قواد معاوية و كان علي عليه السلام يستنفر الناس إلى الجهاد نحو معاوية فيتثاقلون حتى تحرك معاوية من الشام.

فقال الامام علي عليه السلام على المنبر: ما هي: أي ما المملكة. إلا الكوفة، أي أملكها وأقبضها وأسطها، أي أتصرف فيها، اي ان لم يكن لنا في هذه الدنيا الواسعة الا أرض الكوفة فلا كانت ولا هبت ريج دولتها ذكر أولاً الكوفة على سبيل الاخبار منها.

ثم التفت و خاطبها و هذا نوع من الفصاحة يسمى التفتن في الكلام كما قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، ثم خاطب فقال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»

والاعصار: ريح تثير سحاباً ذات رعد و برق، وقيل: هي ريح تثير الغبار و ترفع إلى السماء كأنه عمود.

قال تعالى: «فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ»^(١) و هي ريح لا تكون لها شدة عظيمة، و يكنى بالريح عن الدولة قال تعالى: «و تَذْهَبَ رِيحُكُمْ»^(٢)، و قبحك الله عن الخير، أي نحاه عنه، فهو من المقبوحين و قبحك الله بالتشديد من التقبيح. والوضر: الدسم والدرن.

و معنى البيت أنه أقسم فقال: بقاء والدك الصالح فسمى أي على وضر قليل من الخير الذي في هذا الاناء، أي لا منفعة لي فيه ذا للإشارة و رُوي من ذي الاناء يعني الذي في الاناء يعني اللبن يقال: ضربه حتى ألقى ذا بطنه، أي رجيعه و يقال: الذئب يغبط بذبي بطنه، أي بما في بطنه قال الراعي:

و لما قضت من ذي الاناء لبانة أرادت الينا حاجة لا نريدها
يقول: لما قضت تلك المرأة حاجتها من اللبن الذي في الاناء رغبت
فيما رغب عنه، و قوله: «سَيِّدُ الْوَنِّ مِنْكُمْ»، أي تكون لهم الدولة دونكم و
ذكر علة ذلك و هي خصال أربع فيهم: و هي اجتماعهم و طاعتهم و أمانتهم
و صلاحهم، و على عكسها فيكم.

و انما مل صحبة أصحابه، لأن أكثر أصحابه هم الذين كانوا على
طريقة الذين رتبوا أمر من قبله عليه السلام في الأمر فلم يكن فيهم من
مائة واحد من خواصه و هو عليه السلام يداريهم و ملهمهم من صحبته لأنه
عليه السلام كان خشناً في دين الله.

انما جمع بين الملل و السأم و هما بمعنى، لأن المراد بالملل الضجر من

القول و السأم من الفعل، أو الملل هو ضجر من العلانية و السامة ضجر السر، على أن الملاثة أعم من السامة فدعا لنفسه أن يبدله الله بهم خيراً منهم و لم يكن فيهم خيراً البتة و حسن أن يقال: هذا كقوله تعالى: «أَفَنُ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

كقوله: «قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ»^(٢)، و لا يخفى أنه ليس في نار جهنم خير للكفار و طلبه عليه السلام، بدلاً عنهم يجوز أن يكون ذلك في الدنيا بأن يهين الله و يوفق قوماً صلحاء و يجتمعون إليه، أو يكون ذلك تمناً لما بعد الموت من صحبة الرسول صلى الله عليه و آله.

قوله «و أبدلهم بي شرا مني» و لم يكن شرّ فيه عليه السلام و انما مورد الكلام على ما هو عند القوم، و على وفق اعتقادهم، فكأن معناه أخذهم يا ربّ كما خذلوني بحيث لو كان لهم بعدي وال ظالم خل بينه و بينهم. رُوي انه لما دعا عليه السلام بهذا الدعاء ولد بعد ذلك عن قريب الحجاج بن يوسف و صحبته مع أهل الكوفة و غيرهم في الاهلاك و الظلم معروفة.

قوله «اللهم مث قلوبهم»، أي اجعلها ذائبة يقال: مث الشيء في الماء و مثته و أميته و أموته: أي ذبته. و قيل: إنّ تمنيه بدلا من هؤلاء فرسان من بني فراس بن غنم لانهم مع كفرهم يستقيمون في طريقة المصاحبة، لا يكون فيهم الفساد و الخيانة و العصيان و التفرق كما يكون في هؤلاء.

بني فراس بن غنم أهل الروم، و قيل: فيه غير ذلك، أي لو كان بدل هؤلاء المؤلفّة بهم لكان أولى، و البيت الذي تمثل به لأبي جندب الهذلي يخاطب امرأة و أول الابيات:

ألا يا أم زنباع أقيمي صدور العيس نحو بني تميم
ثم يقول: فيها، هنالك لو دعوت أذاك البيت، وقد شرحه الرضي ثم
ذكر في الخطبة ثلاثة أشياء خاطب العرب، و ذكرهم رحمة الله عليهم بسبب
بعثة محمد صلى الله عليه وآله، و كان كل واحد منهم يعالج الابل و الناقة و
يقاسي الفقر و الفاقة يقتل بعضهم بعضاً فأصلح الله بمحمد شأنهم.

ثم ذكر حال نفسه بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله. و قد سلب
حقه و لزم بيته و ما حرك يداً إذ لم يجد معيناً إلا قرباؤه فضعف، و بخل بهم
عن القتل فصر، و ذكر اخيراً شيئاً من أحوال معاوية و أصحابه.
فقال: و لم يبايع عمرو بن العاص معاوية الا بشرط أن يعطي معاوية
ثمناً لبيعته، ثم دعا عليهما بأن المبايع الذي هو عمر و لا ظفرت يده، و أن
الذي أخذ البيعة يزيد بن معاوية و هو المبتاع خزيت أمانته ثم دعا أصحابه
إلى عدة الحرب التي شها معاوية.

قوله «و أنتم منيخون، بين حجارة خشن و حيات صم»، أي أنتم
مقيمون بينها و منيخون جمالاتكم، و سطها، و الخشونة عند اللين و قد
خشن الشيء بالضم فهو خشن، و الأخشن مثل الخشن و الجمع أخشن
كأحمر و حمر و أسود و سود و في الحديث أخشن في ذات الله و معشر
خشن و يجوز تريكه في الشعر، و قرئ في الشواذ ثياب سندس خضر.

الحية يكون للذكر و الانثى، و انما دخلته الهاء لانه واحد من جنس
بطة و دجاجة، و يقال: فلان حية ذكر و الجمع حيات يعنون به عدواً شديداً
الخصومة، و لذلك يصفونه بالأصم و الحيات الصم و يكتفى عن الداهية
بالحية.

يقال للداهية الصماء، و الجمع صم و حجر صم شديد صلب مصمت و

كأنه مقتبس من قوله تعالى: «أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ»^(١)، و
إشارة إلى إيلاف الله قريشا.

قيل: أي انما كنتم قبل أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله تنزلون
في سهل الارض، و إنما كانت الحجارة الخشن التي هي الجبال ملاذكم و
مسكنكم و كنتم بين أعداء لد و الطعام الخشب، هو الغليظ الخشن، و قيل
هو الذي لا آدم معه، والآثام بكم معصوبة: أي مشدودة.
الشجى: ما تنشب في الحلق من عظم أو غيره. والكظم: مجري
النفس.

والعلقم: ثمر الحنظل، «و خزيت أمانة المبتاع»: أي ذلت و هانت، و
ابتاع الملك ممن بايعه أي أخذ بيعته. و الابهة: العدة. والاهاب: القشر.



(٢٧) و من خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ
 أَوْلِيَائِهِ، وَ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ،
 فَمَنْ تَرَكَهُ^(١) رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَ شَمَلَةَ الْبَلَاءِ، وَ
 دِيثَ^(٢) بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاءِ، وَ ضَرَبَ عَلَى قَلْبِهِ^(٣) بِالْإِسْهَابِ، وَ أُدِيلَ
 الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَ سِيمَ الْخُسْفِ وَ مَنَعَ النَّصْفَ.
 أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ^(٤) هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَارًا، وَ
 سِرًّا وَ إِعْلَانًا، وَ قُلْتُ لَكُمْ: اغزوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغزُوَكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ
 قَوْمٌ قَطُّ فِي عُنُقِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ، وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُئْتُمْ
 عَلَيْكُمْ، الْغَارَاتُ وَ مِلَكَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ، وَ هَذَا^(٥) أَخُو غَامِدٍ قَدْ
 وَرَدَتْ حَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَ أزالَ

٢- في ح و ض: و ديث بالصغار و القهاء.

٤- في ش: إلى حرب هؤلاء.

١- في ش: فمن تركه البسه الله.

٣- في ن: على قلبه بالاسداد.

٥- في ش: فهذا اخو غامد قد وردت.

خَيْلِكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا.

وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَ
الْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةَ، فَيَتَنَزَّعُ حِجْلَهَا وَقَلْبَيْدَهَا وَرِعَائِهَا^(١)، مَا
تَمْتَنِعُ^(٢) مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انصَرَفُوا وَافْرِينَ مَا نَالَ
رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلَا أَرِيْقَ^(٣) لَهُ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ
هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا؛ فَيَاعْجَبًا - وَاللَّهِ -
يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ إِلَيْهِمُ اجْتِمَاعٌ^(٤) هَوْلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ
تَفَرَّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًّا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى.

يُعَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغْزُونَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَ
تَرْضُونَ؛ فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ^(٥) إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هَذِهِ
حَمَارَةٌ الْقَيْظِ، أَمْهَلْنَا يُسْبِخُ عَنَا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي
الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ أَمْهَلْنَا يَنْسَلِخُ^(٦) عَنَا الْبُرْدُ، كُلُّ هَذَا
فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ^(٧) فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ
مِنَ السَّيْفِ أَفْرٌ.

يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رِجَالِ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ
الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ! مَعْرِفَةٌ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا،

٢- في م وب: ما تمنع.

٤- في ش: من اجتماع.

٦- في ش: يسبخ عنا البرد.

١- في ح: ورعتها.

٣- في ض وح: ولا أريق لهم دم.

٥- في م: في السير في الشتاء.

٧- ساقطه من م وب.

وَأَعْقَبْتُ^(١) سَدَمًا قَاتَلَكُمْ اللهُ!! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَ شَحْنُتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَ جَرَعْتُمُونِي نُعَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَ الْخِذْلَانِ حَتَّى قَالَتْ^(٢) قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِيطَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.

لِلَّهِ أَبُوهُمُ!! وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَ أَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مَنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا، وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّتِينَ. وَ لَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!!

(٢٨) و من خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَ آذَنْتَ بِوَدَاعِ، وَ إِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ^(٣) وَ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ؟ أَلَا وَ إِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَ غَدًا السَّبَاقَ، وَ السَّبَقَةَ الْجَنَّةَ وَ الْعَايَةَ النَّارَ؛ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَمِيئَتِهِ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ، أَلَا وَ إِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَ لَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ، وَ مَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ؟

١- في م: واعقتب ذهبا و في ك و ر: واعقتب ندما و في ل: واعقتب ذما.

٣- ساقطة من ب.

٢- في ح: لقد قالت قريش.

أَلَا وَإِنِّي لَمَ أَرَّ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلَا وَ
 إِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ^(١) الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى
 يَجْرُ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمَرْتُمْ بِالظُّغْنِ، وَ دَلَّيْتُمْ
 عَلَى الزَّادِ، وَإِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْهَوَى وَ طُولُ الْأَمَلِ،
 تَزَوَّدُوا^(٢) فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا.

قال الشريف: أقول: إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا و
 يضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام و كفى به قاطعا لعلائق الآمال و قادحا
 زناد الاعتاظ و الازدجار و من أعجبه قوله: (عليه السلام) «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمُضَارَّ،
 وَ غَدًا السَّبَاقُ، وَ السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَ الْعَايَةُ النَّارُ».

فإن فيه مع فخامة اللفظ، و عظم قدر المعنى، و صادق التمثيل، و واقع التشبيه
 سرا عجبياً، و معنى لطيفاً، و هو قوله عليه السلام، و السبقة الجنة، و الغاية النار
 فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، و لم يقل، و السبقة النار كما قال، و السبقة
 الجنة لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب و غرض مطلوب، و هذه صفة الجنة،
 و ليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها.

فلم يجوز أن يقول: و «السبقة النار» بل قال: «و الغاية النار»؛ لأن الغاية قد
 ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها و من يسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن
 الأمرين معا، فهي في هذا الموضع كالمصير و المال.

قال الله تعالى: «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» و لا يجوز في هذا الموضع
 أن يقال: فإن سبقتكم - بسكون الباء - إلى النار، فتأمل ذلك فباطنه عجب و
 غوره بعيد. لطيف و كذلك أكثر كلامه عليه السلام.

١- في م: من لم ينفعه الحق.

٢- في ض و ح: فتزودوا و في ب: فتزودوا من الدنيا ما تحرزون و في حاشية م: تحوزون.

(و في بعض النسخ، و قد جاء في رواية أخرى «و السُّبُقة الجنة» - بضم السين - و السبقة عندهم: اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض و المعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود^(١)).

بيانه

ذكر أولاً ما هو حث لأصحابه على مجاهدة معاوية، ثم ذكر شكايتهم و قال: إن خفوف أهل الشام نحوهم كله من تناقلهم و ذكر أخيراً تجربته من أيديهم، و كله واضح.

أما قوله: «و ديث بالصغار والقباء»، يقال: ديثه، أي ذلله و طريق مديث: أي مذلل و القباء فتح مع قصر يقال: قومو يقيموا، قماء فهي قمي و هو الصغير الذليل، والصغار بالفتح: الذل و الضيم

و قوله «و ضرب على قلبه بالاسهاب» أي بذهاب العقل، يقال أسهب الرجل - على ما لم يسم فاعله - إذا ذهب عقله من لدغ الحية.

و روي «و ضرب على قلبه بالأسداد» جمع سدّ و هو الحاجز و أصله الحبل و قوله: «وسيم الخسف»، أي كلف الذل و المشقة يقال: سامه خسفاً أي أولاه ذلاً و رضي فلان بالخسف: أي بالنقيصة.

منع النصف: أي الأنصاف و عقر الدار: أصلها و هو محلة القوم قال الأصمعي: عقر كل شيء أصله و أهل المدينة، يقولون عقر الدار بضم و شنت عليكم الغارات: أي فرقت عليه من كل وجه^(٢).

٢- في م: فرقت عليهم الغارة من كل وجه.

١- ساقطة من ش.

صبت: من قولهم شن الماء على الشراب أي فرقه عليه أخو غامد^(١)، هذا اسمه سفيان بن عوف و هو صاحب معاوية أغار على عسكر أميرالمؤمنين عليه السلام بعد صفين، و غامد هذا هو غامد بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الازد. أخو غامد كقوله تعالى: «وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمُ ضَالِحًا» والمسالح: واحدها المسلحة و هي كالنغر والمرقب، و في الحديث: كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب.

المعاهدة: الذمية والمعاهد الذي أخذ العهد والامان والذمة واليمين والموتق والحفاظ.

والحجل: الخلخال. والقلب: السوار. والرغاث: القرطة واحدها رعثة والاسترجاع: قول: إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فيا عجباً، أي يا عجبى أو يا عجباً على الندبة و عجباً بعد نصب على المصدر، أي عجبت و يجوز أن يكون التقدير يا رجل عجبت عجباً فوقف عليه فجعل الألف بدلاً من التنوين.

ثم قال: عجباً يمت القلب فجعله بدلاً من الأول و وصفه بالجملة التي بعده و قبلاً، أي بعداً عن الخير والترح: ضد الفرح يقال: ترحه، أي أحزنه، و ترحا مصدر منه والغرض ما يرمى إليه و حمارة القبيظ: شدة الحرور بما خفف والقبيظ من الصيف ما حر وقته^(٢).

قوله: يسبخ عنا الحر يخفف شدته يقال: سبخ الحر أي فتروخف، و روي يسبخ على ما لم يسم فاعله و ذلك مما حكى عن الأصمعي أنه قال:

١- في م هنا زيادة و هي: أخو غامد هو واحد في هذه القبيلة، و غامد حي من اليمن و قال ابو محمد الاسود الغندجاني و كان ممن جمع كلام علي أيضاً في كتاب أصغر من نهج البلاغة أخو غامد الخ.
٢- في م من الصيف ما اشد حره من اوقاته.

سبّخ الله عنك الحما أي خففها و دعت عائشة على سارق سرقها.
 فقال النبي: صلى الله عليه و آله لا تسبّخي عنه بدعائك، أي لا تخففي
 عنه ائمه فاما سبّخ الحر فانه لا يتعدى على ما تقدم و يجوز أن يكون متعدياً
 و مفعوله محذوف، أي يسبّخ عنا الحر نفسه و يؤكده رواية يسبّخ على ما لم
 يسم فاعله.

صبارة القر: شدة البرد، يقال: انسلخ صبارة الشتاء، أي مضت و القر
 البرد (وقريب من معنى هاتين الكلمتين قول: أبي الحسين بن فارس^(١))
 لابنه اذا كان يؤذيك حر الصيف، و كرب الخريف، و برد الشتاء، و يكيهيك
 حسن زمان الربيع، فاخذل للعلم قل لي عني^(٢)، و القرد: البرد. و الحلم:
 الأناة.

حلوم الاطفال: مبتداء و خبره محذوف، أي لكم حلومهم، أي لا
 ثبات لكم و لكم عقول النساء و ربات الحجال: كناية عن نساء لا يبرزن
 فانهن اقل اختبارا و قوله: أعقبت ندما، أي أورثته يقال: أكل اكلة عاقبته
 سقماً، أي أورثته و رُوي سدماً أي تحيراً.

في صحاح اللغة السدم الندم، و الحزن و رجل سادم نادم، يقال: اتباع
 و قاتلكم الله ليس بدعاء عليهم، و إنما هو نوع من التعجب، و قوله:
 «جرعتموني نغب التهام أنفاساً»، النغبة: الجرعة.

قال: ابن السكيت: نغبت من الاناء بالكسر نغباً، أي جرعت منه
 جرعا و التهام الاغتمام و نفاساً حال من النغب، أي مرة و النفس أيضاً

١- احمد بن فارس بن زكريا القزويني ابو الحسين اللغوي كان اماماً في علوم شتى اخذ عن ابيه و كان
 والده فقيهاً لغوياً و كان الصحاح بن عباد يكرمه و يتلمذ له له مضافات كثيرة منها الجمل و حلية الفقهاء و
 الصحاحي في فقه اللغة و كان كريماً جواداً توفي بالري سنة ٣٩٥.

٢- كذا في النسخ و بين الهلالين في الرضوية.

الجرعة، يقال: اكرح في الاناء نفساً، و نفسين: أي جرعة، أو جرعتين، و لا تزد عليه والجمع أنفاس مثل سبب و أسباب، و انما اكد بعد التجريع بلفظ النغب.

ثم زاد التأكيد بقوله: أنفاسا و نغب نصب مفعول ثان و ان جعلت النفس نصباً على المصدر (جاز و جمع المصدر)^(١)، كقوله تعالى: «و تَطُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا»، لاختلاف ذلك، أي جرعتوموني من الاحزان والهجوم جرعاً فجرعاً.

فقوله «الله أبوهم»، دعاء بالخير ولكن الله ابوهم فيه تهزاء، و قيل: هو تعجب منهم، و ليس بدعاء و ذرفت. أي زدت قليلاً على الستين، أي ستين سنة و هو من ذرف الدمع إذا مطر قليلاً.

الخطبة الأخرى وعظ بليغ لا اشكال في معناها و أما قوله: «ألا و ان اليوم المضمار» فالاحسن أن يجعل اليوم ظرفاً فيكون خبراً لان والمضمار منصوباً على أنه اسم ان يجعل اليوم اسماً صريحاً و يكون اسم ان و ترفع المضمار على أنه خبر ان و على هذا اعراب.

غدا السباق: و كذا نصب السباق أحسن والمضمار سمي بذلك لأنه يضم فيه الخيل و تضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت، و ذلك في أربعين يوماً، و هذه المدة تسمى المضمار، والموضع الذي يضم فيه الخيل أيضاً مضمار.

الضمير: الهزال و خفة اللحم، و لم يضرره فك الادغام لانه أفصح و هو لغة الحجاز، قوله: ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون حال الدعاء مثل ما تعملونه حال الخوف و الخشية.

معنى قوله: «وإني لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها»، ان من حق من يهرب من النار و يطلب الجنة أن لا ينام و حقه أن يقال: تقديره الهارب منها^(١)، الا أنه حذف كقوله: «وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ»، والضمير في هاربها لا يرجع إلى النار اذ لا تعلق بينه و بينها. فيجب أن يقدر محذوف يكون موصوفاً لكان التشبيه فانها بمعنى، المثل كأنه قال: ما رأيت تقمة مثل النار نام الهارب منها و لا نعمة مثل الجنة نام طالبها.

قوله: «يجر به الضلال»، من قولهم: جار عن الطريق أعدل عنها والظعن السفر و رُوي «ما تحرزون به أنفسكم و رُوي تحوزون.

(٢٩) و من خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُهُمْ
يُوْهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ، وَ فِعْلُهُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ تَقُولُونَ فِي
الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَ كَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيَدِي حِيَادًا! مَا عَزَّتْ
دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ وَ لَا اسْتِرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلِ دِفَاعِ
ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ وَ لَا يَدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ،
أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟
الْمَغْرُورُ وَ اللَّهُ مِنْ غَرَزْتُمُوهُ وَ مَنْ فَازَ^(١) بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ
الْأَخِيْبِ، وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ، فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ أَصْبَحَتْ وَ اللَّهُ لَا
أَصْدَقُ قَوْلَكُمْ، وَ لَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَ لَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا
بَالِكُمْ! مَا دَوَاؤُكُمْ! مَا طِبُّكُمْ! الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالِكُمْ! أَقْوَالًا بَغَيْرِ^(٢) عِلْمٍ
وَ غَفْلَةً^(٣) مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَ طَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

١- في ض و ح: و من فاز بكم فقد فاز و في ك: و روي بالفتح الأخيب.

٢- في ل و ش: اقولا بغير علم.

٣- في ش و حاشيته م و ك: وعفة من غير ورع.

(٣٠) و من كلام له عليه السلام

في معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا، غَيْرَ أَنَّ
 مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَ مَنْ خَذَلَهُ لَا
 يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ اسْتَأْثَرَ
 فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ وَ جَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ وَ لِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَ
 الْجَازِعِ.

(٣١) و من كلام له عليه السلام

لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل يستفيئه

إلى طاعته.

لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ
 الصَّعْبَ وَ يَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ. وَ لَكِنَّ الْقَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةً فَقُلْ
 لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَ أَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا
 مِمَّا بَدَأَ.

قال الشريف: أقول «هو أول من سمعت منه هذه الكلمة، أعني فاعدا بما

بدا».

بيانه

ذم عليه السلام أصحابه الذين كانوا يتأخرون عن الجهاد بسبب عصيانهم اياه إذ لم يجيبوا دعوته، فقال: أنتم تقولون في بيوتكم نحارب الاعداء و يكون كلامكم في ذلك في القوة والشدة بحيث يوهي و يضعف الحجارة الصم الشديدة والجبال الصلبة، ولكن أعمالكم في الضعف يطمع عدوكم في الغلبة عليكم، قال: أبو عبيدة^(١)، يقال: كان من الأمر كيت و كيت بالفتح والكسر.

كان هذه التاء في الأصل هاء فصارت في الوصل تاء، أي تهددون في المجالس فاذا كان قتال تكرهون و تقولون: أيها الحرب. حيدي حياء، أي جانبي منا و حايده محايدة، أي جانبه وحيدي حياء مثل فيحي فياح، و حياء، و فياح كلاهما اسم للغارة و فيحي: أي اتسعي.

هذا من كلام الجاهلية كانوا يتكلمون به، أي أعرضي عنا أيتها الحرب و قيل: حياء اسم الأمر فكأنه أمر مرتين بلفظتين مختلفتين كقوله تعالى: «ارجعوا ورائكم»، والمعنى ارجعوا ارجعوا.

أو يكون حياء اسماً للحرب على، وزن قطام، أي يا حياء حيدي و رفع أعاليل على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي اعتلالاتكم في مدافعة الحرب علل باطله، و أعاليل جمع اعلال يقال: أعلّ إذا جاء بعلته و صار صاحب علة، أي تعللون إذا أمر يعني تعللون بضلال.

الاضاليل جمع اضلال. و قيل: أعاليل جمع العلة و كذا الاضاليل، و

١- جعفر بن المشي البصري النحوي اللغوي المعروف بابي عبيدة أخذ عن يونس النحوي و هو أوّل من صنف غريب الحديث و كان ابو نواس يتعلم منه و يصفه و كان يرى رأى الخوارج و لم يحضر جنازته احد من الناس بالمصلّى حتى اكرى من يحملها و لم يكن يسلم عليه شريف و لا وضع توفي سنة ٢١١.

دفاع نصب على المصدر، أي تدافعونني مدافعة (والمديون صاحب الدين من الذي قد ماطله والمصدر مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف)^(١).

قوله: «من رمى منكم فقد رمى بأفوق ناصل». أي من بعث بكم الى عدو لا يكسر العدو بكم فانكم، أي فان كل واحد منكم بمنزلة السهم الأفوق الناصل فالأفوق سهم مكسور فوقه والناصل سهم خرج نصله و يقال: رجع فلان بأفوق ناصل، أي بحظ غير تام و نحوه عاد بخفي حنين، والأمثال لا تغير.

ما طبكم: أي و ما عادتكم، و رُوي القوم رجال أمثالكم أقوالاً بغير علم و هذا أصح و يكون جميع ذلك جملة واحدة و معنا أمثالكم أقوالاً: أي يشبهونكم أقوالاً و إذا رُوي أقوالاً فالكلام يكون جملتين و طمعا في غير حق: أي في التكاذيب و ما لا يجوز.

أما كلامه في قتل عثمان فانه نفى به عن نفسه أنه كان ناصرًا له أو خاذلاً اياه و يتضح معنى هذا الكلام بالتمثيل و تصوير ذلك أنه كان له انصار و خذال، فاذا حققت الصورة تبين المعنى، فالناصر له مروان بن حكم و الخاذل عبد الله بن مسعود مثلاً.

فمروان لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، لأن مروان لم يكن خيراً من عبد الله و لا مثله و ما عبد الله يستطيع أن يقول نصره من هو خيراً مني لأن مروان ليس خيراً من عبد الله.

فقد صح أنه ورد مورد التبري من دمه و نفى أنه كان له أو عليه، و نقد بعض النقاد قوله: غير أن من نصره» إلى آخره فقال: كلمة قرشية يعني أنه عمى عليهم والمعنى من خذله و من نصره ليس خيريتها لخذلائها اياه،

و لا لنصرتها لها.

السامعون حسبوا أنه تبرء من كونه ناصراً له أو خاذلاً، وقيل: ان كلامه هذا يدل على خذلان منه له و آخر كلامه الذي هو قوله: «استأثر فأساء الأثرة و جزعتم فأسأتم الجزع»، يدل على هذا.

والمعنى اختار لنفسه أمراً و أساء ذلك الاختيار حيث استبدَّ بما لم يكن له و أنتم جزعتم على قتله و أساءتم الجزع عليه، فان هذا كان ينبغي عنكم له قبل قتله و الاثرة بالتحريك اسم لما يستأثر.

التيس الأعقص: الذي التوي قرناه على أذنيه من حلقة، و قد عقص بالكسر، أي اعوج و صف خشونة جانب طلحة و انه يستصغر أمراً عظيماً، أي هو متكبر متحير طاغ باغ. و الزبير أسهل منه، و العريكة بقية السنام، يقال: لانت عريكته إذا انكسرت نخوته.

كانت والدة الزبير صفية^(١) بنت عبد المطلب، و لذلك كان علي عليه السلام ابن خاله فقد كان ابو طالب ابن عبد المطلب و من شجون الحديث أن صفية كانت اعتقت غلاماً^(٢) تطوعاً و ماتت صفية ثم مات معتقها، و لم يخلف نسيباً و ترك مالا.

فقال الامام علي عليه السلام: ميراثه لي و لأخي و قال زبير: بل أرثه لي و كان في عهد عمر فحكم للزبير بذلك، فقال الامام علي عليه السلام: هذا خلاف ما ورد به الشرع فان ولاء، معتق المرأة يكون لعصبتها و هم عاقلته و ليس لاولادها، و قوله: فما عدا مما بدا له معنيان:

أحدهما ان معناه ما الذي منعك من البيعة قبل هذه الحالة. و الثاني أن

١- صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمه رسول الله ﷺ و ام الزبير بين العوام اسلمت و هاجرت و توفيت سنة عشرين و لها ثلاث و سبعون سنة و دفنت بالبيعة.

٢- في ج: مملوكا.

يكون المعنى ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للإنسان، و يكون المفعول الاول لعدا محذوفاً يدل الكلام عليه.

أي ما عداك بمعنى ما منعك و ما شغلك، مما كان بذلك من نصرتي (و في كلام آخر للإمام علي - عليه السلام - مازلنا نعد الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ جروه: أي ابنه عبدالله و غرور عبدالله كان من حيث كانت والدته أخت عائشة بنت أبي بكر)^(١).

* * * * *

(٣٢) و من خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عُنُودٍ، وَ زَمَنٍ ^(١) شَدِيدٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا، وَ يَزِدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عِتْوًا، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَ لَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَ لَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحِلَّ بِنَا فَالْنَّاسُ عَلَيَّ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الفَسَادَ (فِي الأَرْضِ) ^(٢) إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ، وَ كَلَالَةً حَدِّهِ وَ نَضِيضٌ وَ فَرِهِ؛ وَ مِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسِينِهِ، وَ الْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَ الْمُجْلِبُ بِخِيَلِهِ وَ رَجْلِهِ.

قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَ أُوْبَقَ دِينَهُ، لِحَطَامِ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ، أَوْ مِئْبَرٍ يَقْرَعُهُ، وَ لِبَيْسِ الْمُتَجَرِّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ تَمَنَّا، وَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا؛ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَ لَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا: قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَ قَارَبَ مِنْ حَطْوِهِ وَ شَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَ زَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى المَعْصِيَةِ؛ وَ مِنْهُمْ مَنْ ^(٣) أَقْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ المُلْكِ ضَوْوَلَةَ نَفْسِهِ، وَ

٢- ساقطة من ب.

١- في ض و ب: زمن كنود.

٣- في ج و ب: من ابعده.

انْقَطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ.

فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ، وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَّاحٍ وَ لَا مَعْدَى. وَ بَقِيَ رِجَالُ غَضِّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَ أَرَّاقُ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمُحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ؛ وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَ سَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ، وَ ثُكْلَانَ مُوجِعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّيْبَةُ، وَ شَمَلَتْهُمُ الذَّلَّةُ.

فَهُمْ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ^(١) ضَامِرَةٌ، وَ قُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَ قَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَ قَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ^(٢) مِنْ حُنَالَةِ الْقَرْظِ وَ قُرَاضَةِ الْجَلَمِ، وَ اتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَ ارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً؛ فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

أقول: وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه و أين الذهب من الرغام و العذب من الأجاج و قد دل على ذلك الدليل الخريت و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ.

فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان و التبيين و ذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال هي بكلام علي عليه السلام أشبهه و بمذهبه في تصنيف الناس و بالإخبار عما هم عليه من القهر و الإذلال و من التقية و الخوف أليق قال و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد و مذاهب العباد؟؟!

١- في حاشية م: أفواههم غامرة و في ك و ش: ضامرة بالراء المهملة.

٢- في ض و ح: فلتكن الدنيا في اعينكم اصغر.

بيانه

ابتدأ في أول الخطبة بنوع من الموعظة، و ختمها بمثل ذلك و ذكر أصناف الخلق، فقال: أربعة منهم على الضلالة، و واحد ناج كما فصله، والعنود: الذي يعدل عن طريق الحق، يقال: عند عنوداً أي عدل

الدهر والزمن كلاهما عبارة عن وقت مخصوص، و لا يجوز أن يوصف بصفات العقلاء فالمعنى نحن في دهر عنود أهله، و رُوي و زمن كنود و هو الذي لا خير فيه والعتو: العصيان. والقارعة: الداهية التي تفرع. والمهانة: الحقارة

النضيب: المال القليل، والناض: المال الحاصل مشتق منه، والوفر: مصدر سمي به المال الكثير، و نضيب ماله: أي قليل ماله فالصنف الأول هو الذي في نفسه مفسد و يمنع من ذلك ضعف بدنه، و ماله القليل الذي يرجو أن يصير كثيراً فهو يخاف عليه ان أفسد و أظهر ما في قلبه.

والصنف الثاني هو الذي سل سيف العدوان، و أعلن سره و رُوي بسره أيضا (و أشاع شره)^(١)، و أجلب بخيله أي جمع فرسانه و رجالتها و أشرط نفسه لأمر كذا أي جعل لها علامة يعرف بها فيه و منه الشرط لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامة والواحدة شرطة.

أوبق: أهلك. والحطام: مال الدنيا. و انتهب: اختلس. والمقنب: الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين و يفرعه: أي يعلوه. و طامن: خفض. و شمر: أي قصر. و زخرف: أي زين و موه: زور و أصل الزخرف الذهب.

ثم شبه به ما ذكرنا والفرق بين الصنف الأول والرابع، أن الأول قليل من المال، والرابع لا شيء له، والضوء لثة: النحافة والهزال. فقصرته الحال: أي حسبته حاله السيئة على حاله، أي ضعفه وقيل: على ما هو فيه. تحلى: أي اتخذ القناعة حلية و ليس منها في شيء و في مراح و مغدي: كناية عنه، أي لا يكون في وقت الرواح و لا في وقت الغداة له أثر الزهد أبداً كقوله تعالى: «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(١)، أي دائماً، و قيل لا في وقت المشيب، و لا في أوان الشباب.

المغدى والمراح كناية عن حالتي الصبي والشيب، و غض أبصارهم، أي خفضها و كفها و بين شريد: أي طريد نافر و ناد: أي مفرق و خائف مقموع: أي مقهور، يقال: قمعته وأقمعته: أي أذلته و قهرته فانقمع. المعكوم: الذي حبس فوه عن الكلام يقال: كمعت البعير (إذا سددت، فمه والكعام ما يشد في فم البعير)^(٢)، والضمامة بالزاء الساكنة، والقرظ: نبت يدبغ به الادم، والحثالة: ما يسقط عنه.

سبب نسبة بعض الناس هذه الخطبة و أمثالها من كلامه عليه السلام إلى معاوية إنه كان يبعث بعض أصحابه الشاميين إلى الكوفة ليحفظ خطبه يخطبها الامام علي عليه السلام يوم جمعة فاذا كان في الجمعة الثانية، أو في ما بعدها خطب بها معاوية فالالتباس من هاهنا و قد روى الرواة ذلك على هذا الوجه حيث أخذ ذلك الرجل الدسيس فأقر بذلك في مسجد الكوفة.

(٣٣) و من خطبة له عليه السلام

عند خروجه لقتال أهل البصرة

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) بِذِي قَارٍ وَ هُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هَذِهِ النَّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيمَةَ لَهَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ اللَّهُ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه و اله) وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَ لَا يَدْعِي نُبُوَّةَ فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَ بَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ أَمَا وَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ^(١) بِحَذَائِيرِهَا مَا عَجَزْتُ^(٢) وَ لَا جَبُنْتُ وَ إِنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا فَلَا تُقْبَنُ^(٣) الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ وَ اللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَ إِيَّيَ لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ^(٤).

١- في «ض»، «ح»، «ف»، «ن»: حتى و لت. «ر»: حتى توليت.

٢- في «ض»، «ح»، «ع»: ما ضعفت و لا جينت.

٣- في «ض»، «ش»: فلأيقرن الباطل. «ر»: و روى لأقبن.

٤- في «ح»: هنا زيادة و هي: و الله ما تنقم منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم فادخلناهم في حيزنا

(٣٤) و من خطبة له عليه السلام

في استنفار الناس إلى أهل الشام

أَفِّ لَكُمْ، لَقَدْ سَمِئْتُ عِتَابَكُمْ!! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
الْآخِرَةِ عِوَضًا؟ وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ
دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ
يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ. فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَانْتُمْ لَا
تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَّةٍ سَجِيسِ اللَّيَالِي.

مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ^(١) يُمَالُ بِكُمْ، وَ لَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ
إِلَّا كَابِلٌ ضَلَّ رُعَاتِهَا، فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ
لَيْسَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَ لَا تَكِيدُونَ، وَ
تُنْتَقِصُ^(٢) أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لَا يَنَامُ عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ

^٣ فكانوا كما قال الاول:

ادمت لعمري شريك المحض صابجا و اكلك بالزبد المقشرة البجرا

١- في «ض»، «ح»: و ما انتم.

٢- في «ب»، «ش»: تنقص. «ع»: و ينتقص اطرافكم.

سَاهُونَ، غَلِبَ وَ اللهُ الْمُتَخَادِلُونَ، وَ اِيْمُ اللهُ اِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ اَنْ لَوْ
 حَمَسَ الْوَعْيَ وَ اسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدْ اِنْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ اَبِيطَالِبٍ اِنْفِرَاجٌ^(١)
 الرَّأْسِ.

وَ اللهُ اِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ
 عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ
 صَدْرِهِ اَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ اِنْ شِئْتَ فَاَمَّا اَنَا^(٢) فَوَاللهِ دُونَ اَنْ اُعْطِيَ^(٣) ذَاكَ
 ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ، وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ،
 وَ يَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ اِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَاَمَّا حَقُّكُمْ^(٤)
 عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَ تَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّكُمْ، وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا،
 وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا، وَ اَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَ النَّصِيحَةُ
 فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ، وَ الْاِجَابَةُ حِينَ اَدْعُوكُمْ، وَ الطَّاعَةُ حِينَ
 اَمْرُكُمْ.

٢- في «ف»: فاما انا والله.

١- في «م»: انفراج الرأس من الجسد.

٣- في «ض»، «ح»، «ب»: ذلك. «ب»: فذاك ضرب.

٤- في «م»: فاما حاكم فالنصيحة لكم.

(٣٥) و من خطبة له عليه السلام

بعد التحكيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنِ اتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَ الْحَدَثِ الْجَلِيلِ.
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (وَ حُدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ^(١)) لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَ
 أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.
 أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تَوْرَثَ
 الْحُسْرَةَ^(٢) وَ تَعَقَّبَ النَّدَامَةَ. وَ قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ
 أَمْرِي وَ نَخَلْتُ^(٣) لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقْصِيرِ أَمْرٍ؛ فَأَبَيْتُمْ
 عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءَ^(٤) وَ الْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةَ، حَتَّى ارْتَابَ
 النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ. وَ ضَنَّ الرَّئِدُ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ أَنَا وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو
 هَوَازِنَ:

١- ساقطة من «م»، «ف»، «ن»، «ل»، «ش».

٢- في «ش»: ونخلت لكم. الهامش: ونخلت.

٣- في «ب»: تورث الحيرة.

٤- في «ب»: المخالفين الجناة.

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

بيانه

ذو قار موضع معروف كان لبني شيبان و لهم يوم مشهور به، يقال: له يوم ذي قار كان أبرويز أغزاهم جيشا فظفرت بنو شيبان، و هو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم.

خصفت النعل: خرزتها، قال الله تعالى: «وَ طَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ»^(١) أي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتها والنعل مؤنثة. والصفا: حجارة ملساء.

قوله: «أما والله إن كنت لفي ساقتها»، ان مخففة من الثقيلة، أي ان الأمر والشأن كنت لفي ساقه الحرب، و هي جمع سائق، أي كنت في تدبير إهلاك أهل الحرب الذين يقيمون الحرب من الأعداء، و ساقه الحرب جمع سائق و يجوز أن يكون ضمير النبوة والبعثة التي يدل عليها.

قوله: «إن الله بعث محمداً» أو ضمير الدعوة النبوية، و إن لم يجر لها ذكر و ساقه الجيش مؤخره.

أقسم أنه كان في كل غزاة خلف الأعداء و في مؤخر جيشهم حتى هزمهم و ولت بجذافيرها، أي أدبرت يقال: ولى هارباً، و روى توليت: أي أعرضت. و جذافير الشئ: أعاليه و نواحيه، يقال: أعطاه الدنيا بجذافيرها: أي بأسره.

قوله: «ان مسيري هذا لمثلها»، أي كما كنت مع رسول الله في تمشية أمور الدين فكذلك الآن و رُوي لمثلها والرواية لا تقبَن و رُوي بالثناء أيضا والمعنى واحد، قوله: في خطبة الاستنفار «يرتج عليكم حوارى فتعمهون»: يرتج أي يغلق. والحوار: المحاورة والمناظرة. والعمه: التحير و التردد، أي لا يفهمون كلامي و لا تسمعون إليه.

قوله: «كأن قلوبكم مألوسة»، أي مجنونة والالس اختلاط العقل و سجيس الليالي: أي أبدأ، يقال: لا أتيك سجيس الليالي، أي أبدأ. قوله: «ما أنتم بركن يمال بكم»، له معنيان أحدهما، أي ما أنتم بركن تمالون إلى الجهاد لأنكم تستقصون على من يريد أن يملككم إليه.

الثاني: أن يكون المعنى يمال بمكانكم إلى الجهاد، و يجوز أن يكون المعنى ما أنتم بركن يمال بكم ركن عدو لا بد من تقدير حذف مضاف على جميع الوجوه، أي ما أنتم بأصحاب ركن، و رأي قوم، و عزم سويء، إذ لو كان على ظاهره لقال ما أنتم بأركان.

قيل: ما أنتم بركن للدين يمال بسبب سقوطه الدين، و لقوله: بركن سر عجيب، أي لستم متفقين كاليد الواحدة و هذا حسن، و لا زوافر: بالنصب عطف على موضع بركن، و بالجر على لفظه، و زافرة الرجل: أنصاره و عشيرته.

السعر: مصدر سعرت النار والحرب هيجتها وأهبتها و رمى سعر و صف بالمصدر و كذا قوله: «بئس سعر النار أنتم»، و رُوي سعر نار الحرب، يجوز أن يكون جمع سعير، و يجوز أن يكون من قوله «لني ضلالٍ وَ سُعْرٍ»^(١).

قال الفراء: هو العناء للعذاب.

لا تمتعضون: أي لا تغضبون وحمش الوغا: أي اشتد الحرب.
قوله: «والله ان لو استحرّ الحرب قد انفرجتم عني انفراج الرأس»،
معناه: أي أظن إنكم تذهبون عني و تتفرقون من حولي إذا اشتد الحرب، و
لا تكون قط رجوعكم الي و تنفرجون عني انفراج عظام الرأس فانها إذا
انفرجت و انشقت لا تلتئم و كيف للعظم إذا كسر أن ينجر و قيل: فيه
ثلاثة أوجه آخر.

أحدها: أن يريد بذلك انفرجتم عني رأساً، أي قطعاً فلما أعاد الكلام
عنه صار معرفاً.

الثاني: أن يكون المعنى انفراج الرأس من أدنى رأسه إلى غيره، ثم
انفراج رأسه عنه.

الثالث: يريد بانفراج الرأس انفراج من يريد أن ينجو برأسه والوجه
الأول عربي و زوي يمكن عدوه، يقال: مكنه الله من الشيء و أمكنه منه:
أي أقدره عليه والعرق أخذ ما على العظم^(١) من اللحم و أكله.
هشم العظم: كسره. والفري: القطع على وجه الصلاح، والافراء على
وجه الفساد و زوي بهما يفري جلده على اللغتين.

ثم خاطب الذي يمكن من نفسه عدوه كائنا من كان بقوله: أنت فكن
ذاك ان شئت فأما أنا فدون تمكين العدو من نفسي محاربة شديدة و ضرب
بالسيوف، أي لا يكون ذلك مني إلا بعد العجز، والمشرقية سيوف منسوبة
إلى مشارف، و هي قرى باليمن.

قال ابو عبيدة: قرى من أرض العرب تدنو من الريف، و فراش

الرأس عظام دقاق تلى القحف. و الفئ: الغنيمة. و النصيحة: المناصحة والشفقة. والخطب الفادح: الأمر العظيم المثلث يقال: فدحني الأمر: أثقلني. و تعقب الندامة: أي تورثها و نخلت لكم مخزون رأبي: أي أخلصت يعني أعطيتكم رأبي الخالص مستعار من نخلت الدقيق بالمنخل.

قوله «لو كان يطاع لقصير رأبي»، هذا قصير هو ابن عم جذية الأبرش الذي كان قتل أبا الذبأ الملكة ثم بعثت الأبرش راغبة إليه أن يتزوج بها و يحيىء إلى ولايتها و يبني هناك بها فأشار إليه قصير أن لا يجعل الموتورة من لباسه فأبى إلا التزوج بها.

فقال: قصير إذا استحضرها ولا تخرج إلى بلدتها قال أخرج البتة.

فقال: قصير إذا دخلتها^(١) فان رأيت عسكرها وافقين في سباطين فلا

تدخل فيما بينها.

فأبى قبول نصيحته فخرج إليها فأهلكته: أي لو أطيع رأبي من جملة آراء قصير لنفع، و هو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذية فضرب الامام علي عليه السلام المثل لأصحابه الذين كلفوه ترك حرب معاوية بصفين و استدعاء الاشر حال مقاتلته مع الشاميين، و قد أحس معاوية بظفر الامام علي عليه السلام فأمر برفع المصاحف على الأسنة، فقال أمير المؤمنين: اصطبروا ساعة، فقال: أصحابه إن لم ندع مالكاً نقاتلك ثم كلفوه الحكيمين.

فأبى الامام علي عليه السلام ذلك، فقالوا لا بد فقال: أبعث عبدالله بن عباس فقالوا: لا فانه ابن عمك تبعث أبا موسى الأشعري و يبعث معاوية عمرو بن العاص إلى الكوفة لا بد من هذا، فقال: أمير المؤمنين لا أجعله حكماً، إنما أجعل القرآن حكماً بيني و بينه فأبوا عليه اباء المخالفين و عصوه و نبذوا العهد فما استقام الأمر.

قوله: «حتى ارتاب الناصح: بنصحه و ضن الزند بقدحه»، أي لما خالفتموني ضمن زند أي بقدحه هذا استعارة يفسره:
قوله: «لا رأي لمن لا يطاع»، و ما استصوبت أن أنصحهم بعد ذلك فانهم كانوا يتهمونني و هذا معنى قوله: حتى ارتاب الناصح بنصحه و أراد به نفسه لأنه حملهم على اتهامه بذلك النصح.

ثم قال: «فكنت و اياكم»، أي معكم كما قال: دريد بن الصمة لقبيلة هوازن لما غزوا أعاديهم و انصرفوا و نزلوا بمنعرج اللوى ليقسموا الغنائم، و قال: لهم دريد من حقنا أن نخرج من هذه البقعة و نزل إلى سفح جبل.
فان القوم المغار عليهم خرجوا إلى أحياء العرب مستنفرين، و الآن يجتمع علينا هاهنا عالم من الناس لا نطيقهم فأبوا فكان، كما قال و قيل من هوازن ساداتهم، فقال: لهم دريد ما تبينتم نصيحتي الأضحى الغد بعد الهلاك لقوم منكم.

فضرب الامام علي عليه السلام ذلك أيضا لاختلاف أصحابه فان قيل: كيف قال: «الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح»، و شرط بعد التحميد بما لا يليق بمثله.

قلنا: الجواب أنه عليه السلام أشار بذلك بعد أن حمد الله و أنه كاره لتلك الحالة التي يخطب لها فيها و إن كان حمد الله في كل حال واجبا على نعمه المتواترة فكأنه قال: أشكر الله و أشكركم.

(٣٦) و من خطبة له عليه السلام

في تخويف أهل النهروان

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَغَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَ بِأَهْضَامِ
هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَ لَا سُلْطَانَ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ
طَوَّحَتْ بِكُمْ الدَّارُ وَ اخْتَبَلَكُمْ الْمِقْدَارُ، وَ قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ
الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُتَنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي
إِلَى هَوَاكُمُ، وَ أَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخْفَاءِ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَ لَمْ آتِ - لَا
أَبَا لَكُمْ - بُجْرًا^(١) وَ لَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا.

(٣٧) و من كلام له عليه السلام

يجري مجرى الخطبة

فَقَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَسَلُوا، وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا^(٢) (وَ نَطَقْتُ

١- في «ن»، «ع»: لا ابالكم عرا. «ر»: روى غرا. «ك»: و يروى نكرا و هجرا.

٢- في «ش»: و تطلعت حين. «ن»، «ل»، «ف»: حين تعتموا.

حِينَ تَعْتَعُوا^(١) وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا وَ كُنْتُ أَخْفَضُهُمْ صَوْتًا
وَ أَعْلَاهُمْ فَوْتًا فَطَرْتُ^(٢) بِعِنَانِهَا، وَ اسْتَبَدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالجَبَلِ لَا
تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَ
لَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ.

الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ لَهُ، وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ
حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءً^(٣)، وَ سَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ أ
تَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ اللَّهُ لِأَنَا أَوَّلُ مَنْ
صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَتَطَّرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي
قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

(٣٨) وَ مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ
فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ
فَدَعَاؤُهُمْ الضَّلَالُ^(٤)، وَ دَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ
وَ لَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

١- ساقطة من «م»، «ف»، «ن»، «ل»، «ش». «ر»: و روى قطعت و تطلقت حتى تعتعوا.

٢- في «ك»، «ر»: فطرت لعنانها و روى فظفرت بعنانها.

٣- في «ش»: قضاة.

٤- في «ض»، «ح»، «ب»: فدعأؤهم فيها الضلال.

(٣٩) و من خطبة له عليه السلام

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لَكُمْ
مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ؟ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِسُكُمْ
أَقَوْمُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا وَلَا
تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَن عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ.
فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ
إِخْوَانِكُمْ فَجَزَجَزْتُمْ جَزَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ، وَ تَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ النَّضْوِ
الْأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى
الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ).

(٤٠) و من كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا^(١) بَاطِلٌ!! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ

١- في ض و ب: كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ

إِلَّا لِلَّهِ، وَ لَكِنْ هُوَ لَا يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ^(١)، وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَ يُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ، وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ. وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ:

حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وَ قَالَ: أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبِرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ؛ وَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَمْتَنِعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَ تُدْرِكُهُ مَنِيئَتُهُ.

بيانه

خوف عليه السلام بالهلاك مع الضلال^(٢) أهل النهروان الذين صاروا خوارج من المروق فقال: «أنا نذير لكم»، أي منذركم و مخوفكم أن تصيروا قتلى بمنعطفات^(٣) هذا الوادي و بأرضها المطمئنة و في أوديتها و أنتم على الباطل لا حجة معكم.

لما خرجتم عليّ استحققتم القتل و الهلاك فسبب الله بريميكم إلى هذه البقعة لتهلكوا بها فهذا مجاز، طوحت بكم الدار و احتبلكم المقدار: و التقدير أنا نذير لكم بأن تصبحوا صرعى يعني اخبرني رسول الله صلى الله عليه و آله أنكم تقتلون هاهنا منهزمين.

٢- في م و ج: على الضلال.

١- في «ض»، «ب»: لا إمرة الا لله.

٣- في ج: بمنعطف.

فأشار إلى أنهم يهربون خوفاً في الأودية و أثناء الوادي: واحدها ثني و هو منعطفه فكانوا يدخلونها عند الحرب إما للهزيمة أو الكمين حيث يكون فيها فكان كما قال: والاهضام: جمع الهضم و هو المطمئن من الارض. والغايط: الغور منها.

والبينة والسلطان: الحجة والمبين الظاهر، و طرحت بكم: أي رميت بكم و احتبلكم صادكم بالحباله. و أبيت منعم. والمنابذ: الذي ينبذ العهد قوله: «و لم آت بجرأ»: أي لم أفعل عجباً.

و رُوي هجرأ أي كلاماً قبيحاً. و رُوي غراً و هو قرحة تخرج في مشافر الابل، فتكوى له لثلا تعدي، أي لم آت عيباً، و روي قطعت و تطلقت حتى تعتوا: أي كنت طليق اللسان اذ كنتم في تعتة من الكلام: أي في عي و لسان طلق ذلق: أي له حدة، والتعتة في الكلام: التردد فيه من حصر وعي.

يقال: تعتعت الرجل: أي أقلعته و رُوي حين تعتوا و هو مطاوع تعتع و رُوي تطلعت: أي اطلعت على باطن الأمر، و قوله: «و كنت أخفضهم صوتاً، و أعلاهم فوتاً»، و خفض الصوت: غضه والفوت: السبق، أي فت القوم فوتاً عالياً مع انخفاض صوتي و هدؤ أحوالي و صغر سني قوله: «فطرت بعنانها»، أي بعنان الحرب و استبددت، أي انفردت برهانها: أي المراهنة عليها و لما جعل الحرب عنانا استعارة جعلها مركوبة تراهن عليها و رُوي لعنانها، أي سارعت إلى الحرب لآخذ عنانها، و رُوي فظفرت بعنانها

و قيل: الضمير لفرسه التي كان يحارب عليها، و كنت في الثبات في الحرب، أو على ظهر الفرس كالجبل في رسوخها، لا تحركني رياح شديدة تكون في البحر، و لا تزايلني عن مقامي الرياح الشديدة التي تهب في البر.

والمهمز: العيب، والمغمز: المطعن، والمغامز: المعايب، يقال: وجد به مغمز أي طعن عليه.

قوله: أتراني بضم التاء: أي تظنني و قوله: «فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي»، يقول طاعتي كانت واجبة عليهم قبل أن بايعوني بعد الثلاثة و طاعته كانت واجبة عليهم، و على جميع المسلمين مذ يوم الغدير، و صارت بعد وفاة رسول الله أوجب، و بيعته لهم كان بعد قتل عثمان فسبق طاعته على بيعته واضح.

و على ذلك فبيعة غيري في عنقي، و هو اشارة إلى ما أكره عليه من البيعة والميثاق: العهد والعقد. والسمت: الطريقة الحسنة ثم ذكر، أن المؤمنين إذا رأوا شبهة ثبتوا والكفار والضلال ازدادوا بها اثماً

قوله: «فما ينجو من الموت من خافه»، وجه وقوع هذه الكلمة هاهنا ان لم يكن الكلام مبتراً أنه عليه السلام وعظ في أوله ثم أعقبه به كأنه يقول: بادروا الموت فانه لا ينجوا منه من خافه، و قوله: منيت: أي ابتليت و تمسحكم: تغضبكم، يقال: أحمشت الرجل: أي أبغضته^(١).

المتغوث: الذي يقول: و اغوثاه، يقال: غوث الرجل، و تغوث والمرجرة: صوت يردد البعير في حنجرته. و جمل أسر: إذا كانت بكر كرتة دبرة. والنضو: البعير المهزول. والأدبر: الذي به دبر

الامرة حكم من قبل الله يقوم بها في كل قرن حجة من حجج الله معصوم و في زمان الغيبة يؤيد الله هذا الدين بالرجل الفاجر، و قوله: «و يبلغ الله فيه الاجل»، بيانه في الرواية الأخرى، و هي إلى أن ينقطع مدته و تدركه منيته، و ليس تحكيم الخوارج هو الذي جرى بعد صفين على يد أبي

موسى و ابن العاص في شأن الحكيمين، و انما تحكيمهم هو.
قولهم: لا حكم الا لله: و أول من لفظ بهذه الكلمة البرك بن عبد الله،
و برک لقب له و اسمه الحجاج و كان سيداً من الخوارج.

(٤١) و من خطبة له عليه السلام

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوَاقُفُ الصِّدْقِ، وَ لَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ وَ مَا يَغْدِرُ^(١)
مَنْ عِلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ وَ لَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ^(٢)، اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ
الْغَدَرَ كَيْسًا وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلَةِ، مَا لَهُمْ؟
قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَجْهَ الْحِيَلَةِ وَ دُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ وَ نَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ^(٣) عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَ يَنْتَهَزُ فُرْصَتَهَا مَنْ
لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ.

(٤٢) و من خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَ
طُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ

٢- في ض و ب و ح: في زمان قد اتخذ.

١- في ض: ولا يغدر.

٣- في م و ش: فيدعها رأي العين.

فَيْئْسِي الآخِرَةَ. أَلَا، وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَ لَّتْ حَذَاءً^(١) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا^(٢) صَابُهَا أَلَا وَ إِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أِبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أِبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ^(٣) وَ لَدِ سَيَلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لَا حِسَابَ وَ غَدًا حِسَابٌ وَ لَا عَمَلٌ.

أقول: الحذاء، السريعة و من الناس من يرويه «جذاء» بالجيم و الذال، أى انقطع درها و خيرها.

(٤٣) و من كلام له عليه السلام

و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية.

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَ جَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَ صَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَن خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَ لَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِي وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا. وَ الرَّأْيُ^(٤) عِنْدِي مَعَ الْإِنَاءِ فَارْوِدُوا، وَ لَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْأَعْدَادَ وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ

١- في «م»، «ن»: قد ولت جذاء بالجيم. «ر»: قد ولت حذاء و بخط الرضى على حاشية الاصل الحذاء بالحاء.

٢- في «م»: اصطباها صاحبها.

٣- في «ض»، «ب»، «ن»: و الرأي مع الاناة.

٤- في «م»: فان لكل ولد.

وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ لِي ^(١) إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ (بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ^(٢) إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالِأَحْدَثِ أَحْدَاثًا، وَ أَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا، فَقَالُوا، ثُمَّ تَقَمُّوا فَعَبَّرُوا.

(٤٤) و من كلام له عليه السلام

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية
وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم
فلما طالبه بالمال خاس به و هرب إلى الشام

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ ^(٣) السَّادَةِ، وَ فَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ فَمَا أَنْطَقَ
مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَّتَهُ وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَ لَوْ أَقَامَ لِأَخَذْنَا
مَيْسُورَهُ وَ انْتَهَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ ^(٤).

(٤٥) و من خطبة له عليه السلام

١- في «ن»: فلم أر الا القتال. «ح»: فلم أر فيه الا القتال.
٢- ساقطة من «ب»، «ل»، «ش». «ن»: بما انزل على محمد. و في «ع»: بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وآله.
٣- في «ب»: فعل السادات.
٤- في «م»: و حاشية ف: بماله موفورة.

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَ لَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ وَ لَا
 مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَ لَا مُسْتَكْفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ
 رَحْمَةٌ، وَ لَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ وَ الدُّنْيَا دَارٌ مِئِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا
 الْجَلَاءُ، وَ هِيَ حُلُوةٌ خَضِرَةٌ^(١)، وَ قَدْ عَجَلْتُ لِلطَّالِبِ، وَ التَّبَسَّتْ بِقَلْبِ
 النَّاطِرِ، فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ: وَ لَا تَسْأَلُوا
 فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ، وَ لَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

(٤٦) و من كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير إلى الشام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَ كآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَ سُوءِ
 الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ^(٢) وَ الْمَالِ (وَ الْوَلَدِ)^(٣). اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي
 السَّفَرِ، وَ أَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَ لَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ
 لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا، وَ الْمُسْتَصْحَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا.

١- في «ض»: حلوة خضراء «ش»: حلوة خضراء قد عجلت.

٢- ساقطة من «ن»، «ف»، «ب»، «ش».

٣- في «ب»: و سوء المنظر في النفس.

بيانه

قوله: «الوفاء توأم الصدق»، من أحسن العبارات، أي هما اخوان و زوجان والغدر والكذب من واد واحد «و لا أعلم جنة» و هي الترس أوفى، أي أحفظ، من الوفاء و من كان له ايمان بالقيامة لا يغدر ثم فصل ذلك و هو واضح.

«الحول القلب»: الكيس الذي يمكنه تحويل الأمور و تقلبها والحريجة: اسم للتحريج و هو التأثم: و قوله: «الدنيا قد ولت حذاء»: بخط الرضي على حاشية أصله: الحذاء السريعة، و من الناس من يروي جذاء بالجيم، أي قد أنقطع درها و خبرها

عن الفراء: يقال: رحم حذاء و جذاء إذا لم توصل بالجيم والحاء معاً و جرير هو البجلي الذي قال فيه النبي: - صلى الله عليه و آله - خلوا بين جرير و الجرير حين أراد جماعة ان يحدو بناقة رسول الله و قوله: «ان استعدادي لحرب أهل الشام أغلاق للشام».

قوله: «و لا أكره لكم الاعداد»، لا تناقض بينها لأن استعداده و أعدادهم غير ان فالاعداد كسب شيء، و وضعه عده فقط والاستعداد تهيئو شيء لأمر على الظاهر على أن الاستعداد منسوب إلى عليّ و الأعداد إلى أصحابه فلا يكون اثبات هذا و نفي ذاك تنافيا مع قرب معناهما

قوله: «فأرودوا» أي ارفقوا، يقال: أرودني السير أرواداً رفق و قوله: «و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه»، أي تحققت في المعرفة به و ذكر العين والأنف مثل، و ذلك لأن المتعرف من عادته أن يعين في النظر إلى الأنف والعين و هما من محاسن الوجه.

هذا الوالي الذي أحدث أحداثاً و هو عثمان و أوجد، أي أغضب الناس، و يقال: نقتم عليه أنقم إذا عتبت عليه، و كذا نقتم أنقم لغة فيه و نقتم الأمر و نقتمه إذا كرهته و خاس في ذكر مصقلة: أي غدر.

يقال خاس فلان بالعهد: إذا نكث، و خاس به يخيس و يخوس، أي غدر به و كان أمير المؤمنين عليه السلام وجه معقل بن قيس الرياحي إلى المرتدين بسيف البحر فقتل المقاتلة و سبي الذرية و أقبل فنزل أردشير خرة^(١) و بها مصقلة بن هبيرة.

فصاح السبي أمنن علينا فاشتراهم مصقلة بثلاثمائة ألف و أعتقهم و أدى ماتي ألف ثم هرب إلى معاوية فذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام و أنفذ العتق فقال مصقله:

تركت نساء الحي بكر بن وائل و أعتقت سبياً من لؤي بن غالب و فارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب قتل معقل هذا بعد ذلك المستورد الخارجي بعد أن ضربه معقل فمات منه و قبح الله مصقلة: أي أبعده من كل خير و التبكيك كالتقريع و التعنيف و قوله: «حتى بكنته»، أي الواصف

«وفر الشيء و فوراً»، أي تم و فرته يتعدى و لا يتعدى، و رُوي موفورة و الموفور: التام، و في بعض الروايات إنه عليه السلام قال: لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه منه فان أعسر أنظرناه و ان عجز لم نأخذه بشيء.

القنوط و اليأس: الخيبة. و لا تبرح: أي لا تزول، و قوله: «مني لها

١- اردشير خرة بالفتح ثم السكون وفتح الدال و كسر الشين و ياء ساكنة وراء و خاء معجمة مضمومة مشددة و هو اسم مركب معنا بهاء اردشير ملك من ملوك الفرس وهي من اجل كور فارس.

الفناء»، أي قدر والجملاء: الخروج من الوطن. والبلاغ والبلغة به من العيش، أي يكتفى به والكاف من الرزق القوت و هو ما كف عن الناس أي أغنى.

«وعناء السفر»: شدته والوعناء الرمل اللين و يكتفى بها عن الصعوبة لأن المشي في الرمل اللين متعذر.
والكآبة: الحزن و سوء المنظر: من النظارة و هم القوم ينظرون إلى شيء و فلان حسن المنظر.

(٤٧) و من كلام له عليه السلام

في ذكر الكوفة

كَانِي بِكَ يَا كُوفَةَ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ، تُغَرِّكِينَ
بِالنَّوْازِلِ، وَ تُرَكِّبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءاً
إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ أَوْ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

(٤٨) و من خطبة له عليه السلام

عند المسير إلى الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَ غَسَقَ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَ
خَفَقَ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَ لَا مُكَافِيءِ الْإِفْضَالِ.
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَ أَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى
يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ^(١) هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ
مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةَ، فَانْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَ أَجْعَلَهُمْ مِنْ

١- في ب: و قد أردت أن أقطع.

أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

أقول: يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا سمت الذي أمرهم بلزومه و هو شاطئ الفرات و يقال ذلك أيضا لشاطئ البحر و أصله ما استوى من الأرض و يعني بالنظفة ماء الفرات و هو من غريب العبارات و عجيبيها.

(٤٩) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ^(١) خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ؛ فَلَا عَيْنُ^(٢) مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَ لَا قَلْبٌ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ؛ سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَ قَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعِدُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَ لَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ: لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَ لَمْ يَخْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ، وَ الْجَا حِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

١- في «ن»، «ك»: «فطن خفيات الامور.

٢- في «ك»: «ولا عين من لم يره.

(٥٠) و من خطبة له عليه السلام

إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبَعُ، وَ أَحْكَامُ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَ يَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالُ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ^(١) انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَ لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْثٌ، وَ مِنْ هَذَا ضِعْثٌ فَيُمَزَجَانِ^(٢)! فَهَذَا لِكَيْ يَسْتَوْلِيَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَ يَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى.

(٥١) و من كلام له عليه السلام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام

على شريعة الفرات بصفين و منعوهم من الماء

قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَ تَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَوْ رَوْوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَزَوَّوا مِنَ الْمَاءِ؛ فَأَلَمُوتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.
أَلَا وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لَمَةً مِنَ الْغَوَاةِ وَ عَمَسَ^(٣) عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ،

٢- في ب: فيخرجان.

١- في «ب»: خلص من الباطل.

٣- في ع و ل و ش: غمس عليهم.

حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيِّ.

بيانه

ذكر عليه السلام أولاً ما يجري بعده على أهل الكوفة و ليس بعلم الغيب^(١)، ذلك فانما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره عن الله بذلك فيما أخبر من الكائنات قبل كونها (بوحى من الله)^(٢)، يقول: ان المحن تنزل كثيراً بالكوفة، و يعرف أهلها عرك^(٣)، الأديم المنسوب إلى عكاظ و هو اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها في كل سنة فيقيمون شهراً و يتبايعون و يتناشدون شعراً:

فلما جاء الاسلام هدم ذلك و كل متاع فاخر يباع في ذلك الشهر هناك و ينقل إلى أطراف الأرض ينسب إليه. و وقب الليل: دخل و غسق الليل: اظلم و خفق النجم: اضطرب و تحرك و مقدمة العسكر المتقدمون منهم و يكون قدم بمعنى تقدم

قوله: «قد رأيت أن أقطع هذه النطفة»، يعني ان رأيي يقتضي أن أعبر الفرات. والشرذمة: جماعة فيهم قلة، و قوله: «مواطنين أكناف دجلة»، أي متخذين حوالي هذا النهر و طنا يقال: أو طنت البقعة و وطنتها استوطنتها، أي اتخذتها وطناً.

أما الخطبة الأخرى فعناها أن جميع الحمد ثابت لله الذي يعلم كل أمر مستور، يدل على كونه أفعاله الظاهرة التي هي دالة عليه و ليس هو

٢- بين الهلالين في م و ج.

١- في م و ج: و ليس ذلك بعلم الغيب.

٣- عركتها الحرب: أي مارستهم.

بمشاهدة و لذلك لا يدركه عين البصر إلا أنه مع ذلك (لا يمكن من لم يره أن ينكره في كل حال لأن أفعاله دالة عليه و لذلك لا يمكن من أثبتته به بالدلائل أن يبسط به علماً.

من زعم أن هذا التركيب غير مستقيم بل ينبغي أن يكون الرواية فيه فلا قلب من لم يره ينكره و لا عين من أثبتته يبصره، فقد غفل عن المعنى الذي ذكرناه^(١) لا يمكن من اثبتته يبصره فقد غفل عن المعنى الذي بيناه.

قوله: «فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه»، أي لا علوه أبعد عن الخلق و لا قربه منهم جعله متساويا لهم في الاحتياج إلى المكان.

قوله: «و لا قربه ساواهم»، والهاء لله تعالى والمعنى و لا قربه تعالى جعله مساوياً لهم في المكان، ثم قال: إن العقول لا تطلع، الا على معرفة الله الواجبة فان وصفه و عظمته لا يحدّ أن يوصف تعالى بعظمته إلا و كان أعظم منها، و لا منتهى لمقدوراته فان تمسك أصحاب المعارف كالجاحظ و نحوه ممن ذهب إلى معرفة الله ضرورة في الدنيا بقوله: فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود.

فان الدلائل العقلية التي لا يحتمل التأويل تدلّ على أن الله تعالى لا يجوز أن يعرف مع بقاء التكليف اضطراراً و أما كلام الله تعالى و رسوله و حججه عليهم السلام إذا لم يوافق ظاهره الدليل العقلي لا بدّ من أن يأول على ما يوافق دليل العقل على أن معنى هذه الكلمة واضح.

فانه عليه السلام قال: هو الله يشهد هذا العالم و جميع ما فيه من حيث يعلم بالدلائل العقلية أن هذه الموجودات كلها محدثة على أن كل من جحد الصانع يقر بأن كل محدث لا بد له من محدث، و من أنكر أن يكون

للعالم صانع.

فانه أتى من حيث أنه اعتقد أن العالم قديم وإلا فالعلم بحاجة كل محدث إلى محدث ما ضروري على سبيل الجملة و بدء كل شيء أوله و قوله: «و يتولى عليها رجال رجالا»، أي يتبع قوم قوماً على تربية البدع التي ابتدئها ضال قبلهم في الشريعة على خلاف الكتاب والسنة و يوالي بعض الرجال بعضاً على إثبات تلك الفتن

من حمل المسكوت على المنطوق شرعاً يمزج الحق بالباطل فكذلك يخفى و يستتر على المرتادين والطالبين و بطلان ذلك والضغث: في الأصل قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، و ضغث الحديث: خلطه.

و شريعة الفرات هي مورد الشاربة و مشرعة الماء و استطعمه: سأله أن يطعمه، و في الحديث ان استطعمكم الامام فأطعموه، يقول: إذا استفتح فافتحوا عليه^(١).

قوله: عليه السلام «قد استطعموكم القتال»، مجاز و استعارة، أي ان أصحاب معاوية طلبوا منكم أن تطعموهم القتال و تجعلوا المقاتلة طعمة لهم، و قيل: معناه استفتح أهل الشام مقاتلكم، أي انهم ابتدؤا بقتالكم فقاتلوهم واللمة ما بين الثلاثة إلى العشرة من الرجال.

قوله: «و ان معاوية قادمة»، أي جماعة أذلاء ضعفاء و عمس عليهم الخبر: أي لبس الحال عليهم و جعل الأمر عليهم مظلماً، يقال: أمر عموس، أي مظلم لا يدري من أين يؤتى، و جاءنا بأمر معمسات، أي مظلمة ملوية عن جهتها و لو لا تلبيس معاوية أصحابه لما قتلوا أنفسهم دونه.

(٥٢) و من خطبة له عليه السلام

و قد تقدم مختارها برواية و نذكرها ههنا برواية أخرى لتغاير الروایتين.
 أَلَا وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَ آذَنْتَ^(١) بِانْقِضَائِهِ، وَ تَنَكَّرَ
 مَعْرُوفُهَا، وَ أَذْبَرَتْ حَدَاءَ^(٢) فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا وَ تَحْدُو
 بِالمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَ قَدْ أَمَرَ^(٣) مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا، وَ كَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ
 صَفْوًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الأِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ
 المَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدِيَانُ لَمْ يَنْقَعُ.

فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ المَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا
 الزَّوَالُ، وَ لَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ وَ لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الأَمَدُ^(٤)، فَوَاللهِ
 لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الوَلِّهِ العِجَالِ، وَ دَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الحَمَامِ، وَ جَارْتُمْ
 جُورَ مُتَبَيِّلِي الرُّهْبَانِ، وَ خَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَمْوَالِ وَ الأَوْلَادِ،
 التَّمَّاسَ القُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانَ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا

١- في ب: و آذنت بوداع.

٢- في ر: الحذاء بالحاء والجيم.

٣- في ح: قد امر فيها ما كان.

٤- في ض و ح: عليكم فيها الابد.

كُتِبَهُ، وَ حَفِظَتْهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

وَ اللَّهُ ^(١) لَوْ أَنْمَاتَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاءًا، وَ سَأَلَتْ عِيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةِ إِلَيْهِ وَ رَهْبَةِ ^(٢) مِنْهُ، دَمًا، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةً، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ، وَ لَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ، أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ وَ هَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

(٥٣) و من كلام له عليه السلام

و منها في ذكر يوم النحر و صفة الأضحية

وَ مِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ ^(٣) اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَ سَلَامَةٌ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَ الْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَ تَمَّتْ، وَ لَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسَكِ.

(٥٤) و من كلام له عليه السلام

في ذكر البيعة

٢- في ض و ح و ب: او رهبة منه.

١- في ش: و تا الله لو انماتت.

٣- في ب: و من كمال الاضحية.

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكُّ الْأَيْلِ الْهِيمِ يَوْمَ^(١) وَرِدْهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَ قَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ، بَطْنُهُ وَ ظَهْرُهُ (حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ)^(٢) فَمَا وَجَدْتَنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ^(٣) بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَ مَوَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ.

(٥٥) و من كلام له عليه السلام

و قد استبسط أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي دَخَلْتُ^(٤) إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شِكَاً فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَ تَعْشُوَ إِلَيَّ ضَوْئِي وَ ذَلِكَ^(٥) أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقْتَلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا! وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

١- في م و ل و ش: يوم ورودها. ٢- ساقطة من ع و في ك: حتى فارقتي النوم.

٣- في ب و ف و م: بما جاءني محمد صلى الله عليه وآله.

٤- في ب: ادخلت إلى الموت و في ف: دخلت على الموت.

٥- في ش: إلى ضوئي أحب إلي و في ف و م: فهو أحب إلى.

(٥٦) و من كلام له عليه السلام

وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ تَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ
 إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا: مَا يَزِيدُنَا^(١) ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا وَ مُضِيًّا عَلَى
 اللَّقْمِ، وَ صَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَ جِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. وَ لَقَدْ كَانَ
 الرَّجُلُ مِنَّا وَ الْآخَرَ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ
 أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقَى^(٢) صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ.

فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَ مَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا
 أَنْزَلَ بَعْدُوِّنَا الْكِبْتَ، وَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًّا
 جِرَانَهُ، وَ مُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ. وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ
 عَمُودٌ، وَ لَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ، وَ أَيُّمُ اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا وَ لَتَتْبَعَنَّهَا
 نَدَمًا.

١- في ن: ولا يزيدنا ذلك.

٢- في ن: يستقي صاحبه.

(٥٧) و من كلام له عليه السلام

لأصحابه

أَمَّا إِنَّهُ^(١) سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحِبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ
الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ؛ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ إِلَّا وَ إِنَّهُ
سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَ الْبِرَاءَةِ مِنِّي: أَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي؛ فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَ
لَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَ أَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَ
سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْهِجْرَةِ.

بيانه

آذنت الدنيا بانقضاء، أي أعلمت بأنها تفتى و تصرمت: انقطعت و
ينكر معروفها أي تغير خيرها، يعني ان الله قد عرفكم أن هذه الدنيا دار
الفناء و كل خيرها يتنكر و أعاد الايذان إليها تأكيد الصحة ذلك و لانها لم
تبق على من كان قبلنا، فكذاك حالها معنا و أدبرت حذاء (من رواه بالجيم

أراد منقطعة الدر و من رواه حذاء^(١) بالحاء والذال معجمة أراد سريعة الذهاب و رحم حذاء غير موصولة
 قوله: «فهي تحفز بالفناء سكانها» أي تدفعهم و تعجلهم و تسوقهم،
 يقال: حفر: أي ساق و قد أمر، أي صار ذا^(٢) مر و كدر بالضم والكسر
 لغتان فلم يبق الاسملة: أي بقية مثل سملة الادوات والسملة بقية الماء تبقى
 في الاناء.

الادوية: المطهرة قوله: «و جرعة»، أي لم يبق إلا جرعة كجرعة
 المقلدة، والمقلدة حجر يطرح في الاناء و يقسم به الماء لو تمزها الصديان: أي
 لو شربها العطشان والتمزز تمصص الشراب قليلاً قليلاً و هو مثل التمزز.
 صدى: أي عطش و لم ينقع، أي لم ينقع الصديان بها عطشه و لم يروها
 و لم يسكنها العطش، أي سكنه ثم حلف أن لو حن المكلفون حنين النوق
 التي تفقد ولدها لكان في جنب ثواب الله قليلاً و لو سالت عيونهم لما جزت
 أعمالهم أنعم الله عليهم.

الولة: جمع واله، و والهة و هو الذاهب عقله والهامة لفقد محبوب،
 والعجال: جمع عجول، و هي الناقة التي فقدت ولدها. والجوار: صوت
 يتضرع. والمتبتل: المنقطع عن الدنيا إلى الله تعالى قوله: «انمائت قلوبكم»،
 أي ذابت كانهيات الملح في الماء و عمرتم ما الدنيا باقية: أي لو بقيتم ما بقيت
 الدنيا و ما للدوام.

قوله «ما جرت أعمالكم»، مفعوله قوله: «أنعمه عليكم»، و قوله: «و
 لو لم تبقوا شيئاً من جهدكم»، اعتراض في الكلام وللتأكيد. والاضحية: ما
 يضحي بها يوم النحر من النعم والاستشراف: الانتصاب.

٢- في م و ج: أي صار مرأ.

١- بين الهلاين في الرضوية و ج.

اذن شرفاء: أي طويلة عالية، ومنه يقال: استشرف الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه و بسطت كفك فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس والعضباء الشاة المكسورة القرن الداخل، و يقال: هي التي انكسر أحد قرنيها والمنسك: المذبح والمنحر هنا^(١).

قوله «يجر رجلها إلى المنسك»، أي تكون عرجاء وقيل منكسرة الرجل (و العموم يتناولهما)^(٢)، وقوله: «فتداكوا علي»، أي وردوا ودخلوا علي يدق بعضهم بعضاً مثل تداك الابل العطاش يوم وردها ودخولها الماء مرسلة مخلوطة، حبالها والتدك التفاعل من الدك وهو الدق وكأن الكاف مبدلة من القاف تخصيصاً.

المثاني: جمع مثناة وهي الحبل المثني يجعل في طرف الزمام وقوله: «قلبت هذا الامر بطنه و ظهره»، أي فكرت فيه سراً و جهراً و ليلاً و نهاراً حتى أرقت بسبب ذلك و ذهب مني النوم.

كان عليه السلام لا يأذن لأصحابه في قتال أهل الشام لعلهم يهتدون و يندمون فظن منافقو أصحابه أن دفعه إياهم عن مسارعة المقاتلة كراهية للموت أو شكا في أهل الشام، يعني انهم يقولون اني شك في أهل الشام هل يستوجبون القتل و القتال أم لا، و ليس الامر على ما زعموا.

ثم حلف أنه ما دفعهم عن ذلك الا للطمع في لحاق جماعة منهم بنا نهاراً أو قصدهم اللينا ليلاً. و إلى هذا أشار بقوله «تعشوا إلى ضوئي»، يقال عشوته أي قصدته ليلاً. هذا هو الاصل ثم صار كل قاصد عاشياً. و عشوت إلى النار أعشو إليها: إذا استدلت عليها ببصر ضعيف، قال الحطيئة:

١- في م وج: المذبح والمنحر هاهنا.

٢- بين الهمالين في الروضية

متى تأتته تعشوا إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد
وباء بآئمه: أي رجع.

ثم قال: انهم كانوا يقاتلون أقرباءهم الكفار على وفق ما أمر الله، ولا
يزيد ذلك الا تسليما و انقيادا و مضيا على اللقم، أي على جادة الحق.
و المفض: و جمع المصيبة. و التصاول: أن يحمل هذا على ذلك.
التخالس: السلب.

و الكبت: الضرب و الازدلال. و قوله: «حتى استقر الاسلام ملقيا
جرانه». أي حتى أقام الاسلام في مكانه.
و جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منخره، فاستعار للاسلام
ذلك و جعل له ناقه مناخة مستقرة قد تبوأت وطنها و تمكنت فيه، يقال:
تبوأت منزلا أي نزلته.

ثم قال «أما انه سيظهر عليكم»، أي سيغلب عليكم رجل رحب
البلعوم: و هو معاوية. و هذا كناية عن كثرة الأكل، و كان يأكل ثم يكثر، ثم
يقول: ارفعوا فو الله ما شبعت و لكن مللت و تعبت، و كان ذلك من دعاء
النبي صلى الله عليه و آله، اذ بعث إليه يستدعيه فوجدوه على حالته فقال:
«اللهم لا تشبع بطنه». و قال الشاعر:

و صاحب لي بطنه كالأهوية كأن في أمعائه معاوية
و مندحق البطن: أي خارج البطن يقال اندحقت رحم الناقة، أي
اندلقت، و يقال: لتلك الناقة التي تخرج رحمها بعد الولادة دحوق. و هذا
صفة معاوية، و انما لم يصرح عليه السلام باسم معاوية لوجوه: منها أن
أصحابه لو سمعوا منه ذلك صريحا انكسر قلوبهم، و قد حدثه النبي صلى
الله عليه و آله بذلك.

قوله «فأما السب فسبوني فانه لي زكاة»، له وجهان أحدهما: ما ورد

في الاحاديث أن ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له و ان ذمه بما فيه زيادة في جاهه و شرفه.

الثاني: ان معنى قوله: «فانه لي زكاة»، أي فان السب لي نماء و علو قدر فان ذكري يعلو على السب و لا ينقص سب و شتم من جاهي شيئاً بل أزيد به شرفاً إلى شرف. و الذي يدل على صحته أن بنى أمية عليهم اللعنة كانوا يلغونوه ألف شهر على منابريهم.

فما زاده الا سناء و رفعة و ما زادهم في الناس الا تخضعاً. هذا مقتبس من قوله: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا»^(١)، و انما يجعل عليه السلام الولادة على الفطرة علة لامتناعهم من التبري منه لأن المؤمن المعصوم الذي لم يرتكب ذنباً قط، لا يجوز أن يتبرأ منه بل يجب أن يتولى فأشار به إلى أنه لم يكن كافراً بالله طرفة عين أبداً، و انه كان على الفطرة ما تلتطخ بقبيح و أكد ذلك بقوله: «و سبقت إلى الايمان» كقوله:

سبقتكم إلى الاسلام طراً
صغيرا ما بلغت أو ان حلم
والفطرة: الخلقة.

(٥٨) و من كلام له عليه السلام

كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَ لَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آبِرٌ أَبْعَدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَ
 جِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ؟
 لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأُوبُوا شَرَّ مَا بِي، وَ ارْجِعُوا
 عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْتَقُونَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَ سَيْفًا قَاطِعًا وَ
 أَثْرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

قوله عليه السلام «لَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آبِرٌ» يروى بالباء والراء من قولهم للذي يأبر
 النخل - أي: يصلحه - و يروى «آثر» و هو الذي يأثر الحديث، أي: يرويه و
 يحكيه، و هو أصح الوجه عندي، كأنه عليه السلام قال: لا ببق منكم مخبر. و يروى
 «آبز» - بالزاي المعجمة - و هو الواثب. و الهالك أيضا يقال له آبز.

(٥٩) و قال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج و قيل له إن القوم قد عبروا جسر النهروان
 مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّطْفَةِ، وَ اللَّهُ لَا يَقْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةً، وَ لَا يَهْلِكُ
 مِنْكُمْ عَشْرَةً.

قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر و هي أفصح كناية عن الماء و إن كان

كثيرا جما.

(٦٠) و قال عليه السلام

لما قتل الخوارج ف قيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم!
 كَلَّا وَ اللَّهُ إِنَّهُمْ نُطِفُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَ قَرَارَاتِ النِّسَاءِ كُلَّمَا
 نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصًا سَلَابِينَ.

(٦١) و قال عليه السلام

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ^(١) بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَاهُ كَمَنْ
 طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعني معاوية و أصحابه)

(٦٢) و من كلام له عليه السلام

لما خوف من الغيلة
 وَ إِنِّي عَلِيٌّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَ
 أَسْلَمْتَنِي فَحِينئذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَ لَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ.

(٦٣) و من خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا ابْتِلَى النَّاسِ^(١) فِيهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ، وَ حُوسِبُوا عَلَيْهِ وَ مَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَ أَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفِيءِ الظِّلِّ: بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً^(٢) حَتَّى قَلَصَ، وَ زَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

(٦٤) و من خطبة له عليه السلام

وَ اتَّقُوا اللَّهَ^(٣) عِبَادَ اللَّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَ ابْتَاعُوا مَا بَيَّتَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ وَ تَرَحَّلُوا^(٤) فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ ظَلَّكُمْ، وَ كُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٥) لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدَى، وَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ وَ إِنَّ غَايَةَ تَنْقُصَهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ

١- في ب: ابتلى الناس بها.

٣- نُسْ ض و ح و ل: فاتقوا الله.

٥- في ش: فان الله لم يخلقكم.

٢- في م: سائغاً.

٤- في م: فترحلوا.

بِقَصْرِ الْمُدَّةِ وَإِنَّ غَايِبًا يَخْذُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٍّ
بِسُرْعَةِ الْأَوْيَةِ وَإِنَّ قَادِمًا يَفْدَمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ
الْعُدَّةِ^(١) (فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ^(٢)) غَدًا فَاتَّقَى عَبْدٌ
رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ^(٣) تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ فَإِنَّ أَجْلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ
وَ أَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُرِيْنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَ
يُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجَمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا فَيَا
لَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي^(٤) غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً وَ أَنْ تُؤَدِّيَهُ
أَيَّامُهُ إِلَى شِفْوَةٍ نَسَأَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ
نِعْمَةٌ وَ لَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً وَ لَا تَحِلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ
نَدَامَةٌ وَ لَا كَابَةٌ.

بيانه

الخارجي هو الذي يسود بنفسه من غير أن يكون له قديم. هذا عند العرب.

والخوارج شرعاً الذين يخرجون بغاة على إمام الحق دعا عليه السلام عليهم بقوله: «أصابهم حاصب»، والحاصب الريح الشديد التي تثير

١- في ش: بافضل العدة.

٢- في ش: نفوسكم.

٣- في ض و ح و ب: نفسه قدم توبته.

٤- في ش: على كل ذي غفلة.

الحصباء، و كانوا يكلفونه المصير إلى قولهم والشهادة^(١) على نفسه بأنه ما أحسن في الاشياء التي أنكروها.

فقال عليه السلام: رداً عليهم أبعداً إيماني بالله أشهد على نفسي بالكفر، ثم قال فأذنوا: أي ارجعوا شر مرجع العقب: مؤخر القدم و جمعه أعقاب و انكم ستلقون أثرة: و هي ما يستأثر به المرء لنفسه فيقطعه.

قوله «و الله لا يفلت منهم عشرة»، أي لا ينجوا عشرة رجال منهم و هذا انما قال: عن رسول الله عن الله، يقال: أفلت الشيء، و انفلت بمعنى، و أفلته غيره و قيل هلك القوم بأجمعهم بضم الميم جمع الجمع و ليس هو أجمع الذي يكون للتأكيد و كلاً: للردع و الزجر و يكون بمعنى حقاً.

قوله «كلما نجم قرن». أي نبت و طلع أهل زمان منهم قتلوا و اللصوص. السراق و السلابون: الذين يسلبون أموال الناس بقطع الطريق. ثم نهى عن قتلهم بعده و عرض بأن قتل من هو شر من الخوارج أولى و هو معاوية و أصحابه، فانهم طلبوا الباطل فأدركوه و الخوارج طلبوا الحق فأخطأوه، فمعاوية و أصحابه على العلات أسوأ حالاً منهم و ان كان الكل يستحق النار.

قال بعض أهل العلم: ان معنى هذا الكلام مأخوذ من الخبر المروي من اجتهد فأصاب فله أجران، و من اجتهد و لم يصب فله أجر. و الغيلة: الأخذ و القتل من حيث لم يدر، يقال غاله أي اغتاله و الغيلة بالكسر الاغتيال. يقال: قتله غيلة و هو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فاذا صار إليه قتله و أهلكه على غفلة و لا يطيش السهم: أي لا يعدل يقال: طاش السهم عن الهدف، أي عدل عنه، و الطيش الخفة و اضافة كفيء الظل نحو كري

النوم والنعيم أخص من الظل فلذلك حسن اضافته إليه و كان الظل سابقاً، أي تاماً فقلص: أي نقص يقال: ظل قالص: أي ناقص.

قوله «ترحلوا فقد جذبكم» أي ارتحلوا و هيئوا للرحيل فقد اجتهد بكم والجد الاجتهاد في الأمر.

استعدوا: استفعل بمعنى أفعال أعدوا كما يقال استجاب بمعنى أجاب و يكون للطلب، أي اطلبوا العدة للموت، فقد أظلمكم أي قرب منكم و علا عليكم ظله. والعبث: اللعب.

لم يترككم سدى: أي مهملين و ان ينزل به بدل من قوله الا الموت و قوله: و ان غائباً يحدوه الجديدان هذا الغائب هو الموت و كذلك القادم الذي يقدم بالفوز والشقوة.

قيل: الغائب صاحب الدنيا لمكان أنه خلق لغيرها فهو سريع الاوبة (مجاز لأنه لم يكن قط في الآخرة)^(١)، حتى يرجع إليها و نحوه تسمية القيامة بالمعاد والمرجع و يجوز أن يكون عليه السلام شبه العدم الأول بالعدم الثاني، و يجوز أن يكون المراد أنهم لم يكن لهم اختيار في حال الابتداء و لم يملكوا إلا أنفسهم ضراً و لا نفعاً حينئذ في ثاني الحال يعودون إلى مثل ما كانوا عليه أول مرة.

يقال: لا أفعله ما أختلف الجديدان يعني الليل والنهار و يمينه التوبة: أي يجعل في أمنيته أنه يتوب بعد ذلك والتسويق أن يقول: سوف أفعل و حتى يهجم أمنيته: أي حتى تأتيه غفلة وفاته.

قوله فياها حسرة: تقديره يا قوم أدعوكم لتقضوا العجب من هذه الحسرة في حال كونها حسرة أو دعا الحسرة فانه وقتها.

(٦٥) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ^(١) لَهُ حَالٌ حَالًا فَيَكُونُ أَوْلَا قَبْلَ أَنْ
يَكُونَ آخِرًا، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ
غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ
مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلَّمٌ وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَ
يَعْجِزُ وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَيُصْمُهُ كَبِيرُهَا،
وَ يَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَ
لَطِيفِ الْأَجْسَامِ وَكُلُّ ظَاهِرٍ^(٢) غَيْرُهُ غَيْرٌ بَاطِنٌ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرٌ
ظَاهِرٍ.

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِهِ وَ لَا تَخَوْفٍ^(٣) مِنْ عَوَاقِبِ
زَمَانٍ، وَ لَا اسْتِعَانَةَ عَلَى نِدِّ مُثَاوِرٍ وَ لَا شَرِيكَ^(٤) مُكَاتِرٍ، وَ لَا ضِدِّ

١- في «ح»، «ب»، «ل»: لم يسبق له حال حالاً.

٢- في «م»: ولا تخوف

٣- في «ب»: وكل ظاهر غيره باطن.

٤- في «ب»: ولا شريك مكابر.

مُنَافِرٍ؛ وَ لَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَ عِبَادُ دَاخِرُونَ، لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ
فَيَقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَ لَمْ يَنَأْ عَنْهَا فَيَقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ لَمْ يُوَدِّهِ خَلْقُ
مَا ابْتَدَأَ وَ لَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ، وَ لَا وَقَفَ بِهِ عَجْزُ عَمَّا خَلَقَ وَ لَا وَ لَجَتْ
عَلَيْهِ شُبُهَةٌ فِيمَا قَضَى وَ قَدَّرَ. بَلْ قَضَاءٌ مُتَّقَنٌ، وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ وَ أَمْرٌ
مُبْرَمٌ: الْمَأْمُولُ مَعَ النِّعَمِ، الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ.^(١)

(٦٦) و من كلام له عليه السلام

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَ تَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ، وَ
عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَ أَكْمَلُوا الْأُمَّةَ، وَ
قَلِقُوا السُّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَ الْحِظْوَا الْخَزَرَ وَ اطْعَنُوا
الشَّزَرَ، وَ نَافِحُوا بِالطُّبِّ، وَ صِلُوا السُّيُوفَ بِالْخَطِّ. وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ^(٢)
بِعَيْنِ اللَّهِ وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ.
فَعَاوِدُوا الْكُرَّ وَ اسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ، وَ نَارٌ
يَوْمَ الْحِسَابِ، وَ طَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا وَ امشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا
سُجْحًا^(٣)، وَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَ الرَّوَّاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا

٢- في «ك»: واعلموا وانتم بعين الله.

١- في ب: المرجو من النعم.

٣- في م: مشياسهلا، و في ع: سحجا عليكم بهذا السواد.

تَبَجَّهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا، وَ آخَرَ
لِلنُّكُوصِ رِجْلًا، فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَ أَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، وَ لَنْ يَتْرُكُكُمْ أَعْمَالَكُمْ).

(٦٧) و من كلام له عليه السلام

في معنى الأنصار، قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبناء
السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما الأنصار: ما قالت
الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير، قال الأنصار:

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَّى
بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِيهِمْ، وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِيهِمْ؟! قَالُوا: وَ مَا فِي
هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ^(١) فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ

بِهِمْ!!

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالُوا: احْتَجَجْتَ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَةَ.

(٦٨) و من كلام له عليه السلام

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه فقتل

وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عَثْبَةَ، وَ لَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا
خَلَى لَهُمُ الْعُرْصَةَ وَ لَا أَنَهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا، وَ كَانَ لِي رَيْبًا.

(٦٩) و من كلام له عليه السلام

في ذم أصحابه

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ!
كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكْتُ مِنْ آخَرَ؟ أَكَلَّمَا أَطَلَّ^(١) عَلَيْكُمْ مَنْسَرٌ
مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَ انْجَحَرَ انْجِحَارَ
الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَ الضَّبُعِ فِي وَجَارِهَا؟! الذَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ!
وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ.

وَ إِنَّكُمْ، وَ اللَّهُ، لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَ إِنِّي
لِعَالِمٌ بِمَا يُضْلِحُّكُمْ وَ يَقِيمُ أَوْدَكُمْ، وَ لَكِنِّي (وَاللَّهِ)^(٢) لَا أَرَى
إِضْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ، وَ أَتَعَسَ جُدُودَكُمْ، لَا

تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

بيانه

أما الخطبة الأولى فإنه عليه السلام ذكر عظمة الله وأنه الأول وهو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء، والظاهر بالادلة الدالة عليه، والباطن لكونه غير مدرك بالحواس قد اجتمعت له الأولية والآخرية والظهور والخفاء لا ينفصل الأوليان والآخران فلذا قال: لم تسبق له حال حالا، والحال والسبق كلاهما مجاز هنا.

يمكن أن يقال: معناه أنه تعالى قديم لم يسبق وجوده عدم إذ لو صار موجوداً بعد أن كان معدوماً لكان لوجوده أول أو لعدمه آخر و كل ماله أول في الوجود لا بد له من محدث.

قوله فيكون: نصب جواب يبيني، أي هو سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات لانه قديم و ما عداه محدث، وقيل: الظاهر العالي على كل شيء والغالب له والباطن الذي بطن كل شيء، أي علم باطنه يقول هو تعالى المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية و هو في جميعها ظاهر باطن.

ثم قال: «مسمى بالوحدة غيره قليل»، المراد بالقللة هنا النفي كقوله: قليل عوار القوم يقول كل من يسمى بأنه واحد لا نظير له معدوم منتف غير الله فهو تعالى يوصف بالوحدانية و نفي الشركاء حقيقة ثم ميز بينه و بين عباده بتسعة أشياء بين بها توحيد.

ثم قال: «لم يخلق ما خلق»، أي هو غني لم يخلقهم للحاجة إليهم بل للانعام عليهم ثم ذكر إنه ليس بصفة الأجسام والأعراض بقوله: «لم يحلل في الاشياء»: وفك الادغام لغة الحجاز والداحر: الدليل.

قوله: «استشعروا»، أي اجعلوا خشية الله شعاركم والشعار من الثياب دون الدثار، وهو ما يكون على جلد الإنسان وفوقه الدثار «وتجلببوا»: أي اجعلوا الجلباب لكم الوقار والحلم يعني كونوا حلماً و اجعلوا الحلم كالجللباب وهو الثوب المشتمل على بدنكم، وقوله: «عضوا على التواجد»: كناية عن تسكين القلب وترك اضطرابه واستيلاء الرعدة عليه.

قوله «فانه أبناء للسيوف»، أي فان العَضَّ على الناجد منك أشد ابعاداً لسيف العدو عن هامك، والضمير في إنه للمصدر الذي يدل عليه عضواً وما قبله من الأفعال الدالة على مصادرها والألمة: الدرع. والخزر: نظر المغضب.

طعن يطعن بالصم بالسنان، و يطعن باللسان بالفتح ، والخزر والشزر صفتان لمضمين يدل عليها الحظر «واطعنوا» الطعن الشزر و الطعن الشزر: ما كان عن اليمين والشمال «و نافحوا»: أي اضربوا.

المنافحة: مثل المكافحة من نفحه بالسيف، أي ضربه و ظبة السيف حده مثل قوله: «و صلوا السيوف بالخطا»، ما رُوي أنه قيل لعلي عليه السلام كان معه سيف قصير ما أقصر حسامك قال: «أطولته بخطوة».

قوله «وأعلموا أنكم بعين الله»، أي يراكم الله على ما أنتم عليه. ويعلم أفعالكم والأعقاب: الأولاد يقال: خلف فلان عقبا، أي ولد أو مشياً سجحا: أي سهلاً وكذا إذا رُوي سمحاً.

قوله: «عليكم بهذا السواد الأعظم»، أي يجب عليكم أن تأخذوا بهذا، العدد الكثير، و تقاتلوهم و تقتلوهم و سواد الناس عوامهم و كل عدد كثير

والسواد الشخص أيضاً، يجوز أن يعني به معاوية خاصة و يجوز أن يكون الالف واللام في السواد للجنس كقولك^(١)، الدينار خير من الدرهم و يكون المراد به معاوية و أصحابه.

«الرواق المطنب»: أي مشدود بالأطناب و كان قد ضرب لمعاوية مضرب عظيم و أحاط به أربعائة الف عاقدون على أنفسهم ان لا ينفرجوا عنه حتى يقتلوا.

قوله: «فاضربوا ثبجه»، فثبج كل شيء وسطه، والثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر، و قوله «فان الشيطان كامن في كسره»، الكسر جانب الخيمة التحتاني، أي كمن ابليس هناك عليكم و يجوز أن يكون عنى بالشيطان خصمه و هو معاوية قد قدم هذا الشيطان، أو معاوية يد اللوثبة عليكم ان جبنتم و أخر رجلا للنكوص والتأخر والهزيمة ان تقدمتم و أقدمتم.

قوله: «فصمداً صمداً»، أي ما اقصدوا قصداً بعد قصد، والصمد: قصد محقق، حتى ينجلي، أي ينكشف و يتبين لكم عمود الحق.

هذا مستعار من قولهم سطع عمود الصبح مجاز من عمود البيت الجمع عمد و عمد، و قال: تعالى «فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ»^(٢)، و قرىء بهما و أنتم الاعلون الواو، للحال و لن يترككم، أي لن ينقصكم أعمالكم، أي جزاء أعمالكم و لما انتهت، أي اتصلت إلى الامام علي عليه السلام أبناء السقيفة، أي أخبار سقيفة بنى النجار من بيعة الناس أبابكر بها والكلام إلى آخره واضح.

رُوي أن علياً عليه السلام استرجع في آخر ذلك الكلام فقال: «إنا لله

و إنا إليه راجعون»، و قوله: «و لما خلى لهم العرصة»، أي لم يخل لمعاوية و أصحابه عرصة مصر و لأمكنهم من أن ينهزوا فرصة.

ثم ذكر أن هذا ليس بدم لمحمد ابن أبي بكر (و لكنه مدح لهاشم بن عتبة و كأنه كان يريد أن يبعثها إلى مصر دون محمد بن أبي بكر)^(١) و رأيه عليه السلام كان قوياً إلا أن يصيبه موجدة لذلك و والده محمد بن أبي بكر أسماء بنت عميس كانت زوجة جعفر بن ابى طالب.

فلما قتل تزوج بها أبوبكر فلما توفي أبوبكر تزوج أمير المؤمنين بها فكان محمد بن أبي بكر ربيب الامام علي عليه السلام و كان إليه محبوباً و قوله «كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة»، المدارأة بالهمز المدافعة و بغير الهمز الملاينة.

البكار جمع البكر و هو الفتى من الابل مثل فرخ و فراخ، و العمدة التي انفضخ داخل سنামها، و ظاهره صحيح. «و الثياب المتداعية» الخلق كأن بعضها يدعو بعضاً و يناديه بالانخراق اذا مس باليد.

هذا استعارة حسنة كلما خيطة من جانبه؛ أي خيطة و تهتكت انخرقت اكلمأ اظلم عليكم: يقال اظلم و اظلم عليه و روي بالطاء غير المعجمة و المنسر قطعة من الجيش يمضي قدام الجيش الكثير. و انجحر: دخل الجحر.

الوجار: موضع الضبع و قوله: «و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل»، أي من رمى بكم الى الأعداء فكأنما رمى بسمهم منكسر الفوق لا نصل له. و الباحات: جمع باحة و هي العرصة:

بهذا الكلام ينظر إلى كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم للانصار

«انكم لتقتلون عند الطمع، و تكفرون عند الفرع»^(١) و لكنه على العكس. والأود: العوج، أضرع الله: أي ذلل و في المثل الحمى أضرعتني لك و أتعس جدودكم.

التعس الهلاك، و أصله الكبت و هو ضد الانتعاش، و أتعسه الله: ألزمه هلاكاً. والمجد: الحظ والبخت^(٢): أي صير بدل غناكم الفقر.

(٧٠) قال عليه السلام

في سحرة اليوم الذي ضرب فيه

مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآله و سلمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَ
اللدِّدِ؟ فَقَالَ: «ادْعُ عَلَيْهِمْ» فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا (إلى) ^(٣) مِنْهُمْ،
وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

قال الشريف: يعني بالأود الاعوجاج، و بالدد الخصام و هذا من أفصح الكلام.

١- في م: و تكفرون عند الفرع.

٢- البخت: بفتح الباء و سكون الحاء و بعدها تاء ساكنة معناه الحظ و الاقبال و سعة العيش و هي كلمة

٣- ساقط من ض و ح و ب.

فارسية.

(٧١) و من كلام له عليه السلام

في ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ! حَمَلْتَ فَلَمَّا
 أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَ مَاتَ قِيَمُهَا، وَ طَالَ تَأْيِمُهَا، وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا أَمَّا وَ
 اللَّهُ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا، وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا وَ لَقَدْ^(١) بَلَّغَنِي أَنْتُمْ
 تَقُولُونَ: يَكْذِبُ^(٢)؟ فَاتْلُكُمُ اللَّهَ، فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ؟ أَعَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ
 مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ^(٣)، كَلَّا وَ اللَّهُ، وَ لَكِنَّهَا
 لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيُلْمُهُ؟ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ! لَوْ
 كَانَ لَهُ وَعَاءٌ (وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ).

(٧٢) و من خطبة له عليه السلام

علم فيها الناس الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله

اللَّهُمَّ دَاحِيِ الْمَذْحُوتِ، وَ دَاعِمِ الْمَسْمُوكَاتِ^(٤)، وَ جَابِلِ
 الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيْبِهَا وَ سَعِيدِهَا: اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ

٢- في ح و ض: تَقُولُونَ: عَلَيَّ يَكْذِبُ

٤- في م: وداعم المسوكات.

١- في ب: ولكني بلغني

٣- في ح: من صدق به.

نَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَ
الْفَاتِحِ لِمَا انْعَلَقَ، وَ الْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَ الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ،
وَ الدَّمَاعِ صَوْلَاتِ الْأَصَالِيلِ.

كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ
نَاكِيلٍ عَن قَدَمٍ، وَ لَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيّاً لَوْحِيكَ، حَافِظاً عَلَى عَهْدِكَ،
مَاضِياً عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَ أَضَاءَ الطَّرِيقَ
لِلْخَابِطِ، وَ هُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ حَوْضَاتِ الْفِتَنِ (وَ الْآثَامِ) ^(١) وَ أَقَامَ
مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَ نَيَّرَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَ خَازِنُ
عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَ بَعِيثُكَ بِالْحَقِّ. وَ رَسُولُكَ
إِلَى الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَ اجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ
فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ ^(٢) عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنَزَلَتَهُ، وَ
أَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَ اجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيّاً
الْمَقَالَةَ ^(٣) ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَ خُطَّةٍ فَضْلِ. اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي
بَرْدِ الْعَيْشِ وَ قَرَارِ النُّعْمَةِ، وَ مَنَى الشَّهَوَاتِ، وَ أَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَ رَخَاءِ
الدَّعَةِ، وَ مُنْتَهَى الطَّمَأِينَةِ، وَ تَحْفِ الْكِرَامَةِ.

١- ساقطة من ن وع وف وفي م وك وش ول: خوضات

٣- في ب: و مرضى المقالة.

٢- في نسخة واعل به على.

(٧٣) و من كلام له عليه السلام

قاله مروان بن الحكم بالبصرة

قَالُوا: أَخَذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَ لَهُ: يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفَتْ يَهُودِيَّةً لَوْ بَايَعَنِي^(١) بِيَدِهِ لَعَدَرَ بِسَبَبِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَ هُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ، وَ سَتَلَقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَ مِنْ وُلْدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ^(٢)!

(٧٤) و من كلام له عليه السلام

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ^(٣) بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَ وَ اللَّهِ لَأَسْلَمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً التَّمَسَّاسَ لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَ زَبْرِجِهِ.

٢- في م وف: موتا أحمر.

١- في ب: لويابيعني بكفه.

٣- في ب: أحق الناس بها.

(٧٥) و من كلام له عليه السلام

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوْ لَمْ يَنْهَ^(١) بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ
سَابِقَتِي عَنْ تُوْهُمَتِي وَ لَمَّا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ
الْمَارِقِينَ وَ خَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ^(٢) وَ عَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ، وَ
بِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ.

أقول؛ قرفى بكذا: اى اتهمنى به و نسه إلى و وزع: كف و
حجيجهم والخصيم: المخاصم و قوله: او لم ينه إلى و ما وزع.

(٧٦) و من خطبة له عليه السلام

في الحث على العمل الصالح

رَحِمَ اللهُ عَبْدًا^(٣) سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَ دُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَ
أَخَذَ بِحُجْرَةٍ هَادٍ فَتَجَا: رَاقِبَ رَبَّهُ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصًا، وَ عَمِلَ

٢- في ح: خصيم الناكتين المرتابين.

١- في م و ف و ن و ل: اولم ينه امية.

٣- في ح و ض و ب: رحم الله امرأ سمع.

صَالِحاً، اِكْتَسَبَ مَذْخُوراً^(١)، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً، رَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ
عَوْضاً كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى
عُدَّةً وَقَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ، وَ لَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ، اغْتَنَمَ
الْمَهْلَ، وَ بَادَرَ الْأَجَلَ، وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

بيانه

قوله: «ملكني عيني و أنا جالس»، كناية عن رنق النعاس في عيني،
أي نعست جالساً فرأيت رسول الله في النوم قد سنح لي: كذا، أي اعترض
و سنح لي الظبي إذا مر من مياسرك إلى ميامنك والعرب تتيمن به و رؤي
ما ذا لقيت من الاود والادّ الشيء العجيب والادّة الداهية يريد، أي الشيء
لقيت على معنى التعجب كقوله: يا جارتا ما أنت جار.

قوله: «أبدلني الله بهم خير الي منهم»، إما أن يسأل الله أصحابا
يعاونونه في الدنيا أو سرعة الانقلاب إلى صحبة رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم و إذا كان الأمير على الناس مثل الحجاج يقتل رجالهم و يأخذ
أموالهم فلا خلاف أنه شر لهم يكن لعلي عليه السلام شرارة على الخلق.

فقوله: و أبدلهم بي شرا لهم مني»، فاني على مذاق اعتقاداتهم. فانهم
رأوا حثه إياهم على الجهاد شرا لهم، و منعهم عن الفحشاء والمنكر، و
حبسهم على طاعة الله و دعوتهم إلى قمع الشهوات عند كل حرام شرا
وأورد الكلام على ما عندهم من المعتقد الفاسد.

١- في ك: والصواب كسب مذخوراً.

ثم ذم أهل الكوفة و ضرب لهم مثلاً بأن مثلهم مثل المرأة الحبلى، فلما تم أيامها و قرب زمان وضعها أسقطت و مات زوجها و تأيئت و طال عليها الأيومة و تزوج بها جاف سيء الخلق، أو كانت أمة فورثها أبعدها و الأبعد الخائن و منه قولهم كب الله الأبعد كبه، أي ألقاه لوجهه.

يقال: صحبتكم أحسن صحبة و قابلتموني بالخيانة في آخر الأمر و مضرة ذلك تعود إليكم، ثم ذكر أنه ما أتاهم اختياراً، فقال و لكن جئت إليكم سوقاً، أي ساقني الله و روي لا جئتكم سوقاً و سمعت أنكم تزعمون أني أكذب فيما أقول عن رسول الله.

ثم قال: كلا، أي ليس كما تزعمون، ولكن ما ذكرته و حدثت به عن رسول الله كانوا عيباً عنه، فيه و لم يسمعه منه و الناس أعداء ما جهلوا، و قيل: يعنى بقوله: «ولكنها لهجة» لهجه نفسه و كلامه الذي ينصحهم به و لا ينتفعون بمكانه، و أتمت المرأة تم زمان حملها و أقلصت الحامل بولدها، أي أسقطته، و اللهجة: اللسان، يقال: فلان حسن اللهجة.

قوله «ويل أمه»، كلمة تعجيب و الضمير في أمه للعلم، أو للكلام و كيلا يعنى علمه و كلامه فأشار بقوله: «كيلا بغير ثمن»، إلى كثرة ما يعظهم و لا يريد منهم جزاء و لا شكورا.

ثم قال: «اللهم يا داحي المدحوات»، أي باسط الأرضين المبسوطات و الدحو البسط. «و داعم المسموكات»، أي حافظ هذه السموات المرفوعات يقال: «دعمت الشيء دعماً إذا جعلت له دعامة و سمك الله السماء، أي رفعها.

هذا إيماء الى قوله تعالى: «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْؤَمُهَا»^(١)، و خلق الله الارض

رَبوةٌ ثم بسطها والمسموكات السموات، وكل شيء رفعته فقد سمكته روي:
 «و جبار القلوب على فطرتها»: من الجبر الذي هو ضد الكسر.
 أي أثبتتها وأقامها على ما فطرها عليه من معرفته و يجوز أن يكون
 من جبر على الأمر بمعنى أجبره عليه، أي ألزمها و ختم عليها الفطرة على
 وحدانيته، والاعتراف ببروبيته والفطرات بكسر الطاء و فتحها تكسير
 فطرة على بناء أدنى الجمع كالسدرات، قوله «و شقيها و سعيدها»، بدل من
 القلوب.

«جابل القلوب»: أي خالقها على فطرتها الفطرة: الحالة التي يفطر الله
 الآدمي عليها خاليا عن الآراء و الديانات فاذا بلغ اختار السعادة بحسن
 نظره والشقاوة بسوء نظره كما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: كل
 مولود يولد على الفطرة الخبر بتمامه.

أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن السعيد والشقي كليهما مجبولان على
 الفطرة، أي الحالة التي يمكنه معها اختيار فعل الخير والشرّ و قوله: «الدامغ
 صولات الاضاليل»، أي المهلك لحملات الضلال، يقال: «دمغه دماغاً»: أي
 شجه، بحيث يبلغ الدماغ فيهلكه.

الجيشات: جمع جيشة من جاش إذا ارتفع. و الأباطيل: جمع باطل
 على غير قياس، والمراد أنه قانع ما نجم منها و اضطلع به: قوي (يحملة
 افتعل من الضلالة)^(١) و قوله «فاضطلع»، أي قوي يحمل ما حملة الله من
 الرسالة والاضطلاع من الضلالة و هي القوة.

«مستوفراً» بأي على عجلة والوفز العجلة، و استوفزني قعدته إذا قعد
 قعودا غير مطمئن منتصباً، و قوله: «غير ناكل عن قدم» أي غير جبان

ضعيف عن التقدم، يقال: نكل فلان عن العدو إذا جبن عنه و عن قدم، أي عن تقدم من قولهم قدم يقدم قدماً، أي تقدم و روي قدم بضم الدال.

يقال: مضى فلان قدماً، أي سار و لم يعرج و رُوي لغير نكل في قدم و نكل نكولا لغة و نكل نكولا و القدم التقدم، و يجوز أن يراد قدم الرجل و يقع نكولها عبارة عن التأخر و أراد بالقبس: أي نور الحق.

والضميران في قوله: «بأهله و أسبابه» راجعان إلى القبس، أي حتى استخراج العلوم لطالبيها يعني من أنعم الله عليه و تكاملت عنده الآؤه و وصل أسباب ذلك القبس به و جعله من أهله والمستضيئين بشعاعه و هذا على الرواية التي نذكرها من بعد.

يقال: وري الزند يري ورياً إذا خرجت ناره و أوريته أنا و القبس شعلة من نار و قبست منه ناراً، أي طلبت فأقبسني، أي أعطاني و الخابط، الذي يمشي ضارباً برجله الأرض لا يتوقى شيئاً لسرعة مشيه.

رُوي «و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن و الاثم»^(١). موضحات الأعلام، و المصدر في خوضات الفتن مضاف إلى المفعول، أي بعد ما خاضت القلوب الفتن أطواراً و كرات و موضحات يتعلق بهديت و الاصل هديت إلى موضحات فحذف الجر و أوصل الفعل.

الشهيد: الشاهد على أمته و البعث: المبعوث و رُوي مفتسحاً و هو موضع الافتساح، أي الاتساع، أو مصدر، و أفسح له مفتسحاً، أي وسع له المقام في ظلك، و رُوي و أتم له نوره و أجره و قوله: «مقبول الشهادة»، نصب على الحال.

قوله: في مروان بن الحكم لو بايعني بيده لغدر بسبته يعني انه منافق

ذكر السببة تعظيماً له وشنعة عليه والسببة الاست، يقال: سبه يسبه، أي طعنه في الاست. و قوله: «و ان له امرة كلعة الكلب أنفه»، إشارة إلى قلة مدة خلافته و زوي أن إمرته كانت ستة أشهر، و لعقت الشيء: لحسته، واللعقة بالفتح المرة الواحدة «و هو أبو الأكبش الأربعة»، هم ولده عبد الملك، والوليد، و سليمان، و هشام، و ستلقى الامة منهم موتاً أحمر، أي شديداً يقال: سنة حمرا، أي شديدة و زوي موتاً أحمر يوصف بالشدة.

منه الحديث كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (و من نظر في سيرهم و أفعالهم القبيحة في الامة علم تفصيل ما أشار اليه الامام علي عليه السلام جملة^(١)) و تنافس الناس فيه، أي رغبوا و نافست في الشيء إذا رغب في وجه المباراة في الكرم.

نفس عليّ بخير قليل: أي حسدت والزبرج: الزينة من وشي أو جوهر و نحو ذلك، والزخرف من الذهب والقرف العيب، يقال: قرفت الرجل، أي عبته و هو يقرف بكذا، أي يرمى به و يتهم، «أو ما وزع»، (الهمزة للاستفهام دخل على و او العطف و وزع)^(٢)، أي دفع و كف و منه لا بد للناس من وزعة و التهمة بالتحريك أفصح.

قوله: «أنا حجيج المارقين»، أي محاج الخوارج، و ساهم بذلك لانهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم بين أنهم و ان أقروا بالاسلام بألسنتهم فلا ايمان في قلوبهم «و بما في الصدور يجازى العباد».

ذكر أنه التبس عليهم شيء من كلامي و اشتبه عليهم شيء من أفعالهم لى فكان يجب عليهم أن يعرضوه على كتاب الله فاذا وافقه فلا

١- بين الهلالين في م و ج.

٢- بين الهلالين في ج.

يلوموني و لا يخرجون عليّ، فقال: على كتاب الله^(١)، تعرض الامثال، أي المشتبهات.

قوله: «سمع حكما فوعى»، أي سمع حكمة فحفظها و عمل عليها حجة الازار معقده و حجة السراويل التي فيها التكة و هي هاهنا كناية، عن التمسك بجبل رجل هاد و قوله: «أكتسب مذخورا»، يقال كسبت المال لنفسي و لغيري و اكتسبته لنفسي.

قال بعض أهل العلم: الصواب كسب مذخورا لقوله تعالى: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»^(٢) قوله: «لزم المحجة البيضاء»: أي الجادة الواضحة.



(٧٧) و من كلام له عليه السلام

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لِيَفُوقُونِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ آلَهُ تَفْوِيْقًا،
لَا تَفُضُّنَّهُمْ (وَ اللهُ لَئِنْ بَقِيَتْ لَهُمْ) ^(١) نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةَ.
و يروى «التراب الودمة». و هو على القلب.

قوله عليه السلام: «ليفوقوني»، أي يعطونني من المال قليلا
كفواق الناقة، و هو الحلبة الواحدة من لبنها، والوذام: جمع وذمة
هي: الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتتنفض

(٧٨) و من كلمات كان عليه السلام يدعو بها

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ
بِالْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَآيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي،
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ (بِلِسَانِي) ^(٢) ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ، وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ، وَ شَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَ

١- ساقطة، من ب

٢- ساقطة من ن، م، ل، ش

هَفَوَاتِ اللِّسَانِ

(٧٩) و من كلام له عليه السلام

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، وقد قال له: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم.

فقال عليه السلام:

أَتَزَعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ
السُّوءُ؟ وَ تُخَوِّفُ^(١) السَّاعَةَ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ
صَدَّقَ بِهَذَا^(٢) فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَ اسْتَعْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ^(٣) بِاللَّهِ فِي
نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفَعَ الْمَكْرُوهَ؛ وَ تَبَتَّغَى فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ
يُؤَلِّكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ - بِزَعْمِكَ أَنْتَ - هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ
الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَ أَمِنَ الضُّرَّ!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال^(٤):

١- في ض و ح و ب: و تخوف من الساعة

٢- في ب: فمن صدق بهذا

٣- في ب: عن الاعانة بالله

٤- ساقطة من ف و ن و ل.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمَ النَّجُومَ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ
 بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ، وَالْمُنَجِّمِ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ
 وَالسَّاحِرِ كَالْكَافِرِ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ.

(٨٠) و من خطبة له عليه السلام

بعد حرب الجمل في ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النَّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ.
 نَوَاقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَقَعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ
 فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نَقْصَانُ عَقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ (مِنْهُنَّ) ^(١)
 كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَ أَمَّا نَقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى
 الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرَّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النَّسَاءِ، وَ كُونُوا مِنْ
 خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي
 الْمُنْكَرِ

(٨١) و من كلام له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ. الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ

عِنْدَ^(١) الْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْدَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَكُتِبَ بَارِزَةَ الْعُذْرِ وَاضِحَةً.

(٨٢) و من كلام له عليه السلام

في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ، وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَ فِي حَرَامِهَا^(٢) عِقَابٌ، مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَ مَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَ مَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعَمَّتْهُ.

أقول: و إذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام «من أبصر بها بصرتة» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، و لا سيما إذا قرن إليه قوله «و من أبصر إليها أعمته» فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» «أبصر إليها» واضحا نيرا و عجيبا باهرا

١- في ح: والتورع عند المحارم و في ل و ش: والورع عن المحارم

٢- في ف: و حرامها عقاب

بيانه

يقال: فوقت الفصيل، أي سقيته اللبن فواقاً فواقاً، والفواق ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب (ثم يترك ساعة يرضعها الفصيل ليدر ثم تحلب)^(١).

والتراث: الميراث والتاء بدل من الواو و نفضت الثوب أنفضه إذا حركته، لينتفض. واللحام: الذي يبيع اللحم

التربة: الانغلة و جمعها تربات و ترائب على القياس والوذام الكرش والامعاء ذكر الجوهري في صحاح اللغة هذا الحديث على الرواية الاخيرة ثم ذكر أن الأصمعي سأل شعبة عن هذا الحديث.

فقال: هو الوذام التربة لا التراب الودمة والحزة: قطعة و في رواية لئن وليت بنى أمية لانفضتهم نفض (القصاب التراب الودمة فالتراب جمع ترب والودمة المنقطعة)^(٢) الأوذام و هي المعاليق من قولهم: و ذمت الدلو فهي وذمة إذا انقطعت أو ذامها و هي سيور العراق والمعنى كما ينفض للحم والبطن التي تقفرت بسقوطها على الأرض لانقطاع معاليقها، وقيل: هذا من غلظ النقلة و انه مقلوب والصواب الوذام التربة، و فسرت الوذام بأنها جمع وذمة و هي الكرش نفسها، أو الحزة منها والوجه ما ذكرته.

قوله: «اللهم اغفر لي ما وأيت»، أي وعدت و هو من الوأي، أي الوعد و تقديره اللهم اغفر لي ما وأيت: أي ذنب مخالفتي ما وعدته فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه والرمز: الاشارة والاياء بالشفنتين والحاجب.

لحظه لحظاً و لحظ إليه: أي نظر إليه باللحاظ و هو مؤخر العين و جمع المصدر الذي هو اللحظ لاختلافه. و سقطت اللفظ هي اللغو و شهوات الجنان غفلات القلب، و السهو: الغفلة، و قدسها عن الشيء. و الهفوة: الزلة و قد هنى يهفو هذا المنجم الذي أشار إليه عليه السلام بترك الرحيل و قتنذ هو عفيف بن قيس أخو الأشعث بن قيس ذكره المبرد و حاق به الضر: أحاط به قال تعالى: «وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»^(١)، قال ابن عرفة حاق به الأمر إذا لزمه.

قال الأزهري^(٢): الحيق ما يشتمل عليه من مكروه فعله قال تعالى: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»، أي لا يرجع عاقبة مكروهه إلا عليهم و يقال: ولاه الامير على كذا و ولاه فلان يبيع كذا، و فعل كذا و وليته معروفاً و رُوي أن يوليكَ الحمد.

يقال: كهن كهانة بالفتح: أي صار كاهناً و كهن يكهن كهانة مثل كتب كتابة، أو تكهن و السحر كل ما لطف مأخذه و دق، الساحر من يصرف الناس عن الحق بتخيل. و لما فرغ من حرب الجمل ذكر في ذم النساء شيئاً. هو تمهيد عذر للتي غررها طلحة و الزبير و كأنه من كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم ناقصات عقل و دين ثم ذكر عليه السلام أن الزهد ثلاثة أشياء و أشار من بعد أن درجة قصر الأمل منها أدون و الشكر و الورع أعظم.

فقال أبو عبيدة: عذرته فيما صنع و أعذرته بمعنى، أي جعلته ذا عذر

١- هو: ٨.

٢- أبو منصور محمد بن ازهر الهروي الشافعي اللغوي ولد سنة ٢٨٢ و أخذ عن الربيع بن سليمان و نطفويه و ابن السراج اسرته القرامطة و بقي فيهم دهرأ طويلاً و سكن البادية فأخذ منهم الفاظاً و كان رأساً في اللغة له آثار و مؤلفات توفي سنة ٣٧٠.

والحجة: البرهان. والمسفرة: المضيئة، يقال: أسفر الصبح إذا أضاء و أسفر وجهه أشرق. والعناء: التعب و من ساعاها: أي من جاراها وسعى لها فاتته، أي سبقته و صارت فاتتة منه.

من قعد عنها: أي عن طلبها و اتته، أي طاوعته و من أبصر بها، أي من اعتبر بها فاذا قلت أبصر بها فالمفعول محذوف، أي أبصر بها الدليل و أبصر إليها: أي نظر إليها متعجباً منها و ادا محباً لها.

(٨٣) و من خطبة له عليه السلام

وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَ دَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحٌ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ
فَضْلٍ، وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَ
سَوَابِغِ نِعَمِهِ وَ أَوْمِنُ بِهِ أَوْلًا بَادِيًا وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا، وَ أَسْتَعِينُهُ
قَادِرًا قَاهِرًا، وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا^(١) نَاصِرًا، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَ إِنْهَاءِ عُدْرِهِ (وَ
تَقْدِيمِ نُذْرِهِ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ^(٢) الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ، وَ وَقَّتَ
لَكُمْ الْأَجَالَ، وَ الْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَ أَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ، وَ أَحَاطَكُمُ
بِالْإِحْصَاءِ وَ أَرْصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ، وَ آتَرَكُمُ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَ الرَّفْدِ

١- في ن: كافلا ناصرا وفي م: واشهد أن لاله الا الله وأن محمداً رسول الله

٢- ساقطة من ن وف

الرَّوَافِعِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ وَأَخْصَاكُمْ عَدَدًا وَوَضَّفَ لَكُمْ مَدَدًا فِي قَرَارِ خَيْرَةٍ، وَ دَارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبِرُونَ فِيهَا وَمُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا. فَإِنَّ الدُّنْيَا رِنَقٌ مَشْرَبُهَا، رَدْعٌ مَشْرَعُهَا: يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبِرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَ سِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا: قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَ قَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا. وَ أَفْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَ أَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَ وَحْشَةَ الْمَرْجِعِ وَمُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ، وَ ثَوَابِ الْعَمَلِ وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ يَعْقِبُ السَّلْفَ^(١): لَا تُفْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا وَ لَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا يَحْتَدُونَ مِثَالًا وَ يَمْضُونَ أَرْسَالًا، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ، وَ صَيُورِ الْفَنَاءِ.

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَ تَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَ أَرَفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ^(٢)، مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَ أَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَ أَوْجَرَةَ السَّبَاعِ وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ^(٣)، سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتًا، قِيَامًا صُفُوفًا، يَنْفُذُهُمُ الْبُصْرُ وَ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ، وَ ضَرَعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَ الدَّلَّةُ قَدْ ضَلَّتِ الْحَيْلُ، وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَ هَوَتْ الْأَفِيدَةُ كَاظِمَةً، وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّمَةً،

٢- في ن: أخرجهم ملائكتهم من ضرائح القبور.

١- في ض: يعقب السلف.

٣- في ن: مطارح الهلاك

وَالْجَمَّ الْعَرْقُ، وَ عَظْمَ الشَّفَقِ، وَ أُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى
فَصْلِ الْخِطَابِ وَ مَقَايِصَةِ الْجَزَاءِ، وَ نَكَالِ الْعِقَابِ، وَ نَوَالِ الثَّوَابِ.
عِبَادُ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا، وَ مَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا، وَ مَقْبُوضُونَ
اِحْتِضَارًا، وَ مُضْمَنُونَ أَجْدَانًا، وَ كَائِنُونَ رُقَاتًا، وَ مَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا، وَ
مَدِينُونَ جَزَاءً، وَ مُمَيِّزُونَ حِسَابًا، قَدْ أَمْهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَ
هُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَ عُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ، وَ كُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدُفُ
الرَّيْبِ، وَ خُلُوا لِمِضْمَارِ^(١) الْجِيَادِ وَ رَوِيَةِ الْإِرْتِيَادِ، وَ أَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ
الْمُرْتَادِ فِي مَدَّةِ الْأَجْلِ، وَ مُضْطَرَبِ الْمَهَلِ.

فِيَا لَهَا أَمْثَالًا صَابِيَةً، وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً،
وَ أَسْمَاعًا وَاعِيَةً، وَ آرَاءَ عَازِمَةً وَ أَلْبَابًا حَازِمَةً، فَاتَّقُوا اللَّهَ^(٢) تَقِيَّةً مَنْ
سَمِعَ فَخْشَعَ وَ اقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَ وَجَلَ فَعَمِلَ، وَ حَازَرَ فَبَادَرَ، وَ أَيَقَنَ
فَأَحْسَنَ، وَ عَبَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَ حُذِّرَ (فَحَذِرَ وَ زَجِرَ)^(٣) فَازْدَجَرَ، وَ أَجَابَ
فَأَنَابَ، وَ رَاجَعَ فَتَابَ^(٤) وَ اقْتَدَى فَاحْتَذَى، وَ أَرَى فَرَأَى.

فَأَسْرَعَ طَالِبًا، وَ نَجَا هَارِبًا، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَ أَطَابَ سَرِيرَةً، وَ
عَمَرَ مَعَادًا، وَ اسْتَظْهَرَ زَادًا لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَ وَجِهَ سَبِيلِهِ، وَ حَالَ حَاجَتِهِ،
وَ مَوْطِنِ فِاقَتِهِ، وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مَقَامِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا
خَلَقَكُمْ لَهُ، وَ اخْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَهُ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَ اسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا

١- في ك: وروي بمضمار الجياد.

٢- في ب: فاتقوا تقيّة.

٣- ساقطة من و م و ف و ل و ش.

٤- في ب: ورجع فتاب.

أَعَدَّكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

بيانه

ذكر عظمة الله أولاً بأنه علا بجوله وقوته واستغنى عن غيره فلم يحتج إلى قدرة و بصنعه علم علوه وبأظهاره مقدوراته عرفت عظمتة ودنا بطوله: أي بفضل قربه ممن يدعوه، وقيل دنا بالافضال من عباده وإن كان عالياً، عظيم الشأن لا يوصف بوصفهم، ولا يذكر كذكرهم. الازل: الضيق والحبس و سوايغ نعمه: الصفة مضافة إلى الموصوف و هذا كثير في كلامهم التقدير نعمه السوايغ و هذا التصرف والاتساع منهم للكشف والبيان.

قوله «لأنهاء عذره و تقديم نذره»، مقتبس من قوله تعالى: «فَالْمَلَأْتِ بِذِكْرٍ أَعْذَرًا أَوْ نَذْرًا»^(١)، أي إعدرا من الله و انذارا إلى خلقه يعني يعتذر الله به إلى عباده في العقاب أنه لم يكن الا على وجه الحكمة والصواب والانهاء: الابلاغ.

يقال: أنهيت إليه الخبر و تقديم نذره، أي أرسله لتقديم أعلام موضع المخافة والريش والرياش اللباس الحسن^(٢)، و أرفع: أي وسع والرفع السعة يقال: رفع عيشه رفاعه و أحاط بكم الاحصاء^(٣) يحوطكم و فسره، بقوله: «و وظف لكم ممددا»، أي بين لكل واحد منكم مدة.

قوله: «فان الدنيا ردغ مشرعها»، الفاء يتعلق بأوصيكم بتقوى الله والردعة الطين والماء المختلط و بخط الرضي الردغة والرداغ: الطين الرقيق و

٢- في م و ج: اللباس الفاخر.

١- المرسلات: ٦.

٣- في م و ج: أحاط بكم الاحصاء أي جعل الاحصاء يحوطكم.

سناد مائل: المعنى به هاهنا ما يستند إليه والسناد الناقصة الشديدة الخلق و قصت بأرجلها: أي رفعتها.

يقال: قص الفرس وغيره يقمص قاصاً، أي استن و هو أن يرفع يديه و يطرحهما معاً و يعجن برجليه، و يقال: هذه دابة فيها قاصاً بكسر القاف و زوي بأرجلها بالجيم أيضاً، و قلصت: صادت أهلها بزينتها التي هي كالأحبل للمصائد.

«أقصدت بأسهمها»: أي أصابت المقتل بسهامها فقتلت المرمى إليه يقال: أقصد السهم، أي أصاب فقتل مكانه، «و أعلقت المرء أوهاق المنية»، أي جعلت وهق الموت في رقبة كل أحد، والوهق: الحبل الذي يسمى كمند^(١).

روى يعقب السلف، أي الاتي يتبع المتقدم، لا تقلع المنية احتراماً، أي لا يرجع الموت عن القطع و نحن لا نزعوي: أي لا نتوب من ارتكاب الذنب والجرم، و يحتذون مثالا: أي يصيرون مجزاء المثال المتقدم واحتذى به: أي اقتدى به. و أرسالا: أي متتابعة.

«صيور الفناء» ما يصير الخلق إليه و صيور الأمر آخره، و ما يؤول إليه «و أذف النشور»: أي قرب أن يجيئوا للقيامة، والضريح: الشق في وسط القبر. واللحد: في الجانب، والوكر: موضع الطير. والواجرة: جمع و جار السبع. مهطعين: مسرعين.

يقال: أهطع: إذا مد عنقه و صوب رأسه، والاهطاع: الاسراع أيضاً رعيلاً: أي جماعة من الناس والرعيل قطعة من الخيل. و الصموت: جمع صامت، أو وصف الجماعة بالمصدر. و قياماً: جمع قائم، أو وصف بمصدر.

١- كمند يفتح الكاف والميم و سكون النون و بعدها دال ساكنة مهملة لفظة فارسية معناها المصيدة.

الاستكانة: التواضع. والضراعة: الخضوع. والاستسلام: الانقياد وهوت الأفتدة، أي سقطت. و كاظمة: أي مجترعة للغيظ مهيمنة: أي يتكلمون بكلام في أنفسهم يتحسرون بما فاتهم. والهيمنة: الصوت الخفي.

«وألم العرق»، أي سال العرق من كل أحد كثيراً حتى يعرق فيه فاللجام كناية عن وصول العرق إلى الافواه، يعني انهم يعرقون في عرقهم فيصل ذلك العرق إلى موضع اللجام و هو الفم يقال: ألجمه العرق.

رُوي و أئجم الفرق: أي كثر الخوف من قولهم أئجم المطر، أي دام و كثر «و عظم الشفق»: أي الأشفاق والخشية «و ارعدت الأسماع»: أي يأخذ مواضع السمع الرعدة و ما يتصل بها، و إنما خص الأسماع بالرعدة و إن كانت عامة في البدن لأنها تكون بسبب سماع دعوة الملك الذي يدعو الناس إلى الحساب.

«والزبرة»: الصيحة التي فيها الزبر و هو الزجر والمنع «و فصل الخطاب»: هو جواب خطاب الله لم فعلتم هذا و تركتم ذا والفصل: القطع والخطاب: المخاطبة، فكأنهم دعوا ليقطعوا خطاب من يسألهم و مقايضة «الجزاء»، معاوضتها، يقال: قايضت الرجل، أي عارضته بمتاع.

قوله: «عباد مخلوقون»، أي هم عباد خلقوا اقتدارا لا اتفاقاً، والاقترار على الشيء القدرة عليه^(١) (و مربوطون اقتساراً، أي رباهم الله من عند كونهم اجنة إلى حال كبرهم من غير اختيار منهم)^(٢) و مقبوضون احتضاراً بالحاء غير المعجمة أحسن ليعم الجمع.

يقال: احتضر القوم إذا ماتوا لأنه بالحاء معجمة للشبان خاصة، يقال: احتضر فلان إذا مات شاباً، و قوله: «مضمون أجدائاً»، أي قد جعلوا

١- في ج: القدرة على الشيء.

٢- بين الهلالين في م و ج.

في ضمن القبور. والمحدث: القبر. والرفات: العظام البالية.
 مدينون: أي مجزيون «و عمروا مهل المستعتب»: أي جعل الله مدة
 أعمارهم بحيث أمكنهم أن يطلبوا رضاء الله، يقال استعتب: أي استرضى و
 سدف الريب: أي بظلم الشكوك^(١)، يقال: كشفت السدفة: أي الظلمة،
 «وخلوا لمضمار الخييار»: أي خلوا ليحجروا في مضمار الاختيار.
 رُوي المضمار الجياد على الاستعارة «و روية الارتياذ»: أي والتفكير
 والاختبار في الطلب «و أناة المقتبس»: أي سكون طالب العلم و حلمه
 «فيهاها أمثالا»: أي يا قوم تعالوا للتعجب من هذه الأمثال التي وردت على
 طريق الصواب.

«لو صادفت»: أي لو وجدت قلوباً طاهرة لشقت: والواعية: المحافظة
 والعازمة: ذات عزم الحزم: ضبط الرجل أمره و اقترف: أي اكتسب ذنبا
 واعترف، أي أقر و عبر: أي أرى العبر مرات كثيرة لأن فعل يفيد التكرار
 والتكثير و ازدجر افتعل من الزجر و هو لازم. و أناب: رجع.
 «فأفاد ذخيرة» أي استفاد و قيل: أفاد نفسه ذخيرة والكنه: الغاية.
 «واستحقوا منه ما أعدلكم»: أي اجعلوا أنفسكم مستحقين للجنة
 بأن تصدقوا بالبعث والنشور والجنة والنار، يقال: تنجز الرجل حاجته و
 استنجزها، أي استنجزها.

منها:

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لَتَعْبِيَ مَا عَنَاهَا وَ أَبْصَارًا لَتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وَ
أَسْأَلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا مُلَابِمَةً لِأَخْنَائِهَا: فِي تَرْكِيْبِ صُوْرَهَا، وَ مُدَدِ
عُمْرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا^(١) وَ قُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي
مُجَلَّلَاتِ نَعْمِهِ، وَ مُوجِبَاتِ مَنِّهِ وَ حَوَاجِزِ^(٢) عَافِيَتِهِ، وَ قَدَّرَ لَكُمْ
أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَ خَلَّفَ لَكُمْ عِبْرًا، مِنْ آثَارِ الْمَاضِيْنَ قَبْلَكُمْ،
مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِيْهِمْ، وَ مُسْتَفْسَحِ خِنَاقِيْهِمْ أَرْهَقْتَهُمُ الْمَنَآيَا دُونَ
الْأَمَالِ، وَ شَدَّبْتَهُمْ عَنْهَا تَخْرُمُ الْأَجَالِ.

لَمْ يَمَهْدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ وَ لَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ،
فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاصَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ^(٣)؟ وَ أَهْلُ غَضَارَةِ
الصَّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَ أَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ
الزِّيَالِ، وَ أَزُوفِ الْإِنْتِقَالِ، وَ عِلَزِ الْقَلْقِ، وَ أَلَمِ الْمَضَضِ، وَ غُصَصِ
الْجَرَضِ، وَ تَلَفَّتِ الْإِسْتِعَاثَةَ بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ وَ الْأَقْرِبَاءِ وَ الْأَعَزَّةِ وَ
الْقُرْنَاءِ.

فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ، وَ قَدْ عُودِرَ فِي مَحَلَّةِ
الْأَمْوَاتِ رَهِينًا، وَ فِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا، قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُ جِلْدَتَهُ

١- في ك: و روى بارماقها.

٢- في حاشية م: حواجز بليته و في ك: و روى جوائز عافيته.

٣- في ك: و روى جوانى الهرم.

وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَا الْحَدَثَانُ
مَعَالِمُهُ وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِيبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخْرَةً بَعْدَ
قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةٌ بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقِنَةٌ بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا.

لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا أَوْ
لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ وَ إِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرَبَاءَ تَحْتَدُونَ أَمْثَلَتَهُمْ، وَ
تَرْكِبُونَ قِدَّتَهُمْ^(١)، وَ تَطَّوْنُ جَادَتَهُمْ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا،
لَا هِيَّةَ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا وَ
كَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ، مَزَالِقِ^(٢) دَحْضِهِ، وَأَهَاوِيلِ
زَلَلِهِ وَ تَارَاتِ أَهْوَالِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ (عِبَادَ اللَّهِ)^(٣) تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَعَلِ
التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَ أَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَ أَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَ أَظْمَأَ
الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وَ ظَلَفَ الزُّهْدُ شَهْوَاتِهِ، وَ أَوْجَفَ^(٤) الذِّكْرُ
بِلِسَانِهِ، وَ قَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ^(٥)، وَ تَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ
السَّبِيلِ، وَ سَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ.

وَ لَمْ تَقْتُلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ، وَ لَمْ تَعَمْ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ،
ظَافِرًا بِفِرْحَةِ الْبُشْرَى، وَ رَاحَةَ النُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَ آمَنَ يَوْمِهِ

١- في ك: وروى قدهم وفي ل: و تركبون قدهم.

٢- في م و ض و ح و ش: و مزالقي دحضه.

٣- ساقلطة من ن و ف و م و ل و ش.

٤- في ب: و ارجف الذكر.

٥- في ب: و قدم الخوف لا بانه.

قَدْ عَبَّرَ مَعْبَرِ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً وَ قَدَّمَ ذَاتَ الْأَجَلَةِ سَعِيداً، وَ بَادَرَ مِنْ
وَجَلٍ^(١)، وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَ رَغَبَ فِي طَلَبٍ، وَ ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَ
رَاقَبَ^(٢) فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَ نَظَرَ^(٣) قُدِّمًا أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَ
نَوَالاً، وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَ وَبَالاً وَ كَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَ نَصِيراً وَ كَفَى
بِالْكِتَابِ حَاجِجاً وَ خَصِيماً.

أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْدَرَ بِمَا أَنْذَرَ وَ اِحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَ
حَذَرَ كُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ^(٤) خَفِيًّا، وَ نَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا فَأُضِلَّ
وَ أُرْدَى، وَ وَعَدَ فَمَّنِّي، وَ زَيْنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَ هَوْنَ مُوَبِقَاتِ
الْعُظَايِمِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَ اسْتَعْلَقَ رَهِينَتَهُ؛ أَنْكَرَ مَا زَيْنَ؛ وَ
اسْتَعْظَمَ مَا هَوْنَ، وَ حَذَرَ مَا أَمَنَ.

بيانه

ذكر عليه السلام في هذا الفصل أحوال المكلفين و خلق الله لهم جميع
ما يحتاجون إليه من أسباب التكليف و هدايتهم إلى ما يستشفعون به

١- في ح: و بادر عن وجل.

٢- في ك: و رقب في يومه

٣- في ح: و ربما نظر.

٤- في ك: و انفذ في القلوب

عاجلاً و آجلاً، ثم قال: من أحوال الموت و شدائدها بعد ذكر تغير أحوال بني آدم في الدنيا من الشباب و الشيخوخة و الغنى و الفقر و الصحة و السقم، ثم ذكر أحوال القبر و أهوال القيامة، ثم ذكر تأمل العقلاء في جميع ذلك و اعتبارهم، ثم ذكر وعظاً بليغاً و وصى و وصية كاملة

أما تفسيره فانه قال: أولاً «جعل لكم أسماعاً» أي خلق لكم آذاناً لتعي، أي لتحفظ تلك الأسماع ما يعينها، أي يهيمها و منه قوله: عليه السلام «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، أي ما لا يهيمه و جعل «أبصاراً لتجلوا» أي لتكشف تلك الأبصار ما يؤذنها من الظلمة

و العشا: مقصور مصدر الاعشا، و هو الذي لا يبصر بالليل، و إن كان يبصر بالنهار، و العشا هاهنا استعارة عجيبة لأن الشبهة تدخل على أهل العلم و يمكنهم أن يجلوها و إذا لم تكن شبهة في طريقهم يكونون في ضياء من العلوم.

ثم قال: «و جعل لكم أشلاء»، و هي أعضاء اللحم و احدها شلو و العضو دون ذلك و قوله «ملائمة»: أي موافقة «لاحنائها»: أي جوانبها و قوله: «بأبدان قائمة بأرفاقها» أي منافعها و روي بأرماقها. و الرمق: بقية الروح «و قلوب رايدة»: أي طالبة، من راد يرود إذا جاء و ذهب.

«و مجللات نعمه»: بإضافة الصفة إلى الموصوف، و كذا «موجبات مننه» إلى النعم المجللة و هذا مستعار من قولهم: السحاب المجلل و هو الذي يجلل الأرض بالمطر: أي يعمها. و المنن: النعم.

المعنى إن الله تعالى جعل تلك الأعضاء لكم ثابتة بأبدان يمكنها القيام بما ينفعها، و تلك الأبدان تنقلب أبداً في نعم عامة توجب الشكر و في عافية يحجز و يمنع المضار. و قدر أعماراً لكم قد ستر مدتها عنكم لتكونوا في كل وقت مستشعرين من الموت فلا تكونوا مغترين على الذنوب و جعل آثار

من كان قبلكم عبر لکم.

فانهم كانوا في خلاق و نصيب من الدنيا يتمتعون به، و في مهلة وسعة لا ثقل و لا أصر عليهم من ضيق الخناق، فأما هم الموت و ما مهدوا لأنفسهم و لا اعتبروا فهل يعتبرون إلا مثل ما جرى عليهم فصل تفصيلاً حسناً، و قيل: «حواجز العافية» موانعها عن الزوال و روابطها عن الانتقال. روي جوائز عافيته و روي أيضاً و حواجز بليته و أرهقتهم المنايا: أي أعجلتهم و شذبهم: أي قطعهم انقطاع آجالهم عنها، أي عن تلك الآمال و التثذيب قطع ما تفرق من أغصان الشجرة و كل شيء نحيته عن شيء فقد شذبته. و التخرم: الاستيصال و الاقتطاع

«لم يمهّدوا»: أي لم يبسطوا فرشاً لمضجعهم في القبر عند قدرتهم على ذلك لما كانوا سالمين و تقدير يعتبروا في أنف الاوان: أي و لم يعتبروا فانه معطوف على لم تهّدوا و روي و لم يعتبروا أيضاً و الأوان: الحين، و أنف الأوان مستعار من قولهم: روضة أنف بضمّتين: أي من وقت يقرب منا «و بضاضة الشباب»: طراوتها و رونقها، يقال: رجل بض: أي دقيق الجلد ممتلى.

و قال الأصمعي: البض الدحص الجسد و حنى الهرم: ظهره، أي عطفه و حواني الهرم معاطف تتحنى و تتعطف و تعوج في حال الشيب. والغضارة: طيب العيش، يقال: انه في غضارة من العيش: أي في خصب و خير. و الاونة: جمع الاوان و الازوف: القرب. و علن القلق: خفة الاضطراب.

و الغصص: بالفتح مصدر غص بالطعام، و بضم العين جمع الغصة و هي الشجى. و الجررض بالتحريك الريق يغص به يقال: جررض بريقه يجررض و هو أن يبتلع ريقه على هم و حزن بالجهد و الجريض الغصة.

والحفدة: الاعوان والخدم.

قيل ولد الولد والنواحب: النساء اللاتي يرفعن أصواتهن بالبكاء (و روي النوادب و هن الباكيات على الميت والنحب رفع الصوت)^(١) و ندب الميت: أي بكى عليه. والهوام: الدواب المخوفة الصغار واحدها هامة و في صحاح اللغة لا يقع هذا الاسم الا على المخوف من الاحناش.

النواهل: الأمراض التي تذيب اللحم و تهزل من نهكته الحمى إذا أضنته و جهدته و نفضت لحمه والجدة بالتشديد مصدر الجديد. و عفت: أي درست يخفف و يشدد، و يقال: عفت الريح المنزل: درسته و عفا المنزل اندرست يتعدى و لا يتعدى، و عفتها الريح شدد للمبالغة.

شحبة: أي متغيرة اللون بعد بضتها: أي بعد طراوتها والعظام نخرة: أي بالية يقال: نخر الشيء أي بلى و تفتت. والاعباء: الانتقال. و لا يستعقب: أي لا يطلب الرضا، و يعنى بالقدة الطريقة، و روى بعضهم قدهم قال: والصواب هذا لقوله تعالى «طَرَأَتْ قِدَادًا»^(٢).

الصراط أصله السين و اضافة المزالق إلى الدحض و كلاهما زلل مخصوص للتأكيد. و أنصب: أتعب. «و أسهر التهجد غرار نومه» التهجد من الأضداد يكون النوم والسهر جميعاً والمراد هاهنا السهر.

الغراء: النوم القليل و أضافته إلى النوم نحو كرى النوم. «و ظلف الزهد شهواته»: أي منعها يقال: ظلفت نفسي عن السوء أظلفتها ظلفاً إذا منعتها من أن تفعله «و أوجف»: أي أسرع من الوجيف و هو الاضطراب «و تنكب المخالمج عن وضح السبيل»: أي تنكب و عدل أن يختلج وضح السبيل.

خلج و اختلج: أي جذب و انتزع و يجوز أن يريد بالمخالج المظان و أقصد المسالك، أي أقومها و طريق قاصد مستقيم و روي قد عبر معبراً لعاجله و قدم زاد الأجلة. والوجل: الخوف. و اكمش: أي أسرع و القدم التقدم.

قوله في وصف الشيطان: «نفذ في الصدور خفياً»، كقوله: عليه السلام «الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» والموبات: المهلكات. والقرينة: النفس. و استدرجها: أي ادناها الشيطان إلى الجرائم العظام «و استغلقت رهينته»: أي وجد رهينة في ناحية المرتهن غير مفكوك حذر الانسان: أي ما كان يؤمنه.

هذا إشارة إلى قوله تعالى: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(١).

منها في صفة خلق الإنسان:

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَ شُغِفِ الْأَسْتَارِ؛ نُطْفَةً دِهَاقًا وَ عَلَقَةً مُحَاقًا، وَ جَنِينًا وَ رَاضِعًا، وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَ لِسَانًا لَافِظًا، (وَ بَعْرًا لَاحِظًا)^(٢) لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا، وَ يَقْصِرَ مُزْدَجِرًا، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَ اسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَ خَبَطَ سَادِرًا، مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحًا سَعِيًّا لِدُنْيَاهُ فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ، وَ

بَدَوَاتِ أَرِيهِ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً.
فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيْرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ^(١) يَسِيرًا، لَمْ يُفِدْ
عَوْضًا، وَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا، دَهَمْتُهُ، فَجَعَلَتْ الْمَيْبَةَ فِي غُبْرِ جِمَاحِهِ، وَ
سَنَنْ مِرَاجِحِهِ، فَظَلَّ سَادِرًا، وَ بَاتَ سَاهِرًا، فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ، وَ
طَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيْقٍ، وَ وَالِدٍ شَفِيْقٍ، وَ دَاعِيَةٍ
بِالْوَيْلِ جَزَعًا، وَ لَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا وَالْمَرْءِ فِي سَكْرَةٍ^(٢) مُلْهِيةً، وَ
غَمْرَةٍ كَارِثَةٍ^(٣)، وَ أَنَّهُ مُوجِعَةٌ، وَ جَذْبَةٌ مُكْرِبَةٌ، وَ سَوْقَةٌ مُتْعِبَةٌ.
ثُمَّ أَدْرَجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِِسًا، وَ جَذَبَ مُنْقَادًا سَلِسًا، ثُمَّ أَلْقَى عَلَى
الْأَعْوَادِ رَجِيْعٍ وَصَبٍ، وَ نَضَوْ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ الْوُلْدَانِ، وَ حَشْدَةُ
الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَ مُنْقَطِعَ زَوْرَتِهِ، حَتَّى إِذَا انصَرَفَ الْمُشِيْعُ،
وَ رَجَعَ الْمُتَمَجِّعُ^(٤)، أَقْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّوَالِ، وَ عَثْرَةَ
الْإِمْتِحَانِ، وَ أَعْظَمَ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزِلَ الْحَمِيمِ، وَ تَصْلِيَةً الْجَحِيمِ، وَ
فَوْرَاتِ السَّعِيْرِ، (وَ سَوْرَاتِ الرَّفِيْرِ)^(٥)، لَا فِتْرَةَ مُرِيْحَةٍ، وَ لَا دَعَةَ
مُزِيْحَةٍ، وَ لَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ، وَ لَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ، وَ لَا سِنَّةَ مُسْلِيَةٍ، بَيْنَ
أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَ عَذَابِ السَّاعَاتِ!! إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ^(٦).

١- في ش: في هفوته اسيرا.

٢- في ح و حاشية ن: و سكرة ملهية.

٣- في ك: و يروى و غمرة كارية.

٤- في ن: و رجع المفعج.

٥- ساقطة من ش.

٦- في ب: إنا لله عائذون. و في ش: إنا لله و إنا اليه راجعون إنا لله عائذون.

عِبَادَ اللَّهِ^(١)، أَيَّنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَ عَلَّمُوا فَفَهَّمُوا، وَ
 أَنْظَرُوا فَلَهَّوْا، وَ سَلَّمُوا فَنَسُوا؟ أُمَهَلُوا طَوِيلًا، وَ مُنَحُوا^(٢) جَمِيلًا، وَ
 حَذَّرُوا أَلِيمًا، وَ وَعَدُوا جَسِيمًا!! اخذروا الذنوب المورطة، والعُيوب
 المُسَخَّطَةَ.

أُولِي الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ، وَ الْعَافِيَةِ وَ الْمَتَاعِ! هَلْ مِنْ مَنَاصِ، أَوْ
 خَلَاصٍ أَوْ مَعَاذٍ، أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ، أَوْ مَحَارٍ؟ أَمْ لَآ؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ! أَمْ
 أَيَّنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ؟ وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ
 الطُّولِ وَ الْعَرْضِ قَيْدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ.

الآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَ الْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَ الرَّوْحُ مُرْسَلٌ؛ فِي فَيْنَةِ
 الْأَرِشَادِ^(٣)، وَ رَاحَةِ الْأَجْسَادِ، وَ بَاحَةِ الْإِحْتِشَادِ^(٤) وَ مَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَ
 أَنْفِ الْمَشِيَّةِ، وَ إِنظَارِ التَّوْبَةِ، وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ
 وَ الْمَضِيْقِ، وَ الرَّوْعِ وَ الزُّهُوقِ، وَ قَبْلَ قُدُومِ الْعَائِبِ الْمُنتَظَرِ، وَ أَخَذَةِ
 الْعَزِيْزِ الْمُقْتَدِرِ.

١- في ف و ب و ض: عباد الله الذين.

٢- في م: و امهلوا جميلا.

٣- ساقطة من ن و م و ف و ل و ش.

٤- في ك: و روى في فينة الارتداد.

بيانه

نبه هاهنا على وصف خلق الانسان من حال كونه نطفة و اختلافه في ست أحوال، إلى أن يشتغل بالعصيان تابعاً هوى نفسه إلى وقت التحويل الى رमسه و احيائه فيه لسؤال القبر و بعثه للجزاء بعد الحشر و النشر ثم عذر و أنذر و بالغ في الوعظ و الزجر.

قد كان أمر في الفصل الاول بالنظر و التفكير في حال نفسه و أمر هاهنا أن يتأمل في الخلقه فقال: «أم هذا الذي انشأه»، أي فلينظر في ذلك. أم في هذا الذي خلقه الله على سبيل الانشاء و الابتداء في ظلمات^(١)، و حاله أنه كان أول مرة ماء دافقاً، ثم علقته.

ثم أشار بقوله: «جنينا» الى كونه مضغة و عظماً و لحماً و صورة و حياً إلى أن تلد أمه، ثم يترعرع، و يصير عاقلاً، ثم إذا ماتم أمره لأسباب التكليف تغافل عما لأجله خلقه الله و سعى لعاجل دنياه فمات غافلاً، و أم هذه يجوز أن يكون متصله و يكون تقدير الكلام فيه على ما تقدم.

يجوز أن يكون أم منقطعة و التقدير بل أتغفلون عن هذا الذي أنشأه في ظلمات الارحام، فيكون الواو للعطف و الهمزة للاستفهام على سبيل المجدد و التقرير. و الشغف: الغلف. و الجنين: الولد ما دام في بطن أمه. و الدهاق: الممتلىء من أدهقت الماء ادهاقاً أي فرغته افرغاً شديداً و أدهقت الكأس ملأتها و كأس دهاق ممتلئة و دهقت الشيء كسرتة و قطعتة.

و النطفة و ان كانت مؤنثة فالمراد بها الماء المهين فذكره من حيث

المعنى و مراعاة المعاني تستحسن جداً.

روي دفاقاً، و دفتت الماء صببته و ناقة دفاق متصبية القوم دفقة إذا جاءوا في السير و جاء بمرة واحدة والعلقة الدم الطري و وصفها محوق: أي بالمحاق، أي هو شيء أبطلته و محوته.

العلقة إنما يكون محوة من حيث ليست ذات صورة و أيقع الغلام: ارتفع فهو يافع و لا يقال: موفع و هو من النوارد من اليفاع و هو ما ارتفع من الأرض، و لفظ بالكلام: أي تكلم به و لفظت الشيء من في رميته، واللفظ في الأصل مصدر ليفهم: أي ليعلم بالتدبر و مشقة النظر.

يقصر: أي ليكف عما لا يعنيه يقال: قصرت عنه، أي كفت و نزعت مع القدرة عليه، والمستكبر المتكبر. والسادر: المتحير الذي لا يبالي ما صنع والسدر تحير البصر، يقال: سدر البعير: يسدر. والماتح: المستقي، يقال: متح الماء: أي نزعته.

الغرب: الدلو العظيمة. والكادح: الساعي بمجد و تعب، يقال: بدا له بدءاً، أي نشأ له رأي و هو ذو بدوات و بد اظهر. والأرب: الحاجة. والرزية: المصيبة و قوله: «فمات غريراً»، أي غافلاً، يقال: رجل غر و غرير: أي غير مجرب و عيش غرير إذا كان لا يفزع أهله. والغرة: الغفلة، و في فنتته: أي مفتتنا. الهفوة: السقطة. و عاش يسيراً: أي حقيراً.

روي أسيراً لم يفد نفسه عوضاً: أي جزاء من عمره الفائت. و دهمته: أي أته غفلة و فجعته المصيبة، و فجعات الموت زواياه و غبر الشيء بقاياه، و روي في غبر، يقال: ما بالناقة غبر من اللبن: أي بقية، والجماح من الفرس إذا اغتر فارسه.

الجموح من الرجال: الذي يركب هواه فلا يمكن رده والسنن: الطريق يقال: تنح عن سنن الطريق و سننه عن وجهه، و روي سنن مراحه،

والمراح: النشاط، والسنة التي يثار بها الأرض و هاهنا استعارة و لعله سنن جمع سنة فكسرت السين.

يقال: في كل شيء انشق بنصفين لكل واحد منها شقيق الآخر، و يوصف به الاخ مجازاً و يوصف الوالد بالشقيق لكونه مشفقاً أبلغ الاشفاق والشفقة: الاسم من أشفقت، و أصل الباب الحذر و لادمة للصدر أي امرأة ضاربة صدرها لانزعاجها بموت قريب.

اللدم: الضرب والسكرة الملهية: التي تغفل و تلهي و سكرات الموت تلهي عن كل شيء، و روي ملهته من لهته الكلب و هو أن يدلع لسانه من العطش و قال النبي صلى الله عليه و آله: كل أحد يموت عطشان الا ذاك الله والكاثرة المحزنة.

قوله «ثم أدرج في الكفاية ملبسا»، أي طوى ساكتاً نادماً متحسراً على ما فرط منه قال تعالى: «يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ»^(١)، أي ينقطعون انقطاع يأس، والابلاس الحيرة واليأس. و سلساً: سهلاً.

قوله: «ثم ألقى على الأعواد رجيع و صب و نضو سقم»، أي وضع الجنازة و قد أخلقته الأوصاب والأوجاع والثوب. الرجيع: الخلق. والنضو: المهزول. والحفدة: ولد الولد والأعوان. والحشدة: جمع حاشد و هو المتأهب، يقال: فلان حاشداً: أي حافلاً و حشد يحشد: أي اجتمع

قوله: «حتى إذا رجع المتفجع أقعد في حفرة نجياً لهبته السؤال»، أي اذا انصرف «المشيح الذي خرج مع جنازته إلى طرف قبره»^(٢) الذي شيعه متفجعاً إلى الميت ملكان و أقعداه بعد أن أحياه الله كما كان، و نجياً أي مناجي ليسئل فيبهت، والبهته: الغفلة، و روي و رجع بالتشديد: أي

استرجع و قال: «انا لله و انا اليه راجعون».

يقال: لهذين الملكين فتانا القبر و إلى هذا أشار بقوله: «و عثرة الامتحان»، فالفتنة و الامتحان الاختبار و النجى مصدر كالصهل يقع على الواحد و الجماعة قال تعالى: «خَلَّصُوا نَحْيًا»^(١) أي متناجين و قال «و قَرَّبْنَا نَحْيًا»^(٢)، أي مناجياً.

هاهنا في كلام الامام علي عليه السلام أن يكون النجى بمعنى المفعول أحسن و يتعلق لام لهتة بأقعد و ان كان نجياً بمعنى الفاعل فاللام متعلق به فكأنه ينجيها، و النزول: الغذاء. و الحميم: الحار، و اكثر ما يكون وصفاً للشراب قال تعالى، «و سُقُوا مَاءً حَمِيمًا»^(٣)، فنزل الحميم استعارة جامعة لطعام و شراب نعوذ بالله من النيران.

يقال: صليت اللحم أي شويته، و صليت فلاناً بالنار احرقته. «و تصلية جحيم»، أي مقاساة حرها، و فورة الحر شدته و الجمع الفورات. و السعير: النار. و الدعة: الراحة. و المزيحة: المبعدة لبلائه، يقال: زاح الشيء: أي بعد و أزاحه: غيره. و الموتة الناجزة: الحاضرة السريعة. و القوة الحاجزة: المانعة.

السنة: النوم القليل. و أطوار الموتات: حالاتها. و أنظروا: أي أمهلوا و أخرت أعمارهم في الدنيا ليعملوا فلهوا إذا كان الهاء مفتوحة فاللفظ من لها يلهو: أي لعب، و إذا كانت مضمومة فهو من لهى يلهي إذا عرض و ترك و الذنوب توصف بالمرورطة لأنها تلتق في الورطة و هى الهلاك و أصلها أرض مطمئن لا طريق فيها.

٢- مريم: ٥٢.

١- يوسف: ٨٠.

٣- محمد: ١٥.

المناص: الملجأ والمفرّ، يقال: ناص عن قرنه مناصاً أي فرّ و راغ قال تعالى: «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»^(١)، أي ليس وقت تأخر و فرار والمحار: المرجع من حار يمحور أي رجع و قيد قده: أي مقدار قامته و قوله: الآن عباد الله والخناق مهمل: أي الآن اعملوا يا عباد الله والخناق الحبل الذي يخنق به، والروح يذكر و يؤنث و لذلك وصفه بقوله: مرسل والفينة: الوقت، و أضافها إلى الارشاد لان أوقات العمر في الدنيا يوجد فيها الرشد.

روي الارتداد و هو الطلب وانفساح الحوبة: سعة الحاجة والحوبة: الحزن أيضاً والجوبة بالجيم ما اتسع من الأرض والرواية هاهنا بالحاء غير المعجمة و هي كل حرمة تضيع من ذوي الرحم. والزهوق: الهلاك. و قدوم المنتظر الغائب هو الموت. والأنف: الوقت و أضاف إلى المشية فالعمر للارادة مظنة.



(٨٤) و من كلام له عليه السلام

في ذكر عمرو بن العاص

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ، يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَ أَنِّي امْرُؤٌ
تِلْعَابَةٌ: أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَ نَطَقَ آثِمًا. أَمَا، وَ شَرُّ
الْقَوْلِ الْكُذْبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَ
يُسْأَلُ فَيَبْخُلُ، وَ يَخُونُ الْعَهْدَ، وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ.

فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ؟! مَا لَمْ تَأْخُذِ
السُّيُوفَ مَا خَذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ
سَبَبَهُ، أَمَا وَ اللَّهُ إِنِّي لَيَمْتَعِنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ
قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ
أَتِيَّةً وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً.

(٨٥) و من خطبة له عليه السلام

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ
قَبْلَهُ، وَ الْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَفْعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَ لَا تَعْقِدُ
الْقُلُوبُ^(١) مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَ لَا تَنَالُهُ التَّجَزِئَةُ وَالتَّبَعِيضُ، وَ لَا تُحِيطُ
بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

منها:

فَاتَعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَ اعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ، وَ
ازْدَجِرُوا بِالنُّذْرِ الْبَوَالِغِ، وَ انْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَ الْمَوَاعِظِ، فَكَأَنَّ قَدْ
عَلِقْتُمْ مَخَالِبَ^(٢) الْمَنِيَّةِ، وَ انْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلائِقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَ دَهَمْتُمْ
مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ، وَ السِّيَاقَةَ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْزُودِ، وَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا
سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا
بِعَمَلِهَا.

١- في ب: ولا تعدد القلوب.

٢- في ب: في مخالب المنية.

و منها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِصَاتٌ، وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْئَسُ سَاكِنُهَا.

(٨٦) و من خطبة له عليه السلام

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَ خَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ،
وَ الْعَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَ الْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهْلَةٍ. قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ، وَ فِي
فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَ فِي مُتَنَقِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ، وَ لِيَمَهِّدَ
لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ، وَ لِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ، فَاللَّهُ اللَّهُ^(١)، أَيُّهَا
النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ. وَ اسْتَوَدَعْتُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ،
سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَ لَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ
وَ لَا عَمَى: قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ، وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ.

وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبْيَانًا (لِكُلِّ شَيْءٍ)^(٢)، وَ عَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ
أَزْمَانًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ^(٣) دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ
لِنَفْسِهِ وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ، عَلَى لِسَانِهِ، مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهِهُ، وَ

١- في ن و ف: فالله الله عباد الله ايها الناس. و في م: فالله الله عباد الله فيما استحفظكم.

٢- في ش: من كتابه الذي.

٣- ساقطة من ف و ن و م و ل و ش.

نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرُهُ، فَالْتَقَى إِلَيْكُمْ^(١) الْمَعْدِرَةَ، وَ اتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَ أَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

فَاسْتَدْرِكُوا بِتَمِيَّةِ أَيَّامِكُمْ، وَ اصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ. وَ التَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَ لَا تُرْخِصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ^(٢) مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ، وَ لَا تُذَاهِبُوا فِيهِجَمَ بِكُمْ الْإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ^(٣).

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَ إِنَّ أَعْشَهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَ الْمَعْبُودُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَ الْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَ السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ، وَ الشَّقِيُّ مَنْ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ. (وَ غُرُورِهِ)^(٤). وَ أَعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ، وَ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهُوَى مَنَسَاةٌ لِلْإِيمَانِ وَ مَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ.

جَانِبُوا الْكُذْبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَرَفٍ مَنجَاةٌ وَ كَرَامَةٌ، وَ الْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَ مَهَانَةٍ؛ وَ لَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطْبَ، وَ لَا تَبَاغِضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ وَ أَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَ يُنْسِي الذِّكْرَ فَكَاذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَ صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

١- في ح: فالتق عليكم المعذرة.

٢- في ب: فتذهب بكم الرخص فيها مذاهب.

٣- في ب: على المصيبة.

٤- ساقطة من ب

بيانه

العرب تنسب الانسان إلى أمه عند ذكره لأمرين، إما لشرفها و منزلتها فينوهون باسمه لذلك، كما يقول: يابن فاطمة و محمد بن علي بن ابي طالب، يقال له: ابن الحنفية و لها شأن عظيم و قصة عجيبة لم يكن لها ترب بعد البتول عليها السلام، و أما تذكر الام لخساستها و دناءتها و يريدون الغض لولدها بذلك، كما يقال: كيف لا يكون معاوية كذلك و هو ابن هند.

فقال عليه السلام هاهنا عجبت عجباً لهذا الذي ولدته هذه الفاجرة المعروفة بكل عيب و تسمى والدة عمرو بن العاص النابغة، و قيل: هي النائفة بالهمز من ناغ الرجل امرأته و بالباء تصحيف و كأنه أصح.

روي ان علياً - عليه السلام - قال: لهفي على ابن الناغية و كان ابن العاص هذا الملعون العاصي يحدث أهل الشام انا انما أخرنا علياً أول مرة لان فيه هزلاً لا جدّ معه، كما كان العاصي أبوه يقول في رسول الله سحر.

والدعابة: المزاح و قد دعب، أي لعب. والتلعابة: بالهاء للمبالغة كما، يقال: هو راوية للشعر و رجل تلعبه كثير اللعب، أي لعب مرة بعد أخرى و المعافسة: المعالجة. والعفس: الابتذال، و في الحديث عافسنا النساء.

أراد بقوله: أعافس و أمارس: أي أدعي كاذباً أني ألاعب النساء و أصارعهن. والعفس: هو أن يضرب برجله عجيزتها. والممارسة: أشد المعالجة و المزاولة و المغالبة، ثم ذكر عليه السلام عمرواً بما فيه فقال: انه الكذاب على العموم، و كاذب فيما نطق به في حقي على الخصوص.

ثم عدّ له ثمانى خلال ذميمة لا تكون احداها الا قبيحة و لاتقع على وجه من الوجوه حسنة، فأما المزاح إذا لم يكن في شيء من القبايح فانه

يكون حسناً و مزاح المؤمن عبادة، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه و آله قال: لعجوز كبيرة الا ان العجائز لا يدخلن الجنة فبكت.

فتبسم، و قال: ان الله يجعلهن شواب، ثم يدخلهن الجنة، فأهل الجنة جرد مرد و ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، و قوله: «و انه ليقطع الال»، أي العهد والقرابة قال حسان بن ثابت:

لعمرك ان ألك من قريش كألّ السقب من رأل النعام
ثم قال: فاذا كان عند الحرب فأبي زاجر و أمر هو ما لم تأخذ
السيوف مأخذها و مأخذها روي على الواحد والجمع، و قيل: انه تهكم منه
عليه السلام بعمره و ان كان طريقته^(١) أفصح من طريقة القرار السلمي
الذي قال:

و كتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي
و اذا اشتدت الحرب فسلاحه دبره، أي كان يظهر استه لقرنه ليتغافل
عنه و يغض من أبصاره ليفر و هذه الحالة معروفة منه حتى نظمها الشعراء
فقال ابو فراس^(٢):

و لا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوما بسوئه عمرو
و اسم كان أن يمنح القوم سبته، أي أسته و اكبره خبره. هذا احسن
كقوله تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا». و على عكس هذا أيضاً حسن و قرئ
بها الآيّة و قوله: «أن يؤتیه اتية»، أي تعطيه عطية نزرة و يرضخ له

١م: وان كان كلامه.

٢-الحارث بن سعيد بن حمدان أبو فراس الحمداني فارس ميدان العقل و الفراسة و الشجاعة و الرياسة
كان ابن عم السلطان ناصر الدولة و سيف الدولة و كان فرد دهره و شمس عصره ادباً و فضلاً و كرمأ و نبلاً و
بلاغه، قال الصحاح بدء الشعر بملك يعني امرؤ القيس، و ختم بملك يعني ابا فراس، اخباره كثيرة و فضائله
مشهورة قتل سنة ٣٥٧.

رضيخة: أي يرشوه له رشوة. ورضخته: رميته بالحجارة، والرضح بالحاء والخاء كسر الحصى والنوى والترامى بها.

إذا أخذ الغنائم من دار الحرب فيعطى الامام سهام المقاتلة منها و يرضح للنسوان شيئاً منها، وقوله: «لا تقع الأوهام له على صفة»، قد ذكرنا تحقيق نفي الصفات عن الله في الخطبة الاولى والوهم هو ان تظن ظناً مظنوناً على خلاف ما ظننته وقد يكون بمعنى التقدير.

في صحاح اللغة الصفة كالعلم والسواد و أما النحويون فليس يريدون بالصفة عندهم هي النعت، والنعت نحو خارج والمفعول نحو مدرك، أو ما يرجع اليها من طريق المعنى نحو مثل و شبه و ما يجري مجرى ذلك و بخط الرضي و لا تعقد القلوب منه على كيفية.

فيكون المفعول محذوف، أي لا تعقد القلوب أنفسها (و رأيها) من الله تعالى على كيفية بأنه جسم أو عرض مصوراً و نحو ذلك والاعتقاد يكون جهلاً أو يكون تقليداً و تبخيتاً كما يكون علماً أيضاً و عقد القلب على شيء لا يكون الا عن علم.

روي و لا يعقد على ما لم يسم فاعله والآي: جمع آية من القرآن و وصفها بالسواطع لعلوها و ضيائها و وضوح معانيها و محاسن ألفاظها، يقال سطع الصبح سطوعاً إذا ارتفع والنذر الانذارات و منه ما كرر الله في سورة القمر من قوله: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرِي»^(١)، أي كيف رأيت انتقامي منهم و انذاري اياهم مرة بعد أخرى.

فالنذر: جمع نذير و هو الانذار، والمصدر يجمع لاختلاف اجناسه و وصف النذر بالبولغ، أي ازدجروا بانذارت الله لكم بالعذاب قبل نزوله، أو

بانذارت الله في تعذيبهم لمن بعدهم و يكون النذير بمعنى المنذر
قوله: «و انتفعوا بالذكر والمواعظ»، أفرد أولاً و جمع ثانياً، كقوله:
«حَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ»^(١)، والذكر نقيض
النسيان و هو مصدر و لذلك لم يجمع كالسمع

قوله: «كان قد علقتكم محالب المنية»، أي كان الأمر والشأن علقكم
الموت. و قوله: «لا يبأس ساكنها»، أي يشتد حاجبها، يقال: يئس الرجل
إذا أصاب بؤساً و شدة و يئس يبأس: أي اشتدت حاجته

قوله: «و خبرا الضمائر»، بفتح الباء: أي امتحن و روي خبر بالكسر:
أي علم والارهاق مصدر أرهقه عسراً: أي كلفه إياه و أرهقه: أي أغشاه
والكظم: مجرى النفس، والله الله: أي خف الله فيما يكون في اقامة ما
استحفظكم الله: أي ما سألكم الله حفظه، والمحافظة عليه من أحكام كتاب
الله الشرعية.

و في مراعاة ما استودعكم من الواجبات العقلية في حقوق الله و
سدى: مهملًا و عبثًا: لعباً، والاثار جمع أثر و هو ما بقي من رسم الشيء و
أنهى إليكم أراكم و عرفكم محابه، أي الطاعات التي هي ذوات محبة فحذف
المضاف و أقام المضاف اليه مقامه.

المحاب: جمع محبة، والمحبة: هي ذات المحبة، والمحبة: المحبوب أيضاً
كالخلق بمعنى المخلوق والدرهم ضرب الأمير: أي مضروبه و يجمع المحبوب،
على محاب و هو على قصر محاييب، و قوله: «فاستدركوا بقية أيامكم و
اصبروا اليها أنفسكم»، ظاهره واضح.

تحقيقه أن استدرك و أدرك بمعنى كاستحاب و أجاب والادراك

للحوق، و يقال: استدرك ما فات بتلافي ما يكون مثله و يقوم مقامه فكلامه القصير يشتمل على هذا البيان كله «و اصبروا». أي احبسوا أنفسكم.

قال تعالى: «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ»^(١) أي اصطبروا لاجل العمل في بقية العمر فانها قليل: أي هذه البقية التي يشتغلون فيها بالطاعة يقل حقاً في جنب الأيام الكثيرة التي كانت و يكون لكم فيها الغفلة في الدنيا مدة اعمالكم.

قيل ان قوله: «في كثير الأيام»، أي أيام الآخرة التي يصل المؤمن فيها إلى الثواب و ذلك بعد الخروج من دار الدنيا، أي ان أيام العمل قليل في جنب أيام الثواب قال تعالى: «إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ»^(٢) قال قليل و لم يؤنثه كقوله: «وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»^(٣)، فالفعل هذا أو نحوه يكون مصدراً و هجم على الشيء أتاها بغته يهجم هجوماً.

قوله: «ولا تداهنوا فيهم بكم الأدهان على المعصية»، فالمداهنة كالمصانعة والادهان مثله و قال قوم داهنت بمعنى أغشيت قال تعالى: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ»^(٤)، و يقال: غبن في البيع فهو مغبون، و يقال: غبنته بالفتح في البيع: أي خدعته.

غبن رأيه بالكسر اذا نقصه فهو غبين: أي ضعيف الرأي و هاهنا روى كلاهما و تحقيق غبن رأيه، أي في رأيه كما يقال: سفه نفسه: أي في نفسه و كل ما قيل: هناك يجوز أن يقال: هاهنا والمغبوط من يتمنى مثل حاله لحسنها و هذا محمود والغبطة محمودة، والحسد مذموم لانه تمنى حال

٢-يس: ٥٥.

٤-القلم: ٩.

١-الانعام: ٥٢.

٣-النساء: ٦٩.

الغير.

المنسأة: للايان ان مدعاة إلى نسيان توابع الايمان و فروعه والقيام بأوامره و نواهيه و على شفا منجاة: أي الصادق قريب من النجاة والخلص و شفا كل شيء حرفه قال تعالى: «وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمُ»^(١)، و أشفى على الشيء و اشرف عليه بمعنى و أكثر ما يقال: ذلك في المكروه، يقال: أشفى المريض على الموت.

فكأن الصادق و ان كان على رجاء من اخلاص فانه مخوف والشرف المكان العالي و أشرفت عليه: أي اطلعت عليه من فوق. والمهواة: المسقط. والمهانة: الحقارة. و هوى يهوى سقط إلى أسفل والهوة، الوهدة العميقة^(٢)، والمهواة ما بين الجبلين و نحو ذلك والهواية نحوها والبغضاء حالقة: أي مستأصلة من حلق رأسه فالقوم إذا تباغضوا هلك جميعهم.



(٨٧) و من خطبة له عليه السلام

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا^(١) أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ
 فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ، وَ تَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَ
 أَعَدَّ الْقَرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ:
 نَظَرَ فَأَبْصَرَ. وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْتَرَ، وَ اِزْتَوَى مِنْ عَذْبِ فُرَاتٍ سُهَّلَتْ لَهُ
 مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهْلًا، وَ سَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا، قَدْ خَلَعَ سَرَائِيلَ
 الشَّهَوَاتِ، وَ تَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ^(٢) إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ.

فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَ مُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَ صَارَ مِنْ
 مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَ مَعَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَ
 سَلَكَ سَبِيلَهُ، وَ عَرَفَ مَنَارَهُ، وَ قَطَعَ غِمَارَهُ، وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى
 بِأَوْتِقِهَا، وَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتِنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ
 الشَّمْسِ: قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ
 كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ.

مُصْبِحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ
مُغْضَلَاتٍ، دَلِيلُ فُلُوتٍ، يَقُولُ فِيهِمْ، وَ يَسْكُتُ فِيَسْلَمُ: قَدْ أَخْلَصَ اللَّهُ
فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ،
فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيَ الْهُوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا
يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أُمَّهَا، وَلَا مَظَنَّةً إِلَّا قَصْدَهَا، قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ
زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ
مَنْزِلُهُ.

وَ آخِرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ وَ
أَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكَاءَ^(١) مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَ قَوْلٍ
زُورٍ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ؛ وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤَمِّنُ
(النَّاسَ)^(٢) مِنَ الْعِظَائِمِ، وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ «أَقِفْ عِنْدَ
الشُّبُهَاتِ» وَ فِيهَا وَقَعَ؛ «وَاعْتَزِلْ الْبِدْعَ» وَ بَيْنَهَا اضْطِجَعَ: فَالْصُّورَةُ
صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَ لَا
بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ؛ وَ ذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ^(٣)؟ وَ أَنَى تُؤْفَكُونَ؟ وَ الْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ! وَ الْآيَاتُ
وَاضِحَةٌ! وَ الْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ! فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ؟ وَ بَيْنَكُمْ

١- في ب: للناس شركاء.

٢- ساقطة من ن و م و ف و ل و ش.

٣- في ش: و اين.

عِتْرَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَ هُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، (وَ أَعْلَامُ الدِّينِ) ^(١) وَ أَلْسِنَةُ الصِّدْقِ،
فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَ رِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِمِ الْعِطَاشِ.
أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا مِنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ
سَلِمَ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ
لَيْسَ بِبَالٍ» فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُتَكْرَهُونَ، وَ
اعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَ أَنَا هُوَ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ
الْأَكْبَرِ؟ وَ أَتْرَكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ، وَ رَكَزْتُ ^(٢) فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَ
وَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ الْبَسْتُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَ
فَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ أَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ
نَفْسِي فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَ لَا تَتَغَلَّغُلُ ^(٣)
إِلَيْهِ الْفِكْرُ.

منها:

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ تَمْنَحُهُمْ دَرَهَا
وَ تُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَ لَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا، وَ لَا سَيْفُهَا، وَ
كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ؛ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بِرُهَةٍ، ثُمَّ
يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

٢- في ح: قد ركزت.

١- ساقطة من موفون ولوش.

٣- في ب: ولا تتغلغل.

بيانه

وصف في هذه الخطبة أولاً المؤمن على ما ينبغي أن يكون عليه من العلم والعمل والزهادة والورع والسيرة الحميدة، ثم ذكر من يتلبس لباس العلماء ولا يكون و يتزياء بزي الزهاد و ليس منهم ثم زجر الناس عن هذه الطريقة و دعا إلى نفسه و أراهم من وجهين إنه يجب عليهم الاقتداء به ثم اشار إلى قصر مدة ملك بنى امية و فتنة الناس بدولتهم قال: في صدرها^(١)، ان من أحب عباد الله إليه عبداً و كان بخط الرضي عبد فرفعه ظناً منه أن مورد الكلام من أوله إن أحب العباد إلى الله عبد

قوله: «أعانه الله على نفسه»، صفة عبد أو معناه كسر الله شهواته في القبائح على معنى أنه تعالى فعل به لطفاً اختار عنده الطاعة و اجتنب المعصية فبتوفيق الله يطيعه العبد و بعصمته تعالى يترك معاصيه قامعاً لشهواته واللطف الخاص عون لعبد المؤمن على نفسه.

«و استشعر الحزن»: أي اتخذه شعاراً و تجلببه: أي جعله جلباباً و ثوباً لنفسه فزهر مصباح الهدى: أي أضاء سراج العلم اليقين في قلبه، والفرات: الماء العذب. والنهل: الشرب الأول، و قد نهل و أنهلته لأن الابل تسقى في أول الورد فترد إلى الطعن، ثم تسقى الثانية و هي العلل فترد إلى المرعى.

الجدد: الأرض الصلبة، و في المثل من سلك الجدد أمن العثار و روي، فخرج من صفة العمى، و قوله: «و قطع غماره»، أي شدائده بجر غمار كثير

الماء و بحار غمار و غمرء الموت شدايده. والغمرة: الزحمة من الناس والماء والجمع غمار و دخلت في غمار الناس بضم و يكسر: أي في زحمتهم و عروة القميص هي الأصل، و قوله تعالى: «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»، أي تمسك بالعقد الوثيق قال الشاعر:

لم أجد عروة الخلائق الا الدين لما اعتبرت والحسبان
الحبل المتين: المحكم و نصب نفسه لله: أي أقامها و أتعبها يقال: نصبت الشيء إذا أقمته و منه نصبت فلاناً إذا عاديته و نصب بالكسر، أي تعب و أنصبه غيره و يجوز أن يكون معنى نصب نفسه، أي أتعبها من قولهم هم ناصب في أرفع الامور كأنه إشارة إلى الشرعيات.

فان الفقيه المتقن بالأحكام والنصوص يصدر كل ما يرد عليه و لا يقيس في الشرع بل يجعل لكل فرع عموم أصله الذي هو بعضه، و من جملته (و يجوز ان يكون الأصدار في العقلية فانه يحل الشبهات و يكون تصير كل فرع إلى أصله)^(١) و شيعاء لفظ النص الأصلي يتناوله.

فما من حادثة وإن هي غير متناهية الا و لها نصّ عام شايع ينسحب عليها و تدخل تلك الحادثة تحت لفظة العام فانه للعموم صيغة شرعاً عندنا و عند ساير الفقهاء وضعاً و عرفاً و شرعاً، فأى حاجة إلى القياس المنهي عنه شرعاً. والعشوات: جمع عشوة، و هو سواد الليل والأمر المتلبس أيضاً. فقال: أوطأتني عشوة والغشوات: الأغطية و قريئ و على أبصارهم غشوة: أي غطاء، والغاشية: القيامة تغشي بأفراعها والمهبّات المغلقات والمعضلات الشدائد و مظنة الشيء موضعه و نصب أشراكاً: أي رفع و وضع والشركة: الحباله. و روي و فيها اضطجع»

قوله: «فَأَنْتَ تَوْفُكُونَ»، أي تصرفون. والعلم: العلامة والجبل والراية، والجمع الأعلام، ويقال: أرض تيهاء والجمع تيه إذا كانت يتاه فيها، أي لا يهتدى فيها بعلم، وقوله «فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ مِنْ تَاهِ فِي الْأَرْضِ»، أي ذهب فيها متحيراً، وقوله: «خَذَوْهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ»، أي خذوا النصيحة من النبي ﷺ فإنه قال: إنه يموت من مات منا وليس يميمت إلى آخر الكلام. (ونبه بقوله: خذوا عن خاتم النبيين، وروي بهذا اللفظ أيضاً على أنه لا نبي بعد محمد وأنه وصيه الذي ركز رؤية الايمان في أمته والثقل الأصغر هم الحسن والحسين وأولاد الحسين إلى صاحب الزمان، وقد تركهم على بين أمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ليقف كل قرن منهم حدود الحلال والحرام بهم)^(١).

قوله: «أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَعْظَمِ»، يعني القرآن، وأترك تقديره «أَلَمْ أَتْرِكْ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ»، يعني العترة وكلا الاستفهامين على سبيل التقدير: أي عملت فيما بينكم وفي حقكم بالقرآن وتركت عترتي وسطكم. قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ» وتغلغل الماء في الشجر: إذا تخللها ويجري بينها وأغل الرجل بصره إذا شدد النظر.

ثم حكى ما جرى على الأمة من بني أمية، فانهم أخذوا أموال المسلمين لأنفسهم حتى ظن الناس أن الدنيا معقولة: أي محبوسة عليهم تعطيم درها ولبنها وليس الأمر كذلك، بل هي في قلة اللبث مثل ما يميح الانسان من الشراب من فيه أي يرمي به. ويتطعمونها: أي يذوقونها برهة: أي قطعة من الزمان ثم يلفظونها جملة: أي يطرحونها ويرمونها بمرّة جميعها.

(٨٨) و من خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(١) لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمَيُّلٍ وَ رِخَاءٍ، وَ لَمْ يَجْبُرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَرْزُلٍ وَ بَلَاءٍ، وَ فِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ، وَ مَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ^(٢)؛ مُعْتَبِرًا! وَ مَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيبٍ، وَ لَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَ لَا كُلُّ ذِي^(٣) نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ، فَيَا عَجَبًا - وَ مَا لِي لَا أَعْجَبُ - مِنْ خَطَاءٍ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا!

لَا يَقْتَصُونَ أَثَرَ نَبِيِّ، وَ لَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ، وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَ لَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَ يَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا، وَ الْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْرَعُهُمْ فِي الْمُعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَ تَعْوِيلُهُمْ فِي^(٤) الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ: قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى

١- في ض و ح و ب: فان الله لم يقصم.

٢- في م: من خصب.

٣- في ب: و لا كل ناظر.

٤- في ح و ب: و تعويلهم في المهات.

بِعُرَى ثِقَاتٍ^(١) وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

(٨٩) و من خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُلِ، وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَ
اعْتِرَامٍ^(٢) مِنَ الْفِتَنِ انْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَ تَلَطُّظٍ مِنَ الْحُرُوبِ، وَ الدُّنْيَا
كَاسِفَةٌ النَّوْرِ ظَاهِرَةً الْعُزُورِ، عَلَى حِينِ اصْفَرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَ إِيَّاسٍ
مِنْ ثَمَرِهَا، وَ اغْوِرَارٍ^(٣) مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ أَعْلَامُ الْهُدَى^(٤)،
وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَّجِهَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا،
ثَمَرَهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَ شِعَارُهَا الْخُوفُ، وَ دِتَارُهَا السَّيْفُ.
فَاعْتَبِرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، وَ اذْكُرُوا تَيْكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا
مُرْتَهَنُونَ، وَ عَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ. وَ لَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَ لَا بِبِهِمْ
الْعُهُودُ، وَ لَا خَلَّتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَ الْقُرُونُ^(٥)، وَ مَا أَنْتُمْ
الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَ اللَّهُ مَا أَسْمَعُهُمْ^(٦) الرَّسُولُ
شَيْئًا إِلَّا وَ هَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْوَهُ، وَ مَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونَ

١- في ك و حاشية م: بعري و بقات. و في حاشية ن: بعري موتقات.

٢- في ض و ح و ب و ل و ش: اعتزام. ك: و اغترام و روى و اعتراض.

٣- في ف: عور من مانها و في حاشية ن و ح: اعورار من مانها.

٤- في ض و ح و ب: منار الهدى. ٥- في ض: الأحقاب و الدهور.

٦- في ح و ل و ش: هامش م: ما أسمعكم الرسول.

أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ وَلَا شَقَّتْ^(١) لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْقِدَةُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ^(٢) إِلَّا، وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ.
وَاللَّهُ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهْلُوهُ، وَلَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ وَحُرْمُوهُ، وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا^(٣) خِطَامُهَا رِخْوًا بِطَانُهَا، فَلَا يَغُرَّنْكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

(٩٠) و من خطبة له عليه السلام

(الْحَمْدُ لِلَّهِ)^(٤) الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِيهِ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةِ،
الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا؛ إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ؛ وَلَا حُجُبَ ذَاتُ
أَرْتَاجٍ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو
اعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ؛ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ
الْخَلْقِ وَ وَاوْرِثُهُ، وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ. وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ^(٥)
فِي مَرْضَاتِهِ.

يُبْنِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُفَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَ أَحْصَى
آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ، وَ عَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ^(٦)، وَ حَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَ مَا تُخْفِي

٢- في ح: في ذلك الزمان.

٤- ساقطة من ف و م و ن و ل و ش.

٦- في ح: و عدد انفسهم.

١- في ش: و ما شقت.

٣- في ك: حائلا خطامها.

٥- في م و ش: دائبين.

صُدُّورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوَدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَّهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ. قَاهِرٌ مَنْ عَاذَهُ وَ مُدْمِرٌ مَنْ شَاقَّهُ، وَ مُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ، وَ غَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ، وَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَ حَاسِبُواهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَ تَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ، وَ انْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعْنَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ، وَ لَا وَاعِظٌ^(١).

بيانه

ذكر في الخطبة الاولى كيفية معاملته الله مع الأعداء والأولياء قال: إنه تعالى بفضله لا يهلك الجبارين إلا بعد إنذار وإعذار ولم يهلك أمثالهم، من قبل إلا بعد إهمال والقسم بالقاف أن ينكسر الشيء و بالفاء: أن ينصدع الشيء فلا يبين.

قط: أي أبدا و لم يصلح أحوال جماعة مستضعفين من المؤمنين و لم يجبر عظماً كسيراً منهم الا بعد أن يحتملوا المشقة والشدة والبلاء يقال: جبر

١- في ج: لا زاجر ولا واعظ. وفي ش: من غيرها واعظ ولا زاجر.

الله فلاناً فاجتبر و جبر: أي سد منافره، يتعدى و لا يتعدى والأصل في جبر اصلاح عظم من كسر.

ثم خاطب أصحابه فقال يمكن أن يعتبر بأقل ما رأيتم من ذهاب العمر والمال والشباب و نحوها و مجيء المرض والفقير والبلاء و روي و استدبرتم من خطب و الخطب: الامر العظيم سواء كان خيراً أو شراً، ثم حث على استعمال العقل والتفكر والتأمل.

فان السمع والبصر والفؤاد إنما تنفع من استعمالها و أشار بذلك إلى أن من يخالفه من هؤلاء الفرق لا يستعملون العقول و لا يتبعون أثر نبي (من الانبياء كعيسى و موسى و قيل: المراد به النبي محمد - صلى الله عليه و آله - وان أتى بكلمة نكره كقول الشاعر: قد علمت والدة ماضمت)^(١).

واقص اثره: أي اتبعه و يعملون في الشبهات والمتدين يقف عند كل شبهة و لا يتابع شبهة و اختلاف حججهم هو التناقض الظاهر في أقيستهم في الشرعيات و استبدادهم بآرائهم قد أخذ كل امرئ منها بما يرى بضم الياء: أي بما يظنّ، و روي بما يرى من الرأي، و روي بعري وثيقات.

أما الخطبة الثانية في تذكير نعم الله التي عمها بمحمد على العالمين و ما خص الله به من الألطاف أهل زمانه صلى الله عليه و آله و سلم دون أن قصر في حق آبائهم فانه تعالى قد فعل بكل مكلف ما لا بد له من الاقدار والتمكين و أسباب التكليف.

ثم ذكر أهل زمانه والقرن الذين جاؤا بعد القرن الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه عليه السلام في باب المصالح لهم بمنزلة الرسول صلى الله عليه و آله لآبائهم.

فهذه ثلاثة أحوال فلا ينبغي لمن يطلب النجاة أن يغتر بذلك كإغترار الذين استأثروا والفترة الزمان الذي بين مضي رسول و مجيء رسول آخر و لا يكون في ذلك الزمان رسول، و ان كان فيه وصي له حاضر أو غائب، اذ لا يجوز ثبوت التكليف مع ارتفاع العصمة من المخلوقين من غير حجة الله ناطق أو ساكت فيهم.

و طول هجعة: أي غفلة والهجعة: النومه و اعترام من الفتن: أي في فتن لازمة ثابتة كان لتلك الفتن صريمة أمر و عزيمة يترأى على كونها و ثباتها و يكون على مذاق قوله تعالى: «جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ»^(١).

اعترمت على كذا و عزمت عليه: إذا أردت فعله قطعت عليه والاعترام، لزوم القصد في الشيء، و روي و اعتراض من الفتن: أي ظهور من الفتن، يقال: اعترض الشيء اذا صار عارضاً: أي ظاهراً، و يقال: عرض له أمر كذا ظهر و اعترض الشيء دون الشيء: أي حال دونه و اعترض الفرس في رسنه لم يستقم لقائده و اعترض فلان لفلان: أي وقع فيه فعلى هذا يكون المفعول محذوف.

من كلامه عليه السلام، تقديره و اعتراض من الفتن المرادات^(٢) و لا يبعد أن يكون اعترام من العرام والتلطي: التوقد و كاسفة النور ناقصته كلاهما يتعدى و لا يتعدى، و قوله: «على حين اصرار من ورقها»، أي في آخر أمرها فان اليأس والقنوط من ثمر الشجر يحكم إذا اصفرت أوراقها قوله: «من أياس»، مصدر أيس مقلوب ييس و هو فعال منه و أياس يكون إسما من الأوس، العطاء يقال: أسته، و غار الماء نقص غوراً و اغوراراً انتقص جدا و أعلام الردى، علامات الهلاك و أماراته والمتجهم

الكالح الوجه.

يقال: جهمت الرجل و تجهمته: إذا كلحت في وجهه. والجهامة: أبلغ من العبوس، و قوله: «فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها»، يعني أن الدنيا متنكرة لاربابها الذين صاروا عبدا لها و متغيرة لمن يريد لها و يطلبها متكرهة على الكل، و روى و طعامها الخيفة^(١).

قوله: «واذكر واتيئك التي آباؤكم بها مرتنون»، أي تدبروا الخصلة التي بسببها آباؤكم محبوسون والرهن في كلام العرب: الشيء الثابت الملزوم الدائم المحبوس، قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»^(٢)، فكان هذه الكلمة لا يقال: في الخير والكسب الصالح.

ثم قال: «و لعمرى»، قسمني ما صارت عهودهم قديمة، و لا مضت مدة طويلة بينكم و بينهم، فما أخرى أن تعتبروا بهم و قدم الشيء فهو قديم، و تقادم مثله و الأحقاب المدد و السنون.

قوله: «من يوم كنتم»، على الاضافة و يروى من يوم كنتم مبنياً على الفتح لانه مضاف إلى مبني كيومئذ ثم قال: «و كل ما أسمعكم الرسول فأنا أسمعكم مثله بلا زيادة و لا نقصان»، و روي و الله ما أسمعهم و كذا روي و ما أسمعكم بدون أسمعهم.

فالخطاب في الموضوعين، لهم ليكونوا مع الامام علي عليه السلام كما كانوا مع رسول الله، و إذا كان باهاء فالضمير لآبائهم و اخوانهم و قوله: «و لقد تركت بكم البلية جائلا خطامها»، (أي وقعت المحنة عظيمة لأن الناقة إذا اضطرب زمامها يصعب أمر راعيها و اضطراب زمام الناقة يكون من

جلونها. قيل: حائلا خطامها^(١) أي مسترسلا و يسمى الزمام خطاماً لكونه في مقدم الانف «و رخو ابطانها»، أي واسعاً و كلتا القرينتين عبارة عن قلة الاضطراب للبلية و عن الثبات والبطان: للقتب الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير.

ثم قال في الخطبة الأخيرة: كان الله تعالى في الأزل^(٢) اذ لم يكن من الموجودات شيء، ثم ذكر كثيراً من الموجودات مفصلاً، والقائم والقيوم في صفة الله هو الدائم الذي لا يزول و هو القائم على كل نفس بعد ذلك آخذ لها به و مجاز، والأبراج: بروج السماء.

و برج الحصن، ركنه وربما سميّ الحصن به و يروي أن فوق سبع سماوات سبعة حجب دون العرش ذات ارتاج مغلقة أبوابها، والارتاج جمع رتج و هو الباب العظيم، والليل الداجي: المظلم، والبحر الساجي: الساكن، و روى ذلك مبتدع الخلق.

الدائبان: الليل والنهار و دأب فلان في عمله: أي جد و تعب و أدأبته^(٣)، و روى: والشمس والقمر دائبان على المبتدأ والخبر و دائبين نصب على الحال والظرف و هما ليسا بمكلفين، وإنما هما مسخران سريعان يدينهما ملائكة مقربون بهما لرضى الله تعالى.

لما كان الوقت والزمان والليل، والنهار كلها جريان الشمس والقمر و دوران الفلك، كنى بهما عن الليل والنهار، يعنى يبلى كل جديد بمجىء الليل والنهار، و يصير المشيب بعد الشباب والبلى والجدة، عبارة عنها و عما بعدهما و قبلهما و يقرب الموت والقيامة، والجزاء و إن ظن بعيدا.

١- بين الهلالين في الرضوية.

٢- م: في الاول.

٣- كذا في النسخ.

ثم قال: قسم الله أرزاق المكلفين و روي و عدد أنفاسهم و مستقرهم في الأرحام إلى وقت الموقت لهم، و مستودعهم في الأصلاب لم يخلقوا، بعد و قيل: تقديره و يعلم مستقرهم: أي مأواهم على ظهر الأرض و مستودعهم: أي مدفونهم بعد موتهم.

فعلى هذا يكون قوله: «أن يتناهى بهم الغايات»، اشارة إلى ما يكون في الآخرة من الثواب والعقاب والجنة والنار و ما قبلها من القبر، والحشر والنشر و على الاول كناية عن كونهم أحياء في الدنيا و ما بعد ذلك.

ثم وصف الله بأن عقوبته شديدة على أعدائه في الآخرة مع سعة رحمته تعالى: عليهم في الدنيا، و أن رحمته واسعة للأولياء في الدارين مع شدة معاملته اياهم في الدنيا بمشقات التكليف من المرض والفقير والموت و بعذاب من يجرى عليه العدل دون الفضل و تسمية التكاليف التي ليست بعقوبات على الحقيقة بالعقوبات مجاز.

كقوله: «لَأُعَذِّبَنَّ عَذَاباً شَدِيداً»، و يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى انتقام الله من الظالم للمظلوم، و يقال: انتقم الله منه أي عاقبه والاسم منه النعمة، والجمع نقات و نقم. و إن شئت سكنت القاف و نقلت حركتها إلى النون، فقلت: نعمة والجمع نقم مثل نعمة و نعم و عازة: أي غالبه و مدمر: مهلك و من شاقه: أي من عاداه و كذا معنى من ناواه.



(٩١) و من خطبة له عليه السلام

تعرف بخطبة الأشباح، وهي من جلائل خطبه، وكان سائل سألته أن يصف الله تعالى حتى كأنه يراه عياناً فغضب لذلك.

رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ عَلَى مِئْبَرِ الْكُوفَةِ، وَ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا لِنَزِدَادَ لَهُ حُبًّا وَ بِهِ مَعْرِفَةٌ فَغَضِبَ وَ نَادَى: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَتَّى غَضَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ فَصَعِدَ الْمِئْبَرُ، وَ هُوَ مُغْضَبٌ مُتَعَبِّرٌ اللَّوْنُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ثُمَّ قَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفْرُهُ الْمَنْعُ (وَ الْجُمُودُ^(١))، وَ لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وَ هُوَ الْمَتَّانُ بِفَوَائِدِ النَّعْمِ، وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقِسَمِ، عِيَالُهُ^(٢) الْخَلَائِقُ: ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ،

١- ساقطة من فومونول وشوك: لا يعره المنع.

٢- في ب: عياله الخلق.

وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَ لَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ.
 الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ^(١) قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ الَّذِي
 لَيْسَ لَهُ^(٢) بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ؛ وَالرَّادِعُ أَنَا سَيِّ الْأُبْصَارِ عَنِ أَنْ
 تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ^(٣) مِنْهُ الْحَالُ، وَ لَا كَانَ
 فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ؛ وَ لَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ
 الْجِبَالِ، وَ ضَحَكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلْزِ اللَّجِينِ وَالْعِيقَانِ، وَ
 نُثَارَةِ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَ لَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا
 عِنْدَهُ، وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ؛ لِأَنَّهُ
 الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَ لَا يُبْخِلُهُ إِحَاحُ الْمُلْحِنِينَ.
 فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتْتَمَّ بِهِ، وَ
 اسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ
 عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَ لَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ، وَ أئِمَّةِ الْهُدَى
 أَثَرُهُ فَكِلَ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ.
 وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ اغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ
 السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْعُيُوبِ، الْأَقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهَلُوا تَفْسِيرَهُ مِنْ
 الْعَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعُجْزِ عَنِ تَنَاوُلِ مَا لَمْ
 يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَ سَمَى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ الْبَحْثَ عَنِ

٢- في ح: لم يكن له بعد.

١- في ك: ليس له قبل.

٣- في ن و م و ف و ش و فتختلف منه الحال.

كُنْهِ رُسُوحًا؛ فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَ لَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى
قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ، وَ
حَاوَلَ الْفِكْرَ الْمُبِرَّ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ ^(١) أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي
عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَ تَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ ^(٢) إِلَيْهِ لِتَجْرِي فِي كَيْفِيَّةِ
صِفَاتِهِ، وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَالَ
عِلْمَ ذَاتِهِ ^(٣) رَدَعَهَا، وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً
إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

فَرَجَعَتْ إِذْ جِبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهُ
مَعْرِفَتِهِ، وَ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرُّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ
الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، وَ لَا مِقْدَارٍ اخْتَدَى عَلَيْهِ،
مِنْ خَالِقِ ^(٤) مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَ عَجَائِبِ
مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا
بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ ^(٥)، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَ
ظَهَرَتْ ^(٦) فِي الْبُدَائِعِ الَّتِي أَحَدَتْهَا آثَارُ صُنْعَتِهِ وَ أَعْلَامُ حِكْمَتِهِ.

١- في م و ح و ل و ش : من خطر الوسواس.

٢- في ك : و يروى و تواهقت القلوب.

٤- في ض و ب : من خالق المعهود.

٥- في ر و حاشية م : بمسك قوته. و في ب : بمسك قدرته.

٦- في ح : فظهرت.

٣- في ر : و يروى لتنال علم ذلك.

فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ، وَ إِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً، وَ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. وَ أَشْهَدُ^(١) أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَ تَلَاخُمِ حَقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ^(٢) يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ، وَ كَانَهُ^(٣) لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتَّبِعِينَ^(٤).

إِذْ يَقُولُونَ: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَ نَحَلُوكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَ جَزَّأوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَ قَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ^(٥).

وَ أَشْهَدُ^(٦) أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ^(٧) بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَ أَنْكَ أَنْتَ^(٨) اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيِّفًا، وَ لَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُودًا مُصَرِّفًا.

٢- في ر: روى ما يعقده غيب.

٤- في ح: عن المتبوعين.

٦- في ش: فاشهد.

٨- في ش: فانك انت الله.

١- في ش: فاشهد.

٣- في ش: فكانه.

٥- في ك: بقرائح قلوبهم.

٧- في ش: و العادل كافر.

بيانه

روى مسعدة بن صدقة^(١)، عن الامام الصادق عليه السلام أنه خطب أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة و ذلك أن رجلاً أتاه فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا لزداد له حباً و به معرفة، فغضب عليه السلام فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس عليه حتى غص المسجد بأهله. فصعد المنبر و هو مغضب متغير اللون فحمد الله و صلى على النبي و آله، فقال: «الحمد لله الذي لا يفره المنع و لا يكديه الأخطاء»، أي كل الحمد واجب ثابت للمعبود الغني على الحقيقة الوهاب الذي لا يعجز عن إعطاء ما يشاء.

لا ينقص خزائنه بالعطاء و لا تبقى موفوره بمنع ما فيها، فان ذلك يجوز على المخلوقين إن هم أعطوا غيرهم شيئاً من أموالهم ينقص لا محالة ما لهم و هو القادر لذاته لا يحتاج إلى شيء يجود بالموجود و هو يقدر أن يخلق من كل جنس إلى ما لا يتناهى لا يبلغ الكدية معموله. و هذا كناية عن العجز و إن منع عبداً شيئاً من حطام الدنيا فلا يكون مذموماً، لان إعطائه و منعه بحسب ما يقتضيه المصالح الدينية للعبد و يذم غيره إذا منع سائلاً.

لأنه لا يعلم أن للمعطي في عطائه مفسدة، و إنما يمنع للبخل و الله ليس ببخيل إذا سئل أعطى تحننا و رحمة، و إذا لم يسئل أعطى تفضلاً و كرماً: و فرته إذا تركت ماله موفوراً عليه و لم ترزأوه شيئاً و الموفور:

١- مسعدة بن صدقة روى عن أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام له كتب منها خطب أمير المؤمنين عليه السلام و هو

الشيء التام، والوفر المال الكثير.

قولهم: توفر و تحمد من قولك وفرته عرضه و ماله يضرب هذا المثل للرجل يعطيك الشيء فترده عليه من غير تسخط و أكدى الحافر: إذا بلغ الكدية، و هى الأرض الصلبة و أكديت الرجل عن الشيء رددته عنه و أكدى الرجل إذا قل خيره.

قوله: «أعطى قليلا و أكدى»، أي قطع القليل و انتقص يتعدى و لا يتعدى و المنتقص» مفعول به سواء و ما خلاه كلاهما استثناء، أي إلا إياه الذي لم يكن له قبل و لا بعد أي هاتان الكلمتان لا تجريان على الله تعالى و ذكر عليه السلام علة ذلك.

قبل و بعد و كونها موقوفين أحسن من كونها مبنيين على الضم والرادع، الكاف والدافع. يقال: ردعته عن الشيء فارتدع، أي كففته فكف. والاناسي: جمع، إنسان العين أصله أناسين، فابدلت النون ياء كما يقال: تظنيت في تظننت.

فان قيل: هذا يدل على صحة قول الأشعري بأنه تعالى ردع الأبصار من أن تراه بأن لم يخلق لها الإدراك و إن لم يكن كذلك قلنا: قد ثبت أن الإدراك ليس بمعنى إذ لو كان معنى نرى به لجاز أن لو خلق الله في عين الضرير ببغداد إدراك بق الصين فيراه؟ و لم يخلق في عين البصير إدراك جبل بين يديه فلا يراه.

و في تجويز هذا خروج عن المعقول و لا شبهة في فانا لا نرى الله تعالى الان فليس يخلوا اما أن لا نراه، لانا لسنا على الصفة التي معها يصلح أن نرى أو لان بعض الموانع يمنع من رؤيته، أو ليس هو بمرىء في نفسه إذا بطل القسمان ثبت الثالث.

فهذا دليل العقل الذي لا يأول والكلام يكون محكماً و متشابهاً يحتاج

أن يحمل تأويله على ما يوافق الأدلة العقلية، فالله متعال عن أن تناله الحواس، أو تدركه الأبصار لكونه على صفة العظمة التي لها يدرك و لا يدرك.

و لكونه ذاتا مخصوصة قديمة بخلاف المحدثات و هذا الكلام من الامام علي عليه السلام رد للسائل فاستدل عليه بدليل السمع، فضلاً على ما هو مركز في العقل أو ينبغي للمستدل أن يخاطب كل على قدر علمه. فقال: إن الله قال: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(١)، و قال: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»^(٢)، فقد ردع من طريق السمع والعقل أن يطلب أحد ذلك، ثم ذكر أن اختلاف الحال عليه تعالى محال لأنه واجب الوجود بذاته والانتقال والحلول والصغر والكبر من صفات المحدثات.

و إذا لم يكن الله تعالى من جنسها لم يجوز عليه شيء من ذلك و ما اختلف: ما للنفي و جوابه، فتختلف بالنصب، ثم قال: و لو وهب و أعطى سبحانه هذه الأشياء النفيسة التي خلقها في معادنها و ادخرها في مظانها لمصالح العباد على ما يقتضيه وجوه الحكمة لما نفذ سعة ما عنده و لا انتهى مقدراته.

هذه المعادن قالوا: انها تتكون كذلك من الأبخرة الصاعدة من جرم الأرض فلذلك عبر عليه السلام عنها بالتنفس و كل ذلك بأمر الله تعالى و إنما يخلقه كذلك على مقتضى الحكمة كما خلق الانسان في أحسن تقويم من نطفة ثم علقته ثم مضغة إلى ان ينشئه خلقا سويا فتبارك الله أحسن الخالقين. قيل: تنفست هاهنا مستعار من تنفس الصبح: إذا تبليج، أو مجاز من قولهم تنفس الرجل إذا صار ذا نفس من الأنفاس و كل ذي رية متنفس و

دواب الماء لاريات لها، فكيف يكون للجمادات أنفاس على الحقيقة.
و ضحكت عنه أصداف البحار: استعارة حسنة و صدف الدرّة
غشاؤها الواحدة صدفة والفلذ: إسم للاجناس السبعة هي العقيان و هو
الذهب واللجين و هو الفضة والحديد والنحاس والرصاص والأسرف
والزبيق و قيل لها ثامن و هو الخارصيني و هو الذي يعمل منه أنواع من
المراي والمرجان البسد و صغار اللؤلؤ.

غاض الماء: نقص و غضته يتعدى و لا يتعدى، وصف الله بأنه لا
يغيضه السؤال و لا يبخله الالحاح» أي لا ينسبه إلى البخل و ألح السائل
على فلان بالمسئلة، أي أقام بها عليه دائماً من ألح السحاب إذا دام مطره و
ألح الجمل حرن^(١).

روي و لا يبخله و أبخلته وجدته بخيلاً. بخلته، أي نسبته إلى البخل و
رسخ في الشيء إذا ثبت فيه والراسخون في العلم هم المبالغون في علم كتبهم
الثابتون الذين لا يقتحمون السدد المضروبة دون الغيوب، و اقتحام الفرس.
الماء: الدخول فيه من غير إرسال والسدد جمع سدة و هي باب الدار.

في الحديث الشعث الرؤس الذين لا يفتح لهم السدد، أي الأبواب
والسدد، هاهنا كناية عن الخيام لأنها موصوفة بالمضروبة و معنى جميع ما
فصله في بيان أحوال الراسخين أنهم إذا ما تعبدتهم الله بأقامة خمس صلوات
لا يتطلعون علة لم يأمر بأكثر من ذلك أو أقل.

و لم جعل الظهر على مرتبتين أربعاً في الحضر و اثنين في السفر و لم لم
تجعلها ستاً و لا ثلاثاً و كذا الكلام في كل فريضة في كل وقت و فيما سواها
من العبادات نحو الصوم و الزكاة و الحج.

١- فرس حرون: لا ينقاد و اذا اشتد به الجرى وقف.

وكذلك الكلام في الأحكام ونحوها، وأنهم يعلمون على الجملة أنه أحكم الحاكمين فيقرون بأنه تعالى أمر بها لكونها أظافاً^(١) و مصالح في ديننا لا يتعمقون ولا يتقرون في البحث عما لم يجعله الله من تكاليفهم ثم قال: هو الله القادر الذي إذا صارت الأوهام والظنون مرتمية لتقع عليه صارت مردوعة، تعترف قلوبها بأنه يعرف بالدلائل، و كنه عظمته لا يختر بالبال و مقدراته غير متناهية و ارتقى» مطاوع رمى يقال: رميت الشيء من يدي: أي ألقيته فارتمى.

يقال: ارتمينا أي ترامينا، و روي و خطرات الوسوس والوسوسة حديث النفس و قد خصت بالشر و خطرها تحريكها، و رفعها و أما مصدر خطر الشيء ببالي، فهو الخطور لأنه فعل لازم و أخطره الله ببالي، والخاطر مخصوص في العرف بالخير.

الخطرات جمع خطرة، و توهت أي تحيرت، والوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد و كنه الشيء غايته و نهايته والغامض من الكلام خلاف الواضح و قد غمض غموضة من قولهم للمطمئن من الأرض الغامض، و قد غمض و مكان غمض أشد غوراً.

روي لتنال علم ذلك و ردعها: أي كفها و هي تجوب أي تقطع مهاوي: أي مهالك، و مساقط. صدف، أي ظلم. متخلصة: أي مقدرة التخلص إليه. والاعتساف: التعسف و هو الأخذ على غير الطريق، و جبهت: ردت والجبه الرد و أصله من جبهته صككت جبهته و جبهته بالمكروه إذا استقبلته.

قوله: «و اعتراف الحاجة»، عطف على عجائب، يقول: عليه السلام:

إنه تعالى أَرانا من الحكم العجيبة من أفعاله، ما هو ناطق بالبرهان عظمته، و أَرانا من اقرار و اعتراف الخلائق، و حاجاتهم إلى أن يمسكها الله تعالى بقدرته ما يدلنا على معرفته^(١) على القطع و يكون عند ذلك بمنزلة المضطرين إليها والهاء في مقيمها للعجائب.

قوله: «بمسك قدرته»، من قولهم إمسكت الشيء بمعنى اعتصمت به و المساك: المكان الذي يمسك الماء، روي بمسك: بفتح الميم والكسر أفصح، و روي بمسك، يقال: فيه مسكة من خير: أي بقية، و رجل مسكة و هو الذي لا يعلق بالشيء، فيتخلص منه و الجمع مسك.

ثم شهد أن من شبه الله بالأجسام والصور لا يعرفه يقيناً و أن من جعل له حلية الأصنام، فهو عادل كافر و حقائق المفاصل تشتمل على حكمة الله: و يحتجب تدبيرها، و مفصل العضو من العضو إذا تأمله متأمل يرى أحدهما كالحققة يدور فيها الآخر مشدوداً هذا بصاحبه بالعصب، متلاحماً: متصللاً حتى احتذى البنائون في بنائهم بالذكر والانشئ.

روي ما يعقد غيب ضميره: و إذا رفع غيب ضميره يكون فاعلاً، و روي و لم يباشر قلبه اليقين، والمعنى واحد و كذب العادلون، أي يجعلون لله عديلاً و شريكاً. و نخلوك: أعطوك. و جزؤك: أصله الهمز، و روي جزوك على التخفيف، والتلين، والقريحة أول ما يستنبط من البئر.

منه قولهم: لفلان قريحة جيدة، و الجمع قرايح يراد بها استنباط المعنى بجودة الطبع، و القوى جمع القوة و هي في الأصل الطاقة من الحبل، و رجل شديد القوى أي شديداً سر الخلق و قوله: «و انك أنت الله الذي لم يتناه في العقول»: أي و أشهد أنك الله لا تكيف.

و منها

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَ دَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ^(١)، وَ وَجَّهَهُ لَوَجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَ لَمْ يَسْتَضِعْبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَ كَيْفَ، وَ إِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟

الْمُنْشِئِ أَصْنَافِ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلِ إِلَيْهَا، وَ لَا قَرِيحَةٍ غَرِيِزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَ لَا تَجْرِيَةَ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَ لَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقُهُ وَ أَدْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ، وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ^(٢) يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، وَ لَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّيِّ.

فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا، وَ نَهَجَ حُدُودَهَا، وَ لَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ^(٣) بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَ

١- في ب: فالطف تقديره و دبرها فاحكم تدبيره.

٢- في ب: ولم يتعرض.

٣- في ك: و الرواية الصحيحة برأ خلائق.

فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا.

منها في صفة السماء:

وَ نَظَمَ^(١) بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجِيهَا، وَ لَاحِمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِيهَا وَ
وَشَّجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَرْوَاجِيهَا. وَ دَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَ الصَّاعِدِينَ
بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونََةَ مِعْرَاجِيهَا، نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ^(٢) فَالْتَحَمَتْ
عَرَى أَشْرَاجِيهَا وَ فَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِنَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِيهَا. وَ أَقَامَ رَصْدًا
مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِيهَا، وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ
الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ^(٣) أَمْرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً
مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا.

فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَ قَدَّرَ مَسِيرَهُمَا^(٤) فِي مَدَارِجِ
دَرَجِيهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ السَّنِينَ وَ
الْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَهَا، وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا: مِنْ
خَفِيَّاتِ دَرَارِيئِهَا، وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَ رَمَى مُسْتَرَقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ
شُهْبِيهَا، وَ أَجْرَاهَا عَلَى إِذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَ مَسِيرِ
سَائِرِهَا، وَ هُبُوطِهَا، وَ صُعُودِهَا، وَ نُحُوسِهَا، وَ سُعُودِهَا.

١- في ع: فنظم بلا تعليق.

٢- في ش: دخان مبین.

٣- في ف و ع: في خرق الهوارئدة. م و ل: باندة.

٤- في ض و ح و ب: و قدر سيرهما.

بيانه

وصف الله بأنه قدره ما خلقه من العالم و دبر جميع ذلك للوجهة التي خلقه لها ما اقتضاه الحكمة، ولم يتجاوز شيء منها حدود ما أراد الله على الاجاء و لم يقصر، أي لم يعجز عن أن ينتهي إلى غاية ما دبره هذه الجملة ان كان المراد بها الجهادات و نحوها مما ذكرناه فات ما أضاف إليها من ترك التعدي، والقصور والتقصير والاستصعاب و كونها مأمورة فكل ذلك مجاز، و إن أراد بذلك العقلاء، و غيرهم فيكون مخصوصاً، بما يريد الله على سبيل الاجاء.

فكيف لا يجري تلك الأمور على ذلك و هو تعالى قادر لذاته و حسبه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، و روي و لم يقصر ثم ذكر أنه تعالى الخالق للاشياء على سبيل الانشاء. والابتداء بلا عزيمة، و لا تجربة و لا معين و لا مشير فتم خلق الله لما أراد خلقه و انقاد لطاعته.

هذا أيضاً على مذاق ما تقدم أنفاً من أجابة المخلوقات لدعوته على معنى أنه على طريق التسخير والاجاء، فأما إذا أراد إيجاد شيء من العدم إلى الوجود فقد حصل بلا ريث و لا ابطاء. والاناة: السكون. والملكيء: المتأخر، و تلكأ في الشيء تباطأ فيه ثم ذكر أنه تعالى لما خلق الحيوانات و احتاجت إلى أشياء هيأ الأسباب لها و أقام أودها و اعوجاجها و نهج حدودها.

ثم وصف ما ركب الله في الأبدان من الحرارة والبرودة والرطوبة، واليبوسة مع أنها متضادة فجمعها على دقيق المصلحة و كان تعالى قادراً على أن يجعله حياً من غير جمعها فيه إلا أن اللطف يتعلق بكونها مجموعاً له

و جعل أعضائها موصولة كل قرينة إلى مثلها.

ثم فرق تلك القرين و هي أجناس مختلفة على ما فضله، ثم قال: «بدايا خلائق»، و أضاف بداياً إلى خلائق، أو يكون بداياً بدلاً من قوله: أجناساً و خلائق، عطف البيان و بدايا وزنه فعائل هي الخليفة المبدوء بها نحو الخطية و الخطايا.

روي بدأها خلائق: أي لما خلق الحيوانات فرقها أجناساً مختلفة في حدودها من الملائكة و الجن و الانس و الوحوش و الطيور و غير ذلك من الحيوانات و جعل هيأتها و غرايزها و طباعها و أقدارها مختلفة فأحكمها كما أراد و ابتداء خلقها أول مرة على ما شاء.

ثم وصف السماء فقال: «و نظم الله رهوات فرجها»، أي جعلي أمكنتها و منخفضاتها متصلة من غير أن يترك فيها خللاً. و الرهوة: المكان المرتفع و المنخفض الذي يسيل إليه الماء و هو من الأضداد و الرهوة كالجوبة في محلة القوم يسيل فيها ماء المطر.

ألقى شقوقها: بعضها ببعض. و الفرجة: الحايط و ما أشبهه معروفة يقال: بينها فرجة: أي انفراج، و الانفراج: الانكشاف فالفرج منها ما يجعل عمداً و الانفراج ما يصير كذلك بالاتفاق و لا حمت الشيء بالشيء: إذا ألصقته به و وشج بينها و بين أشباهها: أي وصل بين تلك الصدوع.

بين أزواجها: أي أشباهها من الصدوع و شجت العروق و الاغصان: أي اشتبكت. و الواشجة: الرحم المشتبكة و قد شجت بك قرابة فلان و الاسم الوشيج و وشجها الله توشيحاً.

و الصحيح أن جميع ذلك إشارة إلى كون سبع السموات طباقاً بعضها فوق بعض منظومة رهوات شقوقها بين كل سماء و سماء متساويلا تعليق بعضها إلى بعض متشابه صدوع جميعها قد سخر الله حزونة درجها و سهلها

للملائكة النازلين لتدبير أرضه و لغيرها.

كانت السموات سماء مرتتقة ففتحتها تعالى سبع سموات و جعل نجومها رجوماً للشياطين: و جعل الشمس والقمر علامتين لأوقات العبادات، و ليعلم بهما عدد السنين، ثم ذكر تفصيل بعض ما أجمله من النجوم و فلکها. قوله عرى أشراجها: أي منفسحها و شرح الغيبة (عروقها و عرآنها)^(١) و مجرة السماء تسمى شرجاً، و شرح الوادي منقسمه^(٢) و الجمع أشراج و قوله: «و ناداها بعد اذ هي دخان»، على إضافة بعد إلى اذ هي دخان احسن.

روي بعد مبنياً على الضم و يكون إذ هي دخان بدلا عنه و ناداها مجاز و استعارة و قد ذكرنا في الخطبة الأولى كيفية ابتداء خلق السماء و هذا الفتق و الرتق هاهنا مقتبس ذكرهما من القرآن.

الشهب: جمع شهاب و هو النجم و أصله النار. و الثواقب جمع الثاقبة و هي المضيئة و يكون جمع ثاقب و على نقابها، أي طرفها جمع نقب و هو الطريق في الجبل و مار يمور اضطرب و تحرك و جاء و ذهب و بأيده: أي بقوته و يتعلق الباء بأمسكها، و روي بأئدة: أي هالكة، و روي ورايدة من راد يرود إذا جاء و ذهب.

قوله: «و جعل شمسها آية مبصرة»، و قال: و التَّهَارِ مُبْصِرًا: أي يبصر فيه يقال: ليل نائم: أي ينام فيه، و قوله: «و قرها آية محمودة من ليلها»: أي و جعل قرها آية محي بعض نورها، و قوله: «من ليلها»: أي من آيات ليلها و هذه الآيات هي النجوم، و روي ثم علق في جوها فلکاً و ناط بها: أي علق.

قال الكلبي^(١): الفلك استدارة السماء قال الليث: جاء في الحديث، ان الفلك دوران السماء و هو اسم للدوران خاصة، و أما المنجمون فانهم يقولون سبعة أطواق دور السماء و قد ركبت فيه النجوم السبعة في كل طوق منها نجم بعضها أرفع من بعض تدور فيها باذن الله تعالى.

الدراري: جمع دري من النجوم و رمى مسترقي السمع كان الشياطين قبل مبعث محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يصعدون السماء و يسمعون كلام الملائكة على السرقة و يوحون إلى أولياءهم من الكفار، و يقال: أمور الله جارية على اذلالها: أي مجاريها و طرقها و اطو الثوب على ذلة: أي على عزة.



١- أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي الكوفي كان من أعلم الناس بعلم الأنساب و قد أخذ بعض علماء الأنساب عن أبي النضر محمد الذي كان من اصحاب الباقر عليه السلام كان جده بشر و بنوه السائب و عبيد و عبدالرحمان شهدوا الجمل و صفيين مع الامام علي عليه السلام، توفي سنة ٢٠٦.

و منها في صفة الملائكة:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ، وَ عِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ
مَلَائِكَتِهِ خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ (و) (١) مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَ
حَسَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا (٢)، وَ بَيْنَ فِجَواتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ رَجُلٌ
الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حِطَائِرِ الْقُدْسِ، وَ سُتْرَاتِ الْحُجُبِ، وَ سُرَادِقَاتِ
الْمَجْدِ، وَ رَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ (٣) مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتِ نُورٍ
تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا.

فَتَفَفُّ حَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا، أَنْشَأَهُمْ (٤) عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَ
أَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ خَلَالَ (٥) عِزَّتِهِ لَا يَنْتَحِلُونَ مَا
ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ (٦)، وَ لَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ مِمَّا
انْفَرَدَ (٧) بِهِ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ
يَعْمَلُونَ) جَعَلَهُمْ (٨) فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَ حَمَلَهُمْ إِلَى
الْمُرْسَلِينَ وَ دَائِعَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ، وَ عَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ.

فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَ أَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَ
أَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضِعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وَ فَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذَلَّلًا إِلَى

١- ساقطة من ش.

٢- في ل و ش: اجواها.

٣- في م: تسل منه الأسماع.

٤- في ح و ب و ض: وانشأهم.

٥- في ض و ح و ب و ش: جلال عزته. وفي حاشية م: بحار عزته.

٦- في ع و ب: من صنعته.

٧- في ب: شيئاً مما انفرد به.

٨- في ح: جعلهم الله فيها.

تَمَاجِيدِهِ، وَ نَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تُثْقَلُهُمْ
 مُوصِرَاتُ الْآثَامِ، وَ لَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقْبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَ لَمْ تَرْمِ
 الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا^(١) عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ، وَ لَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ
 يَقِينِهِمْ، وَ لَا قَدَحَتْ قَادِحَةً الْإِحْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَ لَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةَ مَا
 لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَ مَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ^(٢)
 فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَ لَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَفْتَرِعَ^(٣) بِرَيْنِهَا عَلَى
 فِكْرِهِمْ:

مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْعَمَامِ الدُّلْحِ، وَ فِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشَّمَخِ،
 وَ فِي قَتْرَةِ^(٤) الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ، وَ مِنْهُمْ مَنْ^(٥) قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ
 الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَ
 تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدْ
 اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْعَالُ عِبَادَتِهِ، وَ وَسَلَتْ^(٦) حَقَائِقُ الْإِيْمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ
 مَعْرِفَتِهِ وَ قَطَعَتْهُمْ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلِيِّ إِلَيْهِ، وَ لَمْ تُجَاوِزِ رَغَبَاتُهُمْ مَا
 عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَ
 تَمَكَّنَتْ مِنْ سُودَائِهِ قُلُوبُهُمْ، وَ شَيْجَةٌ خِيفَتِهِ^(٧) فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ

٢- في ض و ح و ل و ش : و هيبة جلاله.

٤- في ر : فترة الظلام الایهم.

٦- في ح و ض و ب : و وصلت بالصاد.

١- في ك و ل : بنوازعها.

٣- في ك و ر : و تفترع بریها.

٥- في ب : من خرقت.

٧- في ب : مشیجة خيفته.

اعْتَدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولَ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةً تَضَرَّعِيهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمَ الزُّلْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ، وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْأَعْجَابُ فَيَسْتَكْبِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْأَجْلَالِ، نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَ لَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُءُوبِهِمْ، وَ لَمْ تَغْضُ رَعَبَاتُهُمْ.

فِيخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَ لَمْ تَجِفَّ لَطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ الْأَسْنَتِيهِمْ، وَ لَا مَلَكَتْهُمْ^(١) الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ^(٢) الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، وَ لَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَ لَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بِلَادَةَ الْغَفَلَاتِ، وَ لَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ.

قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ^(٣) ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِيهِمْ. وَ يَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَ لَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْإِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ، فَيَنُؤَا فِي جِدِّهِمْ.

وَ لَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤَثِّرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ^(٤)، وَ لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَ لَوْ اسْتَعْظَمُوا

٢- في ك: و روى مقادماً بالذال.

٤- في ر: على الاجتهاد.

١- في ر: ولا ملكتهم الاغفال.

٣- في م: ذى العرش لهم ذخيرة.

ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءِ مِنْهُمْ شَقَقَاتٍ وَجَلِيلِهِمْ، وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ
بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَ لَا تَوَلَّاهُمْ
غِلًّا^(١) التَّحَاسُدِ، وَ لَا شَعَبَتْهُمْ^(٢) مَصَارِفُ الرِّيبِ، وَ لَا اقْتَسَمَتْهُمْ
أَخْيَافُ الْهَمِّ.

فَهُمْ أَسْرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رَبِّيَّتِهِ زَيْغٌ، وَ لَا عُذُولٌ وَ لَا
وَتَى، وَ لَا فُتُورٌ، وَ لَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا، وَ عَلَيْهِ
مَلِكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعَ حَافِدٌ يَزِدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا وَ
تَزْدَادُ عِزَّةً رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْمًا.

بيانه

ذكر عليه السلام أن الله خلق السموات ثم أسكنها ملائكة قد أبدع
خلقتهم و عمرت بهم كما تكون عمارة مساجد الأرض بالمصلين، و امتلأت
مواضعها و أمكنتها و تقديرات الامكنة ما بينها لكثرتهم لا تسمع فيها إلا
تساويهم و وراءها حجب النور التي ذكرها قبل هذا ينعكس شعاع البصر
عنها لشدة ضيائها و هو على صور مختلفة يتبرؤن مما يدعي أهل من الكفار
لهم معصومون مؤتمنون للرسالة متواضعون^(٣).

لا يعترهم شك في إيمانهم لا يتحاورون عظام^(٤)، الأبدان والايقان

١- في ر: وروى على التحاسد.

٢- في ض و ح و ب و ل و ش: ولا تشعبتهم. في ك: ولا شيعتهم.

٣- ساقط الى هنا في ج. ٤- في ج: لا يتحاقدون.

يتحني ظهورهم لخوف عقاب الله، لا يستكثرون طاعاتهم و لا يفترون عنها و لا يستريحون، انقطعوا إلى الله، و لا يستحوذ عليهم الشيطان، و لا يوجد في بسيط السموات أقل موضع الا و فيه ملك مشغول بطاعة. في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه و آله قال: «رأيت في السماء الدنيا ملكا على صورة ديك أبيض و شعر عنقه أخضر، قدماه تحت الأرض السابعة و رأسه تحت العرش، و جناحاه إلى المشرق و المغرب يسبح لله و يقول: سبحان الملك القدوس الكبير المتعال، لا اله الا الله المحي القيوم.

فخرجتُ من هناك فرأيت ملكا نصفه من الثلج، و نصفه من النار، لا النار تذيب الثلج و لا الثلج تطفيء النار، يسبح لله و يقول: بأعلى صوته، اللهم أنت المؤلف بين الثلج و النار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين. فسألت جبرئيل من هو فقال: هو ملك اسمه حبيب مؤكل باكتاف السماء و أطراف الأرض ينصح أهل الأرض فخرجت من هناك فرأيت ملكاً حزينا على سرير فدخل قلبي منه خيفة فسألت جبريل عنه فقال: هو ملك الموت، فقلت: كفى بالموت طامة.

فقال: ما بعد الموت أعظم و أطم و في يده لوح فحياني، فسألته عن ذلك اللوح فقال: فيه آجال الخلائق الذين أريد قبض أرواحهم، فقلت كيف تقبض أرواح أهل الأرض و أنت قاعد هاهنا، فقال ان الدنيا كلها عندي بمنزلة مائدة موضوعة عند أحدكم يأخذ منها كما يشاء بيده.

فاذا دنا أجل عبد أنظر اليه و أنظر إلى أعواني من الملائكة فيعلمون بذلك مرادي فيعالجون نشط عروقه و أعضائه ثم أقبض أنا روحه فخرجت من عنده فرأيت ملكا عابس الوجه شديد البطش: ظاهر الغضب. فقال: جبرئيل هو مالك خازن النار.

فحياني و أراني النار و أهواها، ثم رأيت ملكاً له ألف ألف رأس على كل رأس ألف ألف وجه على كل وجه ألف ألف فم في كل فم ألف ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف ألف لغة، و هو يسأل الله يوماً هل في عبادك من له مثل عبادتي.

فقال الله سبحانه: ان لي في الأرض عبداً أعظم منك ثواباً و أكثر منك تسبيحاً فاستأذن الله في زيارته، فأتاه، و كان عنده ثلاثة أيام فما وجدته يزيد على فرائضه شيئاً، و كان يعقب.

سبحان الله كلما سبح الله شيء و كما يحب الله أن يسبح و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عز جلاله، و الحمد لله كما حمد الله شيء و كما يحب الله أن يُحمد و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عز جلاله و لا اله الا الله كلما هلّل الله شيء و كما يحب الله أن يهلّل و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و جلاله.

خرجت إلى السماء الثانية ثم الثالثة إلى السابعة، و كان ملائكة كل سماء يميّنونني فرأيت في السابعة ابراهيم الخليل قاعداً على كرسي على باب الجنة مستنداً إلى بيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون إليه إلى يوم القيامة، فخرجت من هنالك حتى بلغت سدرة المنتهى.

فرأيت شجرة كل ورقة لها يظل على الدنيا و أهلها و عليها ثمار كالنبق، و هذه الشجرة إلى حد السماء السابعة من جانب الجنة و أغصانها تحت الكرسي، و على هذه الشجرة ملائكة لا يحصي عددها الا الله تعالى على صورة الجراد من الذهب، و حواليها كثير من الملائكة، و كان مقام جبرئيل تحت هذه الشجرة.

فقال جبرئيل: يا محمد ارتفع أنت فليس لي الاذن إلى اكثر من هاهنا

و ذلك قوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ»، فخرجت حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزة ثم إلى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجاباً و أنا على البراق و بين كل حجاب و حجاب مسيرة خمسمائة سنة.

ثم أرسل رفر ف منور أخضر يغلب على نور الشمس نوره، و وضعوني عليه و أوصلوني إلى العرش فلما رأيت العرش صغر في عيني كل ما رأيته لعظم العرش و رأيت في عليين بحاراً و أنواراً و غيرها لولا تلك احترق كل من تحت العرش من نور العرش.

رأيت في تلك البحار ملائكة صفوفاً صفوفاً و هم الروحانيون، و رأيت صفاً فوق جميع الصفوف في البحر الأعلى المحيط بالعرش، و هم الكروبيون من أشرف الملائكة و عظماهم لا ينظر إليهم ملك لهيبتهم و جلالهم ثم دخلت الجنة فرأيت ما لا أذن سمعت و لا خطر بيال.

فرأيت خازنها رضوان و سدنتها، و روي: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم دعا فقال: «أسألك بجاه محمد و آله الطيبين الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من ملائكته بعد أن لم يقدروا على تحريكه».

قال: الامام علي عليه السلام «ان السموات والأرض و ما بينهما من المخلوقين في جوف الكرسي و له أربعة أملاك، يحملونه ملك منهم في صورة الآدميين و هي أكرم الصور على الله، و هو يدعو الله و يتضرع اليه و يطلب الشفاعة و الرزق لبني آدم. و الملك الثاني في صورة الثور و هو سيد البهائم، هو يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الرزق، و الملك الثالث في صورة النسر و هو سيد الطيور و هو يدعو الله و يتضرع و يطلب الرزق للطيور. و الملك الرابع في صورة الاسد، و هو سيد السباع و هو يدعو الله و يتضرع اليه و يطلب الرزق لجميع السباع.

قيل: إن الكرسي هو العرش و قال تعالى في سورة السجدة: «في يوم كان مقداره ألف سنة»^(١)، و هو لما بين السماء الدنيا والأرض في الصعود خمسمائة سنة و في النزول مثلها والمراد أن الآدميين لو احتاجوا^(٢)، إلى قطع هذا المقدار الذي يقطعه الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة، و أما قوله: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(٣). فعناه أن أول نزول الملائكة إلى الدنيا بأمره و نهيهِ و قضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء و هو القيامة، هذه المدة فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة، لا يدري كم مضى و كم بقي، «وإنما يعلمه الله»^(٤)، و قيل: تعرج الملائكة إلى عرشه في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة، و ذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع. أما ألفاظه فان الصفيح الأعلى كناية عن السماء و ما فوقها و يقال: لوجه كل شيء عريض صفيح و صفيحة. والاجواء: جمع جو، و روي أجواها: أي غيظانها والفجوات المتسعات.

الفجوة: الفرجة والمتسع بين الشئتين. والرجيح: الصوت العالي مستعار من رجه يرجه: أي حركه و زلزه. والسبجات: بالجيم القمصان والسباحة العوم^(٥)، والسبحة المحيي والذهاب، و سبح الفرس جريه.

قولهم: سبحات وجه ربنا: بضم السين والباء: أي جلالته و تستك: أي تصم، يقال: استكت مسامعه: أي ضاقت و صمت، و خاسئة: أي صاغرة قية حال من الابصار.

قال تعالى: «ينقلب إليك البصر خاسئاً»^(٦)، أي مبعد او خاسئة من

١- السجده: ٥.

٣- المعارج: ٤.

٥- العوم السباحة.

٢ م: لما احتاجوا.

٤ م: هذا مما يعلمه الله.

٦- الملك: ٤.

خسا بصره خساء و خسوا اذا سدر^(١)، و روي تسبح خلال عزته والزائغ المائل. والاختبات: التواضع والأبواب وصفت^(٢)، بالتذلل تشبيهاً بالذابة الذلول.

والموصرات: المثقلات، و ارتحلت البعير: أي ركبته. والعقبة: النوبة و معنى و لم ترتحلهم عقب الليالي: أي لم تؤثر فيهم نوبات الليالي والايام و كرورها.

«و لم ترم الشكوك بنوازعها»، أي بشهواتها و بنوازعها بالغين المعجمة بإفساداتها.

«عزيمة إيمانهم»، مفعول لم ترم الذي يتعدى إليه بنفسه والباء يدخل في المفعول الذي يكون مرمياً لا في المرمي إليه، أي لا يدخل شك إيمانهم المعزوم عليه، و لا يرمى الشكوك إيمانهم الذي معه اليقين بفساد، و لا أثر شهوة بوجه قبيح، و لم تعترك: أي لم تزدهم الظنون على يقينهم الذي أحكموه والعرك ذلك و منه المعترك لموضع الحرب.

المعاقد، جمع معقد: و هو الموضع الذي عقد فيه على اليقين، و لا قدحت قاذحة الاحن فيما بينهم: استعارة: أي و لم يخرج نار العداوة زند الحقد بين هؤلاء الملائكة والمقدحة ما تقدح به النار و يجوز أن يكون لا قدحت: أي لا طغنت فيما بينهم و كلاهما يرجع إلى معنى.

الاحن: جمع إحنة، و هي الحقد و ما لاق بضائرهم^(٣): أي ما لصق بقلوبهم و سكن جلالته في أثناء صدورهم، أي في أوساطها.

«لم تطمع فيهم الوسوس»، أي أولو الوسوس، و هم الشياطين

١- سدر: تحير وكان لا يبالي بما يصنع.

٢- في ج: وصفت الأبواب.

٣- في ج: و ما ضاق بضائرهم.

بالوساوس مبالغة فتفترع برينها: أي تتقارع بسهامها بأن يتناوب كل واحد منهم للاغراء على وجه آخر كما يفعل بأكثر بنى آدم و بالرين: أي الطبع والدنس والغلبة و كل ما غلب على الانسان فقد ران عليه.

رين الرجل إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، و ران النعاس غلب و رانت الحمى عليه و رانت نفسه خبثت و غثت، و روى فتفترع برينها: أي تعلوهم بشكها الذي توسوس به يقال: فرعت رأسه و افترعته: أي علوته و بالقاف أيضا.

افترعت فرسى باللجام: أي فرعته و كتتمته و افترعت البكر: أي افتضضتها و مفعول تفترع محذوف، أي تفترعهم، و على فكرهم يتعلق برينها و روي برينها والنون سماع والغمام الدخ الثقال، يقال: جاء يدخ بمجملة اذا غلبه ثقله و عظم الجبال: اكبرها و معظمها.

المعظم الاسم والعظم المصدر و هو الكبر و وصفها الشمخ والجبال الشواخ هي الشواحق العالية و قد شمخ الجبل فهو شاخ، و شمخ بأنفه تكبر والانوف الشمخ منه.

قوله: «و في فترة الظلام الأيهم»، أي و من الملائكة من يكون في عظم شخصه من لا يشبه بشيء من هذه الموجودات، و لا يهتدي فيه إلى حقيقة أعضائه و أجنحته لكثرتها و كبرها من قولهم: فلاة يهائم لا يهتدى بطرقها و بلد أيهم إذا لم يكن له علم

القدر الجانب والناحية لغة في القطر و كأنّ القطرة منه كالتمر والتمر والفترة ناموس الصائد أيضاً، و روي و في فترة الظلام، والفترة: الغبار، قال تعالى: «تَرَهَّقَهَا قَتْرَةٌ»^(١)، و انما شبه جنس هذا النوع من الملائكة بغبار

تحت ظلام أيهم لكونهم روحانيين، لطافا مهولين.
والايهمان: عند أهل البادية السيل والجمل الصؤول الهائج^(١)، يتعوذ
منهما و عند أهل الأمصار السيل والحريق قال أبو عبيد: وإنما سمي أيهم
لأنه مما لا يستطيع دفعه و لا ينطق فيكلم أو يستعيث.
«تخوم الأرض»، بالفتح حدّ الأرض و هي مؤنثة و كذلك التخم و
جمعه تخوم بضم التاء و قوله: «و تحتها ريح هفاقة»، أي ساكنة المرّ و الواو
للحال.

«استفرغتهم»، أي طلبت إليهم أن يفرغوا لي العبادة و وسلت، من
الوسيلة: أي قربت. و الوله: اصله ذهاب العقل والتحير في الوجد و وله اليه
تحير في الفرع إليه و سواد القلب: حبته و كذلك سوداء و سويداء.
والوشيجة: عرق الشجرة في الاصل و هاهنا استعارة لمبالغة الخوف.
و حنوا: أي عوجوا. والربق: الحبل و هاهنا كناية والدؤوب والدأب: الجد
والتعب، و روي و لم تغض رغباتهم فيخالقوا و أسلة^(٢). اللسان: طرفه و
مستدقه.

الهمس: الصوت الخفي. و قوله: «و لا ملكتهم الاشغال»، فتنقطع
بهمس الخبر اليه أصواتهم: أي ما لهم اشغال فتقطعهم عن نقل الاخبار
والأحوال إلى ما عند حجب العزة، و روي و لا ملكهم الاعجاب فتنقطع
بهمس الحنين اليه أصواتهم. والمقاوم جمع مقام و روي في مقادم و لا تعد
على عزيمة حدهم: أي لا تغلب. يقال: عدا عليه و اعتدى بمعنى.
قوله: «و لا تنتضل في همهم خدائع الشهوات» أي لا تنازع و لا
تناضل و لا تتواني من النضال و هو المراهبات، و روي قد اتخذوا ذا العرش

لهم ذخيرة والاستهتار: الحرص، يقال: فلان مستهتر بالشراب: أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه.

قوله: «لم ينقطع أسباب الشفقة منهم»، أي الخوف فينوا: أي يضعفوا في جدهم لم تأسرهם الاطماع الفاسدة الدنياوية فيشتغلوا بتحصيلها و يؤثروا وشيك السعي على الاجتهاد طلب الفراغ لتحصيل تلك الأطماع، و روي في اجتهادهم والاستحواذ الغلبة، و روي، و لا تولاهم على التحاسد: أي لا تولاهم الشيطان أو التقاطع.

قوله: «و لا تشعبتهم مصارف الريب»، والأظهر أن تقديره و لا تشعبت بهم فززع الخافض و تؤكد الرواية الاخرى، و لا تشعبتهم: أي فرقتهم والمصرف الموضع الذي يتردد فيه و يتصرف عليه والريب التهم و لا اقتسمتهم أخياف الهمم: أي ليست الملائكة على ما وصف الله بنى آدم في قوله: «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى».

اخياف الهمم اضافة الصفة إلى الموصوف للتفخيم: أي ما أخذتهم الهمم والأخياف من قولهم: أي مختلفون و هذا تأكيد القرينة الاولى، و روي أخياف الهمم والاهاب: قطعة جلد. والحافد: المسرع.

و منها في صفة الأرض و دحوها على الماء.

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجِ مُسْتَفْجِلَةٍ، وَ لُجَجِ بَحَارِ زَاخِرَةٍ
تَلْتَطِمُ أَوْادِي أَمْوَاجِهَا، وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ آبِجِهَا، وَ تَرْغُو زَبْدًا

كَأَفْحُولٍ عِنْدَ هِيَاجِهَا فَخَضَعَ جِمَاحٌ^(١) الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَ سَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا، وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِيًا، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا.

فَأَصْبَحَ بَعْدَ اضْطِحَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا، وَ فِي حَكْمَةِ الدُّلِّ مُنْقَادًا أَسِيرًا وَ سَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوءَةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَ اعْتِلَائِهِ وَ شُمُوحِ أَنْفِهِ وَ سُمُوءِ^(٢) غُلَوَائِهِ، وَ كَعَمَّتُهُ عَلَى كِظَّةِ جَرِيَّتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزْفَاتِهِ^(٣) وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانِ وَ تَبَاتِهِ فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ^(٤) الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْتَانِهَا، وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشَّمَخِ الْبُدْخِ^(٥) عَلَى أَكْتَانِهَا.

فَجَرَّ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَائِنِ أَنْوْفِهَا، وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بَيْدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا، وَ عَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشَّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ بَرُّسُوبِ^(٦) الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا، وَ تَعَلَّغَلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ خِيَاشِيمِهَا وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ، وَ جَرَائِمِهَا، وَ فَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنِهَا، وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا، وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَاقِفِهَا.

١- في ر: و روى جمام الماء.

٢- في ك: و روى بعد نزفاته بالفاء.

٣- في م و ن و ف و ل و ش: شواهد الجبال البذخ.

٤- في ض و ح و ب: لرسوب الجبال.

٥- في ع: انفه و غلوائه.

٦- في ب: فلاسكن هياج الماء.

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَائِبِهَا، وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ (١) ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى (٢) أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتِهَا، وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلْفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لَمْعِهِ، وَ تَبَايُنِ قَزَعِهِ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَ التَّمَعَ بَرَقُهُ فِي كَفِّهِ، وَ لَمْ يَنْمِ وَ مِيضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ، وَ مَتَرَ أِكْمَ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا، قَدْ أَسْفَ هَيْدَبُهُ تَمْرِيهِ الْجُنُوبُ دَرَرَ أَهَاضِيهِ وَ دَفَعَ شَائِبِيهِ.

فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيهَا، وَ بَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنْ الْعِبءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ، وَ مِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَ تَزْدَهِي بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِيْطِ أَزَاهِيرِهَا، وَ حَلِيَةِ مَا سُمِّطَتْ (٣) بِهِ مِنْ نَاصِرِ أَنْوَارِهَا، وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ، وَ رِزْقًا لِلْأَنْعَامِ، وَ خَرَقَ الْعِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا.

فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلْتِهِ (٤)، وَ أَسْكَنَهُ جَنْتَهُ، وَ أَرْغَدَ فِيهَا أَكْلُهُ وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ،

٢- في م: ثم انشأ لها.

٤- في م: اول جبلته و بديع فطرته.

١- في ن و م: جداول الارض.

٣- في م و ك: شطمت بالشين.

وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ - مُوَافَاةً لِسَابِقِ^(١) عِلْمِهِ
فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيَقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ،
وَ لَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُوَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَ يَصِلُ
بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ
أَنْبِيَائِهِ وَ مُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْنَا، فَقَرْنَا.

حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلِمَ حُجَّتُهُ، وَ
بَلَغَ الْمُقْطَعِ عُدْرَهُ وَ نُذْرَهُ، وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا وَ قَسَمَهَا
عَلَى الضَّيِّقِ وَ السَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ
مَعْسُورِهَا، وَ لِيُخْتَبَرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ الصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَ فَقِيرِهَا، ثُمَّ
قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقْتَبَهَا وَ بِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَ بِفَرْجِ
أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا. وَ خَلَقَ الْأَجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا، وَ قَدَّمَهَا وَ
أَخَّرَهَا، وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَ جَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا، وَ قَاطِعًا
لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا.

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَ نَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ،
وَ خَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَ عَقْدِ عَزِيمَاتِ اليَقِينِ، وَ مَسَارِقِ إِيْمَاضِ
الْجُنُوفِ، وَ مَا ضَمِنْتَهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَ غِيَابَاتُ الْعُيُوبِ، وَ مَا أَصْغَتْ
لِاسْتِرَاقِهِ مَصَانِعُ الْأَسْمَاعِ، وَ مَصَائِفِ الذَّرِّ، وَ مَشَاتِي الْهُوَامِ، وَ رَجَعِ
الْحَنِينِ مِنَ الْمُوَلَّهَاتِ، وَ هَمْسِ الْأَقْدَامِ، وَ مُنْفَسِحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلائِحِ

غُلْفِ الْأَكْمَامِ، وَ مُنْقَمَعٍ ^(١) الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَ أُوْدِيَّتَيْهَا.
 وَ مُخْتَبِئًا الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيْثِيَّتَيْهَا، وَ مَغْرَزِ
 الْأُورَاقِ مِنَ الْأَفْتَانِ، وَ مَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ، وَ
 نَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَ مُتَلَاوِمِهَا، وَ دُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي تَرَائِكِمِهَا، وَ مَا
 تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَ تَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَ عَوْمِ ^(٢) نَبَاتِ
 الْأَرْضِ فِي كُتْبَانِ الرَّمَالِ، وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَى سَنَاخِيْبِ
 الْجِبَالِ، وَ تَعْرِيدِ ذَوَاتِ الْمُنْطِقِ فِي دِيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ، وَ مَا أَوْعَبْتَهُ ^(٣)
 الْأَصْدَافُ، وَ حَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ.

وَ مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةٌ لَيْلٍ أَوْ ^(٤) ذَرٌّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَ مَا اعْتَقَبَتْ
 عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ، وَ سُبْحَاتُ النُّورِ. وَ أَثَرُ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَ حِسُّ كُلِّ
 حَرَكَةٍ، وَ رَجْعُ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَ تَحْرِيكُ كُلِّ شَفَةِ، وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسْمَةٍ، وَ
 مِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَ هَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، وَ مَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرٍ ^(٥) شَجَرَةٍ
 أَوْ سَاقِطِ وَرْقَةٍ أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نِقَاعَةِ دَمٍ وَ مُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ، وَ
 سَالَةٍ، لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كَلْفَةٌ، وَ لَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ
 خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَ لَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَ تَدْبِيرِ الْمَخْلُوقِينَ

١- في ن و ر: متقمع الوحوش.

٢- في م و ف: و عوم نبات الارض. و في ب و ح و ف و ل: نبات الارض.

٣- في ض و ح و ب: و اوعبته الاصداف.

٤- في ف و ن: و ذر عليه شارق.

٥- في ش: من ثمر كل شجرة.

مَلَائِكَةٌ وَلَا فِتْرَةٌ بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُمْ عَدَدَهُ^(١)، وَ وَسِعَهُمْ
عَدْلُهُ، وَ عَمَّرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَ التَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تَوَمَّلْ
فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ^(٢) وَ إِنْ تُرَجَّحْ فَأَكْرَمُ مَرْجُوءٍ. اللَّهُمَّ، وَ قَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا
لَا أُمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَ لَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَ لَا أُوَجِّهُهُ إِلَى
مَعَادِنِ الْخَبِيثَةِ وَ مَوَاضِعِ الرُّبِيَّةِ وَ عَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ
وَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ، وَ لِكُلِّ مَثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى
عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَ قَدْ رَجَوْتُكَ ذَلِيلًا عَلَى
ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَ كُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَ هَذَا مَقَامٌ مَنْ أْفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَ لَمْ يَرِ
مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَ الْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَ بِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ
مَسْكَنتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَ لَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتْهَا إِلَّا مِنْكَ وَ جُودُكَ فَهَبْ لَنَا
فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَ أَعْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ؛ «إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»!

١- في ف: وأحصاهم كتابه، وأحصاهم عده.

٢- في ب: فخير مؤمل.

بيانه

قد ذكرنا في الخطبة الأولى في صدر الكتاب بدأ خلق الله الأرض و كيفية أحوالها، و ذكر آدم عليه السلام و هنا ذكر أمير المؤمنين وصف تدييره للأرض، و من عليها و ما عليها فقال: كبس الله تعالى الأرض على الماء و أوقعها عليه، و كان ذلك الماء شديد الموج، فسكن بثقل الأرض و كانت يضطرب فأذهب الحركات من الأرض بهذه الجبال و فجر العيون من تحتها ليسيح الماء على سهل الأرض.

أنشاء السحاب و أرسل منها الأمطار لروابي الأرض فنبت بالماء بين الأشجار والنبات، و عاش الحيوانات بذلك: و جعل على الجبال الطرق ليسهل، على الخلائق التصرف في الأرض الواسعة، و جعل الهواء فوقها تنفساً لسكانها

جعل آدم عليه السلام خليفة فيها بعد أن كان في الجنة في تكليف غير شاق فلما ترك الأولى بتناول الشجرة بغير المصلحة و اشتد عليه التكليف فأهبطه الله إلى بسيط هذه الأرض فعاش ما عاش صلوات الله عليه.

ثم نقله الله إلى جواره و عمر الأرض بنسله و كان بين المكلفين من بنى آدم أبدا حجة بعد حجة إلى عهد محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و قد ذكر في الخطبة أنه عليه السلام خلف أيضا الأوصياء في أمته، و ذكر هاهنا بعد ذلك حسن تقدير الله من الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر على ما تقتضيه الحكمة الالهية.

فانه تعالى عالم السر و غيره و فصل من ذكر دقائق معلوماته ما لا

مزيد عليه، في كونه لطفاً و تنبيهاً و إنه تعالى فعل جميع ذلك من غير كلفة فضلاً و كرمًا و رحمة على خلقه، ثم ختم الكلام بدعاء لم يسمع مثله فهذا خلاصة المعنى.

أما ألفاظه و مشكلاته فان قوله: «كبس الأرض»، أي أوقع مشتق من الكابوس و هو ما يقع على الانسان بالليل، و هو مقدمة الصرع كبست النهر كبسًا طمستها بالتراب، و إسم ذلك الماء كبس بالكسر و المور: الذهاب و المجيء و الأمواج المستفحلة الشديدة و استفحل الأمر تفاقم و اشتد الاواذي: جمع أذى و هو الموج و المراد بالاتباج هاهنا أعالي الأمواج، و الشبج في اللغة ما بين الكاهل إلى الظهر فاستعيرت منه، و ترغو زبدًا أي ترغوا رغاء زبد من رغا البعير إذا صاح.

قيل: هو من الرغوة، و يقال: رعى اللبن يرغى ترغية إذا أزيد. و جماح الماء استعارة و كناية عن ارتفاعه، و روي جمام الماء بالميم كلكلها: أي صدرها. و مستخذياً: أي خاضعاً. إذ تمعكت: يعني الأرض: أي تمرغت، مستعار من تمعكت الدابة

بكواهلها: الضمير للارض و هي جمع كاهل و هو بين الكتفين قال: النبي صلى الله عليه و آله و سلم تميم كاهل مضر و عليها المحمل و هاهنا مجاز أيضا و الاصطخاب: افتعال من الصخب و هو الصحة. و ساجيا: ساكنا قوله: «و في حكمه الذل منقاداً»، مبالغة من وصف الأرض بالسكون، و المدحوة: المبسوطة. و لجة الماء: معظمه. و التيار: الموج. و النخوة و البأو: التكبر، و إضافة بعضه إلى البعض للتخصيص كقوله: «أو اذي أمواجها» و قد تقدم ذكره.

الغلو: تجاوز الحد. و كعمته: أي شددت به فه هياجه من الكعام، و هو شيء يجعل على فم البعير، و الكظة: الامتلاء. و همد: أي سكن يقال:

هدت النار: أي خمدت بمرّة والهمود أبلغ من الخمود والمراد به هاهنا السكون.

و نزقاته: أي حركاته والتنزق: الخفة والطيش و نزق الفرس نزقا، و روي نزقاته بالفاء: أي حركاته من نزفت عبرته: أي خرجت كثيرة، و يقال: نزفة الدم إذا خرج منه دم كثير، حتى يضعف. والزيفان: شدة هبوب الريح، يقال: زفته الريح: أي طردته و ناقة زيفان: أي سريعة.

قيل: الزيفان التبخر و أكثرها استعارة. و لبد: أي لصق بها و تلبد الطائر بالأرض: أي جثم عليها. والشواهق: المرتفعة العالية.

البذخ: جمع باذخ و هو العالي جداً. والعرنين أول الأنف والجمع العرائن و اضافتها إلى الأنوف مثل كرى النوم، و كذا سهوب بيدها فكلاهما الفلوات، والسهب: الفلاة.

الأخاديد: جمع الأخدود و هو الشق المستطيل في الأرض. والراسيات: الجبال الثابتة. والجلاميد: الصخور والجلمود الصخر الكبير. والشناخيب: رؤوس الجبال الثابتة والواحد شنخوب و واحد الصناخيد صنخود و هي الصخرة الشديدة الصلبة.

الميدان: التحرك. و الرسوب: الثبوت، و أديم الأرض: وجهها و تغلغلها: أي دخولها من تغلغل الماء بين الأشجار: أي تحللها. و متسربة: أي داخلية من انسرب الثعلب في جحره، و تسرب: أي دخل والجوبات في الخياشم هي ثقب الانوف، والجوبة في الأصل الفرجة في السحاب والجبال و جراثيمها أصولها.

«فسح بين الجو و بينها»، أي وسع بين الهواء والأرض، والجو هذا

الشق^(١) بين السماء والأرض. والمتنسم: مهب النسيم^(٢)، وأرض جرد لانبات بها كأنها انقطع عنها المطر: الجدول: الأنهار اضيء إليها تخصيصاً، وروى جداول الأرض و لمع الغمام: قطع السحاب، واللمعة قطعة من النبت إذا أخذت في اليبس.

القرع: قطع من السحاب رقيقة. و تمخضت: تحركت يقال: تمخض اللبن إذا تحرك في الممخضة، والتع أضاء في كفه: أي في قطع السحاب التي هي كالشك و هو في الأصل جمع كفة و هي كل ما استدار مثل كفة الميزان و كفة الصائد و هي حبالته فثله مراد هاهنا. والوميض: الضياء.

الكنهور: العظيم من السحاب، والرباب الأبيض منه، والمتراكم المتراكم والميم بدل من الباء. و أسف هيد به: أي دنا من الأرض سحابة المتدلي كالخيوط. و تمريه: أي تحليه. و درر أهاضييه أي صبات أمطاره العظيمة، والهضبة المطرة العظيمة القطر و قد هضبت السماء والأهاضييب جمع هضب و هي صباب القطر بعد القطر.

الدررة: كثرة اللبن و سيلانه و للسحاب دررة: أي صب و الجمع درر، و دفع شآبيبه: عطف على درره و مرى يتعدى إلى مفعولين، يقال: مريت الناقة لبنا والثوب: الدفعة من المطر و غيره و الدفعة كالدفقة من المطر و غيره.

قوله: «فلما ألقت السحاب برك بوانيها»، البرك الصدر، والبواني ما يلي الزور^(٣) من الأضلاع، و قيل: البواني القواعد، و قيل: البواني القوائم اليدان والرجلان، و قيل: بوانيها يجوز أن يكون من بني، كأنه إذا نشأت

٢- =مهب الريح.

١- في ج: والجويين السماء والأرض.

٣- الزور بالفتح: أعلى الصدر.

نبت الأمطار و يجوز أن يكون معناه لواصفها من قولك: قوس باينة إذا لصقت بالوتر.

منه قول: امري القيس غير باناة على وتره و قوله «و بعاع»: معطوف على برك: أي و ألتت السحاب ثقلها الذي استقلت به: أي نهضت من العب: أي الثقل يعنى المطر الذي حملة الله عليها.

روي إن الله يأمر الملائكة الموكلين بالسحاب أن يأخذوا ماء من البحار على قطع السحاب فيرفعونها إلى الهواء ثم ينزل المطر على كل أرض بقدر الحاجة على وفق الصلاح، والبعاع: الجهاز والمتاع.

بعاع السحاب ثقله بالماء^(١)، و جواب لما ألتت أخرج من عوامل الأرض: أي من الأرض الخالية و هذا اضافة الصفة إلى الموصوف من الأرض ما لا نبات بها و اخرج من كل جبل أملس عشبا: أي نباتا. الزعر: جمع أزعر و أصله من قلة الشعر والمراد هاهنا قلة النبات^(٢)،

و قوله «تبهج»: مفعوله محذوف تبهج الناس هذا إذا كان من بهج إذا سر: أي تسر الناظرين إليها و إذا كان من البهجة و هي الحسن فلا يحتاج إلى مفعول يقال بهج: أي استحسنت^(٣)، و بهج كان و صار حسناً بهيجاً.

قال تعالى: «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ»، أي حسن و تزدهي بفتح التاء: أي تستخف الناظر إليها لحسنها، و روي تزدهي على ما لم يسم فاعله يكون تفتعل من زهيت علينا يا رجل: أي تكبرت بزهوك و هو المنظر الحسن. والريط: الملاء إذا كانت قطعة واحدة. والأزاهير: الأنوار الملونة. سمطت: أي علقته كل ربوة وشجرة بسمط من النور في عنقها من سمطت الشيء:

٢- في م و ج: قلة العشب.

١- في م و ج: بالمطر.

٣- في م: أي حسن.

أي علقته بالسمط، و روي شمطت بالشين المعجمة و شمطت الشيء: أي خلطته بالتشديد للتكثير: أي خلطته تخليطاً و الناضر الحسن و البلاغ الكفاية. و الآفاق: النواحي. و الجبلية: الخلق و أرغد: طيب و أوسع أكله: أي طعمه و أو عز إليه: أي أمره، و يقال: أو عدت إليه في كذا: أي تقدمت و موافاة بسابق علمه: أي إبتاتا بما في سابق علم الله.

قوله: «فأقدم على ما نهاه»، أي تقدم على مكروهه دون محذور و أقدم على كذا، إنما يقال: في الأمر (يكون بالواجب)^(١)، المخوف و المعصية مخالف الأمر و لا خلاف أن الأمر يكون بالواجب و الندب و إذا دلّ الدليل العقلي أن الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين على كلّ حال لا يفعلون قبيحاً علمنا أنه ما أقدم على محذور، و روي لسابق علمه.

قيل: ان اللام أو الباء في سابق علمه كلاهما يتعلق بقوله: «اختار آدم»، أي اختار الله آدم لهذا أو بهذا و أهبطه: أنزله و توبة آدم، هو رجوعه إلى الله و انقطاعه إليه تعالى و التعاهد للشيء تجديد العهد، يقال: تعاهدت فلاناً بكذا: أي تحفظته به.

قوله: «و بلغ القطع عذره و نذره»، أي حجته و تخويفه و مقطع الأمر حيث ينقطع و لا يكون خلفه شيء. و قوله: «فعدل فيها» بالتخفيف من العدل، نقيض الظلم و بالتشديد من التعديل و هو التقويم و الميسور و المعسور ضدان و هما مصدران.

قال سيبويه^(٢): هما صفتان، و عنده لا يجيء المصدر على مفعول البتة

١- بين الهلالين في الرضوية.

٢- أبو الحسن عمرو بن عثمان الفارسي البيضاوي النحوي من مشاهير النحاة و كتابه مشهور في الآفاق

أخذ عن الخليل و يونس و الأخفش له مناظرة مع الكسائي توفي سنة ١٩٤.

و يتأول قولهم دعه إلى ميسوره وإلى معسوره يقال^(١): معناه دعه إلى أمر يؤسر فيه وإلى أمر يعسر فيه وهو كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن إعطاء هذا المال فتنة وإمساكه فتنة.

اختبار الله العباد و امتحانهم و هو تعالى عالم بأحوالهم فلا يحتاج أن يختبرهم ليعرفهم و تحقيق هذا المجاز: أي تكليف الله العباد و عقابيل الفاقة: شدائد الفقر و طوارق الآفات: هي التي تأتي غفلة بالليل والاتراح الغوم. «خلق الآجال»، أي قدرها والآجل مدة الشيء و جعله خالجاً: أي جاذباً لأشطانها: أي لحبالها و هي جمع شطن و هو الحبل والمرير من الحبال ما لطف و طال و اشتد فتله و الجمع المراير، والقرن: حبل يقرن به البعيران و الجمع أقران و نجوى المتخافتين: أي أسرار الذين يتكلمون في خفية. والرجم: أن يتكلم الرجل بالظن.

قوله: «و مسارق ايماض الجفون»، عطف على قوله: من ضمير المضمرين، و كذا فيما بعدها من المجرورات من قوله: و مصايف الذر و مض و أومض بمعنى، يقال: أو مضت المرأة إذا شارقت النظر، و هذا كقوله تعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ»^(٢)، و عالم ما ضمنته غيابات الغيوب: و الغيابة القعر و غيابة الجب قعره و الكن: السترة و الجمع أكنان. قال تعالى: «وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا»^(٣)، و أصغيت إلى فلان: إذا ملت بسمعك نحوه^(٤)، و أصغت: أمالت. و المصائخ: المسامع. و مصايف الذر: لا تهمز لأنه من الصيف، أما مصائب من ضرب إلا أنهم أجمعوا على همز مصائب تشبيهاً بالمزيد و قالوا: مصاوت أيضاً في جمع مصيبة.

١- في ج: و يقول.

٢- غافر: ١٩.

٣- النحل: ٨١.

٤- في ج: ملت إليه بسمع.

و أضح له: أي استمع إليه و رجع الحنين من الموهلات: أي (عالم رجع، أي مرجوع الحنين و مردوده من الموهلات أي)^(١)، من الامهات التي يفرق بينها و بين ولدها و في الحديث لا توله والدها بولدها: أي لا يجعل والها. والهمس: الصوت الخفي.

والولايج: جمع وليجة و هي الدخيلة. والغلف: جمع غلاف. و منقمع الوحش: أي الموضع الذي يستتر فيه يقال: انقمع في بيته: أي اندس فيه و استتر، و روي متقمع الوحوش من تقمع الحمار: أي حرك رأسه ليترد القمع و هي الذبان.

الغيران: جمع غار الجبل و روي و مختبئ البعوض على تليين الهمزة و حذفه يعني أن الله عالم مختبئ البعوض و مستتره بين قشر الشجرة و ساقه و عالم مغرز الورق من الأغصان و محط الأمشاج: أي منزل ماء الرجل والمرأة، و هي جمع مشيج كيتيم و أيتام.

و هي المآن للرجال والنساء المختلطان من مسارب: أي من مسائل ظهور الرجال من سربت المرأة يسرب سرباً و مسرباً إذا سالت، و عالم ما تسفي الأعاصير: أي ما تذر به هذه الريح و عالم ما تعفوه الأمطار: أي تدرسه يقال: عفت الريح المنزل أي درسته.

عفا المنزل يتعدى و لا يتعدى و هو تعالى عالم عوم بنات الأرض في الرمال أي دخول الهوام والحشرات التي تكون في الرمال فيها بمنزلة السباحة والعوم يكون لبنات الماء حقيقة و هنا مجاز، و روي عموم نبات لأرض و كل شيء أكثر، و اجتمع فهو عميم بالعين غير معجمة و غموم بالعين المعجمة له وجه و ليس عليه الرواية.

الشنخوب: رأس الجبل والجمع شناخيب و هو عالم تغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار. والتغريد: الصوت بالغناء والمنطق يقع على حروف مؤلفة وغير مؤلفة ولم يقل ذوات الكلام لأن المفيد منه و ماله نظم مخصوص لا يقع من الطيور والدياجير الظلم.

الوكر: ما على الشجر^(١) و بالنون على الجبل و نحوه و عالم ما أوعته: أي جمعته و ما حضنته البحار من السمك والدّر و غيرها و حضن الطائر: بيضه ضمه إلى نفسه و كذا حضنت المرأة ولدها و عالم ما غشيته سدفة ليل: أي ظلمته و عالم ما ذر عليه شارق نهار: أي ما طلعت الشمس عليه و ما اعتقبت: أي تعاقبت.

يقال: اعتقب البائع السلعة: أي حسبها عن المشتري حتى يأخذ الثمن. والسبحات: الأنوار و سبحات وجهه جلاله و نوره و لم يرو في هذه الخطبة بالجيم لا في هذا الموضع و لا فيما تقدم و عالم أثر كل خطوة: و روي أثر والأول أصحّ لأن المراد به التأثير.

عالم مستقر كلّ نسمة: أي نفس و عالم هماهم كل نفس هامة: أي ذات همة و الهمة: الصوت الخفي، و عالم ما عليها: أي ما على الأرض من نقاعة دم: أي قليل من الدم، كالنحاتة والبرائة يقال نقع الدم في الموضع: أي استنقع كما يقال: للماء الواقف.

نبه عليه السلام بتعداد هذه الاشياء على خفيات الامور من عجائب مقدورات الله تعالى و لا اعتورته ملالة: أي ما تداولته ضجارة و روي و أحصاهم عدة و لا ينعش من خلتها: أي لا يرفع من فقرها. و المسكنة: الفقر أيضا.

(٩٢) و من كلام له عليه السلام

لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان

دَعُونِي، وَالتَّمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَالْوَانُ،
لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ،
وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَاعْلَمُوا إِنَّ أَجْبَتَكُمْ رَكِبَتْ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَ لَمْ
أَضْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَإِنَّا كَأَحَدِكُمْ وَ
لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَ أَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ
لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا.

(٩٣) و من خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ^(١)؛ فَإِنَّا فُقَاتٌ^(٢) عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَ لَمْ تَكُنْ
لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا^(٣) أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا، وَ اشْتَدَّ كَلْبُهَا،

١- في ح ، ب : اما بعد حمد الله و التناء عليه ايها الناس.

٢- في ب : ليجراً عليها.

٣- في ح : فاني فقات.

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي ^(١) عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ، وَ لَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَ تُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا، وَ قَائِدِهَا، وَ سَائِقِهَا، وَ مُنَاحِ رِكَابِهَا، وَ مَحَطِّ رِحَالِهَا، وَ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قِتْلًا، وَ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا، وَ لَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي ^(٢)، وَ نَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ، وَ حَوَازِبُ الْخُطُوبِ.

لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَ فَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ، وَ ذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ وَ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَ ضَاقَتِ الدُّنْيَا ^(٣) عَلَيْكُمْ ضِيقًا تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ؛ إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ: يُتَكْرَنَ مُقْبِلَاتٍ، وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحْمَنَ حَوْمَ الرِّيَّاحِ يُصِيبَنَّ بِلَدًّا وَ يُخْطِنَنَّ بِلَدًّا، إِلَّا إِنَّ أَحْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءٌ مُظْلِمَةٌ.

عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَ خُصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَ أَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَ أَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، وَ أَيْمُ اللَّهِ لَتَدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرَّوسِ: تَعْذِمُ فِيهَا، وَ تَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَ تَرْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَ تَمْنَعُ دَرَّهَا لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَ لَا يَزَالُ بِلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا

٢- في م: و لقد فقدتموني.

١- في م، ب، ض: و لا تسألوني.

٣- في ح، ل، ش، ض: و كانت الدنيا.

كَانَتْصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحَبِهِ، تَرَدُّ عَلَيْكُمْ^(١) فَتَنْهَمُ شَوْهَاءَ (مَخْشِيَةً)^(٢)، وَ قِطْعًا جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدَى، وَ لَا عِلْمٌ يُرَى.

نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، وَ لَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا، وَ يَسُوقُهُمْ عُنْفًا، وَ يَسْقِيهِمْ بِكَأْسِ مُصْبَرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَ لَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قَرِيشٌ، بِالدُّنْيَا، وَ مَا فِيهَا، لَوْ يَرَوْنِي^(٣) مَقَامًا وَاحِدًا، وَ لَوْ قَدَرُ جَزْرٍ جَزُورٍ لِاقْبَلِ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي

(٩٤) و من خطبة له عليه السلام

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ الْهَمَمِ، وَ لَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطْنِ^(٤) الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي، وَ لَا آخَرَ لَهُ فَيَنْقُضِي

١- في م، ب، ض، ح: ترد عليهم فتنهم. وفي هامش ش: فتنها.

٢- ساقطة من ر. ٣- في هامش ن و روش: لو يروني.

٤- في م، ب: حسن الفطن.

منها في وصف الأنبياء.

فَأَسْتَوْدَعُهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَ أَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ،
تَنَاسَخَتْهُمْ^(١) كَرَامَتِ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ
سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِيبًا،
أَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَانْتَجَبَ
مِنْهَا أَمْنَاءُهُ.

عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ، وَ أُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ
نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَ بَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طَوَالُ، وَ ثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ،
فَهُوَ إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى، وَ بَصِيرَةٌ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَ شِهَابٌ
سَطَعَ نُورُهُ، وَ زَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَ سُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَ كَلَامُهُ
الْفَضْلُ، وَ حُكْمُهُ الْعَدْلُ (أَرْسَلَهُ)^(٢) عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ هَفْوَةٍ
عَنِ الْعَمَلِ، وَ غَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ.

اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُوا إِلَى
دَارِ السَّلَامِ وَ أَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَ فَرَاغٍ، وَ الصُّحُفُ
مَنْشُورَةٌ، وَ الْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَ الْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ،
وَ التَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَ الْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

١- في رو هامش ش تناسلتم كرائم الاصلاب.

٢- ساقطة من ب .

(٩٥) و من خطبة له عليه السلام

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَ حَاطِبُونَ^(١) فِي فِتْنَةٍ قَدْ
 اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمْ^(٢) الْكِبْرِيَاءُ، وَ اسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ
 الْجَهْلَاءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ، وَ مَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَ دَعَا إِلَى
 الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ (الْحَسَنَةِ)^(٣).

(٩٦) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ
 فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
 مُسْتَقْرَهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَ مَنْبِئُهُ أَشْرَفُ مَنْبِئٍ فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ،
 وَ مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ، قَدْ صُرِفَتْ^(٤) نَحْوُهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ، وَ تُنْبِئُ إِلَيْهِ

٢- في ش واستزلم

٤- في ش، ل: قد صرفت عنده.

١- في ض، ل، ك، هامش م: خابطون

٣- ساقطة من ش.

أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ ^(١) الضَّعَّانَيْنِ، وَ أَطْفَأَ بِهِ النَّوَّارِ، أَلْفَ بِهِ
إِحْوَانًا، وَ فَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ، وَ أَدَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَ
صَمْتُهُ لِسَانٌ ^(٢).

بيانه

يسأل على كلامه الأول فيقال كيف يقولون: إن علياً كان إماماً من قبل الله بعد رسول الله بلا فصل إلى أن عاش، وقال: لما أريد على البيعة بعد الثلاثة دعوني والتمسوا غيري:

الجواب لا خلاف أن هؤلاء الذين أرادوه على البيعة هم الذين عقدوا بيعة أبي بكر و عمر و عثمان من وجوه المهاجرين و الأنصار لما لم يصل إليهم أرزاقهم من بيت المال في أيام عثمان، فان بنى أمية كانوا يأخذون جميع الأموال لأنفسهم.

و ما كان يصل إلى مهاجري و لا أنصاري، كما كان في أيام أبي بكر و عمر و علموا زهد الامام علي عليه السلام فكانوا يقولون نبايعك على أن تسير فينا بسيرة العمرين فأجابهم على مذاق كلامهم و على مقتضى اعتقاداتهم في ذلك - إلى آخر الكلام.

فقال: «دعوني» أي اتركوني من أن أتقلد مثل ما تريدون «والتمسوا»، أي أطلبوا غيري ليسير بسيرتها ثم أظهر علتين لهذا الامتناع و بين لهم أنه إن أجابهم إلى ذلك يعمل فيهم بما يعلم، و فصل لكل واحد من هذين

القسمين تفصيلاً.

أما الأول فانه قال: فانا مستقبلون: أي ان رسول الله أخبرني عن الله أنه إذا بايعتموني تستقبل أمراً عظيماً هائلاً له وجوه مختلفة، وأنواع متفاوتة يتحير لذلك الأمر القلوب ولا تستقر، ويزل العقلاء فيه ولا يثبت أقدامهم هو مثل ظهور الناكثين والقاسطين والمارقين، من طلحة والزبير و معاوية والخوارج و ان نواحي أهل الاسلام قد أظلمت بغيوم ظلم بنى أمية و محجة الشريعة قد غيرت و بدلت لأحوال اقتضتها (من القياس المنهي عنه فيها والاجتهاد و نحوهما)^(١).

ثم قال: ثانياً لا تخلو حالي معكم أما إجابتكم بثلاثة شرائط^(٢)، أن أعمل بكتاب الله فيكم على ما علمنيه رسول الله و أن لا يكون لكم قول، و لا إشارة فيما يحدث من الأحكام بل يكون جميع ذلك موكولاً إلي و إذا قضيت بقضية لا تقدرحون، فيها و لا تطعنون عليّ بها و إما أن يتركوني على ما كنت بعد رسول الله و أنا لكم بأن أكون وزيراً عن رسول الله كما كان هارون من موسى.

أحمل أوزار الدين و أشير بأحكام^(٣) الشريعة، إذا اشتبهت خير من أن أصير أميراً يجري على اقتراحكم، يقال: له بالعرب أدبروا قبل، و هذا أولى من أن يقال: إنه يشير إليهم بأن يختاروا غيره للامامة، و هو يكون وزيراً له، لأنه عليه السلام لم يكن لمن قبله من الثلاثة وزيراً أيضاً و قيل: هذا الكلام مستزيد شاك للقوم^(٤)، يعني انهم عاملوه هذه المعاملة قبل ذلك. فيقول لهم دعوني و التمسوا غيري على طريق التهمك

٢- في ج: بثلاثة شروط.

٤- في ج: شاك لقومه.

١- بين المهالين ساقط في ج.

٣- في الرضوية: بأحكامه الشرعية.

والشكائية، يعني أنكم كنتم تعتقدون ذلك فيما قبل.

قوله: «و أنا لكم وزيراً»، يعني على ما كانوا يعتقدونه فيه عليه السلام من أنه بأن يكون وزيراً خيراً منه أميراً وهذا من باب قوله تعالى: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ»^(١)، يعني على ما تعتقده.

أما الخطبة التي بعده فانه عليه السلام يقول: أنا اطفأت النائرة التي أوقدها طلحة و الزبير و مروان بن الحكم في حرب الجمل و سكنت الفتنة التي أثارها معاوية بصفين و قد كان الناس ينظرون اليّ من جانب، و إلى المخدرة التي أخرجوها من الجانب الآخر ما اجترا أحد منهم أن يدخل في أحد الجانبين، مثل الأحنف بن قيس^(٢)، و جماعة معه خرجوا من البصرة قالوا: لا نحارب علياً و لا زوج رسول الله.

«فقأت عين فتنة»، استعارة: أي أعميتها و الفقوء الشق و غيبتها: أي ظلمتها و كلبها: أي شدتها، ثم قال لهم: فأسلوني عما يلتبس عليكم أبين لكم: فأنا عالم بكل هاد و ضالّ فقد حدثني رسول الله بما يكون إلى يوم القيامة و إذا خرجت من بين أظهركم و حزب خطب: أي أصاب أمر عظيم ضاقت الدنيا عليكم.

ثم ذكر علة ذلك و هو أن الفتن في أولها لا يعرف الحق منها من الباطل فيها و فتنة بنى أمية أعظم من هذه كلها و وصفها بشدة شديدة ثم قال: إن أهل بيتي ينجون منها و لا يصيرون من دعائها، و يكشف الله تلك الفتنة بسيف أبي مسلم صاحب الدولة الخراساني و أصحابه فهذا خلاصته.

١-الدخان: ٤٩.

٢-أحنف بن قيس و الاحنف لقب له و اسمه الضحاك التميمي السعدي ادرك النبي - صلى الله عليه و آله - و لم يره و دعا له النبي و كان ممن اعتزل الحرب في الجمل و شهد صفين مع الإمام على - عليه السلام - و توفي بالكوفة سنة ٦٧.

الحوازب: المصيبات من حزبه أمراً: أي أصابه و أطرق كثير رؤوسهم، أي نكسها و فشل: أي جبن، و قلصت حربكم: أي شمرت و صارت جداً من قوهم: فرس مقلص مشمر طويل القوائم، يقال: قلص الشيء و قلص و تقلص: أي انضم و انزوى و قلص الظل ارتفع و شمر عن ساقه: أي رفع الازار عنها و غمر في أمره خف و شبهت: أي لبست.

روي على ما لم يسم فاعله و يحمن: أي يدرن من قوهم: حام الطير حول الماء و قوله: «لتجدن بنى أمية أرباب سوء كالناب»، أي كل واحد منهم مثل الناب و هي المسنة من النوق الضروس: الناقة السيئة الخلق و تعذم: أي تعض من العذم و هو العض والاكل بخفاء.

«تزين برجلها»، أي تدفع بها رمال، زينت الناقة إذا ضربت بثففات رجلها عند الحلب، فالزبن بالثففات والخبط باليد والركض بالرجل، و روي ترد عليكم فتنتهم شوها و قطعاً: أي متنكرة متعولة مقطوعة اليد و يقال: شاهت الوجوه قبحت و تشوه: أي تنكر و تعول و فرس شوها يراد بها سعة أشداقها.

قوله: «بن يسوقهم خسفا»، أي بمن يذلهم و يهينهم، والباء تتعلق بقوله: يفرجها الله عنكم و سامه خسفا: أي أولاه ذلاً و إنما شبه كشف تلك الفتنة لكونه بكرة و لا تعود بانكشاف الجلد مما عليه إذا فرج عنه أديمه و يسقيهم بكأس مصبرة: أي مملوءة، من الخسف والعنف و يجوز أن يكون من الصبر.

«لا يجلسهم»، أي لا يلبسهم إلا الخوف يقال: أحلست البعير: أي ألبسته المجلس و أحلست فلاناً يميناً إذا أمررتها عليها و روي لو يروني و أصل الرواية الأخرى أيضاً هذا فحذف لتخفيف النون و كذا، و روي لا تسئلوني بنونين على الاصل.

يقال: لما يقل لبته كان ذلك قدر جزر و جزور، الجزر في الابل كالذبح في الغنم (إلا أن ذلك في الصدر و هذا في الحلق)^(١)، والجزور يقع على الذكر والانثى من الابل، وهي يؤنث و تبارك الله: أي تعالى و تعاضم و اتسع رحمته و كثرت نعمته تفاعل من البركة، و لا يجيء من هذا خاصة الفعل المضارع و قيل تبارك الله: أي بارك مثل قاتل و تقاتل إلا أن فاعل يتعدى و تفاعل لا يتعدى.

الحدس: الظن والتخمين. و تناسختهم: أي تناقلتهم^(٢)، والارومة: الاصل والعترة: الاولاد والاسرة^(٣)، جماعة العشيرة و بسقت: طالت قوله: «اعملوا على أعلام بينة»، أي لا تبتدعوا و روي الطريق^(٤) نهج: أي واضح يعني والحال هذه و أنتم في دار مستعتب: أي استعتاب و اعتاب.

يقال: اعتبته و استعتبته: أي أرضيته و استرضيته والمستعتب طلب الرضا، و هو مصدر هنا و قوله: «و الناس حابطون في فتنة»، أي جامعون القليل والكثير فيها و روي حابطون. و استهوتهم: أي أسقطتهم. روى و استزلتهم الكبرياء، أي أزلهم التكبر و الله تعالى الظاهر فلا شيء فوقه في الظاهر و هو الباطن فلا شيء دونه في الباطن، و مهاد السلامة: فرشها مفاعل من مهدت الفراش: أي بسطته و وطأته و تمهيد الامور: إصلاحها.



٢- في ج: وروي تناسلتهم.

٤- في ج: والطريق نهج.

١- ساقط في ج.

٣- في ج: والعترة: الاسرة.

(٩٧) و من كلام له عليه السلام

وَ لئن أمهلَ اللهُ الظَّالِمَ^(١) فلنَّ يَقُوتَ أَخْذُهُ، وَ هُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ
عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَ بِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ، أَمَا وَ الَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لِيُظْهَرََنَّ هُوَ لَاءِ الْقَوْمِ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لَانَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ
مِنْكُمْ، وَ لَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ^(٢) وَ إِنْطَانِكُمْ عَنْ حَقِّي.
وَ لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا، وَ أَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ
رَعِيَّتِي: اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَ
دَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَ شُهُودٌ
كَغِيَابِ، وَ عَيْبٌ كَأَرْبَابِ!!؟

أَتَلُّوْ عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَ أَعْظَمْتُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ
فَتَنْفِرُونَ عَنْهَا، وَ أَحْتَكُمُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ
قَوْلِي^(٣) حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَ

٢- في م و ح و ف: الى باطلهم.

١- في ب: امهل الظالم.

٣- في ب: آخر القول.

تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أَقْوَمُكُمْ غُدْوَةً وَ تَرَجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ
الْحَيَّةِ (١) عَجَزَ الْمُقَوِّمُ. وَ أَعْضَلَ الْمُقَوِّمُ.

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ (٢) أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ
أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرًا وَهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَ، وَ
صَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعِصِي اللَّهَ وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ؟! لَوَدِدْتُ وَ اللَّهَ أَنَّ
مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالذَّرْهِمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ
مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ: صُمُّ ذُؤُوبِ أَسْمَاعٍ،
وَ بُكْمُ ذُؤُوبِ كَلَامٍ، وَ عُمِي ذُؤُوبِ أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَ
لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ.

يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا؛ كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ
مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَ اللَّهَ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ (٣) أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوُغَى، وَ
حَمِيَ الضَّرَابُ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِيطَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنِ قُبُلِهَا،
وَ إِنِّي لَعَلَى بَيْتَةِ مِنْ رَبِّي، وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ
الْوَاضِحِ الْقَطْطَةَ لِقَطَا (٤) انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالزُّمُوا سَمْتَهُمْ، وَ
اتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ.

١- في ضوء م و ن وب الحنيئة.

٢- في ح: أيها القوم الشاهدة

٤- في م و ف: الفظه لفظا.

٣- في ح: فيما اخالكم.

فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَ لَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى. فَإِنْ لَبَدُوا
فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَ لَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضَلُّوا، وَ لَا تَتَأَخَّرُوا
عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا
أَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شِعْثًا غُبْرًا^(١)، وَ قَدْ
بَاتُوا سُجَّدًا وَ قِيَامًا، يُرَاحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ^(٢) وَ خُدُودِهِمْ، وَ يَقْفُونَ
عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ.

كَانَ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبُهُمْ^(٣)، وَ مَا دُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ
الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَ رَجَاءً لِلتَّوَابِ^(٤).

(٩٨) وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَ اللَّهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ، وَ لَا
عَقْدًا إِلَّا أَحْلَوْهُ وَحَتَّى^(٥) لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظِلْمُهُمْ،
وَ نَبَأَ بِهِ سُوءَ رَعِيَّتِهِمْ^(٦) وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ بَيْنَكِيَانٍ: بَاكِ يَبْكِي
لِدِينِهِ، وَ بَاكِ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَ حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةٌ أَحَدِكُمْ (مِنْ

١- في ش: غيرا قد باتوا.

٢- في ر: و روى جيوبهم.

٣- في م: جباههم.

٥- في ش: الاحلوه حتى لا يبقى.

٦- في ن و ب: سوء رعيئتهم. وفي ل: سوء رعتهم.

٤- في ب: ورجا التواب.

أَحَدِهِمْ^(١) كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ: إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ،
وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا، فَإِنَّ أَتَاكُمْ اللَّهُ
بِعَاقِبَةٍ فَاَقْبِلُوهَا؛ وَإِنْ ابْتُلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

بيانه

طيب أولاً قلوب المؤمنين و أوعد معاوية و أصحابه، فقال: و الله لئن
أخر الله لمعاوية مهلة في ظلمه فلن يسبق معاوية أخذه الله و أن رفعت
أخذه فالمفعول محذوف: أي فلن يفوته يعني الظالم أخذه.

المجاز: المسلك، يقال: جرت الموضع: أي سرت. والشجا: الغصة ساغ
الشراب يسوغ: أي سهل مدخله في الحلق، و سغته يتعدى و لا يتعدى.
والريق: ماء الفم.

ثم أقسم أن أهل الشام ليظهروا عليكم: أي ليغلبن عليكم لأنهم
يسرعون إلى باطل معاوية، و أنتم تبطنون إذا دعوتكم إلى جهادهم و
تحاف (على ما لم تسم فاعله)^(٢)، أي كانت الامم خائفة أن يظلمهم راعيهم
خائفا من ظلم رعيته.

هؤلاء الذين يظهر الامام علي عليه السلام شكايتهم ليسوا الا الذين
اجتمعوا عليه لصلاح دنياهم، دون العارفين بالحق من أصحابه، و لذلك
يتمنى أن يصارفه معاوية بهم أصحابه صرف الدينار بالدرهم لأن أهل
الشام مع ضلالهم كانوا مجدين (و أهل الكوفة و أن أظهروا التشيع. فانه لم
يكن من أكثرهم عن يقين. ألا ترى معاملتهم مع الحسين عليه السلام)^(٣)،

٢- بين الهلالين في ض.

١- ساقطة من ن.

٣- بين الهلالين في ض.

و أيادي سبا تأكيد لقوله: متفرقين يصرف و لا يصرف فاذا صرف فهو فعل من السبا، و إذا لم يصرف فالمعنى به سبا بن يعرب، و الأيادي أولاده لانه كما يستعان بالأولاد يستعان بالأيدي.

فكنى عنهم بالأيدي و التقدير في ذلك هو المصدر: أي «حتى أراكم متفرقين تفرق أيادي سبا»، و وصفهم بالتلون، فقال: «أقومهم» (بالغداة و عند العشاء يكونون معوجين كظهر الحنية و هي القوس و روي كظهر الحية).

«منيت منكم بثلاث واثنتين»، أي بليت من جانبكم بخمس خصال سيئة، و إنما فصلها لأن ثلاثاً منها صفات مثبتة و خصلتين منها صفتان منفيان، و ذكر بعدها تفصيلها و تربت أيديكم دعاء: أي لا أصبتم خيراً و تحقيقه لصقت بالتراب أيديكم، ثم حلف أنهم إذا «حمس الوغا»: أي إذا اشتد الحرب انكشفوا عن حوالي علي بن أبي طالب عليه السلام و تركوه. ثم شبه اتكشاف المرأة عن فرجها و هذا الكلام منه عليه السلام على طريق العرب فانهم يوردون هذه الكلمة للتقريع، فأوردها على سبيل التقريع لهم و الافحاش بهم لكونه متضجراً منهم متبرماً بهم.

قيل: أي كما تسلم المرأة نفسها و إني على الطريق الواضح ألفظه لفظاً: أي أسلكه على السداد و الصلاح، يقال: لفظ قدمه إذا مشى مشياً سهلاً لا شدة فيها و روي ألفظه لفظاً: أي أرمي من هذه الطريق كل ما يرد عليه من المضار و الزموا سم آل محمد عليهم السلام: أي طريقتهم.

«فان لبدوا»، أي وقفوا قفقوا و أن قعدوا فاقعدوا لزدواج^(١)، أن نهضوا: أي أن أقاموا و لبد بالارض يلبد: أي لصق. و الاشعث: المغرب

الرأس. و قوله: «قد باتوا سجداً و قياماً يراوحون بين جباههم و خدودهم»، أي يضعون الجباه على التراب مرة و الخدود أخرى تواضعاً و تذلاً بعد الصلاة.

والمراوحة في العملين أن يعمل هذا مرة وراوح بين رجليه إذا قام، على أحديهما مرة و على الأخرى مرة. و ركبة المعزى و ثفنة البعير يضرب بهما المثل في الشدة و المعزى ملحق بالرباعي، يقال: معزى عراقية و هي المعز.

«و هملت عينهم»، أي سألت دموع أعينهم حتى تبل جباههم. أي يبلون مواضع سجودهم من كثرة البكاء بالدموع من خشية الله، فإذا عادت جباههم إلى السجود تبلت الجباه أيضاً، و رُوي جيوبهم و هذا سهل لأنها تبلت إذا سألت الدموع اليها. و مادوا: تحركوا و اضطربوا.

قوله: «و الله لا يزالون»، أي لا يزال هؤلاء الظلمة على ظلمهم حتى لا يتركوا محرماً إلا جعلوه بمنزلة الحلال، و حتى لا يبقى بيت مدر من القرى او لا بيت وبر من الخيام في مفازة الا دخله ظلم بني امية؛ و نبا فلان منزله إذا لم يوافقهم. و رعيت الأمر: أي حفظته أرهاها رعياً، و قوله: «و نبأ به سوء رعيتهم»، أي جعل سوء ولايتهم كل موضع نايباً متجافياً لا يستقر فيه أهله.

نبأ الشيء تجافى، و رُوى سوء رعيتهم: أي قلة تقاهم، يقال: فلان سيء الرعة: أي قليل الورع و قد ورع رعة: أي صار متقياً. و قوله: «حتى تكون نصرة أحدكم من أحدكم كنصرة العبد من سيده».

قيل: في معناه ووجه أحدها أن يكون نصرة أحدكم المصدر مضافاً إلى المفعول و من أحدهم: أي من جانب أحد ملوك بني امية مثل نصرة العبد، يكون النصرة مضافة إلى المفعول أيضاً و من سيده: أي من جانب

سيده.

قوله: «إذا شهد أطاعه و إذا غاب اغتابه»، يكون حالاً من العبد والمعني حتى يكون نصرة كل واحد من ملوك بني أمية، لكم كنصرة سيد لعبده الشيء الطريقة^(١)؛ والوجه الثاني: أن يكون من في الكلام متعلقاً بمحذوف: أي يكون ذلك لكم كنصرة العبد محتملاً، الكد من سيده، والوجه الثالث: هو الأظهر والواضح و هو أن يكون النصر، بمعنى الانتصار الذي هو الانتقام فحذف، الزوايد و نحوه كثير.

* * *

(٩٩) و من خطبة له عليه السلام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَ نَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَ
 نَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَذْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَبْدَانِ.
 عِبَادَ اللَّهِ؛ أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَ إِنْ لَمْ
 تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَ الْمُبْلِيَةَ لِأَجْسَامِكُمْ، وَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا؛ فَإِنَّمَا
 مَثَلُكُمْ وَ مَثَلُهَا كَسْفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَ أَمْوَا عِلْمًا
 فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ، وَ كَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يُجْرِيَ إِلَيْهَا،
 حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءٌ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ؟ وَ طَالِبٌ
 حَيْثُ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا؟

فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا، وَ لَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ
 نَعِيمِهَا، وَ لَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَ بُؤْسِهَا؛ فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى
 انْقِطَاعِ زِينَتِهَا^(١) وَ نَعِيمِهَا إِلَى زَوَالٍ وَ ضَرَاءِهَا وَ بُؤْسِهَا إِلَى نَفَادٍ، وَ
 كُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَ كُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ، أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي

آثَارِ الْأَوْلِيَيْنِ (مُزْدَجَرٌ) ^(١)، وَ فِي آبَائِكُمْ الْأَوْلِيَيْنِ تَبْصِرَةٌ وَ مُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟! أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ؟ وَ إِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقُونَ!

أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ ^(٢) وَ يُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَى: فَمَيِّتٌ يُبْكِي، وَ آخِرٌ يُعْزِي، وَ صَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَ عَائِدٌ يَعُودُ، وَ آخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؛ وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي ^(٣) مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

أَلَّا فَادْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ، وَ مُنْعَصَ الشَّهَوَاتِ، وَ قَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ، عِنْدَ الْمَسَاوِرَةِ ^(٤) لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَ مَا لَا يُخْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعْمِهِ، وَ إِحْسَانِهِ.

(١٠٠) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَ الْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حَقُوقِهِ، وَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ^(٥)، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ: أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَ

٢- في ب: يصبحون ويمسون.

١- ساقطة من ن و ف و ل

٣- في هامش ن: على اثر الماضين.

٤- في ك: و روى المسادرة. و في ر: روى المسارة و المشاورة.

٥- في ش: أن لا اله الا الله و أن محمداً رسول الله.

بِدْرِكِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَ مَضَى رَشِيدًا. وَ خَلَفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ: مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقًا، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقًا، وَ مَنْ لَرِمَهَا لِحِقًا.

دَكِيلَهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابِكُمْ، وَ أَسْرَثُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى يُطْلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، وَ يَضُمُّ نَشْرَكُمْ فَلَا تَطْعَنُوا فِي عَيْنِ مُقْبِلٍ^(١)، وَ لَا تَيَأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ؛ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى^(٢) قَائِمَتَيْهِ، وَ تَثْبُتَ الْأُخْرَى، وَ تَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعًا.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ، وَ أَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

(١٠١) و من خطبة له عليه السلام

تشتمل على ذكر الملاحم

الْأَوَّلُ^(٣) قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَ الْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، بِأَوْلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَ بِآخِرِيَّتِهِ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ، وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً

١- في ب و م و ف و ح و ش: فلا تطعموا في غير مقبل.

٢- في ح: الحمد لله الاول.

٣- في ض و ح: ان تزل به احدى.

يُؤَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْأَعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ^(١) مِنِّي، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ التَّسْمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ (الْأُمِّيِّ)^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ^(٣) الْمُبْلَغُ، وَلَا جَهَلَ السَّامِعُ. وَكَأَنِّي^(٤) أَنْظَرُ إِلَى ضَلِيلٍ، قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ، فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ.

فَإِذَا فَعَرَّتْ فَاعْرِثُهُ، وَاسْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ عَصَتِ الْفِتْنَةَ أَبْنَاءَهَا بِأَنْبِيَاءِهَا، وَوَجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَبَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوْحَهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحَهَا، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شِقَاقِيَهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ.

عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضَلَةِ وَاقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلتَطِّمِ هَذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ: وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ.

٢- ساقطة من ش .

٤- في ب: ولكني انظر .

١- في ع: عند ما يسمعون مني .

٣- في ح: والله ما كذب المبلغ .

(١٠٢) و من خطبة له عليه السلام

يجري هذا المجرى

وَ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ،
وَ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعاً، قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَ رَجَفَتْ بِهِمُ
الْأَرْضُ؛ فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَ لِنَفْسِهِ مُتَّسِعاً.
منها:

فَتَنْ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَ لَا تُرَدُّ لَهَا ^(١) رَايَةٌ،
تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُومَةٌ: يَخْفِزُهَا قَائِدُهَا، وَ يَجْهَدُهَا ^(٢) رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا
قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي اللَّهِ قَوْمٌ أَدَلَّةٌ عِنْدَ
الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُوُلُونَ، وَ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، فَوَيْلٌ لَكَ
يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهْجَ لَهُ، وَ لَا حَسَّ، وَ
سَيُبْتَلَى أَهْلُكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ.

بيانه

الخطبة الأولى من جملة ما خطب عليه السلام بها يوم الجمعة في أول
خطبه فقال: نحمد الله على جميع ما فعل بنا و معنا و لنا في الماضي و نطلب،

١- في ب: و لا ترد لها غاية.

٢- في ب: و يجدها راكبها.

العون منه تعالى على ما نحن متعبدون له و مكلفون به عقلاً و شرعاً في الحال والاستقبال، و نسأله تعالى خير الدارين عاقبة الدين من الشفاء و عافية البدن من البلاء.

ثم وصي بوصاية حسنة واضحة، و أما ألفاظها فانا نتكلم على شيء منها و إن كانت سهلة فنقول الوصية: الأمر إلى الغير بما يعمل به مقتراً بوعظ و أصلها من الوصل.

الرفض: أخص من الترك و السفر المسافرون. و أموا علماً: أي قصدوا جبلاوكم «عسى المجرى» مفعوله محذوف أي (كم عنى المجرى)^(١)، فرسه. و لا يعدوه: و لا يتجاوزوه. والحديث: السريع. و يحدوه: أي يسوقه و يدعوه. فلا تنافسوا: أي لا تحاسدوا.

بؤسها: أي شدتها إلى نفاذ: أي انقطاع و على أثر الماضي ما يمضي الباقي ما مصدرية: أي مضى الباقي و قاطع الامنية هو المنية^(٢)، و كذا القرينتان قبله كناية عن الموت. و المساورة: أي المواثبة من السؤور و هو الوثب. و روي المساورة: أي المسارة، و روي المشاورة: أي اذكروا الموت عند عزمكم على العمل القبيح متفقين على ذلك

«خلف فينا راية الحق»، قيل: المراد براية الحق القرآن و الشريعة. الحجج من أهل بيته المتقدم لهم مارق: أي خارجي و المتأخر عنهم زاهق: أي هالك و اللازم لهم لاحق بالسابقين إلى الجنة دليل تلك الراية و أولهم و الهادي إلى الكتاب و السنة، و قيل مكيث الكلام^(٣) أي رزينه قال صخر^(٤):

١- بين الهلالين في م.

٢- في م: هو الموت.

٣ م: رجل مكيث الكلام.

٤- صخر بن عمرو الشريد السلمي اخو الخنساء الشاعرة.

فاني عن تفقدكم، مكيث.

يعني بهذا الدليل نفسه لا يتسارع إلى كل أمر وإنما يتأني بالقيام إليه ولكن إذا أقام إلى أمر، بالغ وجد و سارع و بطيء الكلام ليس بنقص و معناه ما ذكر و البطؤ تقيض السرعة، يقال: بطؤ مجيئك فأنت بطيء.

هذا يقال: في الأمر المدحوم والمذموم و تباطاء و أبطاء أكثر ما يستعمل فيما يذم، ثم أشار بعد هذا الكلام إلى أنه إذا استقام أمر الاسلام توفي عليه السلام و أوماً أيضاً إلى انتشار أمر بعد وفاته مدة مديدة، و قوله: «حتى يطلع الله»، يدل على إمام غائب و بدر غائب إلى أن يطلع

رؤي فلا تطعنوا في عين مقبل و خوى نجم: أي سقط في المغرب و هذا أيضاً إيماء إلى كون إمام معصوم من أولاده بعد إمام إلى أن يتكامل صنائع الله بخروج من يملأ الأرض عدلاً و أراكم الله تعالى في دولته ما كنتم تأملونه فضلاً.

خطب الملاحم التي فيها ذكر الوقائع والملحمة: الواقعة العظيمة في الفتنة، و قوله: «بأوليته، و جب أن لا أول له و بأخرته و جب أن لا آخر له» يعني أن أوليته و آخريته لذاته لا لغيره: أي علمنا أن هذه الموجودات المحدثة لا بد لها من محدث و ذلك المحدث لا بد أن يكون سابقاً و متقدماً و أولاً.

ثم علمنا بأولية هذا المحدث أن لا أول له فهو قديم و إذا كان واجب الوجود لا يجوز عليه العدم، و قوله: «لا آخر له»، و هذا المعنى إنما يتصور إذا كان الضمائر الأربعة كلها لله تعالى.

الأظهر أن الضمير في أوليته ليس له تعالى و كذا الضمير في آخريته لا يكون لله تعالى فإنه عليه السلام قال: قبله الأول يعني الله سبحانه الأول قبل كل أول و الله تعالى الآخر بعد كل آخر، ثم قال: بأوليته: أي بأولية كل

أول وجب أن لا أول له و بآخريه كل آخر وجب أن لا آخر له تعالى .
هذا هو الذي يقوله المتكلمون و مثله كلام أمير المؤمنين عليه السلام
في خطبة أخرى هو الحمد لله الدال بمحدث خلقه على أزليته، و قوله: «لا
يجرمنكم شقاقي»، أي لا يلبسكنم خلافي الاثم، و قيل فلق بمعنى خلق.
«برأ النسمة»، أي خلق النفس و هذا قسم الامام علي عليه السلام
خاصة والنبي الأمي منسوب إلى أم القرى و هي مكة، و قوله: «كأني أنظر
إلى ضليل»، أي إلى رجل قد بالغ في الضلال قد صاح بأهل الشام فحذف
المضاف: أي دعائم إلى نفسه فأجابوه كما ينق الراعي^(١) بغنمه.
قيل: نق بالشام معناه كان له بهذه البقعة نعيق و صوت و فحص في
ضواحي كوفان: أي قلب البلاد والعباد في نواحي الكوفة، يقال: فحص
المطر التراب: أي قلبه فيكون مفعول فحص محذوف.
أو بحث عن أحوال الناس في آفاق الكوفة والفحص: البحث عن
الشيء والضواحي في اللغة السموات والنواحي و قد ذكره جرير^(٢)، في
شعره بمعنى النواحي و براياته: أي بسبب راياته الكثيرة قيل ذلك إشارة إلى
خروج السفيناني.
قيل المراد به معاوية و من بعده، و قوله: «فاذا فغرت فاغرت»، أي
فتحت فهاها فنتته الشديدة تأكل كل شيء و نبه بقوله: فاغرت على أن تلك
الفتنة لا تبقي و لا تذر و لا تزال مدة صاحبها فاغرة والشكيمة: النفس و
فلان شديد الشكيمة إذا كان أنفأً أيباً و هو من شكم إذا اعض.
فقوله: «و اشتدت شكيمته»، أي صعبت عضته و صارت نفسه

١- في م: ينق الناعق.

٢- جرير شاعر معروف من شعراء بني امية وله فيهم قصائد و كان له مع الفرزدق مناقشات و مناقسات.

مجرسة معضضة صلبة. والكلوح: العبوس، والكدوح الآثار من الجراحات، والكدح الخدش. وهدرت شقاشقه: أي صاح هيجانه كصياح شقشقة البعير الهايج والقاصف الريح التي تكسر كل شيء، والعاصف الشديدة.

«عن قليل تلتف القرون»: أي تموتون كما مات قبلها قرون و قيل معناه تجتمع للمحاربة بالكوفة الشبان. والكهول والمشايخ و يتعاركون و قوله: «قد أجمهم العرق»، أي سال من الناس يوم القيامة العرق إلى أن يصل إلى قرب أفواههم فكأنما أجمهم.

رجفت بهم حركتهم ثم ذكر فتناً أخرى شديدة و قال: لا تقوم لتلك الفتن، قائمة فرس، أي لا تقاتل فيها أهلها و لا يطيق خيل أصحاب تلك الفتن، أي لا يبق لها قلعة قائمة يعني ينهدم كل بنية لها، و قوله: «و لا ترد لها راية»، أي تظفر راياتها و لا يردها أحد.

قوله: «تأتاكم مزمومة مرحولة»، أي تكون تامة، الأسباب كاملة الآلات و قوله: «يحفرها قائدها»، يجهدا راجها: أي يباليغ في ايقاد نائرتها فرسانها و رجالتها. و حفزه: أي دفعه من خلفه. والكلب: الشدة.

قوله: «شديدة كلبهم»، قليل سلبهم: أي يقتلون و لا يسلبون و نقم الله: أي عقوباته. والرهج: الغبار، و روى و لا رهج و لا دخن. والدخن: الدخان، و منه هدنة على دخن: أي سكون لعله لا للصالح، والدخن: أيضاً الكدورة إلى السواد. والموت الأحمر: القتل والجوع. الاغبر أي القحط والجذب و قلة الشيء.

هذا القتل إشارة إلى صاحب الزنج الذي ظهر بالبصرة من قبل، وإنما وصف الجوع بالاغبر لأن الجائع يرى الآفاق مظلمة، و كأن عليها غباراً و موت أحمر يوصف بالشدة و منه الحديث: «كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله».

(١٠٣) و من خطبة له عليه السلام

انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادقين عنها، فإنها والله عمّا قليل تزيل الثاوي الساكين، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع ما تولى منها فادبر، ولا يدري ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوب بالحزن، و جلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن، فلا تغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها، لقلّة ما يصحبكم منها.
رحم الله امرأً تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكأنّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكان ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم يزل، وكلّ معدود منقّض، وكلّ متوقّع آت، وكلّ آت قريب دان.

منها:

العالم من عرف قدره^(١)، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، وإن من أبغض^(٢) الرجال لعبداً وكله الله إلى نفسه! جائراً عن

١- في م: من عرف نفسه.

٢- في ن وف: وان ابغض الرجال

قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرًا^(١) بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنَّ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَ
 إِنَّ دُعِيَ^(٢) إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسَلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَ
 كَأَنَّ مَا وَتَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

منها:

وَ ذَلِكَ زَمَانٌ^(٣) لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمَةٍ: إِنَّ شَهِدَ لَمْ
 يُعْرِفْ. وَ إِنَّ غَابَ لَمْ يُتَّقَدْ، أَوْلَيْكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَ أَعْلَامُ السَّرَى
 لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ، وَ لَا الْمَذَابِيحِ الْبُذُرِ أَوْلَيْكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ
 رَحْمَتِهِ وَ يَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَاتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ
 الْإِنْتَاءُ بِمَا فِيهِ! أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَ
 لَمْ يُعْذِكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَ قَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ).

قال الرضى: قوله عليه السلام: «كل مؤمن نومة» فإنما أراد به الحامل الذكر
 القليل الشر، والمساييح: جمع مسياح، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم،
 والمذابيح: جمع مذبايح، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها و نوه بها، والبذر:
 جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه و يلغو منطقته.

١- في ب و ن: سائر.

٢- في ش: و الى حرت الدنيا و الى حرت الآخرة كسل.

٣- ب: ذلك زمن لا ينجو.

(١٠٤) و من خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَ
 لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يقرأُ كِتَابًا، وَ لَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَ لَا وَحْيًا، فَقَاتَلَ
 بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنجاتِهِمْ، وَ يُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ
 تَنْزِلَ بِهِمْ يَخْسِرُ^(١) الْحَسِيرُ وَ يَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيَقِيمُ^(٢) عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ
 غَايَتُهُ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ.

حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنجاتِهِمْ، وَ بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ،
 وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ ساقَتِهَا حَتَّىٰ تَوَلَّتْ
 بِحَدَافِيرِهَا، وَ اسْتَوْسَقَتْ قِيادِهَا: مَا ضَعُفْتُ وَ لَا جَبُنْتُ، وَ لَا خُنْتُ، وَ
 لَا وَهَنْتُ، وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَا بُقْرَنَ الْبَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

وقد تقدم مختار هذه الخطبة، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما
 سبق، من زيادة و نقصان، فأوجبت الحال إثباتها ثانية

١- في هامش ش: فيحسر الحسير.

٢- في ش: و يقيم عليه.

(١٠٥) و من خطبة له عليه السلام

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله، شَهِيدًا، وَ بَشِيرًا، وَ
 نَذِيرًا، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا، أَنْجَبَهَا كَهْلًا أَطَهَرَ^(١) الْمُطَهَّرِينَ شِيْمَةً، وَ
 أَمْطَرَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيْمَةً، فَمَا اخْلَوْلْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَ لَا
 تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَانِبًا خِطَامُهَا،
 قَلِقًا وَ ضِينًا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَ
 حَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَ صَادَفْتُمُوهَا، وَاللَّهِ، ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجْلِ
 مَعْدُودٍ.

فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَ أَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ. وَ أَيْدِي الْقَادَةِ
 عَنْكُمْ^(٢) مَكْفُوفَةٌ، وَ سِيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَ سِيُوفُهُمْ عَنْكُمْ
 مَقْبُوضَةٌ، أَلَا وَ أَنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا، وَ لِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا، وَ أَنَّ الثَّائِرَ فِي

١- في ش: كحلا اطهر المطهرين.

٢- في ف: و ايدى القادة منكم.

دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَلَا
يُقَوِّتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَّيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي
غَيْرِكُمْ وَ فِي دَارِ عَدُوِّكُمْ. أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ
طَرْفُهُ إِلَّا إِنْ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَضْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَعَظِّ مِئْتَعِظٍ، وَ
امْتَاخُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدْرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَبُوا إِلَى جَهَائِلِكُمْ، وَلَا تَتَقَادُوا^(١) لِأَهْوَائِكُمْ؛ فَإِنَّ
التَّارِزَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ، نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ
مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا
يَلْتَصِقُ، وَيَقْرُبُ مَا لَا يَتَقَارَبُ، فَاللَّهُ اللَّهُ، أَنْ تَشْكُوا إِلَيَّ مَنْ لَا يُشْكِي
شَجْوَكُمْ وَلَا يَنْقُضُ بَرَأِيهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ.

إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، الْإِبْلَاحُ فِي
الْمَوْعِظَةِ، وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ
عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِضْدَارُ السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا: فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ
تَضْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ^(٢) مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ

١- في ض و ح و ب: ولا تتقادوا الى اهوائكم.

٢- في ب: عن مستثار العلم.

عِنْدِ أَهْلِهِ وَ انْهَوْا غَيْرَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ^(١) وَ تَنَاهَوْا عَنْهُ؛ فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ ^(٢)
بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

بيانه

أكثرها واضح و نتكلم عليها مع ذلك فنقول قوله: «الصادقين فيها»، أي المعرضين عنها، والمائلين مع قدرتهم عليها فهم الزاهدون حقاً. والثاوي: المقيم. والمترف: الذي أترفته النعمة: أي أطغته.

ثم قال: و لا يعود إلى الناس الذي تولى من أحوال الدنيا كالشباب و قوته و ولى الدبر و لا يعلم، أي شيء سيأتي مثل الصحة و المرض و الغنى و الفقر فينتظر رجوع ذلك أو اتيان هذا و ما استفهامية و يجوز أن يكون موصولة مشوب: مخلوط. و الجلد: الصلابة و الجلادة.

قال: في ذكر زينة الدنيا و بلائها كأن ذلك عن قليل لم يكن و قال: فيما يكون من الثواب و العقاب كأنه عما قليل لم يزل و ما في عما قليل صلة زائدة أكد الكلام الاخير به: أي لم يزل كان و لم يكن قبل ذلك.

قوله: «كان ما عمل له»، أي لحرث الدنيا و كأن ما و في فيه أي ضعف في حرث الآخرة. و الحرث: الزرع و كسب المال و في الحديث أحرث لديناك كأنك تعيش أبداً. و النومة: بسكون الواو الرجل الضعيف (و النومة بفتح الواو الكثير النوم) ^(٣).

٢- في ح و ب: و انما أمركم.

١- في ش: و انهوا عن المنكر.

٣- ساقط في ج.

يكفأ الإسلام: أي يقرب كما يقرب الاناء و ذلك كقوله تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ»^(١) إلى قوله: «وَ أَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ»^(٢)، و قال: «فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»^(٣)، «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى»^(٤)، فاعتبر تعالى في الطلاق حضور شاهدي عدل و لم يعتبرهما في النكاح.

فعكس العامة المسئلة و جوز القياس^(٥) عقلاً، و لم يجوز شرعاً لفقد الدليل فأجازوا في الشرعيات و أبى الأكثرون عن ذلك في العقليات، و قوله: «إن الله أعادكم من أن يجور عليكم»، أي أنه تعالى لا يظلم ولكن ربما يظلم بعضكم بعضاً فلا يدفعه الجلاء ثم ينتصف، حتى للشاة الجماء من القرناء و هذا ابتلاء.

قوله: «وإن كنا لمبتلين»، أي أن الأمر والشأن كنا مكلفين العباد فيما مضى فكذلك فيما يستقبل و نوه باسمه: أي رفع ذكره و ناه أرتفع و يبادر بهم الساعة أن تنزل بهم: أي يسابق محمد صلى الله عليه و آله و سلم بوعظ أمته القيامة و أن تنزل بدل من الساعة نزول الساعة بهم.

ثم قال: انه عليه السلام نبي الرحمة يقيم في هذا السفر على كل واحد من أمته سواء كان معنى البدن أو مكسورة الدابة، حتى يلحقه مقامه من الجنة إلا هالكاً خارجاً عن الملة و أنه عليه السلام أرى جميعهم سبيل نجاتهم و بلغ الرسالة إلى الكل فاستقام أمر الإسلام.

ثم حلف أنه كان من ساقية الحرب حتى أعرضت بجملتها. والساق: الشدة، و ساقها مؤخرها و حرمتها. و استوسقت: أي اجتمعت. و الاتساق

٢- الطلاق: ٢.

١- الطلاق: ١.

٤- النور: ٣٢.

٣- النساء: ٣.

٥- في م: و جوز الله القياس.

الانتظام. و لا يقترن: أي لأشقن. ما احلوت: أي صارت حلوة جداً هذه الدنيا لكم يا بني أمية.

والخلف: بالكسر حلمة ضرع الناقة القادمان والآخران و لا تمكتم من رضاع أخلافاً إلا من بعده صادفتموها جايلاً خطامها: أي ما رضعتم لبن ناقها إلا وجدتم تتغير عليكم لا يمكنكم من زمامها. والوضين: سيور منسوجة بعضها على بعض مضاعفة و هو كالنسيج إلا أنه يتخذ للهودج. قلقا وضيئها: أي مضطرباً حذامها. والسدر: شجر معروف. والمخضود: الذي خضد شوله: أي قطع فالأرض لكم شاغرة: أي خالية من شجر البلد: أي خلا. والثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره، يقال: ثارت القتيل أي قتلت قاتله.

الثائر في دماننا هو الله كالحاكم في حق نفسه، يقول: الذي يطلب دماءنا منكم هو الله تعالى، الغلاب القهار يحكم بمر القضاء لمن يحكم لنفسه، والحاكم في حق نفسه لا يقصر: أي إنا قتلنا عداوة الله تعالى فاذا طلب دماءنا فهو يحكم لنفسه.

ثم خاطب بني أمية و حلف إنكم لتعرفن الدنيا في دار عدوكم بني العباس و في أيدي غيركم عن قليل، و يعلم من فحوى الكلام أن الأمر بعد بني أمية لا يرجع إلى آل محمد الذين هم ولاة الأمر. و امتاحوا: أي استقوا. قوله: «فان النازل بهذا المنزل»، الذي هو الجهالة والهوى و شفا جرف ظرف موضع تحرفته السيول: أي أكلت ما تحته فهو يسقط إذا قام عليه إنسان و هار مقلوب من هائر كقولهم: شاك السلاح و شايك السلاح و فرهار بساقط. «فالله الله»، أي خافوا الله أن ترفعوا شكايته من حالكم المحزنة، إلى من لا يرق قلبه لكم فيبكي لا يداويكم، و قوله: «شجوكم»: مفعول تشكوا و روى إلى من لا يشكى: أي من لا يزيل

الشكاية.

ثم ذكر أن ما على الامام من أمر الله خمسة أشياء و فصلها و أن علياً
قد وعظ و نصح و أحيا الشريعة و أقام حدود الله و أعطى كل ذي سهم
سهمه، و هذا خطاب لجميع الناس، ثم قال: بادروا، العلم و أطلبوه قبل
ذهابه، و تصويح النبت للعلم استعارة، يقال: صوحت الريح النبت: انبته.



(١٠٦) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَ أَعَزَّ
 أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَ سِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَ
 بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ^(١)، وَ نُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ
 بِهِ، وَ فَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَ لُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَ تَبْصِيرَةً
 لِمَنْ عَزَمَ، وَ عِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَ
 رَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَ جَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَ أَوْضَحُ الْوَلَائِحِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ
 الْجَوَادِ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ^(٢)، كَرِيمُ الْمُضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ
 الْحَلَبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ: التَّصَدِيقُ مِنْهَاجُهُ،
 وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ،
 وَالْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ.

١- في ح: لمن خاصم عنه.

٢- في ب مضى المصباح.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
 حَتَّى أَوْرَى قَبْساً لِقَابِسٍ، وَ أَنْارَ عِلْماً لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ
 الْمَأْمُونُ، وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَ بَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ
 رَحْمَةً. اللَّهُمَّ ائْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ، وَ اجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ
 فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ^(١) أَعْلِ عَلَيَّ بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَ اَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَ
 شَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ، وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَ أَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَ
 احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ حَزَايَا، وَ لَا نَادِمِينَ، وَ لَا نَاكِبِينَ، وَ لَا نَاكِبِينَ،
 وَ لَا ضَالِّينَ، وَ لَا مُضِلِّينَ، وَ لَا مَفْتُونِينَ.

و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم، إلا أننا كررناه ههنا لما في الروایتين من
 الاختلاف.

و منها في خطاب أصحابه:

وَ قَدْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَ
 تُوَصَّلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ وَ يُعْظَمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَ لَا يَدَ لَكُمْ
 عِنْدَهُ، وَ يَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَ لَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ، وَ قَدْ
 تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَ أَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ

تَأْنُفُونَ.

وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِيَّاكُمْ تَرْجِعُ،
فَمَكَنتُمُ الظَّلْمَةَ مِنْ مَنَزَلَتِكُمْ، وَالْقَيْتُمُ إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ، وَاسْلَمْتُمْ أُمُورَ
اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ^(١) بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَإِيْمُ
اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

(١٠٧) و من كلام له عليه السلام

وَ قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيَا زَكْمَ عَن صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمْ الْجَفَاةُ
الطَّغَامُ^(٢)، وَ أَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَ أَنْتُمْ لِهَامِيمِ الْعَرَبِ، وَ يَأْفِيخُ
الشَّرْفِ، وَ الْأَنْفُ الْمَقْدَمُ^(٣)، وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ، وَ لَقَدْ شَفَى وَ حَاوَحَ
صَدْرِي، أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُواكُمْ، وَ تُزِيلُونَهُمْ عَن
مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسًّا بِالنِّصَالِ^(٤)، وَ شَجْرًا بِالرَّمَاكِ تَرْكَبُ
أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ الْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَن حِيَاضِهَا، وَ تُدَادُ
عَن مَوَارِدِهَا.

١- في ش: تعملون بالشبهات و تسيرون.

٢- في ف و ع و هامش ش: الجفافة الطغاة.

٣- في ب: و انف المقدم.

٤- في ب: حسا بالنضال. و ف و ك: زوي ش جشاء بالنضال.

(١٠٨) و من خطبة له عليه السلام

وهي من خطب الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ
الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ؛ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ، وَ
لَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتْرَاتِ، وَ أَحَاطَ
بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
أَخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَ مَشَكَاةِ الضِّيَاءِ، وَ ذُوَابَةِ الْعُلْيَاءِ، وَ
سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

و منها

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ: قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ^(١)
مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ: مِنْ قُلُوبِ عُمِّي، وَ آذَانِ صُمَّ، وَ أَلْسِنَةِ

بِكُمْ مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ^(١) مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا
بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَ لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّقَابَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ
كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَ الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدْ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ
الْبَصَائِرِ، وَ وَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ^(٢) لِخَابِطِهَا وَ أَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ
وَجْهِهَا، وَ ظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمَتَوَسِّمِهَا.

مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ؟ وَ أَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ، وَ نُسَاكًا
بِلَا صَلَاحٍ، وَ تُجَارًا بِلَا أَرْبَاحٍ، وَ أَيْقَاطًا نُومًا، وَ شُهُودًا غَيْبًا، وَ نَاطِرَةً
عَمِيَاءَ، وَ سَامِعَةً صَمَاءَ، وَ نَاطِقَةً بِكُمَاءَ؟ رَايَةٌ ضَلَالَةٌ^(٣)، قَدْ قَامَتْ
عَلَى قُطْبِهَا، وَ تَفَرَّقَتْ بِشَعْبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَ تَخِيطُكُمْ بِبَاعِهَا،
قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ.

فَلَا يَبْقَى يَوْمٌ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةٌ كَثْفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاصَةٌ كَنُفَاصَةِ
الْعِمْ، تَعْرُكُكُمْ، عَزَكَ الْأَدِيمِ، وَ تَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَ
تَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةِ^(٤) الْبَطِينَةَ مِنْ
بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ، وَ تَتِيهِ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ، وَ
تَخْدَعُكُمْ الْكَوَادِبُ؟؟ وَ مِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ، وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ
كِتَابٌ، وَ لِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ.

١- في ب: متبع بدوائه.

٢- في ش: محجة الحق لأهلها.

٣- في ب: رأيت ضلالة.

٤- في ب: استخلاص الحبة البطينة.

فَاسْتَمِعُوا^(١) مِنْ رَبَّانِيكُمْ وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنَّ هَتَفَ بِكُمْ، وَلِيُصَدِّقَ رَأْدَ أَهْلِهِ، وَلِيُجْمَعَ شَمْلُهُ، وَلِيُحْضِرَ ذَهْنَهُ؛ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخُرْزَةَ وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَا خِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاعِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ^(٢)، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومِ، وَتَوَاحَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكُذِبِ وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا وَالْمَطْرُ قَيْظًا، وَتَفِيضُ اللَّئَامِ فَيْضًا، وَتَغِيضُ الْكِرَامِ غَيْضًا، وَكَانَ^(٣) أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِتَابًا، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا، وَأَوْسَاطُهُ أَكَالًا، وَفُقَرَاؤُهُ أَمَوَاتًا، وَغَارَ الصِّدْقُ^(٤)، وَفَاضَ الْكُذِبُ، وَاسْتُعِمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ^(٥) النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسْبًا، وَالْعَقَافُ عَجَبًا، وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفُرُوقِ مَقْلُوبًا.

بيانه

ذكر في صدر الخطبة الأولى هنا أن الاسلام سهل مشرعه للواردين،

١- في ب: فاستمعوه من ربانيكم.

٢- في ك و ل: وقلت الراعية.

٣- في ش: وعاد اهل ذلك الزمان.

٤- في ش: و غاض الصدق.

٥- في ب: وتشاجرت الناس. و ف ك و ر: وتشاحن الناس.

و عزيز شديد ركنه على المغالين، ثم قال: إنه تعالى جعل الاسلام سبباً لأربعة عشر^(١)، شيئاً من الرغائب ثم قال: فهو أبلغ المناهج، والضمير للاسلام، و وصفه، بعشرة أشياء من المباح.

ثم عد من خصائص الاسلام ستة أشياء، و ليس من الغريب فيها الا كلمات، قوله: «آية لمن توسم»، أي علامة لمن تفرس، يقال: توسمت فيه الخيرات: أي تبينت. والجنة: الترس. و أبلغ المناهج: أي معروف الطرق والحلبة: بالتسكين خيل تجمع للسباق من كل أوب (لا تخرج من اصطبل واحد، كما يقال: للقوم إذا جاءوا من كل اوب)^(٢)، للنصرة قد أحلبوا والمضمار الموضع الذي يضم فيه الخيل، و تضميرها تعليفها حتى تسمن، ثم ردها إلى القوت و ذلك في أربعين يوماً، و هذه المدة أيضاً تسمى المضمار.

ثم وصف رسول الله بأنه «أورى قبساً لقايس»، أورى: أي استخرج النار من الزند. والقبس شعلة من النار، والقايس طالب النار من الغبر أن يأخذها، ثم قال: «و أنار علماً لحابس»، أي أضاء العلم الذي يجبس نفسه على ذات الله فأشار أولاً إلى العلم و كأنه أو ماء إلى الجهاد بالقرينة الثانية. الحابس: من يجبس فرسه في سبيل الله و يجوز على العموم دعا الله بأن محمداً صلى الله عليه و آله و سلم يا رب أمينك و شهيدك و مبعوثك فأكرم نزله: أي ما يتغذى به غداواته. الوسيلة: وهي الدرجة الرفيعة في الجنة، «و احشرنا في زمرة»، أي جماعته غير خزاييا(اي غير مستحيين)^(٣) و وزق خزاييا فعلى.

يجمع فعلان مكسوراً كذلك نحو سكران و سكارى و حيران و

٢- بين الهلالين في الرضوية.

١- في م و ج: الأربعة اشياء.

٣- بين الهلالين ساقط في ح.

حيارى و غيران و غيارى فجعلوا المذكر الذي هو، خزيان و نحوه و صحارى و الصحراء مؤنثة و كل فعل ليس مؤنثه أفعل فانه يجمع على فعالى.

ثم قال: و لا تجعلنا ناكبين عن الطريق و لا ناكثين للعهود ثم خاطب أصحابه، فقال: ان الله أعطاكم منزلة من الاكرام يعظم جاركم و مملوككم لأجلكم لا لفضل فيكم أو تفضل منكم أو هيئة.

هذه عهود الله قد نقضها طلحة و الزبير و معاوية و أتباعهم و أنتم لا تغضبون و أن نقض أحد ذمة آبائكم أخذتكم الأنفة و الحمية و ها أنا فيما بينكم أعرض أمور الله عليكم ليلاً و نهاراً فلا ينفع شيئاً و صرتم منقادين لمعاوية، ثم حلف أن بنى أمية أن فرقوكم تحت كل كوكب في الآفاق.

فان الله ينتقم لكم منهم، و جعلهم تحت كل كوكب عبارة عن تفريقهم أمواتاً و أحياء تفريقاً شديداً و أشار، بقوله: لشر يوم لهم إلى يوم القيامة و إلى ما جرى عليهم من هلاكهم في الدنيا بخروج أبي مسلم و غيره و خاطب أصحابه أيضاً بصفين و قال:

كيف لا تغضبون و أنتم سادة العرب و قد جمعتمكم أراذل أهل الشام إلا أن قلبي طاب مرة حين ضيقتم الأمر عليهم، و قوله: «رأيت انحيازكم من الصفوف تحوزكم الجفافة الطغام»، و انحاز عنه انعدل و انحاز القوم تركوا مركزهم إلى آخره.

و يقال: كلمة انحازوا للاولياء بمنزلة انهزموا للاعداء و قد حاز الابل يحوزها و يحيزها: أي ساقها و الحوز السوق اللين، و الطغام: أوغاد الناس، و يستوي فيه الواحد و الجمع، و رُوي الطغاة اللهميم: جمع اللهموم و هو الجواد الشريف، و إنما قال: «و الأنف المقدم»، على لفظ الواحد و لم يجمع لأن المراد و أنتم ذو الأنف المقدم فحذف المضاف.

كذا أنتم ذو «السنام الأعظم»، فحذف منه المضاف و «شفي و حاوح صدري»: أي حرارته من و حوح الرجل إذا نفخ في يده من شدة البرد والوحوحة: صوت معه بحج، و قوله: «حسّاً بالنصال»: أي قتلاً بها والنصل، يقال: للسهم والسيف والرمح والسكين والجمع نصال و نصول. الحسّ: إصابة السهم الجوف. والنصال المناصلة. والرمي: والشجو العطن. والابل الهيم: العطاش. و تذاذ: تطرد، ثم قال: «المتجلي لخلقته بخلقته»: أي الظاهر بقدرته لعباده فكل آية يحددها الله تعالى فكأنه تعالى يتجلى و يظهر للعباد بها.

قال الله تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ»^(١)، أي أظهر أمر ربه لأهل الجبل، و قيل: تجلى بمعنى جلى نحو تحدث و حدث و تقديره فلما جلى ربه: أي للجبل، فعنى قوله عليه السلام: الحمد لله المظهر عظمته لخلقته بهم: المفعول و إذا كان تجلى غير متعد.

فالمعنى الحمد لله الظاهر أمره للعقلاء بهم و بغيرهم. والروية: الفكر و هذا غير لائق إلا بمن كان له قلب و هو تعالى ليس بذى قلب، والله تعالى مالك الضمائر والمضميرين و كلها له إلا أنه ليس بذى ضمير في ذاته فاحترز، بقوله: «في نفسه» من هذا.

المشكاة: الكوة التي ليست بنافذة. و سرّة البطحاء: خيارها. والمرهم: هو الذي يوضع على الجراحات معرب. والمواسم: جمع ميسم، و هو المكواة. والصخر القاسي: الصلب. و انجابت: أي انكشفت و أسفرت الساعة: أي أظهر أمرها من قوهم أسفر الصبح: أي أضاء.

من فسرهُ بأن معناه: أي كشفت القيامة غطاءها فقدسها لأنه يقال: سفرت المرأة عن وجهها إذا أَلقت قناعها، و لو رُوي سفرت لكان حسناً، و قيل: انهما يتداخلان، و قوله: «ما لي أراكم اشباحاً بلا أرواح» أي شيء اعترض لي حتى أراكم أشخاصاً بلا أرواح و عقول و أراكم أرواحاً خفيفة سفهاء بلا أشباح^(١)، و زان حلماً، و قيل: إنما قال: «أرواحاً بلا أشباح»، لأنه أراد ان جميعكم ناقص^(٢) و أن كلاً منها لا يتم دون صاحبه.

و النساك: العباد و رُوي و تجارا و هذا أحسن جمع تاجر، و التاجر ذو الأرباح هو من يشتري دار الآخرة بالدار الفانية، و قوله: «رأيت ضلالة»، و أشار بها إلى ريات معاوية و بني أمية و الثفالة الثفل.

النفاضة: ما سقط عن شيء فنفضته: أي حركته لينتفض العلم العدل. «و تتيه بكم»: أي تحيركم. الغياهب: أي الظلمات. «فاستمعوا من ربانيكم»: أي مني أراد به نفسه، و الرباني: المتأله العارف بالله، و رُوي «و احضروه قلوبكم»: أي احضروا كلامه في قلوبكم. «و هتف بكم»: صاح بكم.

الرائد: الذي يتقدم المنتجعين يطلب لهم الماء، و الكلاء: و هو لا يكذب أهله. «فلقد فلق لكم الأمر»: أي بينَ هذا الرباني الذي هو عليّ أمر الدين لأجلكم و شق ما كان متلبساً كما تفلق الخرزة فيعرف باطنها و قشر علم الدين أخرجه من بين الجهل كما يقشر الصمغ من شجرة.

قرف: أي قلع «و عظمت الطاغية»: أي الطغاة. «و قلت الراعية»: أي الرعاة و رُوي الداعية: أي الدعاة. «و صيال السبع». أي حملة الأسد الذي يعقر. و هدر: صوت. و الفنيق: الفحل المكرم. «و بعد كظوم»: أي سكوت. يقال: كظم البعير، يكظم كظوماً إذا أمسك عن الجرّة. و تواخي: هو

١- في ج: بلا اشخاص.

٢- في م و ج: ناقصون.

الاخوة. و تحاببوا: هو تحاببوا على فك الادغام «و كان الولد غيظاً» أي يفعل الولد ما يغيب الوالد، و غار الماء سفل في الأرض و فاض: أي سأل و استعارهما للصدق والكذب لنقصان ذلك و كثرة هذا.

تشاجر: اي تحاصم و رُوي تشاحن: أي تعادى، و قوله: «و لبس الاسلام لبس الفر و مقلوباً»، له معنيان أحدهما: أن الاسلام يعكس أمره و يغير. والثاني: إن أهل الاسلام يعكس أمره و يغير، يطلبون به الدنيا لا الآخرة و يجعلون الدين زينة و وقاية لأنفسهم في الدنيا فقط.



(١٠٩) و من خطبة له عليه السلام

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ^(١)، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، وَ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَ مَنْ عَاشَ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ، وَ مَنْ مَاتَ فَالِيهِ مُنْقَلَبُهُ، لَمْ تَرَكَ الْعُمُيُونَ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ.

لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَ لَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَ لَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَ لَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَ لَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَ لَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخَطَ قَضَاءَكَ، وَ لَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ كُلِّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةً، وَ كُلِّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةً.

أَنْتَ الْأَبَدُ لَا^(٢) أَمَدَ لَكَ، وَ أَنْتَ الْمُنتَهَى فَلَا مَحِيصَ^(٣) عَنْكَ، وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى^(٤) مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَ

٢- في ش: انت الامد فلا امد.

٤- في ب و ش: لا منجا منك.

١- في ض و ب: خاضع له.

٣- في ش: لا يحيط لك.

إِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ^(١) مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ^(٢) فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْبَغَ نِعْمَكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ^(٣).

منها:

مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضْمَنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَشْعَبُهُمْ رَبُّ الْمَنُونِ، وَإِنَّهُمْ - عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ - لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لِحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا: بِحُسْنِ بِلَاتِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَارًا، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَادِبَةً: مَشْرَبًا، وَمَطْعَمًا، وَأَزْوَاجًا، وَخَدَمًا، وَقُصُورًا،

١- في ح: سبحانك ما اعظم شأنك سبحانك ما اعظم ما نرى.

٢- في ح: ما اصغر عظمة وفي ع و ض: ما اصغر عظمة.

٣- في ب: في نعيم الآخرة.

وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً، وَثَمَاراً، ثُمَّ أَرْسَلَتْ دَاعِيَاً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلَا الدَّاعِيَ
أَجَابُوا، وَلَا فِيمَا رَغَبْتَ إِلَيْهِ رَغَبُوا، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَأَقُوا
أَقْبَلُوا عَلَى جِيْفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا^(١) بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ
عَشِقَ شَيْئاً أَغْشَى بَصَرَهُ، وَآمَرَضَ قَلْبَهُ.

فَهُوَ يَنْظُرُ بَعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ
خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَآمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَّهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ
فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ^(٢) شَيْءٌ مِنْهَا: زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا
أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا^(٣)، وَلَا يَزْجُرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ^(٤)، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ
بِوَاعِظٍ؛ وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى النُّعْرَةِ - حَيْثُ لَا إِقَالََةَ^(٥) - وَلَا
رَجْعَةَ -.

كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا
كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ
مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ،
فَفَتَّرَتْ لَهَا أَطْرَافَهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ
وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ،
وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ - عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ -.

٢- في ض و ب: لمن في يده.

٤- في م: من الله بزواجر.

١- في ب: جيفة افتضحوا.

٣- في م: اقبل اليها.

٥- في ض و ح: لا اقالة لهم ولا رجعة.

يُفَكِّرُ فِيهِمْ أَفْنَى عُمْرِهِ، وَ فِيهِمْ أَذْهَبَ دَهْرُهُ، وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا: أَغْمَضَ^(١) فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَرِمَتْهُ تَبَعَاتُ جَمْعِهَا، وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا: تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِعِغْرِهِ، وَالْعِبَاءُ عَلَى ظَهْرِهِ.

وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعْضُ يَدَهُ، نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَ يَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَ يَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَعْبِطُهُ بِهَا وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ!

فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعُهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَ لَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ: يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَ لَا يَسْمَعُ رَجْعَ^(٢) كَلَامِهِمْ.

ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ التِّيَاطَا، بِهِ فَقْبِضَ^(٣) بَصْرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ: قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَأَكْيَا، وَ لَا يُجِيبُ دَاعِيًا. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَحَطِّ فِي الْأَرْضِ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَ انْقَطَعُوا عَنْ رُؤْرَتِهِ.

٢- في ش: و يستطيع رجوع كلامهم.

١- في ع: اموالا اغضض في مطالباها.

٣- في ب: التياتا فقبض. ر: روى ثم زاد التياتا.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرُهُ، وَالْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ: مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ؛ أَمَادَ السَّمَاءِ وَفَطَرَهَا، وَارْجَ الْأَرْضِ وَارْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ.

ثُمَّ مَيَّرَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مُسَائَلَتِهِمْ^(١) عَنِ (خَفَايَا)^(٢) الْأَعْمَالِ، وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ؛ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَأَنْتَمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ: فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجَوَارِهِ وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَطْعَنُ النَّزَالُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمُ الْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ؛ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ.

فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَالْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمَقَطَّعَاتِ النَّيْرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أَطْبَقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ، وَلَجَبٌ^(٣) وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا، لَا مَدَّةَ لِلدَّارِ فَتَقْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَقْضَى.

٢- ساقطة من ش و ف و ن .

١- في ب : مسألتهم .

٣- في ك : و روى جلب .

و منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
 قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ^(١) بِهَا، وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ
 زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِقَارًا، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ، وَ
 أَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا
 يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يَرْجُوَ^(٢) فِيهَا مَقَامًا، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا، وَنَصَحَ
 لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا^(٣) نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوءَةِ، وَمَحَطُّ
 الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ^(٤)
 نَاصِرُنَا وَ مُجِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَ عَدُوْنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

بيانه

ذكر الله في أول الخطبة و وصفه بأصاف العظمة و تفنن في الكلام،
 خاطب بعد الغيبة كقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، ثم قال «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»، وقال علي
 كل شيء خاشع لله و كل موجود محتاج إليه لا يقوم إلا به و هو تعالى غني
 على الحقيقة.

ثم ذكر إلى تمام عشر صفات، ثم قال: لم ترك العيون فتخبر بل كنت
 قبل الواصفين من خلقك، هذا تركيب من الكلام عجيب يعجز البلغاء عن
 ايراد معناه.

١- في ض و ب: واهونها. ٢- في م و ل: و يرجو.

٣- في ح و م هنا زيادة و هي: و دعا الى الجنة مبشرا و خوف من النار محذرا.

٤- في ض: ينابيع الحكم بكسر الحاء و فتح الكاف.

يقول: يا رب ما رأتك عين ناظر، فانها أن رأتك من طريق المشاهدة أخبرت أنك على صفات الأجسام المتحيرة، أو الألوان و غيرها من الأعراض الحالة، و كلتاها محدثة و أنت الله موجود في الأزل القديم لم يزل كنت و لم يكن هذه المخلوقات، فكيف تقاس عليها، و ما خلقت خلقاً ليدفع عنك مضرة، أو ليجلب إليك منفعة.

ثم نزهه عما لا يليق به عز و جل إلى أن قال: «سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك و ما أصغر عظمية في جنب قدرتك». والوحشة: الخلوة مع الهم. «و لم يتشعبهم ريب المنون»: أي لم يفرقهم الموت و تشعب بمعنى شعب. يروى أن الملائكة يموتون بعد موت الانس بأسرهم و كل ما خلق الله منهم حي والأشراف لا يكون مساكنهم و منازلهم إلا على السموات كجبرئيل و ميكايل و اسرافيل و عزرائيل عليهم السلام، و إلى هذا أشار بقوله: و رفعتهم عن أرضك إلا و في الأرض كثير منهم.

و قيل: إن كل من كان في الأرض من الحفظة والكرام الكاتبين يرجعون إلى السماء و لا يكونون على الدوام هاهنا بل يتناوبون و وصفهم بأنهم مع كثرة طاعتهم لله لو عاينوا كنه ما خفي عليهم لحقروا أعمالهم و كنه الشيء غايته و حقيقته، و خفي الشيء: أي انستر. و حقرت الشيء واحتقرته و استحققرته و حققرته صغرته.

زريت عليه: إذا عبت عليه. والازراء: التهاون بالشيء، و روى «لأ زروا على أنفسهم»، والصحيح بغير الألف لأن ازري يستعمل مع الباء والمأدبة: الطعام: اي يؤدب اليه الناس: أي يدعى إلى أكله.

ثم ذكر بعد وصف الملائكة كيفية تدبير الله للمكلفين، و حسن معاملته معهم، و أن أكثرهم تركوا ما خلقوا له و اشتغلوا بما خلق لهم. ثم ذكر الموت و سكراته و حسراته و ندامة الناس إذا ازداد أسباب

الموت فيهم^(١) ولوجاً: أي دخولاً في اعضائهم من فترها بذهاب الحياة والقدرة والشهوات يتذكر حالاً أغمض في مطلبه: أي تساهل في اكتسابه أينما وجد فيكون المهنا بمكان تلك الأموال لغيره والحساب عليه.

المهنا والهني: بمعنى من هنأت الطعام: أي تهنأته. والعب: الثقل. «والمراء قد غلقت رهونه بها»، أي مع جميع أمواله عن غلق الرهين، أي استحققه المرتهن إذا لم يفكه الراهن في الموقت المشروط يندم على ما أصحر له: أي ظهر.

يقال: أصحر الرجل: أي خرج إلى الصحراء وروي ثم زاد التياتاً به: أي لصوقاً وزاد ازداد هنا غير متعد وروي إلى «محط من الأرض»، من الحاء غير معجمة. «وأماد السماء»: أي حركها، وروي أمار ومار يمور إذا جاء وذهب.

فطرها: أي شقها. «و أرح الأرض»: أي حركها مع رجيع و صوت. ورج لغة القرآن. و أرففها: جعلها مضطربة. و نسفها: قلعها. و دك: أي دق (قوله ثم ميزهم لما يريد إشارة إلى قوله تعالى: وَ امْتَاَزُوا الْيَوْمَ أَيَّهَا الْمُجْرِمُونَ)^(٢). و الخبايا: جمع الخبيثة، و هي الشيء المستور.

و روى «و انتقم من هؤلاء»، أي اقتص منهم ثم وصف أهل الجنة بأنه لا يعرض لهم الاخطار والخطر: الاشراف على الهلاك، و ان أهل النار يلبسون ثياباً سوداً كأنها من القطران و هو الهناء والنار اليه أسرع. و مقطعات النار: أي ثياباً منها والمقطعات من الثياب شبه الجباب و نحوها قال ابو عمرو: مقطعات الثياب والشعر: قصارها في باب قد أطبق: أي أغلق.

٢- بين الهلالين في ض.

١- في ج: أسباب الموت ولوجاً.

الكلب: الشدة. واللجب. الصياح، والمجلب الصيحة. و رويأ معاً «و
 لهب ساطع»: أي عال. و قصيف: صوت شديد، يقال: قصف الرعد و غيره
 قصيلاً إذا صوت كأشد ما يكون. والكبول: القيود.
 «قد حقر الدنيا»، بالتخفيف: أي استصغرها. و بالتشديد: أي صغرها
 و أهون بها: أي لم يعتد بها و لم تكن عزيزة عليه و هو هونها: أي أذلها. و
 زواها: قبضها. والرياش: اللباس والزينة. «و ينايع الحكم»، أي الحكمة، و
 رُوي الحكم و هي جمع حكمة.



(١١٠) و من خطبة له عليه السلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ، سُبْحَانَهُ، الْإِيمَانُ بِهِ
وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةٌ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ
فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ
وَأَجِبَةُ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَ
اعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحِضَانِ الذَّنْبَ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا
مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكْفِّرُ
الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ
الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيَمَا وَعَدَ
الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ أَصْدَقَ^(١) الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ
الْهُدَى، وَاسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهُ أَهْدَى السُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ
أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ

فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَ أَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقُصَصِ، فَإِنَّ الْعَالِمَ
الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ ^(١) الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ
الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ الزَّمُّ، وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ

(١١١) و من خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَصِرَةٌ، حُفَّتْ
بِالشَّهَوَاتِ، وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَ رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَ تَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَ
تَزَيَّنَتْ بِالْعُرُورِ؛ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَ لَا تُؤْمِنُ فِجَعَتُهَا، غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ،
حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ، لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ
أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا، وَ الرِّضَاءِ بِهَا، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى:
كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ، وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا، لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا
فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعَقَبَتْهُ ^(٢) عِبْرَةٌ، وَ لَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ
ضَرَائِهَا ظَهْرًا، وَ لَمْ تَطْلُ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءٍ، إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُرْزَنَةً بَلَاءٍ،
وَ حَرِيٍّ، إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ، أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ وَ إِنْ جَانِبَ
مِنْهَا أَعْدُوذَبَ، وَ أَحْلَوَى أَمْرًا مِنْهَا جَانِبَ فَأَوْبَى.

لَا يَنَالُ أَمْرٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعْبًا، وَ

لَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَارَةٌ
غُرُورٌ مَا فِيهَا فَايْبَةٌ، فَاِنْ مَنْ عَلَيْهَا لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا
التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَ مَنْ اسْتَكْتَرَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ
مِمَّا يُؤْبِقُهُ، وَ زَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَائِقٍ^(١) بِهَا قَدْ فَجَعْتُهُ، وَ ذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا^(٢) قَدْ
صَرََعْتُهُ، وَ ذِي أَبْهَةٍ قَدْ جَعَلْتُهُ حَقِيرًا، وَ ذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا؟
سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ، وَعَيْشُهَا رِنَقٌ، وَ عَذْبُهَا أَجَاجٌ، وَ حُلُوهَا صَبْرٌ، وَ
غِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَ أَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيْثُهَا بَعْرَضٌ مَوْتٌ، وَ صَحِيحُهَا
بِعَوْضٍ سُقْمٌ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَ عَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ، وَ مَوْفُورُهَا مَنَكُوبٌ
وَ جَارُهَا مَحْرُوبٌ، أَلْسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَ
أَبْقَى آثَارًا، وَ أَبْعَدَ آمَالًا، وَ أَعَدَّ عَدِيدًا، وَ أَكْتَفَ جُنُودًا.

تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبَّدٍ، وَ آثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ؛ ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ
زَادٍ مُبْلَغٍ، وَ لَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ؟! فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا
بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ
بِالْقَوَادِحِ، وَ أَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَ ضَعُضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَ عَفَرَتْهُمْ
لِلْمَنَاخِرِ، وَ وَطَّئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَ أَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمُنُونِ.
فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكَّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَ آثَرَهَا، وَ أَخْلَدَ لَهَا حِينَ

١- في ن و ف و ل: كم وائق بها.

٢- في ض و ح و ب: وذى طمانينة قد صرعه.

ظَعَنُوا^(١) عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ، وَ هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّغْبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْبَسَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ؟ أَفَهَذِهِ^(٢) تُؤَثِّرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟؟ فَبَسَّسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمِهَا وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا، فَاعْلَمُوا- ، وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَ ظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَ اتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ.

قَالُوا: (مَنْ أَشَدُّ مِثًا قُوَّةً) حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعُونَ رُكْبَانًا، وَ أَنْزِلُوا (الْأَجْدَاثَ)^(٣) فَلَا يُدْعُونَ ضَيْفَانًا، وَ جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَ مِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَ مِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهَمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَ لَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا، وَ لَا يُبَالُونَ مَدْبَبَةً: إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَ إِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْتَضُوا: جَمِيعٌ وَ هُمْ آحَادٌ وَ جِيرَةٌ وَ هُمْ أَبْعَادُ مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ وَ قَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ.

حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَ جُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ وَ لَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ؛ اسْتَبَدَّلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَ بِالسَّعَةِ ضَيْقًا وَ بِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَ بِالثَّوْرِ ظُلْمَةً، فَجَاوَهَا كَمَا فَارَقُوهَا حَفَاءَ عُرَاءَ، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ، وَ عِدًّا عَلَيْنَا، إِنَّا

١- في ض و ف و ب: اخلد إليها حتى ظعنوا.

٢- في ب: فهذه تؤثرون.

٣- ساقطة من ف و م و ن و ل و ش. وفي الاخيرية: ولا يدعون.

كُنَّا فَاعِلِينَ).

(١١٢) و من خطبة له عليه السلام

ذكر فيها ملك الموت

هَلْ تُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَقَّى أَحَدًا؟ بَلْ
كَيْفَ يَتَوَقَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيْلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمْ
الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ
إِلَهُهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ.

بيانه

توسل العبد إلى ربه، أي تقرب إليه بعمل، والوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والايان بالله التصديق به بالقلب على ما هو وضع اللغة، وقد تخصص شرعاً بأشياء مخصوصة، روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الايان سر» وأشار إلى صدره هذا والايان بالله و برسول الله هو الأصل، و عشرة الأشياء التي عطفها على الايمان بالله و رسوله تفرعاته ألا ترى أنه علل كل واحد منها مفروضها و مسنونها.

قال في الجهاد: إنه ذروة الاسلام: أي أعلاه، و ذرى الشيء أعاليه، والذروة أعلى السنام، و قال: في كلمة الاخلاص و هو الشهادتان أنها الفطرة، يعني أنها مقتضى الفطرة، والفطرة الحلقة، و قال: في الصلاة أنها الملة: أي عملها، والملة: الدين والشريعة.

قال في الزكاة: إنها فريضة: أي سهم مقتطع من أموالكم للمستحقين محدود مبين مقدارها، و وقتها و كفييتها و مستحقها، و انما ذكر أن الزكاة وحدها فريضة مع كون كل عبادة شرعية واجبة فرضاً أيضاً لأن الفريضة في عرف الشرع ما يؤخذ في الذكوات، و وصف فريضة بواجبة تأكيداً.

قال في الصوم الواجب: انه جنة: أي ترس من عقاب الله، و قال في الحج الذي هو القصد إلى بيت الله لمناسك عنده مع الوقوف بالموقفين و في العمرة التي زيارة الكعبة من دون الموقفين، و مقام منى انها يرحضان من العبد الذنوب، أي يغسلها الحج والعمرة، و يدفعان الفقر يعني يكونان سبب غنى الدنيا و سبب الطهارة.

قال في صلة الرحم: و هي ضد هجران ذوى القرابة أنها سبب كثرة المال، و طول العمر. والمثراة: المدعاة إلى الثروة. والمنسأة، مفعلة من نساء الله في أجله أي أخره.

(قال: صدقة نافلة في السر أنها سبب كفارة الخطيئة و هي الذنوب التي لم يبارز الله تعالى بها بل كانت من شهوة أو جهل و ذكر في صدقة يدفع في الظاهر أنها يدفع)، الأسباب الردية إلى أن تنزل بهم، أي يسابق محمد صلى الله عليه و آله بوعظ أمته القيامة و أن تنزل بدل من الساعة يعني نزول الساعة بهم.

ثم قال: انه عليه السلام نبي الرحمة يقيم في هذا السفر على كل واحد من أمته سواء كان^(١) البدن أو مكسور الدابة حتى يلحق به مقامه من الجنة الا هالكا خارجا عن الملة و انه عليه السلام أرى جميعهم سبيل نجاتهم و بلغ الرسالة إلى الكل فاستقام أمر الاسلام.

ثم حلف أنه كان من ساقه الحرب، حتى أعرضت بجملتها، والساق المشددة، و ساقتها مؤخرها و حومتها. و استوسقت: اجتمعت. والاتساق: الانتظام. و ما احلوت: أي ما صارت حلوة جداً هذه الدنيا لكم يا بني أمية. والخلف بالكسر: حلمة ضرع^(١) الناقة... والاحزان.

قوله: «و لا تمكنتم من رضاع أخلافها إلا من بعده صادفتموها جائلاً خطامها»، أي و ما رضعت لبن ناقتها الا وجدتم حالها يتغير عليكم لا تمكنتم من ذمامها والوضين: سيور منسوجة بعضها على بعض مضاعفة و هو كالنسع إلا أنه تتخذ للهودج.

قلقا وضيئها: أي مضطربا حزامها. والسدر: شجر معروف. والمخضود: الذي خضد شوكة: أي قطع فالأرض لكم شاغرة: أي خالية من شجر البلد: أي خلا، والثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره، يقال: ثارت القتيل، أي قتلت قاتله.

الثائر: في دمائنا هو الله كالحاكم في حق نفسه يقول: الذي يطلب دمائنا منكم هو الله تعالى القهار يحكم بمر القضاء كمن يحكم لنفسه والحاكم في حق نفسه لا يقصر، أي أنا قتلنا عداوة لله تعالى فاذا طلب دمائنا منكم هو الله تعالى القهار فهو يحكم لنفسه.

ثم خاطب بني أمية و حلف انكم لتعرفن الدنيا في دار عدوكم بني العباس و في أيدي غيركم عن قليل و يعلم من فحوى الكلام أن الأمر بعد بني أمية لا ترجع إلى آل محمد الذين هم ولاة الأمر و امتاحوا أي استقوا. قوله: فان النازل بهذا المنزل الذي هو الجهالة والهوى، و شفا جرف: ظرف موضع تجرفه السيول: أي أكلت ما تحته فهو يسقط إذا قام عليه

إنسان. و هار مقلوب من هائر، كقولهم: شاك السلاح، و شائك السلاح، و
فسر هار بساقط.

«فالله الله»: أي خافوا الله ان ترفعوا شكايته من حالكم المحزنة إلى
من لا يرق قلبه لكم فيبكي أولاً يداويكم، و قوله «شجوكم»: مفعول
تشكو و روى الى من لا يشكى: أي إلى من لا يزيل الشكاية.

ثم ذكر أن ما على الامام من أمر الله خمسة أشياء و فصلها و أن علياً
قد وعظ و نصح و أحيا الشريعة و أقام حدود الله و أعطى كل ذي سهم
سهمه و هذا خطاب لجميع الناس.

ثم قال: «بادروا العلم و اطلبوه قبل ذهابه و تصوِّح النبت للعلم»،
استعارة يقال: صوحت الريح النبت أعسفته.



(١١٣) و من خطبة له عليه السلام

وَ أَحَذَّرَكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَ لَيْسَتْ بِدَارٍ نُجْعَةٍ^(١)، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَ غَرَّتْ بِزِينَتِهَا، هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا: فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا، وَ خَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَ حَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا، وَ حُلُوهَا بِمُرِّهَا: لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَ لَمْ يَضَنْ بِهَا^(٢) عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَ شَرُّهَا عَتِيدٌ، وَ جَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَ مُلْكُهَا يُسَلَبُ وَ عَامِرُهَا يَخْرُبُ^(٣).

فَمَا خَيْرٌ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ: وَ عُمُرٍ يَفْنَى^(٤) فَنَاءَ الزَّادِ وَ مُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ؟! اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُمْ وَ اسْأَلُوهُ مِنْ آدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَ أَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَ إِنْ ضَحِكُوا، وَ يَسْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَ إِنْ فَرِحُوا، وَ يَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَ إِنْ اِعْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا.

قَدْ غَابَ عَن قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَ حَضَرَ تَكْمُّ كَوَادِبِ الْأَمَالِ

١- في ش: نجعة تزينت.

٢- في ح، ل، ش: لم يرض عن اعدائه.

٣- في م و ف: و عامرها يتخرّب.

٤- في ض، ح، ب: يفنى فيها فناء الزاد.

فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَ العَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ
الآجِلَةِ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانُ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ،
و سَوْءُ الضَّمَائِرِ فَلَا تَوَازُرُونَ، وَ لَا تَنَاصِحُونَ، وَ لَا تَبَادُلُونَ، وَ لَا
تَوَادُّونَ مَا بِالْكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا^(١) تُدْرِكُونَهُ لَا يَحْزُنُكُمْ
الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْزَمُونَهُ، وَ يُفْلِقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يُفُوتُكُمْ.
حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَ قَلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا
عَنْكُمْ؟! كَأَنَّهَا دَارُ مَقَامِكُمْ، وَ كَانَ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ، وَ مَا يَمْنَعُ
أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةٌ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ
بِمِثْلِهِ قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ، وَ حُبِّ العَاجِلِ، وَ صَارَ دِينُ
أَحَدِكُمْ لُفْقَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعٌ مِنْ^(٢) قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَ أَحْرَزَ
رِضَى سَيِّدِهِ.

(١١٤) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنُّعْمِ، وَ النُّعْمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى
آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا
أُمِرَتْ بِهِ السَّرَاعِ إِلَى مَا نَهَيْتْ عَنْهُ، وَ نَسْتَعْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَ
أَحْصَاهُ كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُعَادِرٍ، وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا

مَنْ عَايَنَ الْعُيُوبَ، وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ إِيمَانًا نَفَى إِخْلَاصَهُ الشَّرْكَ،
 وَ يَقِينَهُ الشُّكَّ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ
 مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَ آلِهِ عَبْدُهُ رَسُولُهُ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ (١)
 الْقَوْلَ، وَ تَرْفَعَانِ الْعَمَلَ لَا يَخْفُ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ، وَ لَا يَنْثَقِلُ مِيزَانُ
 تَرْفَعَانِ مِنْهُ (٢).

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وَ بِهَا الْمَعَادُ زَادٌ
 مُبْلَغٌ وَ مَعَادٌ مُنْجِحٌ دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَ وَعَاهَا خَيْرٌ وَاعٍ فَاسْمَعِ
 دَاعِيَهَا، وَ فَازَ وَاعِيَهَا عِبَادَ اللَّهِ إِنْ تَقَوَى اللَّهُ حَمَتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ،
 وَ أَلَزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَشْهَرَتْ لِيَالِيَهُمْ أَظْمَاتَ هَوَاجِرِهِمْ
 فَآخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَ الرَّيِّ بِالظَّمِّ، وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا
 الْعَمَلَ، وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوَا الْأَجَلَ.

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ، وَ عَنَاءٍ، وَ غَيْرٍ، وَ عِبْرٍ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ
 الدَّهْرَ مُوتَرٌ قَوْسُهُ لَا تُحْطَى سِهَامُهُ، وَ لَا تُؤَسَى جِرَاحُهُ يَزِمِي الْحَيَّ
 بِالْمَوْتِ وَ الصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَ النَّاجِيَ بِالْعَطْبِ آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَ
 شَارِبٌ لَا يَنْقَعُ، وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَ يَبْنِي مَا لَا
 يَسْكُنُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلَ، وَ لَا بِنَاءً نَقَلَ وَ مِنْ

١- في ك و م: تسعدان القول. و في ر: و روى بالصاد.

٢- في ن و ب: ترفعان عنه.

غَيْرَهَا أَنْكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً^(١)، وَ الْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً.
لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً، زَلَّ وَبُؤْساً نَزَلَ، وَ مِنْ عِبْرَتِهَا أَنَّ الْمَرْءَ
يُشْرَفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ، وَ لَا مَوْمَلٌ
يُتْرَكُ فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَغْرَّ سُورَهَا، وَ أَظْمَأَ رِيَّهَا، وَ أَضْحَى فَيْئَهَا لَا
جَاءَ يُرَدُّ، وَ لَا مَاضٍ يَزِيدُ فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ
لِلْحَاقِ بِهِ، وَ أَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرِّ
مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ
مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ
أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَبْرُ.
وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَ زَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا
نَقَصَ^(٢) مِنَ الْآخِرَةِ، وَ زَادَ فِي الدُّنْيَا فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَاجِحٍ، وَ مَزِيدٍ
خَاسِرٍ إِنْ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ، وَ مَا أَحَلَّ لَكُمْ
أَكْثَرَ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فَذَرُّوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ قَدْ
تُكْفَلُ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَ أُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ^(٣) لَكُمْ
طَلْبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ، وَ اللَّهُ لَقَدْ
اعْتَرَضَ الشَّكَّ، وَ دَخَلَ الْيَقِينَ.

١- في ف و ن : ترى المغبوط مرحوما والمرحوم مغبوطا.

٢- في ع : فلا يكونون المضمون طلبه.

٣- في ب : مما نقص في الآخرة.

حَتَّىٰ كَأَنَّ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي^(١)
 فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ
 فَإِنَّهُ لَا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الْعُمْرِ مَا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الرَّزْقِ مَا فَاتَ
 الْيَوْمَ^(٢) مِنَ الرَّزْقِ رُجِي غَدًا زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ
 يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي (فَاتَقُوا
 اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا، وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

بيانه

قال: عليه السلام «ان الدنيا منزل قلعة»، أي ليس بمستوطن كأنه
 يقلع ساكنه «و ليست دار نجعة»، أي لا يطلب المراد منها، النجعة طلب
 الكلاء من موضعه، و روي لم يرضن بها على أعدائه، أي لم يبخل بالدينا
 عليهم و إذا روي عن أعدائه يتعلق عن مجال: أي قابضاً عنهم. والزهد:
 القليل. والعتيد: المعد.

قوله: «و اسئلوه من اداء حقه ما سألكم»، أي سلوا الله التوفيق
 والمعونة لما سألكم الله من أداء حقه. والمقت: البغض. اغتبطوا: فرحوا. و لا
 توازرون: أي لا يحمل بعضكم الثقل عن بعض، و يجوز أن يكون من الوزر
 و هو الملجأ.

رُوي لا تآزرون من الأزر و هو القوة، يتبين ذلك في وجوهكم، و قلة
 صبركم، أي يظهر الغم والقلق لفوت اليسير من الدنيا في بشرة وجوهكم و

١- في ب: ما فات من الرزق.

٢- في ب: ما فات من الرزق.

في قلة صبركم، عما رُوي أي قبض منها، أي من الدنيا و صار دين أحدكم لعقّة على لسانه، أي لا يكون الدين عنده ثابتاً بل يكون بقدر ما يلعبه على اللسان، و لا يثبت في قلبه، و إنما هو شيء يتكلم به و يلحسه بلسانه، و اللعقة اسم ما يأخذه باللعقة.

ثم قال: «الحمد لله الواصل الحمد بالنعم و النعم بالشكر»، يعني أنه تعالى أنعم على سبيل التفضل أولاً ثم أمر المكلفين أن يشكروه على نعمه كما هو مركز في بداية العقول، ثم إذا ما حمد الله سبحانه عبد على ما أنعم به عليه جملة أو شكره تفضيلاً، و عده على ذلك الشكر نعماً أخرى موصولة بها كما قال تعالى: «لئن شكرتم لازيدنكم»^(١).

قوله: «بعد الشهادتين تسعدان القول»، أي كل واحدة من هاتين شهادة بالقلب تساعد باللسان، و روي تصعدان بالصاد تأكيداً لما بعده. و رُوي و أسمع داع: و هو أفعل من الاسماع بمجذف الزوايد و عاها خير و اع: أي حفظها خير حافظ.

هذا إشارة إلى قوله تعالى: «و تَعِيهَا اذُنٌ و اعِيَةٌ»^(٢)، اتفق المفسرون أنها انزلت في الامام علي عليه السلام، و قوله: «حتى أسهرت ليا ليهم و أظلمات هو اجرهم»، أي حتى قاموا للصلاة طول الليالي^(٣) و صاموا في الحر الشديد، و مخافة الله أسهرتهم و أظلماتهم، و هذا كقوله: «نهاره صائم و ليله قائم». النصب: التعب. و الظم: العطش، أي أخذوا الراحة و الري في الآخرة بسبب ما تحملوا من ضدهما في الدنيا و رُوي أن الدهر هو و ترقوسه، و يقال: أو ترقوسه و وترها بمعنى.

في المثل انباض بغير توتير، و هو أن يجعل الوتر فيها، و تهباً أمرها لا تؤسى جراحها: أي لا تعالج و لا تداوى. والعطب: الهلاك. أكل لا يشبع، أي هو آكل، يعني بها الموت و شارب لا ينقع: أي لا يروى، يقال: نقتع بالماء: أي رويت و شربت حتى نقتع: أي شفيت غليلي، نقع الماء العطش، أي سكنه و ماء ناقع، فعلى هذا تقديره شارب لا ينقع نفسه أو عطشه، أي لا يسكنه و قوله: «و من غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط مرحوماً»، يفسره ما بعده.

المعنى إنك ترى من هو بمحل الرحمة اليوم، لضيق ذات اليد والفقر والفاقة، مغبوطاً محسود الكثرة المال الذي يجتمع عليه غداً. و إنك ترى من كان يغبط أمس لحسن حاله، يرحم اليوم لذهاب ماله، و قيل معناه: أنك ترى من هو بمنزلة أن يرحم مغبوطاً عند الناس، و من هو بمحل الغبطة مرحوماً عندهم.

قوله: «ما أظأريها و أضحي فيها»، يظهر التعجب من أحوال الدنيا فقال: مثله فسبحان الله؛ نزهه تعالى كما يفعل المتعجب و ما أغر سرورها، أي أن سرور الدنيا يغر و أن الري في الدنيا يؤدي إلى الظماء والعطش في الآخرة، و ان الظل البارد الطيب يؤدي و يوصل إلى موضع حار يؤذيه في الآخرة.

اضحى فيها، أي ما أضحي ظل الدنيا، أي ما أبرزه للشمس من قولهم: ضحيت الشمس: أي اضحى فيها، أي برزت لها، ثم بالغ في الموعظة و هو ظاهر لهم إلى آخره و قوله: «فليكيفكم من العيان السماع»، أي أن سماع شدة النار و أهوالها كاف، فلا تخرجوا أنفسكم الدخول فيها و مقاساتها و رؤيتها.

قوله: ان الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه»، المراد به ما أبيع

لكم من لذات الدنيا وأمرتم بها لاستحبابها، كالنكاح و اشتراء الاماء، وقد نهى الله عن السفاح، و عن نكاح المحرمات من الأسباب والأنساب. قد أمر بذبح الانعام على الوجوب، و على الاستحباب، و أباح ذلك على أكثر الوجوه فالمباحات والمأمورات، كما ترى أكثر من المنهيات و قوله: «الرجاء مع الجأئ»، يعنى مع الرزق الذي يجيء إلى العبد ما دام يعيش والناس مع الماضي، أي العمر الذي مضى.



(١١٥) و من خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

اللَّهُمَّ قَدْ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَ اغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَ هَامَتْ دَوَابُّنَا، وَ تَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا عَجَبٌ عَجِيبٌ الثَّكَالِي (١) عَلَى أَوْلَادِهَا، وَ مَلَّتِ التَّرَدُّدُ فِي مَرَاتِعِهَا، وَ الْخَنِينِ إِلَى مَوَارِدِهَا. (اللَّهُمَّ فَارْحَمْنَا أَيْنَ الْآتَةِ، وَ حَيْنَ الْحَانَةِ) (٢) اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَ أَيْنَهَا فِي مَوَالِجِهَا.

اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَ أَخْلَقْتَنَا مَخَائِلُ الْجُودِ؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَسِسِ وَ الْبَلَاعَ لِلْمُلْتَمِسِ: نَدْعُوكَ حِينَ قَنِطَ الْأَنَامُ، وَ مَنَعَ الْعَمَامُ، وَ هَلَكَ السَّوَامُ أَنْ لَا تَوَاحِدْنَا بِأَعْمَالِنَا، وَ لَا تَأْخُذْنَا بِذُنُوبِنَا، وَ انْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، وَ الرَّبِيعِ الْمُعْدِقِ، وَ النَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَخًّا وَابِلًا، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ وَ تَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ.

اللَّهُمَّ سُقِيًّا مِنْكَ، مُخِيَّبَةً، مُرْوِيَّةً، تَامَّةً، عَامَّةً، طَيِّبَةً، مُبَارَكَةً،
هَيِّئْهَا، (مَرِيئَةً) مَرِيَعَةً^(١) زَاكِيًّا نَبْتَهَا، ثَامِرًا فَرْعُهَا، نَاصِرًا وَرَقُهَا،
تَتَعَشُّ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَ تُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ.

اللَّهُمَّ سُقِيًّا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نَجَادُنَا، وَ تَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا، وَ
يُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَ تُقْبَلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَ تَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَ تَنْدَى
بِهَا أَقَاصِينَا، وَ تَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا^(٢) مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَ
عَطَايَاكَ الْجَزِيلَةَ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُزْمَلَةِ وَ وَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ، وَ أَنْزِلْ
عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضَلَّةً، مِدْرَارًا هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدُقُ مِنْهَا الْوَدُقَ، وَ
يَخْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ.

غَيْرُ خُلْبٍ بَرَقُهَا، وَ لَا جَهَامٍ عَارِضُهَا وَ لَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَ لَا
شَفَانَ ذَهَابُهَا، حَتَّى يُخْصِبَ لِامْرَأِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَ يَحْيَا بِبَرَكَتِهَا
الْمُسْتَيْتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ^(٣) مِنْ بَعْدِ مَا قَنْطُوا، وَ تَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَ
أَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

قوله عليه السلام - «انصاحت جبالنا» أي: تشققت من المحول،
يقال: انصاح الثوب، إذا انشق. و يقال أيضا: انصاح النبت و صاح و
صَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَ يَبَسَ. وقوله: «و هامت دوابنا» أي: عطشت،
والهيام: العطش و قوله: «حدابير السنين» جمع حدبار: و هي الناقة
التي أنضاهها السير فشبهه بها السنة التي فشا فيها الجذب قال ذوالرمة:

٢- في ن وك: و يستغنى بها ضواحيننا.

١- ساقطة من ف و ب و ل و ش.

٣- في ب: تنزل الغيث بعد ما قنطوا.

حَدَائِبِيرُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَسَةً

عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَزَمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا

و قوله: «و لا قرع ربايها»: القرع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب، و قوله: «و لا شَفَانُ ذهابها» فإن تقديره: و لا ذات شَفَانُ ذهابها، والشَفَانُ الريح الباردة، والذهاب: الأمطار اللينة، فحذف «ذات» لعلم السامع به.

(١١٦) و من خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَ شَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَإِنْ وَ لَا مُقَصِّرٍ، وَ جَاهِدَ فِي^(١) اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَ لَا مُعَذِّرٍ، إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى وَ بَصِيرَةٌ^(٢) مَنِ اهْتَدَى.

منها:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ مِنَّا طُوبَىٰ عَنكُمْ غَيْبُهُ إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ، وَ تَلْتَدِمُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَ تَتْرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا، وَ لَا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَ لَهَمَّتْ كُلُّ أَمْرِيءٍ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ غَيْرِهَا، وَ لَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَ أَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنكُمْ رَأْيِكُمْ، وَ تَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ، وَ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ

١- في م: و جاهد في سبيل الله.

٢- في ض و ح و ف: بصر من اهتدى.

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَالْحَقْنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ.
 قَوْمٌ، وَ اللَّهُ، مِيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْجِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ،
 مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ، مَضَوْا قُدُمًا عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَ أَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ،
 فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ، أَمَا وَاللَّهِ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ
 غُلَامٌ ثَقِيفٌ الذِّيَالُ الْمِيَالُ: يَأْكُلُ خُضْرَتَكُمْ، وَ يُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيَّاهُ أَبَا
 وَذَحَةَ!

أقول: الودحة: الخنفساء، و هذا القول يومىء به إلى الحجاج، و
 له مع الودحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

(١١٧) و من كلام له عليه السلام

فَلَا أَمْوَالَ بَدَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَ لَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي
 خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَ لَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ،
 فَاعْتَبِرُوا بِنَزْوِلِكُمْ^(١) مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ انْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلِ^(٢)
 إِخْوَانِكُمْ.

(١١٨) و من كلام له عليه السلام

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْبُجُنُّ يَوْمَ
الْبَأْسِ وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَ أَرْجُو طَاعَةَ
الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصِحَةِ خَلِيَّتِي^(١) مِنَ الْعِشِّ؛ سَلِيمَةً مِنَ الرَّيْبِ؛
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

أقول: الجنن: جمع جنّة وهي ما استترت به من سلاح. و بطانة
الرجل خاصّته.

(١١٩) و من كلام له عليه السلام

وقد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا ملياً

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَا بِالْكُم^(٢) لَا سُدُّتُمْ لِرُشْدٍ، وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ؟ أَفِي مِثْلِ هَذَا

يَنْبَغِي لِي^(٣) أَنْ أَخْرُجَ؟! إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ

مِنْ شُجْعَانِكُمْ^(٤) وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ، وَ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْمِصْرَ،

وَالْجُنْدَ، وَ بَيْتَ الْمَالِ، وَ جِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ،

وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ.

١- في ك و ر و ل و ش: بمناصحة جلية.

٢- في ش: مالكم.

٣- في ب: ينبغي ان اخرج.

٤- في ش: من شجعانكم.

ثُمَّ أَخْرَجَ فِي كِتَابِيَّةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى اتَّقَلُّلُ تَقَلُّلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ
الْفَارِغِ. وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى: تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهَا
اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَ اضْطَرَبَ ثُفَالُهَا هَذَا - لَعَمْرُ اللَّهِ - الرَّأْيُ السُّوءُ!!
وَاللَّهِ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ^(١) عِنْدَ لِقَائِي^(٢) الْعَدُوِّ.

لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، فَلَا
أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شَمَالٌ. (طَعَّانِينَ، عِيَّابِينَ، حَيَّادِينَ،
رَوَّاعِينَ إِنَّهُ لَا غِنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ لَقَدْ
حَمَلْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ
اسْتَقَامَ فَالَى الْجَنَّةِ، وَ مَنْ زَلَّ فَالَى النَّارِ)^(٣).

(١٢٠) و من كلام له عليه السلام

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلَّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَ اِئْتِمَامَ الْعِدَاتِ، وَ تَمَامَ
الْكَلِمَاتِ، وَ عِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحِكْمِ، وَ ضِيَاءُ الْأَمْرِ، أَلَا، وَ إِنَّ
شَرَاعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَ سَبِيلُهُ فَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحِقَ وَ غَنِمَ، وَ مَنْ
وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَ نَدِمَ.

١- في م: رجائي للشهادة.

٢- في ش: عند لقاء العدو. ح و ب: العدو ولو قد حم.

٣- ساقطة من ف و م و ن و ل و ش.

اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرٌ لِبِهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَ غَائِبُهُ أَعْوَزُ، وَ اتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَ قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَ حَلِيبَتُهَا حَدِيدٌ، (وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ)^(١).
 أَلَا، وَ إِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ، يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ الْمَالِ يُورَثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ.

بيانه

أظهر عليه السلام لما استسقى الله الضعف والعجز، و شدة الزمان، و اجتواء المكان تشبيها للشروع في السؤال والدعاء لطلب الماء، فقال: اللهم و تحقيقه يا الله والميم بدل من حروف النداء.
 قيل: تقديره يا الله بالخير علم بالخلائق كيفية المسئلة من الله تعالى؛ و أنهم يتضرعون و يقولون: يا ربنا إن أحوال الأرض قد تغيرت فجبالها قد تشققت من قلة الامطار مع صلابتها، و صار سهل الأرض مغبراً حيث كان مرعى للحيوانات، فهي هائمة متحيرة في مراتعها و مراتعها تعج، و تصيح من الجوع والعطش، كما تعج النساء اللواتي مات أولادهن.
 فان حرمتنا لسوء أعمالنا، فارحم هذه الحيوانات التي لا ذنب لها، و ربوض البقر والغنم والفرس مثل بروك الابل والمرضى منه والحنين للابل والأبنين للغنم، يقال: ماله حانة و لا آنة، أي ناقه و لا شاة و اعتكر الظلام: اختلط كأنه كربعه على بعض لبطاً انجلاته، و قيل: اعتكر عطف.

قال ابن دريد^(١): كل كاره بعد الفقر فقد اعتكر، ثم قال: اللهم جئنا اليك حين عطفت علينا سنو القحط، وفرعنا إلى كرمك، إذ خالفنا أمارات مجيء المطر، وأنت رجاء الراجين والمبتئس الحزين.

الكاره المشتكي الذي هو في الشدة والعذاب، قال تعالى: «لا تبتئس»، أي لا تحزن ولا تشتك وأنت يا رب البلاغ للملتمس، أي الكفاية والكافي للطالب، ندعوك حين قنط أكثر الأنام وخاب الخلق.

إنما قال: «منع الغمام»، على ما لم يسم فاعله ولم يصف المنع إلى الله الذي هو الفاعل لذلك تأديباً وعلماً بـ «إن الله لا يُغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم»^(٢) و كأنهم هم المغيرون و رُوي «و منع الغمام»، أي منع السحاب المطر، والسوائم والسائم بمعنى وهو المال الراعي^(٣).

يقال: سامت الماشية، تسوم سوماً، أي رعت فهي سائمة، و جمع السائم والسائمة سوائم، أي ندعوك أن لا تؤاخذنا بسوء أفعالنا والأخذ التناول، ونسألك يا رب أن لا تجعلنا أسراء بسبب ذنوبنا والخذ: الاسير و أن لا تؤاخذنا أخذ العقوبة بسببها.

أرحمنا بنشر السحاب المنبعق بالمطر السائل به، و انبعث المزن و تبعق: أي تصب بشدة، و أعطنا خيرات الربيع الكثير، الخير من غدقت عين الماء: أي غزرت و أرنا النبات المونق، أي المعجب و سحا و ابلا مصدر من غير لفظ الفعل الذي قبله هو قوله: أما انشر و ما في معنى الفعل و هو

١- محمد بن الحسن ابوبكر بن دريد مضر الازدي القحطاني البصري الامامي اديب فاضل شاعر لغوي، أخذ عن الرياشي وأبي حاتم السجستاني كان واسع الرواية لم ير أحفظ منه.
قال المسعودي: وكان ابن دريد ببغداد ممن يرع في زماننا هذا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن احمد له مصنفات منها كتاب الجمهرة توفي سنة ٣٢١.

٢- الرعد: ١١.

٣- في م: وهو الراعي.

المنبعق.

الوايل: المطر الشديد، وقوله: ما قد مات من الحيوانات و ما قد فات من الزروع والثمرات والسقي مصدر سقى، والسقيا بالضم الاسم، أي اللهم ارزقنا سقيا تروينا و يحيى دواننا، و وزن سقيا فعلى و هي مؤنثة والمربعة الخصبية.

أمرع الوادي: صار ذا كلاء و مرع أبلغ منه زاكياً، أي نامياً و ثامراً، أي ذا ثمر ينعش، أي ترفع اللهم أعطنا من كرمك سقياً، أي أمطاراً تصير بها نجادنا ذات عشب.

النجد ما ارتفع من الارض والجمع نجاد و نجود. والوهدة: المكان المطمئن والجمع و هد و وهاد، أي تجرى بتلك الأمطار سيول وهاد و أخصب، صار خصباً.

قوله: «و تندى بها اقاصينا»، أي ينال الأبعاد أيضا من ثمار أرضنا شيئاً قليلاً و كثيراً و قوله: والندى المطر القليل و نستعين بخير أرضنا^(١)، ضواحيننا: أي نواحيننا، يعني أهل نواحيننا و بريتك المرملة: خلقك الفقراء. يقال: أرمل القوم، أي نفد زادهم، أي ارزقنا من جملة عطاياك الجزيلة العظيمة على الوحش التي لا أرباب لها (فيقوموا بكفائتها و قد أهملتنا يا رب في فلواتها و لا ذنوب لها)^(٢). و أنزل علينا سماء مخضلة: أي مطراً يصير ذا بقول: مخضلة والسماء المطر هاهنا، و انما أنت على نية الأمطار قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناها و أن كانوا غضابا
اخضل الشيء: أي ابتل و روى الا كثرون مخضلة من اخضلت

٢- بين الهلالين في الرضوية.

١ م: بخيرات أرضنا.

الشيء، أي بللته و شيء خضل، أي رطب و قيل في هذه الرواية الأولى التي هي مخضلة أنها كناية عن أمطار كثيرة يصير بها النبات خضلاً عمًا والودق المطر و يحفز، أي يدفع دفعاً شديداً، أي أمطاراً يتتابع أقطارها.

البرق الخلب: الذي لا مطر فيه و لا معه، والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه. والعارض: السحاب الأبيض، و قيل: هو سحاب تراه كأنه دون سحاب يكون أسود و أبيض. والشفان: مشتق من الشفيف، و هو شدة البرد و هو ينصرف هاهنا لانه نكرة و لأمراعها، أي لأخصابها.

المجدبون: الذين يكونون في الجذب، و هو القحط. والمستنون: الذين يكونون في السنة، و هي القحط الشديد الدائم، و أسنى دخل في السنة التي هي العام، أسنت دخل في السنة التي هي القحط الطويل.

و أما البيت الذي استشهد به الرضي، فقد أخذ على قائله قوله: «إلا مناخة فقيل: أن ألا لا يجوز اقحامها هنا كما لا يجوز أن يقول: ما نزال إلا قائماً، و عذره أن أنفك هذه ليست بالناقصة بل هي بمعنى انفصل فالأعلى هذا في مكانه، أي لا يفارق أو طائناً إلا مناخة على الخسف والذل.

قوله: «غير وان و غير واهن»^(١)، أي ضعيف و لا معذر، أي مقصر و التعذير في الأمر، التقصير فيه و الغيب، ما غاب عنك، تقول غاب غيباً و غيبة و قوله لأصحابه: «ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه»، لا يدل على أنه يعلم الغيب، فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسوله ولكنه سبحانه: «أوحى إلى عبده ما أوحى»^(٢)، و رسول علم علياً (عليهما الصلاة والسلام) ما احتاج إليه أمته بعده من ذلك.

الصعدات: جمع صعيد كما يجمع طريق على طرق و طرقات و يعني

بها الفلوات بخط الرضي الصعدات الطرق و تلتدمون: أي تضربون وجوهكم و صدوركم بالاكف من قولهم: التدم النساء، أي ضربن الوجوه والصدور في النياحة.

قيل: تلتدمون، أي تضربون و لا خالف عليها، أي لا يكون من يخلف مكانه فيها. و لهمت: أي حزنت، و روى لاهمت، أي حزنت، و روى لاهمت، أي أذابت فناه رأيكم، أي عجز والعاجز المتحير و تشتت: أي تفرق مضوا قدماً، أي مضوا و لم يعرجوا على شيء، و كانوا على الطريقة المستقيمة.

أو جفوا أسرعوا والمحجة جادة الطريق والكرامة الباردة التي لاجر عمل^(١)، و لا بلاء فيها والذيال المتبختر من ذالت المرأة تذييل، أي جرت ذيلها و أيه: أي زدنا و هات.

روي أن الحجاج كان يوماً يصلى على سجادة فأقبلت خنفساء تدب إليه فقال: نحو هذه فانها وذحة من وذح الشيطان قال ابن دريد: الودح ما تعلق بأصواف الضأن من أبواها و أبعادها والواحدة وذحة.

قال بعض الناس: أن الحجاج كان مخنثاً و لعله كان يأخذ الخنفساء و يجعلها على مقعده لتعض ذلك المواضع فيسكن بعض علته، كما كان أبو جهل يفعل شيئاً قريباً منه و روي عن اوصل اخوانكم.

الجنة: ما استترت به من سلاح والجمع جنن و بطانة الرجل وليجته و خواصه، و بطانة الثوب خلاف ظهارته و مناصحة جليلة، ظاهرة واضحة و روى خلية من الغش، أي خالية من الحيانة وسكتوا ملياً، أي ساعة.

جباية الأرض: جمع ارتفاعاتها و خراجها. والكتيبة: قطعة من

الجيش. تقلقل: تحرك مع اضطراب تقلقل القدح في الجفير، أي مثل اضطراب سهم في كنانة واسعة، الجفير أوسع الكناين. و استحار مدارها: أي تردد، والمستحير سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه.

الثفال: جلد يبسط فيوضع فوقه الرحى الصغيرة فيطحن باليد ليسقط عليه الدقيق، فإذا كان هذا الجلد مضطرباً يتبدد الدقيق الذي هو الغرض من إيجاد الرحى. و حم: أي قدر. و شخصت: أي ذهبت. و ما اختلفت: أي ما جاءت و ذهبت، أي مدت هبوبها، أي أبداً و قيل: مادام هاتان الريحان يخالف بهما في الهبوب.

طعانين عيابين أي حالكم أنكم تطعنون باللسان فيمن هو فوقكم و تعيون من هو مثلكم تحيدون عن الحق، و تروغون روغان الثعلب، حلف أنه يكره المقام فيما بين أهل الكوفة فانهم مع اجتماعهم بالأبدان متفرق قلوبهم.

ثم حلف فقال: «تالله علمت تبليغ الرسالات»، أي ما أمره الله من أحكام الشرع، ثم قال: «و إتمام العادات»، أي و علمت إتمام العادات، و كأنه إشارة إلى ما كان من رسول الله من المواعيد للناس.

ثم توفي صلى الله عليه و آله فقضاها عنه امير المؤمنين عليه السلام، لقوله: من يقضي ديني و ينجز وعدي. الخبر بتمامه، ثم قالم «و تمام الكلمات»، أي و علمت تمامها يعني تأويل كلمات الله الذي هو تمامها و أكد كونه عالماً بجميع ما يحتاج الأمة اليه بقوله: «عندنا أهل البيت أبواب الحكم»، و نصب أهل البيت على المدح، و سبل الدين قاصدة: أي عادلة و مستوية، و قصد السبيل سواؤه ليوم تبلى فيه السراير: أي يختبر فيه الضمائر.

(١٢١) و من خطبة له عليه السلام

و قد قام رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا
أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا: فَإِنْ
اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنْ اغْوَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَيْبَسْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ؛
لَكَانَتْ الْوُثْقَى، وَ لَكِنْ بِمَنْ؟ وَ إِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ
دَائِي، كَنَاقِشِ الشُّوكَةِ بِالشُّوكَةِ، وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا.

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطْبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَ كَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ
الرَّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ؟ وَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ
فَأَحْكُمُوهُ، وَ هَيِّجُوا إِلَى الْجِهَادِ^(١) فَوَلَّهُوا اللَّقَاحَ^(٢) إِلَى أَوْلَادِهَا، وَ
سَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَ صَفًّا
صَفًّا؟ بَعْضُ هَلْكَ وَ بَعْضُ نَجَا!

٢- في ض و ح و ب: فولهوا وله اللقاح

١- في ب: الى القتال.

لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ بِالْمَوْتَى، مُرُّهُ الْعُيُونِ مِنَ
 الْبُكَاءِ، حُمْصُ الْبُطُونِ، مِنَ الصِّيَامِ، ذُبْلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صَفْرُ
 الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ، عَلَى وَجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ، أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي
 الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظُمَ إِلَيْهِمْ، وَ نَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ، إِنَّ
 الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرْقَهُ، وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عَقْدَةً عَقْدَةً،
 وَيُعْطِيكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَعَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ، وَ اقْبَلُوا
 النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَ اعْقُلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

(١٢٢) و من كلام له عليه السلام

قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة
 فقال عليه السلام: أَكَلُّكُمْ شَهْدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: مِثَّا مَنْ
 شَهَدَ، وَ مِثَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ قَالَ فَاْمْتَاَزُوا فِرْقَتَيْنِ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهَدَ صِفِّينَ
 فِرْقَةً، وَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى أَكَلَّمْ كَلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ، وَ نَادَى
 النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَ اقْبَلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ
 إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقْلُ بِعِلْمِهِ فِيهَا ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْ مِنْهُ:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ - حِيلَةً وَ غِيْلَةً، وَ مَكْرًا، وَ
 حَدِيْعَةً - إِخْوَانُنَا، وَ أَهْلُ دَعْوَتِنَا: اسْتَقَالُونَا، وَ اسْتَرَاخُوا إِلَيَّ كِتَابِ اللَّهِ

سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ
ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ.

فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالزُّمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ
بِنَوَاجِدِكُمْ، وَ لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقِ نَعَقِ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ
(وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفِعْلَةُ، وَ قَدْ رَأَيْتُكُمْ أُعْطِيْتُمُوهَا وَ اللَّهُ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا
وَ جَبَّتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَ لَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا، وَ وَاللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي
لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي: مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ^(١)).

فَلَقَدْ^(٢) كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ إِنْ
الْقَتْلَ لِيَدُورُ بَيْنَ الْآبَاءِ^(٣) وَ الْأَبْنَاءِ وَ الْإِخْوَانِ وَ الْقَرَابَاتِ فَمَا^(٤) نَزْدَادُ
عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَ شِدَّةِ إِلَّا إِيْمَانًا، وَ مُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَ تَسْلِيمًا
لِلْأَمْرِ، وَ صَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ، وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ
إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ، وَ الْإِعْوجَاجِ وَ الشُّبُهَةِ
وَ التَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خِصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَ نَتَدَانِي بِهَا إِلَى
الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ رَغِبْنَا فِيهَا، وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

١-ساقطة من فوم و نوح و ل و ش .

٢-في ض و ح و ب : على الآباء .

٣-في ش : ولقد كنا .

٤-في ب : فلا تزداد .

(١٢٣) و من كلام له عليه السلام

قاله لأصحابه في ساعة الحرب

وَ أَيُّ أَمْرِيءٍ مِنْكُمْ أَحْسَسَ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَاشٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَ رَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا، فَلْيَذُبْ^(١) عَنْ أَخِيهِ، بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ. فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ إِنْ أَلْمَمَ^(٢) طَالِبٌ حَتِيثٌ: لَا يَقُوْتُهُ الْمُقِيمُ وَ لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ. إِنْ أَكْرَمَ الْمَوْتَ الْقَتْلُ، وَ الَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ^(٣) مِنْ مَيْتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ (في غير طاعة الله)^(٤).

و منه: وَ كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضَّبَابِ، لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا، وَ لَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا! قَدْ خُلِّتُمْ وَالطَّرِيقَ. فَالْنَّجَاهُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَ الْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

٢- في ش: فان الموت.

١- في ر: و روى فليدب.

٣- في ض و ح و ب: اهون علي من ميتة.

٤- ساقطة من م و ف و ن و ل و ش.

(١٢٤) و من كلام له عليه السلام

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَ أَخْرُوا الحَاسِرَ، وَ عَضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ
أَنْبَى لِلشُّيُوفِ عَنِ الهَامِ، وَالتَّوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ
لِلْأَسِنَّةِ، وَ عَضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ، وَ أَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَ
أَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ، وَ رَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا، وَ لَا
تُخْلُوهَا وَ لَا تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَ المَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ،
فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الحَقَائِقِ، هُمُ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ^(١)، وَ
يَكْتَنِفُونَهَا: حِفَافِيهَا، وَ وَرَاءَهَا، وَ أَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ^(٢) عَنْهَا
فَيَسْلِمُوهَا، وَ لَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرَدُوهَا.

أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ، وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَ لَمْ يَكِلْ^(٣) قِرْنَهُ إِلى
أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَ قِرْنُ أَخِيهِ. وَ أَيُّمُ اللهُ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ

١- في ف و ن: يحفون راياتهم.

٢- في ب و ش: ولا يتأخرون.

٣- في ع: ولم يتكل.

الْعَاجِلَةَ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ، أَنْتُمْ^(١) لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ
 الْأَعْظَمُ. إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ، وَالذُّلُّ الْإِلَازِمُ، وَالْعَارَ الْبَاقِي، وَإِنَّ
 الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ مَنِ رَاحَ^(٢)
 إِلَى اللَّهِ، كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ، الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ
 تُبَلَى الْأَخْيَارُ (وَاللَّهُ لَأَنَا أَشَوْقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ)^(٣).

اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَ
 أَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ؛ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دِرَاكِ
 يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، وَ يُطِيحُ الْعِظَامَ، وَ يُنْدِرُ
 السَّوَاعِدَ، وَالْأَفْدَامَ، وَ حَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ، وَيُرْجَمُوا
 بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ^(٤)، وَ حَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ
 الْخَمِيسُ، وَ حَتَّى تَدْعَقَ الْخَيُْولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَ بِأَعْنَانِ
 مَسَارِبِهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ.

أقول: الدعق: الدق، أي: تدق الخيول بحوافرها أرضهم، و
 نواحر أرضهم: متقابلاتها، يقال منازل بني فلان تتناحر، أي: تتقابل.

بيانه

التصفيق: باليد التصويت بها و هو أن يضرب الانسان يده على يده،

٢- في ض ب: الرائح الى الله.

٤- في ع: تقفوها الجلاتب.

١- في ض و ح و ب: وانتم.

٣- ساقطة من م و ف و ن و ل و ش.

والعقدة: بالضم موضع العقد، وهو ما عقد عليه (و قوله: من ترك العقدة، أي رأيه الذي كان عقده)^(١)، و يقال: للرجل اذا سكن غضبه قد تحللت عقده.

روي أن معاوية لما أحس بصفين الظفر للامام على عليه السلام أمر برفع المصاحف خديعة و قال: نحن إخوانكم نستقبلكم و نريد الحكمين. فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: لا تتخذوا بذلك و اضطربوا ساعة ينزل النصر فقالوا: ادع الاشر و امنعه عن محاربتهم فانهم اخواننا و عليك بالحكمين.

كان قد عقد العزم على حربهم إلى أن يأتي الله بالفتح، فأبوا و قالوا: أن لم ترض بالحكمين قاتلناك، فترك عقده على تلك العزيمة اضطراباً و مداراةً فالتبس على جماعة صاروا خوارج ذلك حتى قال أحدهم: نهيت عن شيء ثم أمرت به و هذه مناقضة.

فقال عليه السلام: كان رأيي ترك الحكمين، و أبيت إلا ذلك، رجعت إلى رأيكم، لثلا يختلف الكلمة، و لم يكن لي ناصر يمكني تقويم عوجكم به، و تركت عقدي و دارأتكم و قد قال النبي صلى الله عليه و آله: «استعيدوا بالله من شر من أحسنتم اليه».

مره العيون: أي قرحى العيون، من مرهت عينه تمره مرها: إذا فسدت لترك الكحل، و هي عين مرهاء. و خمص البطن: أي ضميرها، يقال: هو خميص الحشا: أي ضامر البطن، و المخمصة الجوعته، و قوله «أن الشيطان يسنى لكم طرقه»، أي يسهل و يريد أن يدخلكم فيه.

يقال: سنى الله الأمر، أي فتحه و سهله فأسدفوا، أي انصرفوا عن

نزغاته، أي عن افساده و اغرائه و طعنه والنفت: شبيه بالنفخ كما ينفث الساحر.

قال تعالى: «النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ»^(١)، فاذا عزم مؤمن على طاعة فكأنه عقد رأيه عليها، فكفي عن حيل الشيطان ليصرفه عن تلك الطاعة بالنفثات، كناية عن حلها بها و أهداها من الهداية و اعقلوها، أي احبسوا نصيحتي عن أنفسكم.

قوله: «فامتازوا»، أي انفردوا و كونوا على حدة كل فرقة معترلة عن صاحبها، يأمر كل فرقة من الفرقتين أن ينفصلوا، و قوله: «فمن نشدناه شهادة»، أي طلبنا من الشهادة مقسماً بالله عليه فيها فليقل ما يعلمه فيها. والتنفيس: التفريج. والعدوان: الظلم، والناعق: الناعر في الفتنة. والمضض: شدة الالم. والزيف: الميل.

قوله: «فاذا طمعنا في خصلة»، اشارة إلى مرادهم في التحكيم أن حكموا على كتاب الله و سنة رسوله ويلم الله شعثنا، أي يجمع الله بمداراتنا معهم تفرقهم^(٢)، تتداني و نتقرب بتلك الخصلة البقية، و هي نحوها^(٣)، و روى التقيية ثم قال: «كيف يصح لي أن أداري امركم و أنتم دائي» ثم ضرب المثل المعروف في حق اكثر أصحابه الذين يميلون الى الشاميين لقله ديانة جميعهم.

فقال: انا كناقش الشوكة، أي مثل رجل مستخرج شوكة من رجله بشوكة مثلها، و لا يخفى عليه ان مثل الشوكة يكون مع جنسها و نقشت الشوكة من الرجل، أي استخرجتها بالمنقاش.

٢- في ح: تفرقهم معنا.

١- العلق: ٤.

٣- في م: الى البقية، أي الابقاء الى البقية و هي نحوها.

يقال: خاصمت فلانا فكان ضلعك عليّ، أي ميلك معه و هواك، ويضرب هذا المثل لمن يخاصم آخر فيقول: اجعل بيني وبينك فلانا لرجل يهوى هواك و نحو ذلك. والداء: المرض، و الوجد الدوي الشديد كما يقال: ليل أليل.

كلت أي أعيت و تعبت. و «الزعة» جمع نازع، و هو الآخذ الماء من البئر القريبة باليد. و الشطن: الحبل. و الركية: البئر، و الجمع ركى. و وهوا: أي تحيروا، مثل تحير اللقاح، و هن الابل الحلوبة^(١)، الواحد لقوح، و هي الحلوب فهي تسمى لقوحا شهرين، أو ثلاثة ثم هي لبون.

و روى الأكثرون فوهوا اللقاح أولادها يقول: أين الذين إذا دعوا الى مجاهدة العدو و هيجوا اليها ركبوا اللقاح و فرقوا بينها و بين أولادها و أخذوا بأطراف أرض العدو يزحفون اليهم زحفا يقتلون و يقتلون.

و من صفاتهم أنهم «مره العيون» يكون بالليل خشية النار و يصومون بالنهار لرضا الجبار. و التولية: ان يفرق بين المرأة و ولدها. و زحفاً زحفاً نصب على الحال، و الزحف: الجيش يزحفون الى العدو بسكينة لكثرتهم كزحف الصبي قبل أن يمشى و أحس: وجد. و رباطة الجأش: ثبات القلب.

فشلا: جنباً و ضعفاً. و ليزب، أي ليدفع دفعاً شديدة مرة بعد أخرى و روى فليذب و روي بفك الادغام فليدب. و النجدة: الشجاعة. و حثيث: سريع. و كشيش الضباب: صوتها، أي تصيحون صيحة ضعيفة و كشيش الأفعى صوتها من جلدها لا من فها. و ضياً، أي ظلماً.

و قوله «و خليتم و الطريق» أي تركتم مع الطريق. و المقتحم: الداخل

١- في ج: تحير الابل الحلوية و هن اللقاح.

و روى للمقتحم و المتلوم: المنظر و التلوم: التمكث ثم أمر بتقديم الدارع و هو ذو الدرع في الحرب، و تأخير الحاسر و هو الذي لا مغفر عليه و لا درع، و عضوا على الاضراس كناية عن تسكين النفس و الصبر.

و انبأ أفعل من نبأ السيف اذا لم يمض في الضريبة. و التوى و تلوى بمعنى و كلاهما مطاوع لويت أعناق الرجال في الخصومة، قال تعالى: «لووا رؤسهم»^(١)، و مار يمور: اذا ذهب و جاء، و أمور أفعل منه و اربط للجأش: أي أثبت للقلب.

الذمار ما وراء الرجل مما لحق عليه يحميه أن و إنما سمي ذماراً لانه يجب على أهلها التذمر له، و الحقائق جمع حقيقة لأنه يحق على أهلها الدفع عنها.

«يحفون براياتهم»: أي يطوفون بها و يكونون حولها و حفافا الشيء جانباه. و يكتنفون: أي يحيطون بها. «أجزاء إمرؤ قرنه»: أي كفاه يقال: أجزأني الشيء، أي كفاني. و القرن: المقارن في الحرب، و روي و أسى بواو العطف أيضاً و هو من المواساة.

«لم يكل قرنه إلى أخيه»، من وكلته إلى نفسه و الأمر موكول إلى رأيه، أي لم يجمع على مؤمن بلاء قرنه و قرن نفسه و «لهاميم العرب»: ساداتهم و هي جمع لهوم، و هو الجواد من الناس و الخيل.

وصفهم بالسنام الأعظم لأن سنام الأرض مجدها و وسطها يجوز أن يكون المراد كل واحد منكم بمنزلة السنام في البعير و هو أرفع شيء منها. الأحسن أن يكون المراد، و أنتم ذو السنام الأعظم، و قد تقدم مثله «و موجدة الله»: أي سخطه و غضبه و روى الذل اللازم و اللازم و اللازم

بمعنى واحد. «و افضض جماعتهم»: أي فرقهم. و أسلمهم: أي أسلمهم إلى الهلكة، يقال: أسلت فلاناً، أي أسلمته إلى الهلاك. و طعن دراك: متتابعة^(١). يطيح: يرمي و يندر، أي يسقط. والمناسر: جمع منسر و هو قطعة من الجيش. و يرموا: أي يرموا بالكتائب: أي بالجيوش. تقفوها الحلائب: أي تتبعها الأنصار من بني العم خاصة. و يتلوه الخميس، أي يتبعه الجيش الكثير. الاعنان: الجوانب و أعنان السماء: صفايحها و ما اعترض من أقطارها كأنه جمع عنن و المسارب: المذاهب: يقال: سرب النحل يسرب سروباً إذا توجه للرعى و المسارح: المواضع التي يسرح المال السائم فيها. قال تعالى: «و حين تسرحون»^(٢)، يقال: سرحتها سرحاً و سرحت هي بنفسها سרוحة يتعدى و لا يتعدى، و يقال: سرحت بالغداة و راحت بالعشي و المعنى من قوله «أنهم لن يزولوا عن مواقفهم» إلى آخره بعد أن دعا عليهم و قال: يا رب خذهم.

يقول عليه السلام لأصحابه وقت المحاربة: أنهم، أي ان هؤلاء الأعداء لا يزولون البتة أبداً عن المواضع التي وقفوا فيها لمحاربتكم إلا بطعن دراك، أي متتابع لا تهب الريح بين تلك الطعنات لشدة تتابعها، يقال: دارك الرجل صوته: أي تابعها.

ثم قال: و لا يزولون الا بضرب يجمع بين الهام و الاقدام، أي هؤلاء الأعداء لا يزولون عن مواقفهم الا بأن يجز الخميس ببلادهم، و حتى يدق أفراسكم في أراضيمهم بجوافرها و بمراعي إبلهم و مراعيها فتساق و يغار يحث أصحابه بهذا على الجهاد.

* * *

(١٢٥) و من كلام له عليه السلام

في التحكيم

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرَّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، وَ هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلسَانٍ، وَ لَا بَدُّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ (وَ لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَّ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ: أَنْ نُحَكِّمَ بِكِتَابِهِ، وَ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ)^(١).

وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِتَبْيِينِ الْجَاهِلِ، وَ يَتَبَيَّنَ الْعَالِمُ، وَ لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَ لَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعَجَّلَ عَنْ تَبْيِينِ

الْحَقُّ، وَ تَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ (١) اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّثَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَ زَادَهُ، فَأَيْنَ يُتَاهُ (٢) بِكُمْ؟ وَمِنْ أَيْنَ أُتَيْتُمْ؟

اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ (٣) حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَ مُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعِدُّونَ بِهِ! جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ، نُكْبٍ عَنِ الطَّرِيقِ، مَا أَنْتُمْ بِوَيْثِقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، وَ لَا زَوْافِرَ (٤) يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا، لَيْسَ حُشَّاشٌ (٥) نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أَفْ لَكُمْ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا (٦)!! يَوْمًا أَنْادِيكُمْ؛ وَ يَوْمًا أَنْاجِيكُمْ! فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَّةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ.

بيانه

لما أنكر الخوارج تحكيم الرجال و ذموا علياً و أصحابه قال: انا لم نحكم الرجال، يقال: حكم الله زيد، أي جعله حاكماً و قاضياً بين الناس، و القرآن مكتوب بين الدفتين كان الصحابة و التابعون، من بعدهم أولاً يأخذون، خشبتين عريضتين على مقدار الأجزاء المشدودة الموصول بعضها ببعض من الرق المسطور كتاب الله عليه (٧) و يجعلون عليها الجلود.

١- في ش: أفضل الناس الى الله.

٢- في ب: اين يتاه بكم من اين اتيتم. ر: فاني يتاه بكم.

٣- في ب: في قوم حيارى

٤- في ض و ح و ب: ولا زوافر عز يعتصم

٥- في ر: و روى خشاش نار الحرب.

٦- في ك: قرحا. ر: روى ترحا.

٧- في م: عليه كتاب الله.

و كان ذلك مجلد المصحف فذانك الخشبان هما الدفتان، دفا البعير: جنباؤه و ترجم فلان اللفظ العربي و غيره: إذا فسرهُ بلسان آخر، و منه الترجمان مثل زعفران و ضم التاء و الجيم أكثر.

قوله: «ليتبين الجاهل، و يتثبت العالم»، أي ليعلم الجاهل و يتحقق العالم يقيناً و الثبوت خلاف الاقدام، و المراد به الثاني و في الحديث التبين من الله و العجلة من الشيطان؛ فمقابلة التبين بالعجلة دلالة على تقارب الثبوت و التبين و الهدنة: الصلح و الاكظام مخارج التنفس.

يقال: أخذت بكظمه أي مخرج نفسه، و الجمع الكظام و كثره الغم يكرثه، أي اشتد عليه و بلغ منه المشقة و أكرثه مثله، فأين يتاه بكم، أي يحيركم و روي فأنى يتاه و موزعين: أي مغرين.

يقال: أوزعته بكذا، أي أغررته به لا يعدلون به: أي لا يعدلون بالجور شيئاً آخر يعني لا يرضون الا بفعل الظلم و نكب عن الطريق، أي عادلين عنه جمع نكوب من نكب، أي عدل و قوله: «ما أنتم بوثيقة»، أي بثقة و اثتان، يقال: وثقت بفلان إذا ائتمنته.

الوثيق: الشيء المحكم، و لا أنتم زوافر، أي أنصاراً و أعواناً يعتصم و يلجأ إليها و زافرة الرجل عشيرته و أنصاره، لبئس حشاش الحرب و الابهاء^(١)، و الحشاش هو ما يحش به كالضرام روي حشاش جمع خاش و هو من خششت النار، أي أوقدتها.

«اف لكم»، أي تبا لكم لقيت برحاً، أي شدة منكم و روي ترحاً: أي حزناً أناديكم بالصوت العالي و في الظاهر. و أناجيكم: أي اساركم و أقول لكم في خفية و النجاء المناجات.

(١٢٦) و من كلام له عليه السلام

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي ^(١) أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟ وَاللَّهِ
مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أُمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا وَ لَوْ كَانَ
الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ! أَلَا، وَ إِنِّ إِعْطَاءَ
الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَ إِسْرَافٌ، وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَ
يَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَ يُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَ يَهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَ لَمْ يَضَعْ
أَمْرًا مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَ عِنْدَ ^(٢) غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَ
كَانَ لِعَیْبِهِ وَ دُھْمُهُ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَيَّ مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ
خَدِينٍ ^(٣)، وَ الْأَمُّ خَلِيلٌ.

١- في حاشية م: أتأمروني.

٢- في ب و لا عند غير اهله.

٣- في ح و ل و ش: فشر خليل و الام خدين.

بيانه

قوله: «أتأمروني»، أصله تأمروني: سكن النون أولاً و أدغم في الثانية، و حسن التقاء الساكنين لما بينهما من المد نحو الضالين، و روي وليت عليه و قوله: «والله لا أطور به»، أي لا أقربه و لا أدور طوره و حوله، و طوار الداء. ما كان ممتداً معها من الفناء و عدأ طوره، أي جاوز حده تبذير المال تفريقه اسرافاً. والخدين: الصديق.

(١٢٧) و من كلام له عليه السلام

أيضا للخوارج

فَإِنْ أُبَيِّنُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَ ضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلُّونَ
عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، بِضَلَالِي، وَ تَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي
وَ تَكْفُرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟! سَيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ
الْبُرِّ وَ السُّقْمِ وَ تَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذَنْبِ، وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، رَجَمَ الزَّانِيَّ (الْمُحْصَنَ) ^(١) ثُمَّ صَلَّى
عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَ قَتَلَ الْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَ قَطَعَ
السَّارِقَ ^(٢) وَ جَلَدَ الزَّانِيَّ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفِيءِ، وَ
نَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ.

فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، بِذُنُوبِهِمْ، وَ أَقَامَ حَقَّ
اللَّهِ فِيهِمْ، وَ لَمْ يَمْنَعَهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَ لَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ
بَيْنِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَ مَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَ

٢- في ح: قطع يد السارق.

١- ساقطة من م و ف و ن و ع و ش.

ضَرَبَ بِهِ تَبَهُهُ.

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرَطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَ مُبْغِضٌ مُفْرَطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَ خَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالزَّمُوهُ، وَالزَّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّبِّ! أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ.

وَ إِنَّمَا ^(١) حُكْمُ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَ يُمَيِّتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَ إِحْيَاؤُهُ الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَ إِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ: فَإِنَّ جَرْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَ إِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بَجْرًا، وَ لَا خَتَلْتُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَ لَا لَبَسْتُمْ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلِكِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَ تَرَكََا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَ الصِّدْقِ لِلْحَقِّ؛ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا.

بيانه

قوله: «التيه»، المفازة يتاه فيها، و تاه في الارض: ذهب متحيراً، فقال: لهؤلاء، الخوارج أنتم الذين رمى بكم الشيطان المهالك التي هي مراميه و ضرب بكم تيهه: أي حيركم. والمفرط: المتجاوز للحد والمفرط الغالي، والمبغض: القالي كما ورد في خبر آخر.

النمط: الجماعة من الناس و يعني بالنمط هنا الجماعة الذين لا يعتقدون فيه الألهية و لا النبوة، و لا أنه كأحد من أفناء الناس بل يعلمون أنه ولي الأمر بعد رسول الله و هو الامام المعصوم من قبل الله.

«السواد الأعظم»، الفرقة المحقة والعدد الكثير الذين فيهم حجة، فاجماعهم حجة. والشاذ: المنفرد. «فلم آت بجرا»: أي غراً و أمراً عظيماً، ثم دعا عليهم فقال: «لا أبا لكم»، و لا أب لكم. قول العرب: لا أبا لكم مورد الكلمة للمدح والتعجب و ربما قالوا: لا أباك لان اللام كالمقمخة^(١)، والملاء جماعة من الأشراف و تعديا القرآن تجاوزا أحكامه، والصد: القصد.



(١٢٨) و من كلام له عليه السلام

فما يخبر به عن الملاحم بالبصرة

يَا أَحْتَفُ، كَانِي^(١) بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ،
وَلَا لَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ، وَلَا حَمْحَمَةٌ خَيْلٍ يُثِيرُونَ الْأَرْضَ
بِأَقْدَامِهِمْ كَانَهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

يوميء بذلك إلى صاحب الزنج. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَيْلٌ لِسِكِّكُمْ الْعَامِرَةَ، وَالدُّورِ^(٢) الْمُرْخَرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ
كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفَيْلَةِ. مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَا
يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ؟ أَنَا كَأَبُ الدُّنْيَا لَوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا
بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا.

منه و يومي إلى وصف الأتراك.

كَانِي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ؛ يَلْبَسُونَ

١- في م: كانى انظر به.

٢- في ش: و دوركم المرخرقة.

السَّرَقَ وَالذَّبِيحَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَافُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَ يَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقْلَ مَنْ الْمَأْسُورِ.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ! فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ قَالَ لِلرَّجُلِ وَ كَانَ كَلْبِيًّا:

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَ إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ! وَ إِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَ مَا عَدَدَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الْآيَةَ فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ: مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَ مَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ عِلْمِهِ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَ دَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَ تَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

بيانه

بيانه: اللجب الصياح، و شبه كل واحدة من الدور التي زخرها أهل البصرة و عن قريب تهلك بالغرق بجناح النسر لكثرة نقوشها و بحرطوم الفيل لطولها المهتمد و لا يندب، أي لا يناع و كبه لوجهه: صرعه فهو كاب و لا يقال: اكبه فكب متعدد واكب لازم على خلاف القياس، يقال: كبته فأكب هو على وجهه. و قادرها: أي مقدرها.

المجان المطرقة: الترسة التي ضم كثير منها إلى بعض، و جعلت واسعة واحدها مجنّ يقال: أطرقت النعل إذا ظاهرته بأخرى، و روى المطرقة و هي التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة التي ألّبت و ترس مطرق إذا كان بعضه فوق بعض.

قوله: «يلبسون السرقة»، أي شقق الحرير و يركبون الافراس الجياد، أي العرب و يعتقبون، أي يجبسون، يقال: اعتقت الرجل، أي حبسته. والخيل: جماعة الافراس و يكنى به عن الفرسان والعقاق: كرايم الخيل و قوله: «يكون هناك استحرار قتل»، أي شدة قتل استحر القتل و حز، أي اشتد.

أفلت الشيء: و تفلت. و انفلت بمعنى و أفلته غيره، و انفلت فيها يتعدى و لا يتعدى و هو ضد الأسير، و قوله: «و إنما علم الغيب علم الساعة»، أي علم قيام الساعة و هي القيامة، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه.

روي أن أبا بكر بن العياش^(١) دخل على موسى بن جعفر عليها السلام و قال: له رأيت البارحة كأني قلت: كم بقي من عمري، فرفعت إليّ كفك اليمنى مفرجاً أصابعاً الخمس مشيراً بها إليّ، و لا أدري، أردت بذلك خمس سنة أو خمسة أشهر أو خمسة أيام.

فقال: ذاك إشارة إلى خمسة أشياء التي، هي فوق قوله تعالى: «إن الله عنده علم الساعة»، «و ينزل الغيث»، «و يعلم ما في الأرحام»، «و ما

١- أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي قيل: اسمه كنيته و قيل: اسمه شعبة كان من الزهاد الورعين و الأخيار المتعبدين و من ارباب الحديث و العلماء المشاهير حكى انه ختم القرآن اثني عشر الف ختمة و هو الذي رد على موسى بن عيسى فرعون الهاشميين ما صدر من امره بكرم قبر الحسين عليه السلام و زرعه فنهاه ابن عياش عن ذلك فشمته موسى و امر بضربه و حبسه توفي بالكوفة سنة ١٩٣.

تدري نفس ماذا تكسب غداً»، «و ما تدري نفس بأي أرض تموت»، فكأنني قلت لك: الذي سألته عن علم غيب لا يعلمه اءلا الله. روى مكحول^(١): أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما نزل قوله تعالى: «وَتَعَيَّنَا أَذُنٌ وَاَعِيَةٌ»، قال: اللهم اجعلها أذن علي. ثم قال: أمير المؤمنين عليه السلام فما سمعت شيئاً من رسول الله فنسيته، و معنى الآية و تحفظها أذن حافظه لما جاء من عند الله و وعيت الشيء، حفظته و يعيه صدري، أي يصير قلبي كالوعاء للعلوم. تضطم تفتعل من الضمّ، أي تجتمع عليه و روي جوارحي، أي أضلاعي، و معنى تضطم عليه جوارحي: أي تتفق، على العمل بالعلم جميع أعضائي.



١- أبو عبدالله مكحول الشامي الفقيه الدمشقي روى عن النبي ﷺ رسلاً، ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام، قال ابن اسحاق: سمعت مكحولاً يقول: طفت الأرض كلها في طلب العلم، كان من اهل فارس، و يقال: كان اسم ابيه سهراب توفي سنة ١١٨.

(١٢٩) و من خطبة له عليه السلام

في ذكر المكائيل والموازن

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ وَ مَا تَأْمُلُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَثَوِيَاءُ مُوَجَّلُونَ، وَ
مَدِينُونَ مُفْتَضُونَ، أَجَلٌ مَنقُوصٌ، وَ عَمَلٌ مَحْفُوظٌ، فَرُبَّ دَائِبٍ مُضِيْعٍ،
وَ رَبِّ كَادِحٍ خَاسِرٍ. وَ قَدْ^(١) أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا
إِدْبَارًا، وَالشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلَاقِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا.
فَهَذَا أَوَانُ قَوِيَّتِ عُدَّتِهِ وَ عَمَّتِ مَكِيدَتُهُ، وَ أَمَكَنْتِ فَرِيَسَتُهُ.

اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ: فَهَلْ تُبْصِرُ^(٢) إِلَّا فَقِيرًا
يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ
وَفِرًا أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ^(٣) عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقِرًا؟ أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَ
صَلْحَاؤُكُمْ؟ وَأَحْرَارُكُمْ^(٤) وَ سُمَحَاؤُكُمْ؟ وَ أَيْنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي
مَكَاسِبِهِمْ؟ وَ الْمُتَمَتِّزُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنِ
هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْعَصَةِ؟ وَ هَلْ خُلِقْتُمْ^(٥) إِلَّا فِي حُثَالَةٍ.

٢- في ش: فهل تنظر.

٤- في ش: و اين احراركم.

١- في ش: خاسر قد اصبحتم.

٣- في ش: باذنيه.

٥- في ب: ولا خلقتم.

لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ اسْتِصْغَارًا لِقَدْرِهِمْ، وَ ذَهَابًا عَنْ
ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ: ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُغَيَّرٍ، وَلَا
زَاجِرَ مُزْدَجِرٍ! أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ؟ وَ
تَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟ هَيْهَاتَ! لَا يُخَدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا تَنَالُ
مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ،
وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

(١٣٠) و من كلام له عليه السلام

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربرة

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ
عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَ خِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ،
وَ اهْرُبْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَ مَا أَغْنَاكَ
عَمَّا مَنَعُوكَ! وَ سَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ عَدَاً، وَ الْأَكْثَرُ حُسْداً؟! وَ لَوْ أَنَّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ^(١) كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقاً ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ
مِنْهُمَا مَخْرَجاً، لَا يُونِسْتِكَ إِلَّا الْحَقُّ وَ لَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ
قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ، وَ لَوْ قَرَضْتَ^(٢) مِنْهَا لِأَمْتُوكَ.

٢- في ن: ولا قرضت. م: وان قرضت.

١- في ب: ان السماوات والارض.

(١٣١) و من كلام له عليه السلام

أَيَّتْهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانَهُمْ،
وَالْعَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ! أَظَارَكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَ أَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نَفُورَ
الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أُطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ، أَوْ
أُقِيمَ اغْوِجَاجَ الْحَقِّ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُتَافِسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَ
لَا التَّمَّاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحَطَامِ، وَ لَكِنْ لِنُرْدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَ
نُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَ تَقَامَ
الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَ سَمِعَ وَ أَجَابَ: لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، بِالصَّلَاةِ.

وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ^(١)، وَ الدَّمَاءِ،
وَ الْمَعَانِمِ وَ الْأَحْكَامِ، وَ إِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلِ؛ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ
نَهْمَتُهُ، وَ لَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَ لَا الْجَانِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ، وَ

لَا الْخَائِفُ^(١) لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ
فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمَعْطَلُ لِلْسَّنَةِ
فَيَهْلِكَ الْأُمَّةَ.

(١٣٢) و من كلام له عليه السلام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَ أَعْطَى، وَ عَلَى مَا أَبْلَى وَ ابْتَلَى، الْبَاطِنُ
لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ^(٢) لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَ مَا
تَخُونُ الْعُيُونُ، وَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيْبُهُ وَ بَعِيْثُهُ،
شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْأَعْلَانَ وَ الْقَلْبُ اللَّسَانَ.

منها:

فَاتَهُ وَ اللَّهُ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَ الْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَ مَا هُوَ إِلَّا
الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ، وَ أَعْجَلَ حَادِيَهُ، فَلَا يَغُرُّنَكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ
نَفْسِكَ فَقَدْ رَأَيْتَ^(٣) مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وَ حَذَرَ الْأَقْلَالَ،
وَ أَمِنَ الْعَوَاقِبَ؛ طُولُ أَمَلٍ، وَ اسْتِنْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ
فَأَزَعَجَهُ عَن وَطَنِهِ، وَ أَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ وَ مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَائَا،
يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ حَمَلًا عَلَى الْمَذَاكِبِ، وَ إِمْسَاكَ يَا الْأَنَامِلِ.

٢- في ش: خفية الحاضر.

١- في ح و ب: ولا الخائف.

٣- في م و ن و ح: وقد رأيت.

أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ
(كثيراً)^(١)، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً، وَصَارَتْ
أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَ
لَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتَبُونَ؟! فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ، وَفَازَ
عَمَلُهُ.

فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا: فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ
دَارَ مَقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَرْوِدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ.
فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ. وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ.

(١٣٣) و من خطبة له عليه السلام

وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ بِأَرْمَتَيْهَا، وَ قَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ،
وَ الْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا. وَ سَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُودِ وَ الْأَصَالِ الْأَشْجَارُ
النَّاصِرَةُ، وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيِّرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَ آتَتْ^(٢) أَكْلَهَا
بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةَ.

منها: وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيا لِسَانُهُ، وَ بَيْتٌ لَا
تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَ عِزٌّ لَا تُهْزَمُ^(٣) أَعْوَانُهُ.

٢- في ف: و أتت بكلماته.

١- ساقطة من ن و ش: كثيرا اصبحت.

٣- في ب: لاتهدم اعوانه.

منها:

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفَى بِهِ
الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ
بِهِ.

منها:

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُتْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً،
وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا
شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا
مُتَزَوِّدٌ.

منها:

وَاعْلَمُوا أَنْ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ^(١) مِنْهُ، وَ
يَمَلُّهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ
الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ، وَ سَمْعٌ
لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ: كِتَابٌ
اللَّهُ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ،
وَ يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يَخَالِفُ بِصَاحِبِهِ
عَنِ اللَّهِ.

قَدْ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ نَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى

دَمِنِكُمْ، وَ تَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمَالِ، وَ تَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ،
لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ وَ تَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
نَفْسِي وَ أَنْفُسِكُمْ.

بيانه

قال عليه السلام أولا أنتم أضياف عين لكم أجل فمثلكم فيما ترجونه من الدنيا مثل الضيف عن قليل سيرحل، و مثل الغريم يستردّ منه الدين، والثوى: الضيف الذي يقيم ليلة واحدة والمدين والمدان: بمعنى و دأب فلان في عمله: أي جد و تعب، فهو دأب.

الكادح: العامل بالجسد والساعي والكاسب. و يكابد: يقاسي. والمتمرد: العاصي. و بأذنه وقر أي، ثقل. فظعنوا: سافروا. والحتالة: الثفل، والردي من كل شيء. والمزدجر: أبلغ من الزاجر، والزجر: المنع والنهي و دار القدس: الجنة. والقدس: الطهر اسم و مصدر و منه قيل: للجنة حظيرة القدس.

إنما قال: لا يخدع الله لأن من أظهر الطاعة لله و هو عاص في باطنه فالله لا يدخله الجنة، و لا يشبهه بذلك لأن الخديعة يجوز على من لا يعلم السر، و عن يتعلق بمضمر والصحيح في الرواية أيتها النفوس، وأظأركم: أي أعطفكم. الوعوعة: الصوت.

السرار: آخر ليلة من الشهر، والتقدير في سرار فحذف الجر و وصل الفعل، و قيل: معنى كلامه هيهات و بعد أن أنور بسببكم أو بكونكم سرار العدل، و أطلعكم مضيئين ليستنير بكم العدل، والمنافسة: الرغبة. الحطام:

مال الدنيا.

يقول: يا رب أنت تعلم أني ما وليت هذا الأمر (بعد الاستيثار)^(١) رغبة في الملك و طلباً للمال، لكن غرضي أن أعيد من معالم الدين، وهي الشرايع التي اندرست كما أمر الله بها غضة طرية. والنهمة: بلوغ الهمة في الشيء و قد نهم بكذا فهو منهوم: أي مولع به.

الدول: جمع دولة و هي الدولة في المال خاصة، يقال: صار التى دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا و مرة لهذا، ثم قال: إنكم يا أصحابي تعلمون أنه لا يجوز أن يكون الوالي على المسلمين، والحاكم على فروجهم و دمائهم، أحد ستة رجال.

البخيل فانه يخون في أموالهم، والجاهل فانه يضل أتباعه، والغليظ الجافي، فانه يقطع الناس طاعة الله، و قبول الحق.

الخائف للفقير، فانه يستصحب الأغنياء دون الفقراء. والقاضي الذي يأخذ الرشوة فانه لا يصرف حقوق الناس إلى مصبها، و معطل الحدود فان الأمة تهلك بصحبته و روي و لا الخائف والصحيح الخائف بالخفاء المعجمة. ثم قال: «نحمده على ما أبلى من النعم و ابتلى من النقم»، يقال: أبلاه الله بلاء حسناً، بكثرة المال والصحة والشباب، وابتلاه الله بالمرض والمشيب، والفقير العالم بيوطن الأمور.

ما تكن الصدور: أي تستر والعالم بما تخون العيون من رمزاتها و لحظاتها على غير الوجوه المشروعة، و قوله: «فانه الجدد»، أي ان الأمر والشأن و الله الجدد و ما ذلك الجدد والحق الذي أنتم عنه غافلون إلا الموت الذي يأتي بغتة.

قد أسمعت ذكره أيها المخاطب فلا يغرنك سواد الناس: أي لا تنظر إلى عامة الناس و أعمالهم فتفتقر في العمل و من نفسك: يتعلق من بمضمر، أي عاذرا، من نفسك. والاقلال: الفقر.

قوله: «طول أمل»، بدل من قوله: من كان قبلك، أي رأيت آمال من كان قبلك و استبعاده وقت موته، و سرعة نزول الموت به، و ازعاجه عن داره و قطعه منها، و أقلاقه فحمل على جنازته، فصارت أمواهم بورا، أي هالكة و البور الفاسد الهالك الذي لا خير فيه و يقال: رجل بور و امرأة بور.

قال أبو عبيدة: قوم بور، أي هلكى جمع باير كحائل و حول و استعتب و أعتب بمعنى، أي أرضى راجعاً عن الاساءة. و استعتب أيضا طلب أن يعتب تقول: استعتبته فأعتبني، أي استرضيته فارضاني، و هذا روي على الوجهين يستعتبون على ما لم يسم فاعله و يستعتبون بفتح الياء. قوله: «فمن أشعر التقوى قلبه»، أي فمن جعل خوف الله شعار قلبه، فهو السابق على جميع أصحابه، يقال: أشعرتة» إذا ألبسته الشعار و برز الرجل، أي فاق على أصحابه و كذا إذا سبق الفرس فقد برز و برزت الشيء أظهرته و بينته.

فعلى الأول يكون مهلة مرفوعاً بالفاعل، و على الثاني ينصب مهلة لكونه مفعولاً، و كلاهما روى فاهتبلوا هبلها، أي اغتتموا قلة أمواها، و الاهتبال الاغتنام، و الهبل مصدر هبلته امه ثكلته. و الاوفاز: جمع وفر، و هو العجلة و الظهور كناية عن المراكب قال الشاعر:

إذا المهرة الفقراء أدرك ظهرها.

ثم يقال: للفرس و غيره ذلك، أي استعد و اللرحيل و انقادت له: أي

الله تعالى.

قوله: «وإنما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت»، إشارة إلى كتاب الله الذي هو القرآن و يجيء ذكره من بعد ذلك، و هو كتاب الله تبصرون به و فيها الغنى كله الضمير للحكمة، و يقال: شخص بالفتح شخصاً أي ارتفع.

يقال: شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه، و جعل لا يطرف و قوله: البصير منها شاخص إلى آخره؛ مثل الكلام الأول، و قوله: «أصطلحتم على الغل فيما بينكم»، كناية عن ثبوتهم على الحقد والدمنة، الحقد يعني به قدم الاحقاد.



(١٣٤) و من كلام له عليه السلام

وقد شاوره عمر بن الخطاب

في الخروج إلى غزو الروم بنفسه

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوَازِ، وَ سَتْرِ الْعَوْرَةِ،
وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَ مَنْعَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا
يَمْتَنِعُونَ؛ حَيٌّ لَا يَمُوتُ إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ^(١)
فَتَلْقَهُمْ فَتُنَكِّبَ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً^(٢) دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ لَيْسَ
بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَايْبَعِثْ إِلَيْهِمْ^(٣) رَجُلًا مِحْرَبًا، وَ احْفَظْ مَعَهُ
أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ^(٤) اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَ إِنْ تَكُنْ
الْأُخْرَى كُنْتَ رِذَاءً لِلنَّاسِ، وَ مَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

٢- في ح و ف: للمسلمين كهف.

٤- في م: فان اظفر الله.

١- في حاشية م: بشخصك.

٣- في ش: فابعت عليهم.

(١٣٥) و من كلام له عليه السلام

و قد وقعت مشاجرة بينه و بين عثمان فقال المغيرة بن أخنس لعثمان: أنا أكفيكه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَضْلَ لَهَا، وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي! وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ؛ اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكِ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

(١٣٦) و من كلام له عليه السلام

لَمْ تَكُنْ بِيَعْتِكُمْ إِيَّايَ فُلْتَهُ؛ وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِدًا: إِنْني أُرِيدُكُمْ^(١) لِلَّهِ، وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَني لِأَنْفُسِكُمْ! أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَ ائِمُّوا اللَّهَ لِأَنْتُمْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ^(٢)، وَ لَا تَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّى أُرِدَهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهًا.

١- في ك: انا اريدكم.

٢- في ض و ب: لانصفن المظلوم من ظالمه.

(١٣٧) و من كلام له عليه السلام

في معنى طلحة و الزبير

وَاللّٰهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصْفًا، وَ
 إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا^(١) تَرَكَوهُ، وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ
 فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ^(٢) مِنْهُ؛ وَ إِنْ كَانُوا وَوَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلَبَةُ إِلَّا
 قَبْلَهُمْ^(٣)، وَ إِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَ إِنْ مَعِيَ لَبْصِيرَتِي.
 مَا لَبَسْتُ وَ لَا لُبْسَ عَلَيَّ، وَ إِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءُ
 وَ الْحِمَّةُ، وَ الشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ، وَ إِنْ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ، وَ قَدْ زَاكَ الْبَاطِلُ عَنِ
 نِصَابِهِ، وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنِ شَغْبِهِ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَا أُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا
 مَاتِحُهُ؛ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بَرِيٍّ، وَ لَا يَعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حِسِّي.

منه:

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ

١- في ح و ض و ب و ل: حقا هم تركوه.

٢- في م: الا قبلهم ولا التبعة الا لهم.

٣- في ف: فان لهم لتصبيهم.

الْبَيْعَةَ!! قَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَ نَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا، اللَّهُمَّ
 إِنَّهُمَا قَطْعَانِي وَ ظَلْمَانِي، وَ نَكْتَا بَيْعَتِي، وَ أَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ، فَاخْلُ مَا
 عَقْدًا، وَ لَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمًا، وَ أَرِهْمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَ عَمَلَا، وَ
 لَقَدْ اسْتَنْتُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمِطًا^(١)
 النُّعْمَةَ، وَ رَدَّ الْعَافِيَةَ.

(١٣٨) و من خطبة له عليه السلام

في ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَ
 يَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.
 منها:

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةٌ
 أَخْلَافُهَا، حُلُورًا رِضَاعُهَا، عَلَقْمًا عَاقِبَتُهَا. أَلَا، وَ فِي غَدٍ - وَ سَيَأْتِي غَدٌ
 بِمَا لَا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي
 أَعْمَالِهَا، وَ تُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضَ أَفَالِيدًا^(٢) كِبِدَهَا، وَ تُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا
 مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ، وَ يُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

منها:

كَانِي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ،
 فَعَطَفَ إِلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَ فَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّءُوسِ، قَدْ فَعَرَتْ
 فَاعْرَتْهُ وَ ثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَّتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. وَاللَّهُ
 لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ
 فِي الْعَيْنِ؛ فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ
 أَحْلَامِهَا، فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي
 عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، وَ اعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ لِيَتَّبِعُوا
 عَقْبَهُ.

(١٣٩) و من كلام له عليه السلام

في وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ^(١) أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَ صِلَةِ رَحِمٍ، وَ عَائِدَةٍ
 كَرَمٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَ عُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ
 هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَ تُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ
 بَعْضُكُمْ أُمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَ شَيْعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

(١٤٠) و من كلام له عليه السلام

في النهي عن غيبة الناس

وَ إِنَّمَا ^(١) يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ، وَالْمُصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ،
أَنْ يَرْحَمُوا ^(٢) أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَ يَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ
عَلَيْهِمْ، وَ الْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ، وَ عَيْرَهُ
بِبُلُوَاهُ؟! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ
الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ ^(٣) بِهِ!!

وَ كَيْفَ يَذُمَّ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ
الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَ أَيْمُ اللَّهِ
لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَ عَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرَّاتُهُ عَلَى عَيْبِ
النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ ^(٤) بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَ

٢- في ف و ن: وان يرجوا اهل الذنوب.

٤- في ش: في عيب عبد.

١- في ن و م و ف: فاما ينبغي.

٣- في ض و ب: الذي غابه به.

لَا تَأْمَنُ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ
عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ؛ وَ لِيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا
لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

(١٤١) و من كلام له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ^(١) مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَ سَدَادَ طَرِيقٍ؛
فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرَّجَالِ^(٢)، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَزِمِي الرَّامِي وَ تُخْطِيءُ
السَّهَامُ، وَ يُحِيلُ الْكَلَامُ وَ بَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ، وَ اللَّهُ سَمِيعٌ وَ شَهِيدٌ. أَمَا
إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَ الْحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه و
وضعها بين أذنه و عينه، ثم قال:

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَ الْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ.

(١٤٢) و من كلام له عليه السلام

وَ لَيْسَ لِرِوَاضِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنْ

١- في م: من علم من أخيه.

٢- في م و ن و ف: اقاويل الناس.

الْحَظُّ^(١) فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةَ اللَّثَامِ، وَ تَنَاءِ الْأَشْرَارِ، وَ مَقَالَةَ الْجَهَّالِ
 - مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ - «مَا أَجُودَ يَدُهُ» وَ هُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ!!
 فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلَْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَ لِيُحْسِنِ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَ لِيُقِمْكَ
 بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَّ وَ لِيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَ لِيَصْبِرَ نَفْسَهُ عَلَى
 الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ
 مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَ دَرَكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ)^(٢).

بيانه

قوله: «و قد توكل الله لأهل هذا الدين باعزاز الحوزة»، أي تكفل الله
 للمسلمين بعز حوزة الدين وبيضته و أن يعز حوزتهم، أي ساحتهم و أن
 يؤمن موضع خوفهم، والعورة أيضا كل ما يستحيى منه و لم يقل، و قد
 توكل الله لك و إنما أضاف اعزاز الدين إلى أهله لغرض صحيح لا يعقله إلا
 العالمون.

و قيل: إنما أشار إليه بذلك لأنه علم أن النصر من الله لا ينزل عليه و
 أنه إن خرج كان أهل الروم أجد في الحرب ممن كان يرون أنه الاصل فاذا
 قمع فهو هلاك الاسلام^(٣). و قوله: «فتلقهم فتنكب»، عطف على متى تسرو
 جواب الشرط لا تكن.

كانفة، أي ساحة حافظة للمسلمين من كنف الرجل حفظته و سنته،

١- في ب: من الحظ الا محمده اللثام.

٢- ساقطة من م و ف و ن.

٣- من هنا إلى آخر باب الخطب في م حذف و خلط و اسقاط.

و روى كهفنته والكهف الغار، و يقال: فلان كهف: أي ملجأ و دون أقصى بلادهم صفة كانفة فهذا جاز أن تكون اسم لا تكن و للمسلمين خبر.
والتاء في تكن للتأنيث، و يجوز أن يكون التاء للمخاطب، و يكون كانفة نصباً على أنه خبر كان. و أحفز: أي ادفع، و رداء، أي عوناً. روى رداً حذفت همزته و شدد، (هذا كله لان عسكر الاسلام و بيت المال كله في الظاهر كان بحكمه.

روى نواك يقال: بعدت نواهم، إذا بعد وأبعد شديداً والجهد المشقة و بالضم الطاقة^(١). و أبعده الله نواك أي، أبعده الله خيرك يعني به النجم و كان ذلك الأمر فلتة، أي فجأة إذا لم يكن عن تدبر و لا تردد.

قوله: «و أنتم تريدوني»، و أصله تريدونني حذف النون منه تخفيفاً، و الخزامة: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام، «و لا جعلوا نصفاً»، أي نصفه. و قد ذكر طلحة و الزبير و خروجها عليه و طلبها دم عثمان من الامام علي عليه السلام و كانا من جملة قاتليه و كانا يقولان في هذا الوقت أنه قتل ظلماً.

فكانها حكماً على أنفسهما بذلك لانهما كانا منهم و كانا يلبسان على أهل البصرة و غيرهم و لبس الشيطان عليهما فذكر عليه السلام أنه بخلافهما و أنها، أي أن هذه الكتيبة للفتنة الباغية، أي الجماعة التي ذكر رسول الله لي انهم يبغون عليك بعدي.

لهذا أدخل الالف واللام في الفتنة و في صفتها للتعريف، و لم يقل: و إنها لفتنة باغية و فيها، أي في تلك الفتنة الحما و الحمة يشير بهذا إلى صاحبة الجمل و كل شيء من قبل الزوجية فهي حما مثل قفا و حمؤ و الهاء عوض.

«الشبهة المغدفة»، يقال: أعدف الليل، أي أرخى سدوله و زاح بعد و ذهب و أفرطن: أسبقن، و روى أفرطن: أي أتركن، يقال: فرطت الشيء أي تركته و تقدمته. والماتح: المستقي من البئر. و يعبون، أي يشربون قليلاً، العب: شرب الماء من غير مص. والحسي: ما تشربه الارض من الرملة عند^(١) الحفر فيستخرج منه الماء واقبل العوذ: يكون بعجلة كأسرع ما يكون على ولدها، والعوذ: جمع عائد و هي الناقة الحديثة النتاج، والمطفال ذات الطفل، والجمع مطافيل: أي أقبلتم علي كاقبالها على أولادها.

يقولون: خذ البيعة (في الحال، و خذ البيعة)^(٢)، للاستقبال و هذا فائدة التكرار و قال: عند بيعتهما يد شلاء و أمر لا يتم وألبا على الناس، أي حرضاهم و قد استتبتهما، أي طلبت الثبات (منها على ما أظهره أول مرة للبيعة و قد استتبتهما)^(٣)، استأنيت بهما أي تأنيت و استعملت الاناة معها و استأنى به، أي أنتظر به. و أمام الوقاع: أي قبل المحاربة فغمطاً النعمة: أي حقراها.

يقال: غمط النعمة إذا بطرفيها و استحقرها ثم مدح انسانا فقال: عطف هوى نفسه على هدى دينه، لما اشتغل الناس بعكس ذلك و خلافه ثم بشر بخروج صاحب الأمر الغائب في آخر الزمان، فقال: «ألا و في غد الخير العظيم، و سيأتي غداً بما لا تعرفون».

هذا السين للتحقيق في الاستقبال و كان القوم، ينكرون هذا الأمر و لا يعرفونه يأخذ الوالي من غير هذه العشيرة التي منها اليوم الولاية، الوالي هو الامام المهدي عليه السلام، و من غيرها قيل: أنه تقدم في الكلام ذكر

٢- بين الهلالين في ج.

١- في ج الارض الرملة فيستخرج.

٣- زائد في ج.

فئة أو طائفة أو جماعة.

فقال: «إنه من غيرها»، بمعنى أنه يأخذ جميع العمال الذين كانوا قبل خروجه على مساوى ما يعملونه من المعاصي، و يجازيهم و محلّ على مساوي أعمالهم نصب على الحال.

«تخرج الأرض أفاليد كبتها»، هذه كناية عن الكنوز التي وردت بها الأخبار، و فسر قوله تعالى: «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَاقَهَا»^(١) على مثله والفلذ: قطعة الكبد، و الأفلاذ جمعه، و الافاليد جمع الجمع، و تلقى الأرض مقالدها؛ أي مفاتيحها إليه، أي إلى الامام المهدي عليه السلام الذي هو ذلك الوالى و سلماً؛ أي صلحاً مصدر في موضع الحال.

ثم أشار إلى بعض من يخرج إلى آخر الزمان كالسفياني وغيره، يقال: «نقق بالشام»، أي نعر بها. و فحص في ظواهر الكوفة: أي نواحيها، أي قلبها من فحص المطر التراب، أي قلبه والضروس الناقاة السيئة الخلق التي تعض حالها.

«يسني لكم طرقه»، أي فتحها و يسهلها. «وعوا منطقي»، أي احفظوه والحاجز: المانع. «و يحيك الكلام»: أي يؤثر، يقال: حاك السيف فيه، و أحاك بمعنى، أي عمل. و يبور: يهلك. و فك الاسير: تخليصه. والعاني: الأسير.

* * *

(١٤٣) و من خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَ مَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوْجِعاً لَكُمْ، وَ لَا زُلْفَةً لِيَكُمُ، وَ لَا لِيُخِيرَ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَ لَكِنْ أَمْرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَ أَقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَأَقَامَتَا^(١).

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ - عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ - بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَ حَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَ إِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيُتُوبَ تَائِبٌ، وَ يُقْلَعَ مُقْلَعٌ، وَ يَتَذَكَّرَ مُتَذَكَّرٌ، وَ يَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ! وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ^(٢) سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، فَقَالَ: ^(٣) (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً؛ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَ يُمِدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ) فَرَحِمَ اللَّهُ أُمَّراً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَ اسْتَقَالَ حَطِيئَتَهُ، وَ بَادَرَ مَنِيئَتَهُ.

٢- في ض و ب: جعل الله الاستغفار.

١- في ش: فقامتا.

٣- في ض و ب: فقال سبحانه.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ
الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ. وَ
خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَ لَا تُهْلِكْنَا
بِالسِّنِينَ، وَ لَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ
الْجَأْتْنَا الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةَ، وَأَجَاءْتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةَ، وَ أَعْيَنَّا
الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةَ، وَ تَلَاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعَبَةَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَ لَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ، وَ لَا
تُخَاطِبَنَا^(١) بِذُنُوبِنَا، وَ لَا تُقَاسِنَا بِأَعْمَالِنَا.

اللَّهُمَّ انشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَ بَرَكَتَكَ، وَ رِزْقَكَ وَ رَحْمَتَكَ، وَ اسْقِنَا
سُقْيَا نَافِعَةً مَرْوِيَةً^(٢) * مُعْشِبَةً: تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدَّ فَاتَ، وَ تُحْيِي بِهَا مَا
قَدَّ مَاتَ، نَافِعَةً الْحَيَا كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْفَيْعَانَ، وَ تُسِيلُ
الْبُطْنَانَ، وَ تَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَ تُرْخِصُ الْأَسْعَارَ؛ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ
قَدِيرٌ.

(١٤٤) و من خطبة له عليه السلام

بَعَثَ^(١) رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَ جَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ لِئَلَّا تَحِبَّ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْدَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخُلُقَ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهَلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَ مَكْتُونِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً.

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا؟ كَذِبًا، وَ بَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَ وَضَعَهُمْ، وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ، وَ أَدْخَلْنَا وَ أَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى، وَ يُسْتَجَلَى الْعَمَى، إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ: لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَ لَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

منها:

آثَرُوا عَاجِلًا، وَ أَخْرَوْا آجِلًا؛ وَ تَرَكَوْا صَافِيًا، وَ شَرِبُوا آجِنًا
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ، وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَالْفَهْ وَ بَسِيَءَ بِهِ وَ
وَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَ صُبِغَتْ بِهِ خَلَاتِقُهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا
كَالْتِيَارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَفِعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَخْفِلُ مَا
حَرَّقَ!! أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى؟ وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ
إِلَى مَنَارِ^(١) التَّقْوَى؟

أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَ عُوِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؟ ازْدَحَمُوا
عَلَى الْحُطَامِ، وَ تَشَاحُوا عَلَى الْحَرَامِ، وَ رُفِعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهُهُمْ وَ أَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ؛ دَعَاهُمْ^(٢)
رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَ وَلَّوْا، وَ دَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَ أَقْبَلُوا.

(١٤٥) و من خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ^(٣) فِيهِ

١- في ح و هامش ن : منازل التقوى. و في م : منابر التقوى.

٢- في ح و ب : و دعاهم ربهم.

٣- في ش : تنتضل فيكم المنابيا.

الْمَنَائِيَا، مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقُ؛ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ لَا تَتَّالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَ لَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَ لَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَ لَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَ لَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَ لَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَ تَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَ قَدْ مَضَتْ أَصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!!

منها:

وَ مَا أُحْدِثْتُ بِدَعَةً إِلَّا تَرَكْتُ بِهَا سُنَّةً؛ فَاتَّقُوا الْبِدْعَ، وَ الزَّمُوا الْمَهْيِيعَ، إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَ إِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا شِرَارُهَا.

(١٤٦) وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعمر بن الخطاب، و قد استشاره في غزو الفرس بنفسه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَ لَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَ لَا (١) بِقَلَّةِ، وَ هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَ جُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ (٢) وَ أَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ (٣) حَيْثُمَا طَلَعَ، وَ نَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَ اللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَّهُ، وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ، وَ مَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النُّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ:

٢- في حاشية م: أعزّه وأيده.

١- في ب و ن: بكثرة ولا قلة.

٣- في ش: حيث طلع.

يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ.

فَإِذَا انْقَطَعَ النَّظَامُ^(١) تَفَرَّقَ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَدَافِيرِهِ أَبَدًا. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ، فَكُنْ قُطْبًا، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَ أَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَصَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَ أَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا: هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ^(٢)، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ، وَ طَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ؛ وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَ الْمَعُونَةِ.

بيانه

ذكر تشبيهها أولا في خطبة الاستسقاء فقال: ان لم يجيء من السماء مطر ولا من الأرض نبات و ثمر فانها مطيعتان لله تعالى، و إسناد الطاعة اليها

٢- في م: استرحتم منه.

١- في ض و ب: تفرق الخنزرو وذهب.

مجاز خاطب الناس بهذا ثم حثهم على التوبة من كل ذنب فان الله يحبس الرزق عن المذنبين ليتوبوا و يقع، أي يرجع.

يتذكر، أي يتعظ و يزدجر: يتعدى و لا يتعدى، يقال: ازدجرته فازدجر، أي منعه فامتنع و نهيته فانتهى، و ازدجر مزدجر هنا لازم غير متعد و درور الرزق صب المطر و سيلانه، انما كنى عنه لانه سبب الرزق و يرسل السماء، أي المطر، والعجيج: الصوت.

الغيث: المطر. والقانط: الخائب. و لا تهلكننا بالسنين، أي القحوط، «و أجاأتنا المقاحط المجدبة»، أي أجاأتنا قال تعالى: «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ»^(١)، و قيل: أجاأ هذا أفعل من جاء.

و أجدب: أي دخل في الجذب و هو القحط: أي تداخلت و اتصلت. «واجمين»، أي ساكنين من شدة الحزن والواجم: الذي اشتد حزنه حتى يمسك عن الكلام. و سقياً أي أمطاراً، و هى فعلى لا ينون معشبة تنبت العشب، و أعشب يتعدى و لا يتعدى.

«ناقعة الحيا»، أي مجتمعة المطر و هى صفة سقيا، يقال: نقع الماء، أي اجتمع و يجوز أن يكون ناقعة بمعنى مسكنة، يقال: نقع المال العطش، أي سكنه فندقعة على هذا متعد و على الاول لا يتعدى.

رُوي نافعة بالفاء من النفع. و القاع: المستوى من الارض، و جمعه قيعان. والبطنان: جمع البطن و هو الغايض من الأرض والاعذار نصب العذر^(٢) و تمهيد و البواء السواء.

«الراسخون في العلم»، الثابتون فيه والمراد بهم هاهنا الذين نزلوا منازلهم و زعموا يدل عليه. والآجن: الماء المتغير. و بسى به بساء: إذا

٢- في ج نصب العذر و اقامته و تمهيد.

١- مريم: ٢٣.

استأنس به و ناقة بسوء لا تمنع الحالب. و صبغت به خلائقه: أي صارت طباعاً من قوله: «صِبْغَةَ اللَّهِ» والمزبد ذو الزبد^(١).

التيار: الموج. والهشيم: رقاق الحطب. و لا يحفل، أي لا يبالي. والمستصبح: المتخذ لنفسه مصباحاً و سراجاً. واللامحة: الناظرة. قوله: «ازدحموا» كلام مستأنف لأنه عليه السلام عاد إلى ذم الناس بعد أن اشتاق إلى الاختيار منهم، «و تشاحوا على الحرام»: أي تضايقوا، و تشاح الرجلان في أمر و عليه هو أنهما لا يريدان أن يقوتها و هو يشاح فلاناً، أي يرضن لمراره^(٢).

«الحطام»، مما تكسر من اليبس فشبهه مال الدنيا به استحقاقاً له والغرض ما ينصب للرمي فيرمى إليه، و ينتضل، أي يترامى، و شرق بالماء بمنزلة غص بالطعام. والمهيع: المجادة الواسعة.

«عوازم الامور»: ما أمر الله بها و روي و مكان القيم من الأمر، والقيم هو القائم باصلاح أمر على الاستمرار. و حذافير الشيء: أعاليه، يقال: أعطاه الدنيا بحذافيرها، أي بأسرها الواحد حذفار، و قوله: «فكن قطباً و استدر الرحي بالعرب».

إنما ذكر جميع ذلك لانه كان على ظاهر الحال عند الغاييين من حقيقة الأمر و أصلهم، أي اجعلهم يصلون نار الحرب و يحترقون بها دونك بينك و بينهم. و كلمهم: شدتهم.



(١٤٧) و من خطبة له عليه السلام

فَبَعَثَ مُحَمَّدًا^(١) - صلى الله عليه وآله وسلم، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَ أَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَ لِيُقَرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَ لِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى^(٢) لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا^(٣) رَأَوْهُ: بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَ خَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَ كَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ، وَ اخْتَصَدَّ مَنْ اخْتَصَدَّ بِالنَّقِمَاتِ.

وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَحْفَى مِنْ الْحَقِّ، وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ!! وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلِيَ حَقًّا تَلَاوَتِهِ، وَ لَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَ لَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُتَنَكَّرِ.

٢- في ش: فتجلى سبحانه لهم.

١- في ض و ح و ش: فبعث الله محمدا.

٣- في ف: من غير ان رأوه.

فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتَهُ، وَ تَنَاسَاهُ حَفَظْتَهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمِئِذٍ وَ
 أَهْلُهُ مَنْفِيَانِ طَرِيدَانِ^(١)، وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا
 يُؤْوِيهِمَا مُوٍو!! فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا
 فِيهِمْ وَ مَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى، وَ إِنْ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ^(٢)
 الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَ افْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَانْتَهُمْ أُمَّةَ الْكِتَابِ وَ لَيْسَ
 الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ! فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ
 وَ زَبْرَهُ!! وَ مِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ، وَ سَمَّوْا صِدْقَهُمْ
 عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وَ جَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ الْعُقُوبَةَ^(٣) السَّيِّئَةَ.

وَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَ تَغْيِبِ آجَالِهِمْ حَتَّى
 نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ، وَ تُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَ تَحُلُّ
 مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَ النَّقْمَةُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَ قَفِيَ، وَ مَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا
 هُدًى لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ، وَ عَدُوُّهُ^(٤) خَائِفٌ، وَ إِنَّهُ لَا
 يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ^(٥) الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا
 عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَ سَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ
 يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلَا تَنْفَرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ،

٢- في ف و ن : و اجتمع القوم.

١- في ض و ح و ب : طريدان منفيان.

٣- في ف و ن و ض و ح : عقوبة السيئة.

٥- في ف : و ان رفعة الذين.

٤- في ب : و عدو الله خائف.

وَالْبَارِيءِ مِنْ ذِي السَّقَمِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَبَدَّه، فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَ مَوْتُ الْجَهْلِ: هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَ صَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ؛ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ، وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ.

(١٤٨) و من كلام له عليه السلام

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ؛ لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ، وَ لَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ!! كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ صَبِّ لِصَاحِبِهِ، وَ عَمَّا قَلِيلٍ يَكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ، وَ اللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا.

قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ، قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَ قُدِّمَ لَهُمُ الْخَيْرُ، وَ لِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شُبُهَةٌ، وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّذْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِي وَ يَحْضُرُ الْبَاكِي (ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ) (١).

(١٤٩) و من كلام له عليه السلام

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، وَالْأَجَلُ
مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ، كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ
مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عَلِمْتُ مَخْزُونَ، أَمَّا وَصِيَّتِي
فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا
تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ، وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ،
وَ خَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا.

حَمَلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَ خَفَّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبُّ
رَحِيمٌ، وَ دِينَ قَوِيمٌ، وَ إِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ، وَ أَنَا الْيَوْمَ
عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَ غَدًا مُفَارِقُكُمْ، عَفَرَ اللَّهُ لِي وَ لَكُمْ.

إِنْ تَثَبَّتِ^(١) الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَرْزَلَةِ فَذَاكَ، وَ إِنْ تَدَخَّضَ الْقَدَمُ،
فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَعْصَانٍ وَ مَهَابٍ^(٢) رِيَّاحٍ وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اِضْمَحَلَّ

١- في ض و ب وح: ان ثبتت الوطأة. ن ول: في هذه المترلة.

٢- في ض و ب وح وب: مهب رياح.

فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا وَ عَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا.

وَ إِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً وَ سَتُعَقَّبُونَ مِنِّي جُنَّةً
خَلَاءً. سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَكَ، وَ صَامِتَةً بَعْدَ نَطُوقٍ^(١). لِيَعْظَمَكُمْ هُدُوءِي^(٢) وَ
خَفُوتُ إِطْرَاقِي، وَ سُكُونُ أَطْرَافِي؛ فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ
الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ^(٣) وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِي،
غَدَاً تَرُونَ أَيَّامِي، وَ يُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَ تَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ
مَكَانِي وَ قِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

بيانه

الأوثان الاصنام المجسمة و تجلى الله لهم، أي أظهر الدلائل، في كتابه
والأظهر أن يكون تجلى غير متعدد، و أن ورد متعدداً، أي ظهر أمر الله في
القرآن للخلق، و كيف محق من محق: أي أهلك بالمثلات، أي بالعقوبات و
احتصد ايضاً أبلغ من حصد.

النقمت: البلايا والشدائد. و أبور: أفعال، من بار المتاع، أي كسد. و
حرف؛ أي غير. و آويت الغريب: إذا ضمته اليك ملوماً، والزبر: الكتابة و
مثل^(٤) بالقتيل: والمثلة العقوبة، و روي العقوبة السيئة، و على الاضافة
أحسن، حتى نزل بهم الموعد: يعنى الموت الذي يرد عنه المعذرة، أي عن
تزوله.

٢- في ح: ليعظكم هدى.

٤- في ج و مثل بالقتيل جدعه.

١- في م و ن و ف: بعد نطق.

٣- في ض و ح: وداعى لكم وداع.

القارعة: الداهية التي تفرع. و انتقم الله من فلان، أي عاقبه والاسم منه النقمة. و قوله: «لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه»، إشارة إلى أن التولي لأولياء الله لا يتم الا بالتبري من أعداء الله. «ميثاق الكتاب»، هو أن لا تقولوا على الله إلا الحق، وكذا قوله: «و لن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه»، أي لن تعتصموا بالقرآن حتى تعرفوا من نبذ، و رمى بأحكامه و من كان عالماً بشيء يعرف ضده، و يقال: أمسكت بالشيء و تمسكت^(١) و استمسكت به و مسكت به و امتسكت به، كلها بمعنى اعتصمت به.

فالتمسوا: أي فاطلبوا من عند أهل القرآن معرفة النايذين للقرآن والناقضين لميثاقه، والتاركين للرشد، و دونك إشارة إلى هذه كلها فانهم عيش العلم: أي ان أهل القرآن يجيى بهم العلم: أي الشرع. ثم دل على أهل الرشد بأنهم الذين يظهر كونهم علماء إذا أحكموا و يخبر صمتهم عن منطقتهم، أي حالهم يدل على كنههم، و قوله: «و كل واحد منها»، يعنى طلحة والزبير لا يمتان، أي لا يتوسلان بقرابة، وامت توصل بقرابة والضب لحقد ينتزعن: أي ليسلبن.

فاين المحتسبون: هم الذين يفعلون ما يفعلونه حسبة لله تعالى؛ و حلف أنه لا يكون كمستمع اللدم واللدم صوت الحجر، و نحوه إذا ضرب على الأرض، و مستمع اللدم المخدوع المغرور، أي لا اكون مثله اقلد ما يقال: بلا حجة فان نعى أحد سمعت نعيه حضرت المغترين به من غير أن أعلم حقيقة الأمر، أي لست بمغرور.

قوله: «يسمع الناعي»، أي نعي الناعي إخبار بموت أحد والموافاة

١- في ج أمسكت الشيء و تمسكت.

الاتيان، وأطردت ابلغ من طردت، وروي الله لا تشركوا به شيئاً و محمد والرفع أحسن و إقامة العمودين قول الشهادتين، و ايقاد المصباحين، اليقين معنى الشهادتين و خلاكم ذم، أي لا لوم عليكم ما لم تتفرقوا على الأوامر والنواهي المتتابعة^(١) لذلك.

روي حمل كل امري مجهوده، أي حمل الله كل أحد دون، طاقته و خفف عن المستضعفين، و رب رحيم و ما عطف عليه فاعل حمل و إذا رُوي حمل و خفف على ما لم يسم فاعله، فقوله: «رب رحيم»، مستأنف: أي ذلك رب رحيم، و هذا أحسن و راويته أصح فيكون إشارة إلى ما تقدم من قوله: «أقيموا هذين العمودين».

أمس هو اليوم الذي قبل اليوم أنت فيه، فاذا كان فيه الألف واللام فيقول: كان ذلك بالأمس، يكون إشارة إلى الأيام القريبة العهد والوطاءة: التثبيت. والمزلة المزلقة: الموضع الذي تنزل فيه القدم ان تدحض، أي أن تنزل. والافياء: الظلال.

اضمحل: زال في الجو: أي في الهوآء.

«متلفقها» أي مجتمع مهاب تلك الرياح والغمام. و عفا مخطها: أي درس موضع تلك الأفياء ثم قال: اني أعظكم اليوم بالكلمات اللطاف، و إذا مت فأعظكم بسكون الاطراف. و ستعقبون: أي ستعطون بدل نطقي صمتاً. و يقال: اكل فلان اكلة أعقبته سقماً: أي أورثته.

روي ليعظكم هدوي أي سكوني و على الأمر أحسن و خفوت أطرافي، أي سكون نكسي لرأسي، يقال: خفت الصوت خفوتاً، أي سكن و لهذا يقال للميت خفت إذا انقطع كلامه و أطرق فلان أرخى عينيه ينظر إلى

١- في ج: التابعة لذلك.

الأرض، و قوله: «و داعيكم»، أي وداعي اياكم وداع رجل على انتظار الملاقات. و أرصد له: أي أعد له.

(١٥٠) و من خطبة له عليه السلام

في الملاحم

وَ أَخَذُوا يَمِيناً وَ شِمَالاً: ظَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْعُغْيِ، وَ تَرَكَاً لِمَذَاهِبِ
الرُّشْدِ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ^(١)، وَ لَا تَسْتَبْطِئُوا مَا مَجِيءٌ
بِهِ الْعَدُوُّ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ^(٢) بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ، وَ مَا
أَقْرَبَ الْيَوْمِ مِنْ تَبَاشِيرِ عَدِي يَا قَوْمِ هَذَا إِبَانٌ وَرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ^(٣)، وَ
دُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ أَلَا، وَ إِنْ مَنْ أَدْرَكَهَا^(٤) مِنَّا يَسْرِي فِيهَا
بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَ يَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ.

لِيَحْلُ^(٥) فِيهَا رِبْقًا، وَ يُعْتَقَ^(٦) رِقًا، وَ يَصْدَعُ شَعْبًا، وَ يَشَعَبُ
صَدْعًا، فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ، لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثْرَهُ، وَ لَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ،
ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجَلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ،

١- في ب: مرصد تستبطنوا. ل: فلا تستبطنوا.

٢- في م: فكم مستعجل.

٣- في ب: ألا و من أدركها.

٤- في ع: ليحل ربقا.

٥- في ض و ح: و يعتق فيها رقا.

(وَيُزَمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ)^(١)، وَ يُغَبِّقُونَ كَأَسِّ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

منها:

وَ طَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ، لَيْسَتْكُمْ لِمَا الْخِزْيِ، وَ يَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ، حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلَ، وَاسْتَرَا حَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَ أَشْتَالُوا^(٢) عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَ لَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَدَلَ أَنْفُسِهِمْ^(٣) فِي حَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَ دَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ.

حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَ غَالَتْهُمْ السُّبُلُ، وَ اتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ، وَ وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَ هَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمُودَّتِهِ، وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ: مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَ أَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ^(٤).

١- ساقطة من ب.

٢- في ب: و اشالوا.

٣- في ض و ب و ل: في الحق.

٤- في ب: او مفارق مباين.

(١٥١) و من خطبة له عليه السلام

وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ، وَ الْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ. وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، وَ نَجِيْبُهُ، وَ صَفْوَتُهُ، لَا يُؤَاوِي فَضْلُهُ، وَ لَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَ الْجَهَالَةِ الْغَالِيَةِ، وَ الْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَ النَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ^(١)، وَ يَسْتَنْدِلُونَ الْحَكِيمَ، يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ، وَ يَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَعْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَ أَحْذَرُوا بَوَائِقَ النَّقْمَةِ، وَ تَثَبُّوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَ اعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَبِينِهَا، وَ ظُهُورِ كَمِينِهَا، وَ انْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَ مَدَارِ رَحَاهَا: تَبَدُّوْا فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ، وَ تَوَلُّوْا إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّةٍ، شَبَابُهَا كَشَبَابِ الْغُلَامِ، وَ آثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ.

تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لِأَخْرِهِمْ، وَ آخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَ يَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيْحَةٍ، وَ عَن قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَبَوِّعِ، وَ الْقَائِدُ مِنَ الْمُقَوِّدِ فَيَنْزَايِلُونَ بِالْبُغْضَاءِ، وَ يَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَ الْقَاصِمَةُ الرَّحُوفِ.

فَتَزِيغُ قُلُوبٍ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَ تَضَلُّ رِجَالٍ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَ تَخْتَلِفُ
 الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَ تَلْتَبِسُ الْأَرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا مِنْ أَشْرَفَ لَهَا
 قَصَمَتُهُ، وَ مَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتُهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادَمَ الْحُمْرِ فِي
 الْعَانَةِ، قَدْ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَ عَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا
 الْحِكْمَةَ، وَ تَنْطِقُ فِيهَا الظَّلْمَةَ، وَ تَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَ تَرْضُضُهُمْ
 بِكُلْكَلِهَا.

يَضِيغُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَ يَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ
 بِمَرِّ الْقَضَاءِ، وَ تَحْلُبُ عَيْطَ الدَّمَاءِ، وَ تَتَلَمُّ مَنَارَ الدِّينِ، وَ تَنْقُضُ عَقْدَ
 الْيَقِينِ، تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَ تُدْبِرُّهَا الْأَرْجَاسُ، مِرْعَادُ مِيرَاقِ،
 كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقِ، تُقَطِّعُ فِيهَا الْأَرْحَامَ، وَ يُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ، بَرِيئُهَا
 سَقِيمٌ، وَ ظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

منها:

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ، وَ خَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ، وَ
 يَغْرُورِ الْإِيمَانِ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَ أَعْلَامَ الْبِدْعِ، وَالزُّمُومَا مَا
 عَقْدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَ بُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَ أَقْدَمُوا عَلَى
 اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَ لَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ^(١)، وَ اتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ،
 وَ مَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، وَ لَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لَعَقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بَعِينٌ مَنْ

١- في ف: ولا تقدموا على الله. م: ولا تقدمون عليه.

حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ. (وَ سَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ) (١).

بيانه

أشار عليه السلام أولاً بقوله: «و اخذوا بيينا و شمالاً»، أي إلى قوم كانوا تركوا جادة الحق و اختاروا لأنفسهم بين الطريق و شمال الطريق ضعننا طعنًا، أي ذهابًا، و هو مصدر في موضع الحال، أي ذاهبين في الغي و الجهل و تركاً أي تاركين الرشاد كأنهم الشامتون.

ثم خاطب أصحابه الذين استبطءوا نزول العذاب عليهم فقالوا: لا تستعجلوا ما هو معد لهم و يكون لا محالة، و قوله: «فكم من مستعجل بما أن أدركه و دّ أن لم يدركه»، مثل قوله تعالى: «لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ انْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْوِئَكُمْ» (٢).

أكثر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانوا على طريقة الشام من الجهل، و طلب الدنيا، و لذلك عرضهم بذلك فقد استبطأ بهم ما كان عليه السلام يقول: إن عواقب أعدائه تؤل إلى البوار و الابان الوقت ثم قرب من إنجاز الله الوعد بذلك، يقال: هذا ابان كذا و ابان دنو و قرب من أن يظهر ما لا تعرفون.

روي ما لا تعرفون، أي هذا وقت دنو حضور ما تعرفونه مما أعلمتكم و ذكرت لكم فن أدرك تلك الطلعة يكون من جملة موالينا و من لحق من شيعتنا تلك الحالة يكون على جلية و وضوح من أمر الدين و يتتبع آثار

١-ساقطة من ف و ن و ب و ل ف ح: سبل الطاعة.

٢-المائدة: ١٠١.

الصلحاء المتقدمين الذين غاب أيضاً حجتهم.

هذا إشارة إلى عهد الامام المهدي عليه أفضل السلام و قرب قيامه و ايماء إلى المؤمنين الذين يكونون في غيبة الامام يحلون مشكلاً و شبهة في الدين و يعتقدون رقاً من ضعفاء الشيعة إما حسية، و أما مجازاً. بأعطاء المال و اصلاح الحال و دفع الأهوال.

يفرقون جمع الأعداء و يجمعون شمل الأولياء في خفية عن كل أحد لا يطلع مخالف الحق على حقيقة أمرهم، و ان بالغوا في عرفان ذلك.

«القائف»، الذي يعرف الآثار و الجمع الثقافة و القيافة معروفة و تقديم القاف أعرف من قفت أثره فأنا قائف مثل قلت فأنا قائل: و قفوت أثره أشهر و ان كان مقلوباً من الاول و هما لغتان.

و شحذت السكين: حددته، و المشحذ: المسن. ثم ذكر أن في غيبة الامام الذي فرج آل محمد قوماً أعطاهم الأذهان و جلاء أبصارهم و بصائرهم بالتنزيل و التفسير و التأويل من علوم القرآن، و بالحكمة التي هي السنة المحمدية و الشريعة الالهية، و القين: الحداد.

جلوت السيف: صقلته. و الغبوق: شرب العشي، و الصبوح: شرب الغداء، و هذا كناية عن مدارستهم و ممارستهم في العلوم، و الحكمة كناية عن الشرايع، ثم قال: و يطول المدة بأعداء آل محمد و دولتهم ليزدادوا إثماً و لهم عذاب أليم.

حتى إذا اخلوق الأجل: أي تقادم العهد، و يقال: أخلق الثوب فاذا بلغ الغاية في الخلافة، يقال: اخلوق و استراح قوم إلى الفتن، أي و قد استراح، أي و الحال هذه يعني و قد استنام من أولياءنا جماعة مخصوصون إلى دولة أعدائنا، و الاسراع إلى فتنتهم بالشروع في أعمالهم و دفع أمرهم و علا ذكرهم في الدنيا.

مع ذلك اغتالوا و رفعوا أنفسهم عن مجادلة أعدائنا ضعفاً و خوراً و قلة أنصارهم و كثرة أعداء يعنى يعود دولتنا أهل البيت بالتقية مع الاعداء والمدارة معهم على أيدي قوم يستريحون إلى فتن هؤلاء القوم و طابوا باحتمال مشقاتهم نفساً.

فاذا لقحت حرب هؤلاء القوم اشتالوا و نكلوا، يقال: اشتالت الناقة ذنبها مثل شالت و أشالت، ثم ذكر من صغارتهم شيئاً آخر فقال: «لم ينوا على الله بالبصر»، أي لم يعتدوا اصطبارهم على البلاء في الله منة و إنعاماً عليه تعالى؛ و لم يستعظموا أن لو قتلوا في سبيل الله.

لكن يكونون في انتظار الفرج فاذا أذن الله بمخروج الامام المهدي عليه السلام بأمارات و علامات كان أخذها من آبائه عليهم السلام، من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من جبرئيل عليه السلام من الله تعالى و علم أن دولة الظالمين قد انقرضت و مدتهم انقطعت و مضت.

خرج عليه السلام و قام و معه هؤلاء الأصحاب الذين مضى صفاتهم، «و حملوا بصايرهم على أسيافهم، و دنوا و أطاعوا لربهم في سل السيف على الأعداء بأمر الامام المهدي عليه السلام الذي يعظهم والبصائر لها ثلاثة معان، و واحدة جميعها البصيرة.

فان أريد بها الحجج التي هي أعرف كان المعنى أنهم حملوا مواجب اعتقاداتهم و بصائرهما على أسيافهم أن عملوا بالأيدي ما كان في قلوبهم، و كأنهم حملوا البصائر على السيف، والبصيرة: الحججة. و يكون الترس و يكون الدم أيضاً.

فعلى الأول قد بينا معنى الكلمة، و يجوز أن يكون على ضرب من القلب في الكلام فيكون معناه أنهم ضربوا بأسيافهم على بصيرة و حجة من دينهم لا من غفلة و اغترار و إذا حملت على الترس فعناه انهم حملوا

ترسهم معتمدين على أسيافهم في طلب النار.

فأما قوله: «و طال الأمد بهم»، هم الذين لم يكونوا مستبصرين في الديانة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نافقوه، و خبت نياتهم و إن أظهروا الاسلام و قد ذكرهم الله في مواضع من كتابه: «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا»^(١)، و ما قبل الآية أيضا في شأن المنافقين.

و نزل فيهم أيضا: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ»^(٢). و نزل فيهم: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً».

«وَ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ»^(٣)، و غير ذلك، و قوله: «حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على أعقابهم»، و اتكلوا على الأحقاد البدرية القديمة و غيرها، و هجروا السبب الذي أمر الله بمودته في قوله: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»^(٤).

و نقلوا الامامة من أهل بيت رسول الله إلى بيوتهم التي ليست بمواضع للامامة، فهم لا يولون الادبارهم الذين انهزموا في حنين نزل فيهم: «وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَانْتُمْ مُدْبِرِينَ»^(٥)، و هم الذين قال الله لهم: «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ»^(٦).

٢- الانفال: ٥-٦.

٤- الشورى: ٢٣.

٦- آل عمران: ١٤٤.

١- الاحزاب: ١٢.

٣- النساء: ٧٧.

٥- التوبة: ٢٥.

فهم و أتباعهم بعد موتهم كانوا لتستكملوا الخزي، و في الكلام اعترض من ذكر خروج الامام المهدي عليه السلام و أصحابه الى ما يتصل به من قوله: «حتى إذا قبض الله رسوله بقوله: و طال الأمد بهم للاعترض الذي هو المقصود بينها.

قال: إن هذا الكلام يعني به الجاهلية و ذكر أن قوله: حتى إذا قبض الله نبيه يدل عليه، و يعني بالولائج»المكر والخديعة، واطنان الغشى، والوليجة دخيلة بطانة الرجل، يقال: هو دخيلتي، أي خاصتي. والوليجة كالداخلة سنة والدخلة و غالتهم السبل، أي...^(١)، سبل الفساد، والبغي و غيرهما التي ذكرها و ماروا جاءوا و ذهبوا.

ثم قال: «و استعينه على مدارح الشيطان»، أي مطارد اتي للشيطان والدحور: الطرد والابعاد: و قد دحره. قال تعالى: «أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْخُورًا»^(٢)، أي مقصي و لا يوازي فضله، أي لا يجعل بأزاء فضله شيء و ان فقدته كسر لا يجبر اشرق كل بلدة بنوره بعد ضلال أهلها و جهلهم و جفائهم.

الجفوة بالكسر إسم للجفاء، والجفوة بالفتح الفعلة الواحدة منه البوائق: الدواهي. والنقمة: العقوبة. والقتام: الغبار. والعشوة: أن تركب أمراً على غير بيان. والجنين والكون: المستور. تبدء في مدارج خفية، أي تبدأ الفتنة في مسالك غير ظاهرة.

تؤل: أي ترجع إلى فظاعة، أي أمر شنيع فظيع جاوز المقدار والمدرجة: المذهب والمسلك، والجمع مدارج و قطع الأمر فظاعة، أي صار شديداً قد جاوز الحدّ لشناعته يهيجها أهون شيء و يبقى أثرها أبداً فهذا معنى قوله: «شبابها كشباب الغلام و آثارها كآثار السلام»، والشباب

بالكسر نشاط الفرس و رفع يديه جميعا، أي هيجان الفتنة لا يطاق.
السلام: الحجارة، والآثار فيها تبقى بقاءها و كأن المراد بهذه الفتنة
الامامة التي يتوارثها الظالمون بعهودهم، فقد كان أولها فلتة و قد بقي آثارها
و يتكالبون على جيفة مريجة، أي يتواثبون على أموال الدنيا و هي كجيفة
منتنة، يقال: أراح اللحم: أي أنتن، و أراح الرجل: مات. و يتنافسون، أي
يرغمون. و الفتنة الرجوف التي يضطرب الدنيا بها.

الرجفان: شدة الاضطراب. و القاصمة: المهلكة. الرجوف: الساعية في
هلاك كل شيء و كلها صفات للفتنة التي تظهر آخرا و أصل القصم الكسر
مع الفصل. و الزحف: المشيء. و تزيع: تعوج. و الهجوم: الاتيان غفلة بشر و
عند نجومها: أي ظهورها و بلوغها و حطمته: أي كسرتة.

يتكادمون، أي يتعاضون. و العانة: القطيع من حمر الوحش و الجمع
عون. و المسحل: حديدة عريضة تحت فم الفرس إذا أجم. و ترضهم:
تدقهم. و الكلكل: الصدر. و العبيط: الدم الطري الخالص.

ثلمت الأثناء أثلمه بالكسر اذا كسرت من فه شيئاً فانتلم، و في
السيف ثلم إذا انكسر من حافتيه و هذا اشارة إلى هذه الفتن المتولدة من
تلك الفتنة و قد عاش أهل الدنيا أول مرة و مع هذه الفتن خرب الدين
و الدنيا كما فصله.

القتيل المطلول: الذي طلّ دمه، أي أهدر و روي يختلون يعقد الايمان،
أي أهل الدنيا بأيمانهم، و إيمانهم: أي يظهرون أنهم مؤمنون فينخدع بقولهم
المؤمنون حقاً.

الانصاب: جمع نصب و روي أنصاراً «و اتقوا مدارج الشيطان»: أي
مذاهبه. و المهابط: منخفضات الأرض. و العدوان: الظلم. و لعق الحرام: لقمه،
و اللعقة ما يأخذه الملعقة، و لعقت الشيء: لحسته.

(١٥٢) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَ بِمُحَدَثِ خَلْقِهِ عَلَى
 أَرْزَلِيَّتِهِ، وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا^(١) شَبَهَ لَهُ لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَ لَا
 تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ؛ لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمُحْدُودِ،
 وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَ
 نَصْبٍ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ^(٢) آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لَا
 بِمُمَاسَّةٍ، وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاحِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيِيَّةٍ، وَالْبَاطِنِ لَا
 بِلَطَافَةٍ.

بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا، بَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ
 بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ
 عَدَّهُ، وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ، وَ مَنْ قَالَ «كَيْفَ»؟ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ، وَ
 مَنْ قَالَ «أَيْنَ»؟ فَقَدْ حَيَّرَهُ عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ، وَ رَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَ
 قَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورَ.

منها:

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَ لَمَعَ لَامِعٌ، وَ لَاحَ لَائِحٌ، وَ اعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَ اسْتَبَدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَ بِيَوْمٍ يَوْمًا، وَ انْتَبَرْنَا الْغَيْرَ انْتَبَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ، وَ إِنَّمَا الْأَيُّمَةُ قَوْمٌ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَ عَرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ، وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ.

إِنَّ اللهُ تَعَالَى حَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَ اسْتَخْلَصَكُمْ^(١) لَهُ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَ جِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مِنْهَجَهُ، وَ بَيَّنَّ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ^(٢) عِلْمٍ، وَ بَاطِنِ حُكْمٍ، لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النَّعْمِ، وَ مَصَابِيحُ الظُّلْمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِحِهِ^(٣)، وَ لَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ^(٤) قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَ أَرَعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي، وَ كِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

منها:

وَ هُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، وَ يَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَ لَا إِمَامٍ قَائِدٍ.

١- في ب: و استخصكم.

٢- في حاشية م: و ظاهر علم.

٣- في ن و ض و ح: بمصابيحه.

٤- في ض و ح و م: بمفاتيحه.

منها:

حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ
جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا، وَ اسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا
أَدْرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ، وَ لَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطْرِهِمْ! وَ إِنِّي أَحْذَرُكُمْ^(١)، وَ
نَفْسِي هَذِهِ الْمُنْزَلَةَ، فَلَيْتَنَفَعَ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ
فَتَفَكَّرَ، وَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ انْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ
فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَ الضَّلَالَ فِي الْمَعَاوِي، وَ لَا يُعِينُ عَلَى
نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِنَعْسَفٍ فِي حَقِّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نَطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ^(٢) مِنْ
صِدْقٍ.

فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَ اسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ! وَ اخْتَصِرْ
مِنْ عَجَلَتِكَ، وَ أَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَ لَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَ خَالَفَ مَنْ
خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَ دَعَاهُ وَ مَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَ ضَعَّ فِخْرَكَ، وَ
اِحْطَطُّ كِبْرَكَ، وَ اذْكُرْ قَبْرَكَ^(٣) فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ؛ وَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَ
كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَ كَمَا قَدَمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا، فَاْمْهَدْ لِقَدَمِكَ،
وَ قَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَ الْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ
(وَ لَا يُبْنِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ).

١- في: و احذرهم و نفسى. ش: فاني احذرکم.

٣- في ب: و اذكر قدرک.

٢- في ش: أو تخوف.

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ^(١) اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ، وَ يُعَاقِبُ، وَ لَهَا يَرْضَى وَيَسَخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ أَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخِصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتَّبِ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعَرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ.

اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَثَلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ.

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمَّهَا بُطُونُهَا، وَ إِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَ إِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَائِفُونَ.

(١٥٣) و من خطبة له عليه السلام

وَ نَاطِرٌ قَلْبِ اللَّيْبِ: بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَ يَعْرِفُ غَوْرَهُ وَ نَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا وَ رَاعٍ رَعَا، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَ اتَّبِعُوا^(٢) الرَّاعِي. قَدْ خَاصُوا بِحَارِ الْفِتَنِ، وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَ أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ وَ نَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ. نَحْنُ الشُّعَارُ، وَالْأَصْحَابُ،

وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ
غَيْرِ أَبْوَابِهَا سَمِيَ سَارِقًا.

منها:

فِيهِمْ كَرَامٌ الْإِيْمَانِ^(١)، وَ هُمْ كُنُوْزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَ
إِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا، فَلْيَصِدُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ، وَ لِيُحْضِرْ^(٢) عَقْلَهُ، وَ لِيَكُنْ
مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَ إِلَيْهَا يَنْقَلِبُ، فَالِنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ
بِالْبَصْرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ
مَضَى فِيهِ، وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْعَامِلَ^(٣) بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ
عَلَى^(٤) غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ^(٥) إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ،
وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ^(٦) عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرًا سَائِرًا
هُوَ أَمْ رَاجِعٌ.

وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ
بَاطِنُهُ، وَ مَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ وَ قَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَ

٢- في ن: فليحضر ذهنه.

١- في ض و ن و ف: كرائم القرآن.

٣- في ف و ن: وان العامل.

٤- في حاشية ن و ش: كالسائل على غير طريق.

٥- في ض و ح: من الطريق الواضح.

٦- في ب: كسائر على الطريق و ش: كسائل عن الطريق.

يُحِبُّ الْعَمَلَ وَيَبْغِضُ بَدَنَهُ». وَاعْلَمْ^(١) أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ: فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبِثَ سَقْيُهُ خَبِثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

بيانه

ذكر بعد الحمد لله أنه تعالى دلنا على وجوده بفعله الخاص الذي هو خلق الأجسام فمن علم حدوثها استدللّ به على صانع قادر لذاته، ومن علم كون هذه الأجسام محدثة علم أن صانعها قديم ليصح كونه قادراً لذاته، والقديم هو الواجب الوجود في الأزل.

لا تلمسه الحواس التي هي اليد والرجل ونحوهما، ويؤكد الرواية الأخرى وهي لا تشتمله الأيدي والمراد بالمشاعر هنا الحواس، ويكون في اللغة مواضع المناسك أيضاً هو الأحد لا يتأويل عدد، بل لكونه لا مثل له ولا ند ولا ضد ولا شبيه ولا نظير.

قوله: «من وصفه»، أي من وصف الله بصفات المحدثين فقد جعل له تعالى حداً وابتداءً وعدّه من جملة المحدثات وأنكر قدمه، وقوله: «اذ لا معلوم ولا مقدور»، أي كان الله قادراً عالماً ولم يكن هذه الموجودات المعلومة والمقدوره يدّل عليه قوله: «ربّ اذ لا مربوب».

قوله: «قد طلع طالع»، قيل إنما قاله: بعد رجوع الأمر إليه على ما شافهه النبي عليه الصلوة والسلام ولمع لامع بقتل عثمان وأشار إلى بعض

ما لاح، و قوله: «ظاهر علم و باطن حكم»، المراد بالعلم والحكم هنا القرآن و من يتعلق بقوله: بين الله حججه.

هم محمد و أوصيائه الاثني عشر من عترته الذين يدل عليهم ظاهر آيات كثيرة من القرآن، و باطن أحكام القرآن يدل عليهم أيضاً، فهم عالمون لها دون غيرهم و لا يدخل الجنة، إلا من عرفهم و عرفوه.

انما قال: ذلك لأن من جوز خلوّ الزمان من الامام المعصوم الذي هو لطف للمكلفين، لم يعرف عدل الله اذ كان عنده أنه تعالى أخل بالواجب الذي هو اللطف في التكليف، و لا يدخل النار على سبيل الخلود الا هو كافر و هو من أنكره الله و أنكر حجج الله و لا يعرفونه بكونه مؤمناً.

المنهج، الطريق الواضح، والمرابع: الأمطار التي يجيء في أول الربيع و روي مفاتيحه و أممى حماه، أي منع المحرمات التي هي حماه و أحميت المكان جعلته حمى و قوله: «مرابع النعم»، أي في القرآن جميع أسباب الخيرات والنعم، و قوله: «حتى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم»، أي بين لهم عند الموت بالعلم الضروري كون النار التي أعدها للكافرين و ان ذلك جزاءهم. قوله: «و هو مهلة»، قيل: هو من اعتزل و هو في حرب الجمل، ثم ذكر وعظاً عاماً. والجلايبب: الثياب و هاهنا استعارة عن غفلتهم البليغة، يعنى أخرج الله الكفار عند النزح منها و ذلك لا ينفع عند الاحتضار إذا غرغوا استقبلوا أمراً مدبراً لهم و هو أحوال يوم القيامة.

استدبروا أمراً من أمور الدنيا التي كان لهم فيها إقبال فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم، أي من الأموال التي جمعوها، والملك الذي طلبوه، و لا بما قضا من وطرهم، أي من حاجتهم من قضاء شهوات البطن والفرج. الجدد: الأرض الصلبة التي من مشى فيها أمن العثار كما قيل: في المثل. والمهاوي: المساقط. والتعسف: الاخذ على غير طريق. والتخوف: التنقص.

و أفاق من مرضه و من سكره: أي رجع إلى حال صحته من غشي كان به و نحوه. و أنعم الفكر؛ أي بالغ في التفكير والتأمل، و أنعم فلان النظر في كذا. قيل: إنه مقلوب أمعن و قيل: هو من سحقه سحقاً نعماً، أي سحقاً يقال: فيه نعم، ما سحق فاشتق منه فقيل أنعم سحقه ثم استعير فقيل: أنعم النظر في كذا و لا محيص عنه، أي لا معدل عنه و احطط كبرك، أي ضع التكبر من علو الى انحطاط، و كما تدين تدان، أي كفعلك تجزى، أي كما تفعله تجازى.

سُمى الأول أيضاً جزءاً مجازاً للازدواج، كما قال تعالى «مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^(١)، و ان كان الثاني في الآية مجاز، أي على عكس ما نحن فيه فالحذر الحذر، أي خذ الحذر فيما فعلت في الماضي و فيما تفعله في الآتي.

والزم الحدّ سراً و إعلاناً ان من عزائم الله، أي من مواجهه تعاله و العزيمة في الامر ما ليس لك أن تفعل غيره و روى جهد نفسه وكلاهما لغة يعني أن مما أوجب الله أن الأمر والشأن لا ينفع عبداً أن يخرج من الدنيا، أي خروجه منها مع شيء من هذه الاشياء التي يأتي ذكرها و هي أن يشرك بالله، أو قتل مؤمناً عمداً، لكونه مؤمناً.

الحصالة الاربعة الآخر التي ذكرها بقوله: «أن يخرج من الدنيا»، فاعل، قوله: «لا ينفع عبداً»، قوله: «أن يشرك بالله»، محله و محل ما عطف عليه الرفع على تقدير تلك الحصلة الشرك بالله بدلا من قوله: بخصلة فيكون موضعه جراً.

ثم قال «اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه»، أي اجعل ذلك معقولاً

لك و تجنب هذه الأفعال و جميع ما تظن، أنه ليس منها، فان مثل الشيء يجر الشبهة في أنه كهو و روي على شبهة، و هذا أوضح. والعدوان، الظلم. والمستكين: الخاضع. والمشفق: الخائف.

«ناظر قلب اللبيب» مبتدأ و خبره «يبصر أمده»، و يجوز أن يكون جرى قلبه ذكر آل محمد، فكأنه قال: حبههم كذا ثم عطف عليه قوله: و ناظر قلب العاقل و يعرف الانسان بتفكر القلب غوره، أي منزله السهل و يجده منزله الصعب.

ثم قال: «داع دعاً و راع رعا»، أي ذاك الذي يعرف به الأنسان حلاله و حرامه، النبي الداعي، و الامام الراعي. ثم أمر باجابة دعوة الأول، و اتباع طريقة الثاني، ثم ذكر الذين رغبوا عن ذلك و جاؤوا بالبدعة في الدين فكانوا فتنة في العالمين، و أرز المؤمنون، أي أقبضوا و انضموا لما نطق المكذبون.

ثم قال: «نحن الشعار»، أي نحن نبي الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كما يلي الشعار دون الدثار من الثياب، و قوله: «فليصدق رائد أهله»، أمر منه يتضمن المثل المعروف و هو «الرائد لا يكذب أهله».

ثم ذكر أن آل محمد كنوز الله، ثم كان وصى أهل العلم أن يبينوا مناقبهم للناس و لا يكتموها فانهم بمنزلة الرائدین، و من حضر عقله عرف آل محمد، و قوله: «فليكن من أبناء الآخرة فانه منها قدم و اليها ينقلب»، فكأنه قال: لا تكن أيها المخاطب من أبناء الدنيا و ان كنت خلقت فيها و إن كل واحد منها، أي من أهل الآخرة قدم و اليها يكون منقلبه و مرجعه.

قيل: فانه فيها قدم كلام مستأنف والضمير في منها لا يكون للآخرة، وإنما يكون ضميراً للارض و هي بمنزلة قوله تعالى: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا

نُعِيدُكُمْ»^(١)، وقيل: انه من قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مُمِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^(٢)، والساتر: الآخذ السبيل والسالك فيها.

قوله: «أسائر هو أم راجع»، كلام هاشمي حرّ، أي فليتأمل من سلك طريقاً أنه على جادة الحق أمر في مضلة فان كان على المنهاج المستقيم فهو في طريق يسار فيها إلى الجنة، وان كان على ضلال فانه يمشي في سبيل ينبغي أن يرجع عنها إلى غيرها فما هو الصراط القويم.

ثم قسم أحسن تقسيم وجعل الأعمال على وجوه لا يقلوا عنها شيء، منها يقال: ان الظاهر كل عمل من الطاعات أو المعاصي باطناً يشبهه و كل صلاة يقيمها عبد مؤمن قربة لله فلما يكون ظاهرها طاعة يكون جزاؤها ثواباً عظيماً، فكلاهما طيب أعني الظاهر والباطن و كل من زنا أو سرق فظاهر فعله خبيث و يكون جزاؤه عذاباً أليماً استخبثه النفوس و لا يستطيعه.

ثم روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً معناه أن المؤمن ربما يعمل بالجوارح فعلاً قبيحاً فالله يثيب ذلك المؤمن بإيمانه و يبغض ذلك العمل القبيح و يكرهه له، و على عكس ذلك ربما يحسن كافر مثلاً إلى ضعيف، و يعدل بين الناس و يصدق في المقال.

فانه تعالى يبغض بدنه لكفره و يجب ذلك العمل الحسن الذي هو على سنة الواجب أو النفل و معنى يحب العبد، أي يريد أن يثيبه و معنى يحبّ العمل يريد الله تعالى أن يفعل العباد الحسنات والاحسان إلى خلقه، ثم فصل تفصيلاً حسناً لذلك و قيل: يحبّ بمعنى يريد و يبغض بمعنى يكره.

(١٥٤) و من خطبة له عليه السلام

يذكر فيها بديع خلقه الخفاش

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَ رَدَعَتْ
عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَيَّ بُلُوغَ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ، هُوَ اللَّهُ
الْحَقُّ^(١) الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا تَرَاهُ الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ
فَيَكُونُ مُشَبَّهًا، وَ لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا، خَلَقَ
الْخُلُقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ، وَ لَا مَشُورَةَ مُشِيرٍ، وَ لَا مَعُونَةَ مُعِينٍ، فَتَمَّ
خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَ أَدْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَ لَمْ يُدَافِعْ^(٢) وَ انْقَادَ وَ لَمْ
يُنَازِعْ.

وَ مِنْ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ، وَ عَجَائِبِ^(٣) خَلْقَتِهِ؛ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ
الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَفْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ،
وَ يَسْطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَ كَيْفَ عَشَيْتَ أَعْيُنُهَا، عَنْ أَنْ

٢- في ب: ولم يدفع.

١- في ض و ب: هو الله الملك الحق.

٣- آ في ض و ب: وعجائب حكمته.

تَسْتَمِدُّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيَّةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَ تَصِلُ
بِعَالَمِيَّةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، وَ رَدَعَهَا تَلَأُوءِ ضِيَائِهَا عَنِ
الْمُضِيِّ فِي سُبْحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَ أَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي
بَلَجِ اثْتِلَاقِهَا.

فَهِيَ مُسَدِّلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وَ جَاعِلَةٌ^(١) اللَّيْلِ
سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ
ظُلْمَتِهِ، وَ لَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِعَسَقِ دُجْنَتِهِ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ
قِنَاعَهَا، وَ بَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَ دَخَلَ مِنْ^(٢) إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى
الضُّبَابِ^(٣) فِي وَجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَا قِيَهَا، وَ تَبَلَّغَتْ بِمَا
اِكْتَسَبَتْهُ^(٤) مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلْمِ لَيَالِيهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَ مَعَاشًا، وَ النَّهَارَ^(٥) سَكْنًا وَ
قَرَارًا، وَ جَعَلَ لَهَا أَجْنَحَةً مِنْ^(٦) لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى
الطَّيْرَانِ، كَانَتْهَا شَطَايَا الْأَذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ، وَ لَا قَصَبٍ، إِلَّا أَنْكَ
تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَامًا، لَهَا جَنَاحَانِ لَمْ يَرَقًا فَيَنْشَقَّا، وَ لَمْ
يَعْلُظَا فَيَنْثَقُلَا، تَطِيرُ وَ وَلَدَهَا لَاصِقٌ بِهَا، لَاجِئٌ إِلَيْهَا.

يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَ يَزْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ

٢- في م و ف ن : و دخل اشراق نورها.

٤- في ب : بما اكتسبت من في ظلم لياليها.

٦- في ر : و روى اجنحة من لحم.

١- في م : و عاجلة الليل.

٣- في حاشية ن : على الضباع.

٥- في ش : و جعل النهار

أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَ مَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

(١٥٥) و من كلام له عليه السلام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ! فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَ مَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.

وَ أَمَّا فَلَانَةٌ فَأَدْرَكَهَا رَأْيِي^(١) النَّسَاءِ، وَ ضِعْنُ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الثَّقَيْنِ، وَ لَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ. وَ لَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَ الْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ.

منها:

سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ، فَبِالْإِيْمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَ بِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيْمَانِ، وَ بِالْإِيْمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَ بِالْعِلْمِ يُزْهَبُ الْمَوْتُ، وَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَ بِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ (وَ بِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ تُبْرَزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ)^(٢) وَ

١- في هامش م: فادركها ضعف رأى النساء وكذا في ر.

٢- ساقطة من ف و ن و ل و ش.

إِنَّ الْخُلُقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُضْوَى.

ومنه

قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَ صَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا: لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَ لَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا؛ وَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ إِنَّهُمَا لَا يَقْرَبَانِ مِنْ أَجْلِ وَ لَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالثُّورُ الْمُبِينُ، وَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَ الرَّيُّ النَّاقِعُ، وَ الْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَ النَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ لَا يَعُوجُ فَيَقَامُ، وَ لَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتَبُ، وَ لَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَ وُلُوجُ السَّمْعِ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَ مَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

و قام إليه رجل و قال: أخبرنا عن الفتنة، و هل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ فقال عليه السلام: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: (الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، بَيْنَ أَظْهَرِنَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ.

إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتَشْهَدَ مِنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ حِيزَتْ عَنِّي

الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي «أَبَشِّرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟»
فَقَالَ لِي «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا؟»

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَ لَكِنْ مِنْ
مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ، وَقَالَ «يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي
بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَعْتُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنُّونَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ
سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ،
فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالتَّبِيدِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدْيَةِ، وَالرِّيَا بِالْبَيْعِ» فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ؛ بَأَيِّ الْمَنَازِلِ ^(١) أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أِبْمَنْزِلَةٍ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةٍ
فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ «بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ».

بيانه

ذكر عليه السلام خطبة الخفاش تنبيهاً للمكلفين على النظر في
عجيب فعل الله دفعاً لمذاهب أهل الطباع و رداً لأقوالهم و ذلك لأنهم لما
عموا عن دقائق حكمة الله في أفعاله التي أجزاها الله على وتيرة واحدة
كاختلاف الليل والنهار، والصيف والشتاء، و طلوع الشمس والقمر من
مطلعهما، و غروبها في أوقات معينة لوجوه صحيحة.

و خلق الحيوانات من ماء مهين على أحوال كثيرة و أطوار عجيبة
لمصالح لطيفة ذهبوا إلى أن هذا كله إنما يكون على سبيل الطبع أوها مؤثر

موجب واعتقدوا قدم أكثر المحدثات.

فقال عليه السلام: الحمد لله؛ الذي انحسرت و انكشفت أوصاف الواصفين عن كنه المعرفة به و غاية العلم بذاته، فانه تعالى ليس بمدرك ليعرف من طريق المشاهدة التي هي غاية المعارف للمحدثات المدركة.

ثم وصف عظمته تعالى بأن العقلاء تعجزون أن بلغوا نهاية العلم بسلطانه و ملكوته، أو يعلموا غاية مقدوراته و معلوماته اذ ليس لشيء من ذلك غاية يتناهى إليها ثم بين أن المراد بقوله: «كنه معرفته» هو امتناع أن تراه العيون والمعنى يكون العقول عاجزة عن تحديد جلال الله.

انه لا يشبه شيئاً، و لا يشبهه شيء، لا يمثل بالاجسام و لا يشبه بالأعراض كالألوان و غيرها، بل خلق تعالى كل شيء منها بلا مثال سابق من غيره و لا احتياج إلى سواه فكان تعالى إذا أراد شيئاً فحسبه أن يقول: له كن فيكون بلا ممانع و لا منازع.

ثم ذكر عجب خلقه الخفاش، و أشار إلى شيء من غامض حكمته فيه إنها تغشي بالنهار المضي، و تبصر في الليالي المظلمة، على خلاف الحيوانات الآخر، و أنها تطير بلا أجنحة مثل ساير الطيور، و أن ولدها يلصق بها في حال طيرانها. والانحسار: الانكشاف.

المعارف على ضربين استدلالية و ضرورية، و كنهها و غايتها ما يعرف اضطراراً كالعلوم التي يخلقها الله في قلوبنا على سبيل الابتداء، أو كما يحصل لنا من العلوم على طريق المشاهدة. و ردعت: أي كفت. والمساع: الطريق. و أذعن: انقاد.

السبحات: النور في الحديث لأ حرقت سبحات وجهه جلّ جلاله، أي نور وجهه عز و جل و روي سبحات بالجيم، أي قصان و هو استعارة هنا على الوجهين: و اشرقت الشمس: اضاءت، و أشرق فلان: دخل في

الشروق، و بلج ائتلافها: اشراق لمعانها.

يقال: صبح أبلج بين البلج، أي الاشراق. و بلج الصبح بلوجاً طلع، و مسدلة الجفون على حداقها، أي مغمضة على نواظرها.

يقال: سدل ثوبه يسدله بالضم سدلاً أرخاه و إضافة الاسداف إلى الظلمة للتخصيص كقولهم: كرى النوم و أسدف الليل أظلم إظلاماً مخصوصاً، قال أبو عبيدة: هو اختلاط الظلام بالضوء كما يكون بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

السدفة عند أهل نجد: الظلمة و عند غيرهم الضوء، و هو من الأضداد و غسق دجنته هذه الاضافة أيضاً لتأكيد الوصف بالظلمة و غسق الليل أظلم.

قال تعالى: «إلى غسق الليل»^(١)، أي ظلمته والدجنة من الغيم المطبق، والأوضح جمع وضح و هو الضوء والبياض. والوجار: سرب الضبع و استعماله هنا مجاز.

«أطبقت الأجنان على ما فيها»، و أطبقت الشيء إذا غطيته و موق العين طرفها مما يلي الأنف والأذن، والجمع آماق و مآقي العين لغة في موق العين و هو فعلى و ليس بفعل لأن الميم من نفس الكلمة و إنما زيد في آخره الياء للالحان.

روي أجنحة من لحم و تعرج، أي تصعد و شظايا الأذان: زوايدها، والشظية: الفلقة من العصا و نحوها الجمع، الشظايا والقصب كلّ عظم مستدير أجوف، الواحدة قصبه، والقصب عروق الرية و هي مجاربه، أي لا ريش للخفاش و لا عظم فيه و لا عرق كما يكون لسائر الطيور.

روي لها جناحان على ما هو التقدير في الرواية الأخرى والنهوض القيام، فمن استطاع، أي قدر أن تعتقل ان تجبس، و روي فأدركها ضعف رأي النساء، على ما هو تقدير الرواية الأخرى. والضغن: الحقد و كمرجل القين، أي كقدر الصباغ.

القين عند العرب كل من يعمل بالقار و هاهنا مخصوص بما ذكرنا، و وصف السبيل بأنه أبلج المنهاج: أي واضح الطريقة المستقيمة. فبالايمان يستدل على الصالحات، أي من كان مؤمناً يدلّه إيمانه على فعل الأعمال الصالحة فإذا علم الانسان كون غيره مؤمناً و صلى ذلك الغير و حج علم أن له ثواباً و استدلّ بايمانه على أن صلاته و حجه من الصالحات.

ثم قال: «و بالصالحات يستدل على الايمان»، و من علم من غيره عملاً صالحاً استدل به على الايمان، أي هذه أمانة تلك و تلك من علامة هذا و بالايمان يعمر العلم، أي من لم يكن مؤمناً و أن حصل علوماً جمة فلا ثواب له عليها، و مع الايمان يعمر العلم، أي يكون له ثواب و يصير ذلك العلم معموراً باستحقاق الثواب.

بالعلم يهرب الموت مقتبس من قوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(١)، و لا مقصر للخلق عن القيامة، أي لا مجلس لهم عنها مرقلين: أي مسرعين في مضارها، أي ميدانها و شخصوا من الاجداث، أي خرجوا من قبورهم.

يقال: شخص فلان من بلد إلى بلد: أي ذهب و وصف الري بالناقع للتأكيد يقال: سم ناقع: أي بالغ، و دم ناقع: أي طري، و نقع الماء العطش

سكنه و وصف القرآن بعشرة أوصاف فما فوقها بعضها على النبي و أكثرها على الاثبات و الفتنه لا تنزل و النبي بين أظهرنا: أي لا تقع.

الفتنة البلية المحرقة المهلكة و ذاك أشد من القتل، و الفتنه كلّ اعتقاد فاسد و طريقة باطلة يتدعها انسان يميل إليها الشهوات، و يجمعها الجهال، و يتبعها، و منه فتنة المرأة إذا بلهته و أحبها، و أفتنته أيضا.

افتتن يتعدى و لا يتعدى و روي سيفتونون يقال: فتن الرجل و افتتن إذا أصابته فتنة و استشهد و صار شهيداً. و حيزت، أي جمعت عني و دفعت.

الشهادة: القتل في سبيل الله، و شق ذلك علي، أي صعب. و يأمنون سطوته: أي عقوبته التي بغته، و السطوة: الحملة، و النبيذ ضربان: حلال و حرام فاذا تقع الزبيب و التمر فنش ماؤهما فذاك حرام محظور، كان ماء المدينة مرّاً لا يستطاع التطهير به.

فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله أصحابه أن يتخذ كل واحد منهم شيئاً أو قربة و يملأ بالماء و يجعل فيها تيمرات فيرمي كل رجل بجفنة من التمر في الماء الملح، و يبيت فينكسر ملوحته، و يستطاب عند الصباح، فاذا ترك مدة مديدة فيتغير و يصير مسكراً كان حراماً.

فمن قال: على القياس تمرة طيبة و ماء ظهور فاتخذها و تطهر به ففقد بَاءَ بَعْضِ مِنَ اللَّهِ، و استحل الخمر. أي استحل المسكر الذي حكمه حكم الخمرة التي هي من العصيرة، و السحت: الرشوة. و سحقه: أي استأصله قال تعالى: «أَكَّاوْنَ لِلْسُّحْتِ».

و من استحل الربا يقول: «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا»^(١)، و تميزه الردة من

الفتنة فيه لطيفة، و ذلك لأن الامام إذا رأى مرتداً يجب عليه أن يجري على المرتد أحد وجهيه المذكورين في كتب الفقه، فاذا رأى أمة من الناس افتتنوا بمذهب فاسد من المذاهب المستحدثة في الاسلام حلّ شبههم في ذلك فان بجمع، وإلا فالله من ورائهم.



(١٥٦) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَ سَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَ دَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَ عَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَ لَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ. آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ^(١)، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَخْدُوكُمْ حَدَوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَ ارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَ مَدَّتْ بِهِ شِيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَ زَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَ النَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَ الْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ: لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَ لَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلَا وَ بِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حَمَةُ الْخَطَايَا، وَ بِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى.

عِبَادَ اللَّهِ؛ اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَ أَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ

قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ^(١) الْحَقِّ وَ أُنَارَ طُرُقِهِ. فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، قَدْ^(٢) دَلَّلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَ أَمْرْتُمْ بِالظُّغْنِ، وَ حَثَّيْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَ قُوفٍ، لَا تَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ^(٣) بِالسَّيْرِ أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ؟ وَ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلَبُهُ، وَ تَبَقَى عَلَيْهِ تَبِعْتُهُ وَ حِسَابُهُ؟!!

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَثْرَكٌ، وَ لَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ! عِبَادَ اللَّهِ؛ احذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَ يَكْثُرُ فِيهِ الزُّلْزَالُ، وَ تَشِيْبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ.

اعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَ عُيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَ حِفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَ عَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَا تَسْتُرْكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ لَيْلٍ^(٤) دَاجٍ، وَ لَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ، وَ إِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَ يَجِيءُ الْغَدُ لِاحِقًا بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحَدَّتِهِ، وَ مَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَأَلَهُ مِنْ بَيْتٍ وَحَدَةٍ، وَ مَنْزِلٍ وَحَشَةِ، وَ مَفْرَدٍ غُرْبَةٍ! وَ كَانَ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَ السَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَ بَرَزْتُمْ لِفِضْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَا حَتْ عَنْكُمْ

١- في ض و ح و ب : قد اوضح لكم سبيل الحق.

٢- في م و ب : بالمشير.

٣- في ش : فقد دللتم.

٤- في ب : ظلمة داج.

الْأَبَاطِيلُ، وَ اضْمَحَلْتُ عَنْكُمْ الْعِلْلُ وَ اسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ، وَ صَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعَظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ، وَ انْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

(١٥٧) و من خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَ طُولِ هَجَعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَ انْتِقَاضِ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَ النُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ: ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ، وَ لَكِنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ، أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ، وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

منها:

فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبٍ، إِلَّا، وَ أَدْخَلَهُ الظَّلْمَةُ تَرْحَةً، وَ أَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَازِرٌ، وَ لَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، أَصْفَيْتُمْ^(١) بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَ أَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَ سَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَا كَلَّا بِمَا كَلَّ، وَ مَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ: مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ، وَ مَشَارِبِ الصَّبْرِ وَ الْمَقْرِ. وَ لِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَ دِثَارِ السَّيْفِ، وَ إِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وَ زَوَامِلُ الْأَثَامِ فَأَقْسِمُ ثُمَّ

أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمِّيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

(١٥٨) و من خطبة له عليه السلام

وَ لَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ، وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ: وَ
أَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّقِ الذُّلِّ، وَ حَلَقِ الضَّيْمِ، شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ! وَ
إِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصْرُ، وَ شَهْدَةً الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ^(١).

بيانه

ابتدأ بحمد الله ؛ الذي جعل في أول القرآن الحمد لله رب العالمين؛
والذكر القرآن لقوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ»^(٢)، و قال: في الحمد لله
أمران أحدهما أنه تعالى جعله سببا لزيادة النعم قال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ»^(٣).

٢-الحجر: ٩.

١-في هامش: المنكر الكبير.

٣-ابراهيم: ٧.

الثاني أنه تعالى لما وضعه في مبدأ كتابه كان غرضه أن الناظر فيه يستدل بذلك على عظمة الله و جلاله، و على أنه تعالى منعم على الخلائق بالآلاء و النعماء.

ثم وعظ الخلق فقال: اعتبروا بمن كان قبلكم و بمعاملة الدهر معهم فإنه يجري بكم مثل ما جرى بهم، فكما مضى عمر أحدهم و ماله و نعمته و صحته، فلا يبقى لأحدكم أيضاً مثلها أن كان عنده و يفعل بكم آخر كما فعل بهم أولاً و ذكر الدهر على عادة العرب والمراد داهر الدهر الذي هو الله تعالى.

ثم قال: «أموره متسابقة»، أي أن أحوال الدهر متسارعة يتسابق خيرها و شرها و يتبادر سراؤها و بؤسها، لا يبقى شيء منه سرمداً، أي أبداً و روي متشابهة أموره.

ثم قال: «متظاهرة أعلامه»، أي متناصرة راياته بالانقضاء و متعاونة علاماته على الفناء ثم قال: فكأنكم بالقيامة قد قامت و ساقنكم من القبور إلى موضع العرض سوقاً عنيفاً مثل سوق الزاجر من جملة الرعاة بالشول، و هي النوق التي خف لبنها و ارتفع ضرعها و أتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية.

فلا إبقاء في سوقها و لا مدارة كما يكون مع العشار والواحدة شائلة و هو جمع على غير قياس فمن اشتغل بغير مصالح نفسه ارتبك في الهلاك، أي نشب فيه على وجه لم يكده يتخلص منه و أمده الشياطين الذين تجتمعون عليه في طغيانه و عصيانه.

يقال: مدبه و أمده، أي مهل له، قال تعالى: «وَيَمِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ»^(١)، والفجور الفسوق و لا يحرز، أي لا يحفظ و حمة الخطايا هي الذنوب و هو استعارة والقصوى تأنيث الاقصى يريد باليقين يدرك الغاية البعيدة التي هي الخلود في الجنة.

«الله الله»: أي خافوا الله، والظعن: الارتحال في السير، يقال: ظعن: أي سار ظعنًا. و قد قرىء بهما «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ»^(٢)، والتبعة ما يتبع شيئاً و اختصت بالذنوب لانها تابعة للفعل القبيح، والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث. والعيون: الجواسيس، وقيل: داج: أي مظلم.

و لا يكنكم: أي لا يسترکم باب دور تاج، أي إغلاق و زاحت، أي بعدت. و اضمحلت، أي زالت. و استحقت: أي صحت و وقعت. والهجة النوم والغفلة. والنوحة: الحزنة. والنقمة: العقوبة. و سينتقم الله: أي يقتص. والعلقم: ثمر الحنظل و هو مرّ. والصبر والمقر بمعنى المر أيضا، والمطايا: النوق، جمع مطية. والزوامل: البعران، جمع زاملة.

إنما يقال: زاملة للبعير الذي يستظهر الرجل بحمل متاعه و طعامه عليه، و قوله: «كما يلفظ النخامة»، أي يرمى ماء الأنف إذا دخل الفم أو ينزل في الحلق، و لتنخمها، أي لترمينها يقال: تنخم، أي تنخع و ربق الذل حبالته و اطراقاً: أي نكسا للرأس يقال: أطرق الرجل إذا سكت و لم يتكلم مرخياً عينيه ينظر إلى الأرض.

(١٥٩) و من خطبة له عليه السلام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكْمَةٌ، وَ رِضَاهُ أَمَانٌ وَ رَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَ
يَعْفُو ^(١) بِحِلْمٍ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَ تُعْطِي، وَ عَلَى مَا
تُعَافِي وَ تَبْتَلِي، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَ أَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ،
وَ أَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَ يَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْدًا
لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَ لَا يَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَ لَا يَفْنَى
مَدَدُهُ.

فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ
سِنَّةٌ وَ لَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ، وَ لَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارَ،
وَ أَحْصَيْتِ الْأَعْمَارَ، وَ أَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ، وَ مَا الَّذِي نَرَى
مِنْ خَلْقِكَ وَ نَعَجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَ نَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَ مَا
تَعَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَ قَصَّرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَ انْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَ حَالَتِ
سُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ؛ أَعْظَمُ.

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَ أَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَ

كَيْفَ^(١) ذَرَأَتْ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقَتْ فِي الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ، وَكَيْفَ
مَدَدَتْ عَلَى سَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيْرًا، وَعَقْلُهُ مَهْورًا وَ
سَمْعُهُ وَالْهَاءَ وَفِكْرُهُ حَائِرًا.

منها:

يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ
رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؛ فَكُلُّ مَنْ رَجَا^(٢) عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، إِلَّا رَجَاءَ
اللَّهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ: يَرْجُو
اللَّهِ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي
الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

يَقْصُرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ^(٣) لِعِبَادِهِ؟! أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ
كَاذِبًا، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا، وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ
عِبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا،
وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا، وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي
عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ^(٤)، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ
عَبْدًا لَهَا.

لَقَدْ كَانَ^(٥) فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَافٍ لَكَ فِي

١- في ب: عرشك و ذرأت خلقك. ٢- في حاشية ش: و كل رجاء الارعاء الله.

٣- في ض و ب: يضع لعباده. وفي ح: يضع به لعباده.

٤- في ن و ب: موقعها في قلبه. ٥- في ب: و قد كان.

الْأُسُورَةَ وَ دَكِيلٌ لَكَ عَلَى ذِمِّ الدُّنْيَا وَ عَيْبِهَا، وَ كَثْرَةَ مَخَازِيهَا وَ مَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَ وُطِّتْ لِعِغْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَ فُطِمَ مِنْ رَضَاعِهَا^(١)، وَ زُوي^(٢) عَنْ زَخَارِفِهَا، وَ إِنْ شِئْتَ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، إِذْ^(٣) يَقُولُ: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)، وَ اللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خَيْرًا يَأْكُلُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ.

وَ لَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبُقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهَزَالِهِ وَ تَشَدُّبِ لَحْمِهِ، وَ إِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتَ بِدَاوُدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَ قَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَ يَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْنَعَهَا؟! وَ يَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا، وَ إِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَ يَلْبَسُ الْخَشِنَ (وَ يَأْكُلُ الْجَشِيبَ)^(٤) كَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَ سِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَ ظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَعَارِبَهَا، وَ فَاكِهَتُهُ وَ رِيحَانُهُ مَا تَنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَ لَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ، وَ لَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَ لَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجَالَهُ، وَ خَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ^(٥)، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ

١- في ض و ح و ب: فطم عن رضاعها.

٢- في ض و ح: حيث يقول.

٣- في ك: و قبضت عن زخارفها.

٤- في ش: الاطهر الاطيب.

٥- ساقطة من م و ن و ب و ل و ش.

أُسْوَةٌ لِمَنْ تَأْسَى، وَ عَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَى، وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسِي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ قَضَمٌ (١) الدُّنْيَا قَضَمًا، وَ لَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلُ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَ أَحْضَمُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَ حَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَ صَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ، وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ (٢)، وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ، وَ مُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ.

وَ لَقَدْ كَانَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَ يَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِي، وَ يُرِدْفُ خَلْفَهُ، وَ يَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانَةَ - لِأَحَدِي أَرْوَاجِهِ - غَيْبِي عَنِّي؛ فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَ زَخَّارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنِّي (٣) عَيْنِي؛ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَ لَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَ لَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنْ النَّفْسِ، وَ أَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَ غَيْبَهَا عَنِ الْبَصْرِ، وَ كَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ (٤) أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَ أَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ.

١- في م و ك: قصم الدنيا.

٢- في ض و ح و ب: ما ابغض الله و رسوله و تعظيمنا ما صغر الله و رسوله.

٣- في ش: من عينه.

٤- في ب: و كذا من ابغض الله شيئًا ابغض من ينظر اليه. وفي ل: و لذلك من ابغض شيئًا.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَا يَدُلُّكَ
عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ
رَخَائِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَأَكْرَمَ^(١) اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ
أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَبَ (وَآتَى بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ)^(٢)، وَإِنْ
قَالَ: «أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ^(٣) قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَ
زَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى^(٤) مُتَأَسِّسٍ بِنَبِيِّهِ، وَافْتَصَّ أَثَرَهُ، وَ
وَلِحَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمُنُ الْهَلَكَةَ.

فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ،
وَ مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَ مُنذِرًا بِالْعُقُوبَةِ: خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَ وَرَدَ
الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ^(٥)، وَ
أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنْهُ اللَّهُ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلْفًا
نَتَّبِعُهُ، وَ قَائِدًا نَطَأُ عَقْبَهُ، وَ اللَّهُ لَقَدْ رَفَعَتْ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى
اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَتَبَذُّهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ:
اغْرُبْ^(٦) عَنِّي «فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى».

١- في ض و ب و ش: اكرم الله.

٢- ساقطة من ش و ل و ف و ن و م و فيها فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه. وفي ح: فقد كذب والله

العظيم بالا فك العظيم. وفي ب: فقد كذب و أتى بالا فك العظيم.

٤- في هامش م: فليتأس متأس.

٣- في ب: ان الله اهان.

٦- في ح و م و ب و ل: اعزب.

٥- في ف و ن: حتى مضى واجاب.

بيانه

القضاء: الحكم. وأصله قضائي لانه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والجمع أفضية، يقول: أمر الله حكم و حكمه، أي جميع ما يأمر الله به شرعاً فهو على إطلاقه يكون إيجاباً والزاماً، و ذلك الايجاب مصلحة للمأمورين يدعو الله اليه داعي الحكمة.

قيل: أمره قضاء، أي انهاء إلى العبد و إبلاغ إليه و إن كان واجباً أو ندباً فإنه على سبيل الاختيار لا على الاجراء كما قال تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ»^(١)، أي أنهيناها إليه، و قيل: أمره قضاء: أي إرادة، كقوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»^(٢)، أي أراد و أمره و قيل: تقدير.

يقال: قضاه الله: أي قدره و منه قوله تعالى: «فَقَضَيْنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ»^(٣)، و إذا فعل العبد ما أمره الله به، و ذلك صلاحه رضي تعالى منه، و إذا رضي يؤمنه و يرحمه في الدارين ثم قال: والله يقضي بعلم، أي يحكم بما يحكم به عالماً أن ذلك مصلحة للمأمور به.

إنما حمد الله، على ما أخذ و ابتلى كما حمده على ما أعطى و عافى، لأن الله إذا رأى مصلحة الدين لعبد في أن يأخذ ماله أو يمرض بدنه فان لم يفعل ذلك به كان مفسدة في دينه، فاذا فعل فهو نعمة، إذ المصالح الدينية من أعظم النعم.

إنما قال: حمداً يبلغ ما أردت لأن مراد الله من المكلف أن يعبده ليستحق العبد الثواب بعبادته الذي كلفه لذلك، والحمد عبادة يوصل العبد

إلى مراد الله الذي هو الثواب و حمداً لا يحجب عنك، أي أحمدك حمداً خالصاً لوجهك لا رياء فيه، وإنما يكون الحمد أو نحوه من الأعمال من الله تعالى محبوباً إذا لم يكن فاعله مؤمناً.

روي و لا يقصر دونك: أي لا يحبس، يقال: قصرت الشيء أقصره قصرأ حبسته، والتقصير في الأمر التوالي فيه، و قوله: «فلسنا نعلم كنه عظمتك إلا أنا نعلم انك حي قيوم لا تأخذك سنة و لا نوم»، أظهر العجز أولاً عن أن يصح منا علم غاية عظمة الله، و معرفة نهاية جلاله تعالى.

لأنه قادر للذات و عالم للذات لا يتناهى مقدوراته و معلوماته، ثم استثنى فقال: لكننا نعرف الله جل جلاله؛ من طريق أفعاله و نعلم صفات عظمته اثباتاً و نفيًا ثم بين أن عظمته تعالى لا غاية لها فقال: «لم ينته إليه نظر، إلى قوله: و با الذي نرى خلقك»، أي أي شيء الذي نراه من مخلوقاتك.

فالذي تغيب عن أبصار نافلا نراه أعظم عما نشاهده، فما الاولى استفهامية، والثاني موصولة و تفصيل هذه الجملة ما روي أن الأرضين السبع والسماوات السبع و ما فيهن، بالاضافة إلى العرش كحلقة ملقاة في مفازة عظيمة، والحسر: التعب. والمهور: المغلوب. والواله: المتحير، والجائر: العادل.

قوله: «يدعي بزعمه أنه يرجو الله»، يجوز أن يريد به إنساناً بعينه والاولى أن يكون ذلك على الاطلاق، أي الانسان يزعم أنه راج لله و خائف من الله و لا يظهر علامة شيء من ذلك اذ لا يطلب رضاه تعالى بل ينقطع إلى الدنيا و أن رجا غيره تعالى أو خافه يبالغ في ذلك.

قوله: «يرجو الله في الكثير يعني به الثواب و يرجو العباد في الصغير»، يعني به عرض الدنيا و ما لا بد منه في العاجل من الرزق و من قبل هذا انكار منه عليه السلام على أن رجاء الله عند من يكون كذلك ليس بخالص.

تفنن في الكلام ذكره أولاً على الغيب، ثم خاطب ثم رجع إلى النسق الأول، وهذا نوع من الفصاحة، ثم ذكر شيئاً من زهد أربعة من الأنبياء ابتداء بذكر محمد ﷺ وختم به، عليه وعليهم السلام.

ثم أمر المخاطب أن يقتدي بنبيه، فإن الله يحب العبد المقتدي برسوله و قوله: «أتخاف أن يكون كاذباً في رجائه»، أي هل يخاف؛ والاستفهام على طريق المجدد، أي لا يخلو هذا الرجاء الذي لا تحقيق له أما أن يكون كاذباً فيه أو تظن أنه تعالى لا يستأهل أن يرجى والرجاء إلى الله من فلان مدخول فيه، أي فيه دخل و دخل.

يقال: دخل فلان فهو مدخول، أي في عقله دخل و عيب و ريبة، والنخل المدخول: ما يكون ثمره عفناً. والخوف المعلول نقيض المحقق، و اصل العلة المرض، و يقال: لكل حدث يشغل صاحبه من وجهه كان تلك العلة صارت شغلاً ثانياً منعه عن شغله الأول.

علله بالشيء لهاه به كما يعلل الصبيء بشيء من الطعام يتجزأ به عن اللبن، و علّ الشيء فهو معلول و الضمار ما لا يرجى من الدين والوعد فكل ما لا يكون منه على ثقة. والاسوة: القدوة. و تأس: أي اقتد. و زخارفها: زينتها، و روي قبض و الشفيق الرقيق يستشف ما رواه.

«الصفاق» الجلد الأسفل الذي تحث الجلد الذي عليه الشعر و شذب الشجر، أي قطع ما تفرق من أعصائه، و جذع مشذب: مقشر، و رجل شذب العروق ظاهرها، و تشذب مطاوع.

المزامر واحدها المزار تقول منه: زمر الرجل يزمر فهو زمار و لا يقال: زامر و سفينة من خوص نسيجة منه يقال: أسفقته: أي نسجته. و الخوص: ورق النخل الواحدة خوصة.

حزني و أحزني أهمني و قريء بهما «و لا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي

الْكُفْرِ»^(١)، و روي أيضاً هنا كلاهما و لفته عن رأيه: أي صرفه. و المقتص: التابع. و قضم الدنيا، أي اكتفى منها بالقليل. و القضم: الاكل باطراف الاسنان و روي قضم الدنيا، أي كسرها و كسر شهواتها. رجل أهضم بين الهضم و هو انضمام الجنين لقلعة الأكل، و الخميص الضامر البطن و قد خصه الجوع، و حقر بالتخفيف بمعنى استحقر و بالتشديد صغر. و الشفق: الخلاف. و المحادة: المعادات. و خصفت النعل: خرزتها.

الرياش: الزينة، و الريش و الرياش بمعنى و هو اللباس الفاخر كاللبس و اللباس لفظاً و معنى، و قريء بهما و روي اكرم الله محمداً صلى الله عليه و آله أم أهانه و المعنى في الروایتين واحد.

يقال: كرمته، و أكرمه أي أنه تعالى قبض الدنيا عن نبيه و بسطها لغيره و ليس ذلك الا عزة محمد صلى الله عليه و آله و هو انما للغير فان اقتدى مقتد برسوله، و الا فلا يكن آمناً من الهلاك ثم بين اشراف الهلاك بقرب القيامة و سيرة رسول الله و ذكر زهده في الدنيا ليقنتى به.

المدرع، و المدرعة، و الدراعة: القميص و نحوه مما يلبس و لا تنبذها، أي ابعد لا ترميها لخلافته و الهزمة للاستفهام على سبيل الانكار، و قوله: «أغرب عني»، أي أبعد من جانبي. و السري: سير الليل و ذلك أمر صعب. المسافر إذا استعمل الحزم اتخذ الليل جملاً فاذا أصبح و قد سلم فانه يمد سيره بالليل، و المؤمن إذا مات و دخل بالقيامة و رأى السلامة لنفسه بسبب ما كان تكفله في الدنيا حمد تعب الدنيا و رأى عاقبته محمودة.



(١٦٠) و من خطبة له عليه السلام

اِبْتَعْتَهُ بِالنُّورِ^(١) الْمُضِيِّ، وَالْبُرْهَانَ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي،
وَالكِتَابَ الْهَادِي: أَسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصَانُهَا
مُعْتَدِلَةٌ، وَ ثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ^(٢) مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَ هِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلَا بِهَا
ذِكْرُهُ، وَ اِمْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَ مَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ،
وَ دَعْوَةٍ مُتَلَفِّفَةٍ.

أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَ قَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَ بَيَّنَّ
بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ^(٣) يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ،
وَ تَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ، وَ تَعْظُمَ كِبْوَتُهُ، وَ يَكُنْ^(٤) مَأْبَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ،
وَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَ اتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَ اسْتَرْشِدْهُ السَّبِيلَ

٢- في م: و ثمارها متبدلة. و في الهامش مهذلة.

٤- في ب و يكون مأبه.

١- في ب و ن بعته بالنور المضيئ.

٣- في ب: فمن يتبع غير الاسلام.

الْمُؤَدِّيَّةَ إِلَى جَنَّتِهِ؛ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ. أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ
بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا، وَالْمُنْجَاةُ أَبَدًا، رَهَبٌ فَأَبْلَغُ، وَ
رَغَبٌ فَأَسْبَغُ، وَوَصَفٌ لَكُمْ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعُهَا وَزَوَالُهَا وَانْتِقَالُهَا،
فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ^(١) فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ
سَخَطِ اللَّهِ، وَ أَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ^(٢) اللَّهِ! فَعُضُّوا عَنْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ -
غُمُومَهَا وَ أَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيَقَنْتُمْ^(٣) بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَرُّفِ حَالِهَا.

فَاخْذَرُواهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا
بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَ
زَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَ أَسْمَاعُهُمْ^(٤)، وَ ذَهَبَ شَرْفُهُمْ وَ عِزُّهُمْ، وَ انْقَطَعَ
سُرُورُهُمْ وَ نَعِيمُهُمْ، فَبَدُّوا بِقُرْبِ^(٥) الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا، وَ بِصُحْبَةِ
الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا، لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَ لَا يَتَنَاسَلُونَ، وَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَ لَا
يَتَجَاوَرُونَ.

فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لَشَهْوَتِهِ، النَّاطِرِ^(٦)
بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَ الْعِلْمَ قَائِمٌ، وَ الطَّرِيقَ جَدُّ، وَ السَّبِيلَ قَصْدٌ.

٢- في م: ابعدها من رضوان فعضوا.

١- في م و حاشية ف: يعجبكم منها.

٣- في ض و ح و ب: لما ايقنتم.

٤- في م و ف و ن و ل: وزالت اسماعهم و ابصارهم.

٦- في ش: الناطق بعقله.

٥- في م: فتبدلوا بقرب الاولاد.

(١٦١) و من كلام له عليه السلام

لبعض أصحابه و قد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم

أحق به؟ فقال:

يَا أَحَا بَنِي أَسَدٍ؛ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِيحِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ! وَ
لَكَ^(١) بَعْدُ ذِمَامَةٌ الصُّهْرِ وَ حَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَ قَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا
الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ - وَ نَحْنُ الْأَعْلُونَ نَسَبًا، الْأَشْدُّونَ بِرَسُولِ
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَوَاطًا فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ
قَوْمٍ، وَ سَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَ الْحَكَمُ اللَّهُ وَ الْمَعُودُ إِلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ.

وَ دَعَّ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَ هَلَمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ
فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِنْكَائِهِ، وَ لَا غَرَوْ وَ اللَّهُ فَيَا لَهُ خَطْبًا
يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَ يُكْثِرُ الْأَوْدَ حَاوَلَ الْقَوْمِ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ
مِصْبَاحِهِ، وَ سَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَ جَدَحُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ شَرِبًا
وَ بَيْثًا. فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَ عَنْهُمْ مِحْنُ الْبُلُوَى أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى
مَحْضِهِ، وَ إِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ؛ إِنْ اللَّهُ
عَلَيْمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).

بيانه

بعثه و ابتعثه بمعنى أرسله في الابتعاث، تأكيد نفس في البعث. والبرهان: الحجّة. والجلي: الواضح. والمنهاج: الطريق. والبادي: الظاهر، يجوز أن يكونا كلاهما كناية عن القرآن لأنه أكد بعطف الكتاب الهادي عليهما، ويجوز أن يكونا الأول عبارة عن الدين الذي هو الاسلام، والثاني كناية عن الشرايع.

والكتاب الهادي هو القرآن و أسرة الرجل رهطه لانه يتقوى بهم و أسوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، و آله بنو هاشم، و شجرته قريش، و يجوز أن يكون كلا اللفظين كناية عن الهاشميين و أغصانهم معتدلة: أي مستقيمة يقال: عدلته فاعتدل له، أي قومته و ثقفته فاستوى و هذا الاستواء في الاطلاق و على كل وجه لم يكن إلا في المعصومين من آل محمد عليهم السلام.

ثمّارها متهدلة: أي متدلّية: أي خيراتهم للخلائق مرسلّة و أفعالهم و أقوالهم بالمعروف فيهم و لهم مهياة و علومهم للعالمين معدة سهلة، يقال: تهدلت أغصان الشجرة، أي تدلت و تهدلت شقته، أي استرخت و ولد رسول الله صلى الله عليه و آله بمكة و هاجر إلى المدينة و يسمى طيبة.

لأنها كانت قبل دخوله عليه السلام موضع الحيات فأذهبها الله منها بدعائه إلى خيبر و وقع الله به البدع المدخولة، أي أهلك الله بمكانه كل ما ابتدعه الجاهلية، و كان مدخولاً معيباً و الا فقد تم به محاسن الأخلاق، و بين الله بسعيه الأحكام المفضولة، أي الشرايع المقطوعة المتروكة من ملة إبراهيم و من بيتغ، أي من يطلب تغيير هذا الدين فهو الشقي حقاً و يسقط لوجهه هواناً و ذلك و ينقطع حجته، يقال: كبا لوجهه: أي سقطوا. و انقصم

الشيء: أي انكسر من غير أن يبين. والمآب: المرجع. والعذاب الوبيل: الثقل الشديد.

يقال: و بل الموقع فهو وبيل، أي وخيم لا يستمر عاقبته والقاصدة صفة السبيل، أي هينة السير لا تعب فيه و لا بظاً والقاصد القريب، يقال: بيننا و بين الماء ليلة قاصدة النجاة والمنجاة: كلتاها مصدر نجا: أي فاز. يقول: إن المتقي ينجو حين يخاف الناس وقت الخروج من القبور، و يكون ناجياً إذا هلك الضالون، و قيل: المنجاة: الموضع، أي التقوى نجاة و طاعة الله موضع النجاة و لما أم بتقوى الله قال: بعده رهب، أي خوف الله فبالغ في التخويف من أليم عذابه، و رغب في الجنة، فأسبغ و أكمل الترغيب في ثوابه.

ذكر الله وصف دار الدنيا و انقطاع خيراتها، و انتقالها من حال إلى حال، و زوالها بعد جميع ذلك، ثم قال: عليه السلام فأعرضوا من زينة الدنيا انها أقرب دار من سخط الله و هذا كقول النبي صلى الله عليه و آله «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

ثم قال: «فغضوا غمومها و اشغالها عنكم»، أي كفوها و ادفعوها، والغضّ: غض البصر، و كلّ شيء كفته فقد غضضته. والشفيق: المشفق والكادح: الساعي. أوصاهم: أي اعضاؤهم: والتحاور: المناظرة و بالجيم المجاورة. والطريق جدد: أي سهل. و قصد: أي مستقيم.

المجدد: الأرض الصلبة يسهل المشي فيها، والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب، و كلاهما حبل يشد كل واحد منهما به و إذا كان غير ثابت يضطرب جميع فاعليه، و يقال: للرجل غير الثابت القدم في الأمر: قلق الوضين، أي هو مضطرب شاك فيه.

قوله: ترسل في غير مقصد، و ترسل السؤال والكلام في غير صواب،

والسدود والسادات: الاستقامة. والصواب والسديد الذي يصيب السدد، أي القصد والتسديد: التوفيق له. والمأقة: الحرمة والوسيلة بقراءة. وروي ولكن بعد، أي بعد حق الاسلام.

الذمام والذمامة والحرمة والأصهار أهل بيت المرأة عن الخليل، و من العرب من يجعل الصهر من الاحماء والأختان جميعاً، و كان أمير المؤمنين عليه السلام تزوج في بني اسد، و يقال: صاهرت إليهم و أصهرت لهم إذا اتصلت بهم. والاستبداد بالشئ: التفرد به.

يقال: استبد بكذا، أي تفرد به يقول: تفرد القوم بهذا المقام، أي بالامامة، مع أنا أشد نوطاً و علقه برسول الله منهم كان أثره و استبدادا شحت و نحلت على تلك الأثرة نفوس قوم، أي هؤلاء و سخت على تلك الاثرة نفوس آخرين أراد بهم نفسه و أولاده المعصومين المستحقين للامامة عليهم السلام.

لا بأس فالحاكم بيننا و بينهم هو الله عالم الغيب، و مرجعنا و اياهم في القيامة، و استأثر فلان بالشئ استبد به و الاثرة بالتحريك و تمام البيت الذي مثل بصدرة.

ودع عنك نهبا صبيح في حجراته و لكن حديث ما حديث الرواحل روي و لكن حديثاً و قيل: إنه لأمرىء القيس و لغيره و قصة البيت أن هذا الشاعر جاور حياً من أحياء العرب فغزاهم عدوهم و رجالهم غيب فساقوا إبل القبيلة و بعض جمالاته التي بقيت أيضاً فلما رجعوا جعلوا يقولون: لطيب نفس الشاعر نحن نفعل كذا، و نمتع كذا، و نسترد الجمالات التي أغاروا عليها أولاً.

فقال الشاعر لرئيسهم «فدع عنك نهباً، أي اترك عن قلبك استرداد غارة صباح الاعداء في نواحيها، ولكن الأمر و الشأن حديث ما حديث

تلك النوق، التي ركبتموها، و خرجتم بها في أثرهم فما حالها و ما حديثها، والنهب: الغارة. و حجراته: أي نواحيه و حجرة القوم ناحية دارهم و الجمع حجرات مثل جمرة و جمرات.

الراحلة المركب من الابل ذكراً كان أو انثى، و الجمع الرواحل و هلم كذا: أي هات، قال تعالى: «قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ»، يقال: إذا قيل: لكم هلم كذا و كذا قلت: لا أهلكم: أي لا اعطيكه، و إذا قيل: هلم إلى كذا قلت: الام اهلم مفتوحة الالف والهاء، وalina يكون هلم لازماً غير متعد أيضاً، هلم أي يقال، قال تعالى: «وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا»^(١).

قال الأصمعي: أصله لم من لم الله شعته، أي جمعه للتنبيه، كأنه أراد لم نفسك إلينا، أي اقرب، و حذف ألفها لكثرة الاستعمال و هلم الخطب في ابن أبي سفيان، أي دع يا أسدي ما لا يستدرك من استئثار القوم و استبدادهم بالامامة أولاً و ثانياً.

هلم الأمر العظيم في ادعاء معاوية ابن أبي سفيان الامامة نشغل بدفعه فان هذا مما يمكن تلافيه و استدراكه و لا غرو، أي لا عجب. فيا له خطباً المنادى محذوف و له استغاثة و التعجب و خطباً نصب على التمييز و استفرغت مجهودي في كذا، أي بذلته و يستفرغ العجب صفة لقوله: خطباً، أي أمراً عظيماً يكثر العجب، يعني مكثراً العوج ديناً و دنيا.

حاولوا إطفاء نور الله، أن ينقلوه من مصباحه و موضعه الذي يليق به إلى بيوتهم، و حاولوا أن يسدوا فواره من ينبوعه، أي طلبوا أن لا يجيء العلم من موضعه و فوارة الورك بالفتح و التشديد ثقبها و روي و سدّ فواره و فوارة القدر بالضم و التخفيف ما يفور من حرها و فارت القدر جاشت و

جدحت السويق واجتدحته، لتته و بللته بالماء.
 وبثت الأرض فهي موبوءة إذا كثر مرضها و وبىء الشراب فهو و
 بىء اذا صار سبب الامراض، أي خلطوا بينى و بينهم أمر يكثر فساده
 والمحض الخالص. و قوله: «فان يرتفع»، أي يذهب عنا و عنهم محن البلوى.
 يقول: ليس مضرة هذا الأمر عليّ و على أصحابي خاصة و إنما يعود
 إلينا تلك المضرة عاجلاً و يكون عليهم عاجلاً و آجلاً ارتفعت تلك البلية
 عنا و عنهم فأنا أحمل الناس على الحق و ان يكن الحالة الأخرى، أي و إن
 لم يرتفع البلاء عنا و عنهم، أيها المخاطب و لا تتحسر أيها الاسدي على
 هلاك الشاميين، و يقال: رفع الله الشدة والمشقة فارتفعت، والرفع أكثر من
 الدفع.

(١٦٢) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَ سَاطِحِ الْمِهَادِ، وَ مُسِيلِ الْوِهَادِ، وَ
مُخْصِبِ النَّجَادِ لَيْسَ لِأَوْلِيِّهِ ابْتِدَاءٌ، وَ لَا لِأَزَلِيِّهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ
يَزَلْ، وَ الْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَادُ، وَ وَحَدَّثَهُ الشِّفَاءُ، حَدَّ الْأَشْيَاءِ
عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ^(١) لَهُ مِنْ شَبْهَهَا، لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ
وَ الْحَرَكَاتِ، وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدْوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى»؟ وَ لَا
يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّى».

الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ «مِمَّا»، وَ الْبَاطِنُ لَا يُقَالُ «فِيَمَا»، لَا شَبِيحٌ
فِي تَفْصِي، وَ لَا مَخْجُوبٌ فِي حَوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتِّصَاقِ، وَ لَمْ
يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لِحِطَّةٍ، وَ لَا
كُرُورٌ لَفِظَةٍ، وَ لَا اِزْدِلَافٌ رَبْوَةٍ^(٢) وَ لَا اِنْسِاطٌ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَ
لَا غَسَقٍ سَاجٍ.

يَتَقَيُّ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَ تَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، فِي الْأَقُولِ

وَالْكُرُورِ^(١)، وَ تَقَلَّبِ الْأَزْمِنَةَ وَالذُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَ مُدَّةٍ، وَ كُلِّ إِحْصَاءٍ وَ عِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُّهُ، الْمُحَدَّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَ نِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَ تَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ، وَ تَمَكِّنِ الْأَمَاكِينِ:

فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَ إِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ، لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ، مِنْ أَصُولٍ أَرْيَلِيَّةٍ، وَ لَا مِنْ أَوَائِلِ^(٢) أَبَدِيَّةٍ؛ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَ صَوَّرَ مَا صَوَّرَ، فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَ لَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ وَ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ^(٣) السُّفْلَى.

منها:

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ؛ بَدِئْتُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَ وُضِعْتُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَ أَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا؛ لَا تُحِيرُ دُعَاءً، وَ لَا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنْ مَقْرَكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَ لَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا.

فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ تَدْيِ أُمِّكَ؟ وَ عَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَ إِرَادَتِكَ؟ هَيْهَاتَ! إِنَّ مَنْ يَعْجُزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي

١- في ف و م و ن و ل و ش: في الكرور والأفول وتقلب الأزمينة.

٢- في ب: في الأراض السفلى.

٣- في ب: ولا أوائل أبدية.

الْهَيْئَةِ وَالْأَدْوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ؛ وَ مِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ
الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

(١٦٣) و من كلام له عليه السلام

لما اجتمع الناس عليه و شكوا مما نقموه على عثمان، و سألوه مخاطبته عنهم و
استعتابه لهم، فدخل عليه فقال:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَ قَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ، وَ وَاللَّهِ مَا
أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ، وَ لَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ ^(١) لَا
تَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَ لَا
خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَهُ، وَ قَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَ سَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَ
صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا صَحَبْنَا، وَ مَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَ لَا ابْنُ الْخَطَّابِ
أَوْلَى بِعَمَلٍ ^(٢) الْحَقِّ مِنْكَ، وَ أَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ شَيْبَةَ رَحِمٍ ^(٣) مِنْهُمَا، وَ قَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ
يَنَالَ.

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ، وَاللَّهِ، مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمِّي، وَ لَا تُعْلَمُ
مِنْ جَهْلِ، وَ إِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ، وَ إِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ

١- في ب: على شئ لا تعرفه.

٢- في ح و ل: بعمل الخير منك.

٣- في هامش ش: و نتيجة قرابة منها.

أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى، وَ هَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ،
 وَ أَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ، وَ إِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ^(١) لَهَا أَعْلَامٌ، وَ إِنَّ الْبِدْعَ
 لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ. وَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضَلَّ بِهِ.
 فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ، وَ أَحْيَا بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ، وَ إِنِّي سَمِعْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، يَقُولُ: «يُوتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَ لَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَ لَا عَازِرٌ يُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ
 فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى: ثُمَّ يُرْتَبَطُ فِي قَعْرِهَا»، وَ إِنِّي أُنشِدُكَ اللَّهُ أَنْ
 تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ
 إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَ الْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ يَلْبَسُ أُمُورَهَا
 عَلَيْهَا، وَ يَبْتِئُ الْفِتْنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ.

يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَ يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا، فَلَا تَكُونَنَّ
 لِمَرْوَانَ سَيِّفَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السُّنَنِ، وَ تَقْضِي
 الْعُمْرَ!!

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُوجِّلُونِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ
 مِنْ مَظَالِمِهِمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَ مَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَ صَوْلُ أَمْرِكَ

إِلَيْهِ.

بيانه

ذكر بعد التوحيد أنه تعالى خلق المكلفين وسط الأرض مسخرة ليتصرفوا فيها، وأرسل الأمطار سبباً لأرزاقهم، فأسالها ليخرجها حياً ونباتاً في مطمئن الأرض، ومرتفعها لهم ولمواشيهم.

ثم ذكر شيئاً من توحيده تعالى وقدمه، وأنه واجب الوجود فيما لم يزل ولا يزال وأنه منزّه عن شبه الخلق من الأجسام والأعراض التي كان لها أول في الوجود، ويكون لها آخر وقد فنى كثير من الأعراض، فكان لها أيضاً في الوجود آخر لا يقال: له تعالى متى صار موجوداً وكان قبل ذلك الوقت معدوماً.

لا يكون لوجوده غاية فيقال: إنه تعالى يكون موجوداً حتى وقت كذا وإلى ساعة كذا، وحتى في العربية للغاية ومتى سؤال عن الزمان كما أن أين سؤال عن المكان هو تعالى الظاهر لا يقال: مما ظهر وتبين والباطن لا يقال: فيما بطن واستتر.

ثم ذكر ما هو كالتفصيل لهذه الجملة و سطح الله الأرض بسطها. والمهاد: الفراش و هنا كناية عن الأرض لسهولتها تحتنا والوهاد: جمع و هدة و هي المكان المطمئن و أعشب صار كذلك.

النجد: ما ارتفع من الأرض، والجمع نجاد و خر لله ساجداً: أي سقط. والجباه جمع الجبهة و هي أعز الموضع في البدن، أي تسجد له الملائكة التي هي أعظم أركاناً منا متواضعين و يوحدونه.

أضاف الخرور إلى الجباه، والتوحيد إلى الشفاه تخصيصاً، وأطلقها ولم

يسندها إلى الملائكة، بل ذكر الكلام تعميماً ليدخل فيه الثقلان أيضاً، ثم قال: بين لشيء من المخلوقات حداً يعلم الله تعالى لا يشبهها فانه تعالى لا يحد و لا يجري عليه صفات المصنوعات.

روي ابانته لها من شبهها أي ميز الأشياء لما خلقها لا يشتهه مثلاًن كل ذلك مبين عن صاحبه. و ابانته على هذا مصدر في موضع الحال و على الأول مفعول له و قدرت الشيء أقدره من التقدير.

قوله: «لا تقدره الاوهام»، أي لا تقدره الظنون و يكون الوهم بمعنى التقدير، و يكون ظناً لا يكون مظهره عليه.

الشبح: الشخص، أي ليس الله تعالى شخصاً فيبلغ أقصاه. والجسم: هو الذي يتقضى و يعلم غايته، والله تعالى ليس بجسم و لا يصح عليه ما يصح على الأجسام والأعراض فيكون محبوباً كما يكون الألوان و محالهما و (يحوي)، أي يجمع (و شخوص لحظة:)، أي ارتفاعها.

يقال: شخص بصره شخوصاً إذا فتح عينيه و جعل لا يطرف، أي لا يخفى عليه أقل شيء، و الازد لاف التقدم، أي و لا يخفى عليه تعالى استقبال ربة تمنع فتح الرجلين و لا اتساع خطوة يعنى لا يخفى عليه أن يخر الانسان أو يمتنع عليه الخطو والليل الداجي: المظلم. والغسق: الظلام. والساجي: الساكن.

يتفياً: أي يتقلب، يقال: تفيأت الظلال: أي تقلبت، و تعقبه: أي تكون الشمس بعد القمر عقبة: أي نوبة، و ركب هو عقبة مثل المعاقبة و منه قوله العرب: تعقب بين الفاء والتاء. و تعاقب مثل حدث و حذف و غيرها و روي تعقبه: أي تأتي عقبه، و الأقول: الغيبة.

تعالى عما ينحله المحددون، أي يدعونه، من النحلة و هي الادعاء كذباً، أي ليس هو بصفة الجسم فيحتاج إلى الأماكن والمسكن و لا يصفه

شيء من الأعراض فيكون له مقدار أو محل والقطر الجانب، و يقال قائل: ما لا إذا اعقده الانتفاع به.

قوله: «لم يخلق الأشياء من أصول ازلية»، إشارة إلى بطلان قول: أصحاب الهيولى، والبديّة: المبتداء و روي أبدية و ليس هو عالم بعلم فيكون الباقي له أظهر من الماضي.

ليس هو في مكان، لا على العرش و لا على الكرسي، فيكون بما هو أقرب إليه أعلم: ثم نبه كل واحد من العقلاء على الاستدلال بمخلقته على الخالق، و تقدير ذلك من أول حاله الذي كان نطفة إلى أن صار في أحوال ستة جنيناً في ظلمات ثلاث مدة مديدة.

ثم جاء إلى الدنيا فهده النجدين، فمن عجز عن وصف مشاهدة مخلوق فكيف لا يعجز عن تحديد الخالق الذي ليس بمحدود، والمنشاء المخلوق، والسلالة: استلّ من الشيء، و إنما قال: بدنت من سلالة من طين لأن كل واحد من بني آدم أصله من تراب.

لأن النطفة التي خلق الله كل واحد منا منها أصله من التراب لأن الحبوب التي يتغذى الانسان بها و نحوها من التراب و خاطب عليه السلام به كلّ واحد من المكلفين، و لا يقدر قادر بقدره أن يصف حقيقة تفصيل جميع أحوال الآدميين منك حال كونه تراباً.

ثم نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم كونها مكسوة باللحم ثم كونه حياً جنيناً، ثم طفلاً إلى أن يصير بالغاً و لا يعلم. إلا الجملة التي بينها الله له، فمن عجز عن وصف إنسان ذي هيئة و شارة فكيف لا يعجز عن وصف عظمة خالقه الذي ليس بمحدود.

فهذا وجه اتصال قوله: «هيئات أن من يعجز عن صفات ذي الهيئة»، بما قبله قوله و لا تحير دعاء: أي لا ترد جواباً.

يقال: كلمة فما أحرار إلي جواباً، أي ما رجع إلي جواباً و تقموه، أي أنكروه واستسرفوني، أي جعلوني سفيراً ورسولاً، وقوله: «ما أعرف شيئاً تجهله»، ليس هذا اقراراً بأنه يعلم من العلوم الدينية والاحكام الشرعية مثل ما يعلمه أمير المؤمنين بل هو عليه السلام كان يراقب جانبه و يداريه و يقول: قولاً لينا لعله يتذكر.

العرب تتكلم بالمطلق من الكلام و مرادهم شيء مخصوص من جملة ما يقع عليه يقول: له انك رأيت سيرة رسول الله و عدله و معاشه مع الامة فانه صلى الله عليه و آله و سلم كأن يقسم بالسوية و لا يحيف لأحد من أقربائه فكن على مثل ذلك.

الوشيجة: عرق الشجرة. والوشيجة: الرحم المشتبكة و قد و شجت بك قرابة فلان و لاسم الوشيح و أنت أقرب إلى النبي و شيعة رحم، نصب على التميز فالقرب إلى الغير يكون بأشياء كثيرة فيزه، و روي إمام عدل و يلبس أمورها المعنى واحد.

يقال: لبست على فلان الأمر، و بالتشديد للتكثير و ربكت الشيء و ارتبكته، أي خلطته و ارتكب في الأمر أي نشب و لم يتخلص منه و روي يرتكب و يربك، نشدتك الله، أقسمتك بالله بغير ألف صحيح و يشب، أي، يفرق و يموجون، أي يخلطون و السيقة الناقة التي ساقها العدو.



(١٦٤) و من خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عجيب خلقه الطاوس

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَ مَوَاتٍ، وَ سَاكِنٍ وَ ذِي حَرَكَاتٍ، فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَ مَسْلَمَةً لَهُ، وَ نَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَ مَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ.

الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ، وَ خُرُوقَ فِجَاجِهَا وَ رَوَاسِي أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَاتِ^(١) أَجْنَحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَ هَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَ مُرْفَرَفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَنْفَسِحِ وَ الْفَضَاءِ الْمُتَفَرِّجِ.

كَوْنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ، وَ رَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَ مَنَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ^(٢) خُفُوفًا، وَ جَعَلَهُ يَدْفُ دَفِيفًا، وَ نَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِعِ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَ دَقِيقِ صَنْعَتِهِ.

٢- في ف و ن م: في السماء خفوفًا.

١- في ض و ح و ب: عن ذات اجنحة.

فَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي قَالِبٍ، لُونٌ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لُونٍ مَا غَمِسَ فِيهِ؛
وَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي لُونٍ صَبِغَ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافٍ مَا صُبِغَ بِهِ.
وَمِنْ أَعْجَبَهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَ
نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَ ذَنْبٍ أَطَالَ
مَسْحَبَهُ.

إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْتَى نَشَرَهُ مِنْ طَيْبِهِ، وَ سَمَّا بِهِ مُظَلًّا عَلَى رَأْسِهِ،
كَانَهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيَّهُ يَخْتَالُ بِالْوَانِهِ، وَ يَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ، يُفْضِي
كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَ يُوْرُّ بِمَلَاقِحِهِ (أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضَّرَابِ) (١)!
أَحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَةٍ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادِهِ؛ وَ لَوْ
كَانَ كَزُعْمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ (٢) تَنْسِجُهَا مَدَامِعُهُ.
فَتَقِفْ فِي ضَفَّتِي جُفُونِهِ، وَ أَنَّ أَثْنَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ
لِقَاحٍ فَخَلَّ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ مُطَاعَمَةِ
الْغُرَابِ تَخَالَ قَصَبَهُ مَدَارِيٍّ مِنْ فِضَّةٍ، وَ مَا أُنْبِتَ عَلَيْهِ مِنْ عَجِيبِ
دَارَاتِهِ وَ شُمُوسِهِ خَالِصِ الْعِقْيَانِ وَ فَلَذَ الرَّبْرَجِدِ؛ فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا
أُنْبِتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَبِيٌّ جُنِيٍّ مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رِبِيعٍ؛ وَ إِنْ ضَاهَيْتَهُ
بِالْمَلَابِسِ.

١- ساقطة من ف و ن و ش و ب: المغتلمة في الضراب والضراب ساقطة عن م و ل.

٢- في ض و م و ن و ح: تسفحها مدامعه. وفي ك: و بخط الرضى: تنسجها. وفي ل: تنسجها.

فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ مُونِقِ^(١) عَضْبِ الْيَمَنِ؛ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ
بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ الْوَانِ قَدْ نُطِقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ، يَمْشِي
مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَ يَتَصَفَّحُ^(٢) ذَنْبَهُ وَ جَنَاحَيْهِ فَيَقْهَقُهُ ضَاحِكًا
لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِعِ وَشَاحِهِ.

فَإِذَا رَمَى بَبَصْرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعُولًا بِصَوْتِ^(٣) يَكَادُ يَبِينُ
عَنِ اسْتِعَاثَتِهِ. وَ يَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشُ كَقَوَائِمِ
الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ، وَ قَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صَيْصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ، وَ لَهُ
فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قَنْزَعَةٌ خَضْرَاءُ مُوشَاءُ، وَ مَخْرَجٌ عَنْقِهِ كَالْأَبْرِيقِ؛ وَ
مَعْرُزَهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبِغِ الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ
مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وَ كَانَهُ^(٤) مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمٍ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ
مَائِهِ^(٥) وَ شِدَّةِ بَرِيقِهِ.

أَنَّ الْخَضْرَةَ النَّاصِرَةَ مُمْتَرِجَةٌ بِهِ. وَ مَعَ فَتْحِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقٌّ
الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَقْحُوَانِ، أَبْيَضُ يَقْقُ، فَهُوَ بِيَّاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ
يَأْتَلِقُ، وَ قَلٌّ صَبِغٌ إِلَّا، وَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَ عَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَ
بَرِيقِهِ وَ بَصِيصِ دِيْبَاجِهِ وَ رَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْتُوثَةِ لَمْ تَرْبَّهَا
أَمْطَارُ رَيْبِيعٍ، وَ لَا شُمُوسُ قَيْظٍ، وَ قَدْ يَتَحَسَّرُ^(٦) مِنْ رَيْبِهِ، وَ يَعْرِى

٢- في م : يتصفخ ذنبه.

١- في ض و ح : او كمونق.

٤- في ف و م : متفنع.

٣- في ب : زقا معولا يكاد.

٦- في م و ك و ح : وقد ينحسر.

٥- في ف : لكثرة مابه.

مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَ يَنْبُتُ تَبَاعاً.

فَيَنْحَتُ مِنْ قَصْبِهِ انْحِتَاتٌ أَوْزَاقِ الْأَغْصَانِ ثُمَّ يَتَلَاخَقُ نَامِيًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ: لَا يُخَالِفُ سَالِفَ الْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لُونٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ. وَإِذَا تَصَفَّحَتْ شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتَكَ حُمْرَةً وَرُدِيَّةً، وَ تَارَةً خُضْرَةً زَبْرَجِدِيَّةً، وَ أَحْيَانًا صُفْرَةً عَسْجِدِيَّةً.

وَ كَيْفَ تَصِلُ^(١) إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطْنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ وَ أَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَ الْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ؟!

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِهِرَ الْعُقُولِ، عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتُهُ مَحْدُودًا مُكُونًا وَ مُؤَلَّفًا مُلَوَّنًا؛ وَ أَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَ قَعْدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَ سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الدَّرَّةِ وَ الْهَمْجَةَ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيْتَانِ وَ الْفَيْلَةِ؛ وَ وَآى عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا يَضْطَرِبُ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَ جَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَ الْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

منها في صفة الجنة:

فَلَوْ رَمَيْتَ بَبَصْرٍ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ^(٢) نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَاتِهَا وَ

١- في ض و ب وح ول وش: فكيف تصل

٢- في ض و ب: لفرقت و ب: من بدائع.

زَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَ لَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارِ غَيْبَتِ
عُرُوقِهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا؛ وَ فِي تَعْلِيقِ كِبَائِسِ
اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَ أَفْنَانِهَا، وَ طُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلَفَةً
فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا، تُحْنِي مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ.

فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَّةٍ مُجْتَنِيهَا، وَ يُطَافُ عَلَى نُزَالِهَا فِي أَفْنِيَّةِ
قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكِرَامَةُ
تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَ أَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ.

فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ
مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُؤَنِقَةِ، لَرَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَ لَتَحَمَلْتَ مِنْ
مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ
مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

بيانه

قال: ابتدعهم و غلب العقلاء و أن ذكر في تفصيل ذلك غيرهم من
الحيوانات و الموات و أبدعت الشيء: و ابتدعته اخترعته: على مثال و الله
تعالى هو البديع و المبتدع و خلقا: مصدر من غير لفظ الفعل المتقدم و يجوز
أن يكون نصباً على التمييز.

الحيوان تقع على البهائم و السباع و الطيور و الحشرات و غيرها،
و الموات بالفتح ما لا روح فيه نحو الأشجار، و الموات أيضا الأرض التي لا

مالك لها من الآدميين و لا ينتفع بها أحد في تلك الحالة، و من حيوان من للتبيين والسكن كالجماذ المستمر للوجود مثل الجبال الثابتة و ذوي الحركات كالماء الجاري والنار.

المعترفة: المقررة و ذكر العقول والمراد بها العقلاء الذين استعملوا عقولهم و نعقت: أي صاحت؛ و ذراً خلق. والأخايد جمع أخدود، و هو شق في الأرض مستطيل، نبه عليه السلام على الاستدلال بالطيور المختلفة و اجناسها على الصانع الحكيم جل جلاله.

منها كالقطا يسكن أخدود الأرض، و منها القبيج والطيحوج يسكنان الفجاج و هي الطريق الواسعة بين الجبلين، و منها ما يكن رؤس الجبال كالصقور و لكل جنس منها هيئة و لون و صورة تخالف غيره.

لبعضها صفيف و لبعضها، دفيف عند الطيران و أصابغ» ألوانها أعجب الأشياء، فذكر نحواً من ذلك تشبيهاً لوصفه الطاوس و قد بالغ فيه. الرواسي: الثوابت. والأعلام: الجبال. و مرفرة: أي محرمة الأجنحة، يقال: رفر الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والعبالة: الغلظة. والخفوف: النهوض. و دفيف الطائر مرة فويق الارض و عقاب دنوف: الذي تدنو من الأرض في طيرانها إذا انقضت.

نسقتها: أي سواها و نظم تراكيبها والأصبع من الطير: الذي أبيض الثوب ذنبه، والأصابغ اصباغ جمع الصبغ و هو ما يصبغ به، يقال: صبغت أصبغه ثم ذكر من الطيور مما يكون على لون واحد أبيض أو أسود أو أحمر فهو مغموس في لون واحد يشوبه و لا يختلطه لون آخر.

منها ما يكون ملوناً والمغموس: الشيء المستور تحت ماء أو لون رقيق، والقالب: معرب، و روي قد طوق بخلاف ما صبغ، أي ليس لون على لون و ظوهر بينها كما يظهر بين الثوبين، و نضد ألوانه، أي جعل بعضها

فوق بعض و نضد المتاع بعضه على بعض.

التنضيد: مثله شدد للمبالغة في وضعه متواصفا. و أشرجت العيبة إذا دخلت بين أشراجها. والقصب: ثياب كتان رقاق والقصب أنابيب من جوهر. و درج إلى الانثى: مشى إليها و مطالاً...^(١).

الزيفان التبخر و افضاء الديك للدجاج و صوله إليها عند الجماع. و يأر، أي ينكح بملاقحه من ألحاح الفحل الناقاة و روي أر الفحول المغتلمة و روي تنسحها مدامعه من نشح نشحا: شرب دون الري.

تسفحها: أي تريقها و تصبها و تسيلها عيونها و منخط الرضي تنسجها، و تطعم، أي تتطعم يعني تذوق. و الدمع المنبجس و المتبجس: الذي يجيء قليلاً قليلاً و المداري جمع مدري و هو القرن.

دارات: جمع دارة و هي في الاصل الهالة و استعمالها هاهنا مجاز و استدارة. و العقتان: الذهب، و روي قلت جنى من زهرة».

و ضاهيته شبهته و العصب نوع من الثياب و اللجين الفضة.

نطقته: أي شددت في وسطه شيئاً حسناً كالنطاق و هو شقة تلبسها المرأة و تشد وسطها، ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة و الأسفل يجير على الأرض، و المكمل الذي أدير عليه بما يرفعه، و المكمل ما يجعل احليلا و روضة مكلة، أي حفت بالنور و المرح: من به نشاط.

المحتال: الذي يجير ثوبه تكبرا، و يتصفح ذنبه: أي ينظر إليه، و السربال: الثوب. و الوشاح. القلادة. و زقا: صوت معولاً أي باكياً مع حزن. و القوائم: الحممش الدقاق. و الديك الخلاسي: الذي بين الأهلي و الهندي، و يقال: ذلك لكثير من الحيوانات قاله ابو عثمان المجاحظ.

نجمت: أي طلعت. و صيصية: يد الديك الشوكة التي في رجله.
الظنبوب: العظم اليابس من قدم الساق، والعرف للطاؤس والفرس: الشعر
المرتفع من عنقها على رأسها. والقزعة: الشعر حوالي الرأس. الموشات:
المعلقة مغرزاها الضمير للعنق و هي مؤنثة، من غرزت الابرة في الثوب إذا
وضعتها فيه.

الوسمة بكسر السين النبت الذي يصبغ به، يقال: له بالفارسية نيل و
تسكينها لغة و لا يضم الواو. والملفع: المتلحف و روي متقنع بمعجر و هو ما
تشد المرأة على رأسها. والاسحم: الأسود و مستدق القلم بكسر الدال القلم
الديقيق و هو اضافة الصفة إلى الموصوف.

و بفتح الدال حيث يدق القلم و هو سنانه، والاقحوان البابونج و وزنه
أفعلان، والجمع أفاح و أبيض يقق و يأتلق: أي يلمع.
البصيص: البريق و قد بصّ: أي لمع ويربها الأمطار: أي يجمعها. و
مكان مرب، أي مجمع و أربت السحابة، أي دامت والقيظ شدة الحر، و
ينحسر من ريشه، أي ينكشف منه لسقوطه، و روي يتحسر و حسرت
الطير تحسيراً سقط ريشها و تحسر و بر البعير، أي سقط تترى تنون و لا
تنون مثل علق.

فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث و هو أجود و أصلها
و ترى من الوتر، يقال: تواترت الكتب: أي جاء بعضها في أثر بعض قال
تعالى: «ثم أرسلنا رسلنا تترى»، أي واحداً بعد واحد و من نونها جعل
ألفها ملحقه.

ينحت: أي تتساقط، و انحلت الورق تناثرها نامياً: أي زائد او سائر
ألوانه: أي باقيها، و قيل: أكثرها و روي سالف ألوانه: أي متقدمها و تارة:
أي مرة.

العسجد: الذهب. والعائق: الأشياء البعيدة القعر. والقريجة: المخاطر والذهن. وبهر: أي غلب. و جلاه بالتخفيف: أي صقله، وبالتشديد للتكثير والأظهر أنه من جلوت العروس إلى زوجها و لزوجها. و أدمج القوائم: أي أحكمها.

يقال: أدمجت الشيء إذا لففته في شيء والذر: صغار النمل. والهمج: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير و أعينها. و وأى: أي وعد. والحيتان: السموك. والشبح: الشخص. والحمام: الموت، و روي فلو رميت ببصر قلبك و عزفت نفسك: أي زهدت فيها. والزخرف: الزينة. و ذهلت: أي غفلت.

الاصطفاة: الاضطراب. والكثبان: جمع كتيب الرمل والكباسة أصل العنقود. والعساليج: الأغصان. والأفنان: مثلها. والغلف جمع غلاف والكم أيضا الغلاف والأضافة للتأكيد والتخصيص. والمنية: الرجاء. والعسل المصفق: الصافي.

تصفيق الشراب تحويله من إناء إلى إناء للتصفية وراق الشراب صفاءً و روقته: صفيته، والمروق: المصفي من كل كدورة تتأدى، أي تبلغ المدى والغاية. و يهجم عليك: أي ما يأتي بغتة و غفلة. والموتقة: المعجبة. زهقت نفسك: هلكت.



(١٦٥) و من خطبة له عليه السلام

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَ لِيُرَافَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَ لَا تَكُونُوا كَجَفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ^(١)، وَ لَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ: يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرًّا؛ وَ يُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرًّا!!

و منها:

افْتَرَقُوا بَعْدَ الْفَتْهِمْ، وَ تَشَتَّتُوا عَنِ أَصْلِهِمْ: فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالٌ مَالٌ مَعَهُ؛ عَلَى أَنْ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ^(٢) رُكَّامًا كَرَّامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ^(٣) لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَتَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَ لَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ، وَ لَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رِصٌّ طَوْدٍ، وَ لَا حِدَابٌ أَرْضٍ يُدْعِدِعُهُمُ اللَّهُ فِي بَطُونِ أَوْدِيَّتِهِ.

٢- في ح: ثم يجمعهم ركاما.

١- في ع: لا يتفقهون في الدين.

٣- في ض و ح و ب: ثم يفتح الله لهم.

ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَتَابِعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمِ حُقُوقِ قَوْمٍ، وَ
يُمْكِنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ؛ وَ أَيْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوفِ
وَالْتَمَكِينِ^(١)، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا^(٢) عَنِ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنِ
تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَ لَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ
عَلَيْكُمْ لِكِنِّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ!! وَ لَعَمْرِي^(٣) لَيُضَعَفَنَّ لَكُمْ
التَّيُّهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا بِمَا خَلَقْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَ قَطَعْتُمُ
الْأَذْنَى، وَ وَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ!! وَ أَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ
بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَ كَفَيْتُمْ مَوْتَةَ الْإِعْتِسَافِ وَ نَبَذْتُمُ الثَّقَلَ الْفَادِحَ
عَنِ الْأَعْنَاقِ.

(١٦٦) و من خطبة له عليه السلام

في أول خلافته

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٤) أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَ الشَّرَّ، فَخُذُوا
نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَ اصْدِفُوا عَنِ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا؛ الْفَرَائِضَ

١- في حاشية ن : بعد التمكن.

٢- في ب : ايها الناس لم تتخذوا.

٣- في ش : فلعمري.

٤- في ب : ان الله تعالى انزل. و في ح : ان الله سبحانه و تعالى انزل.

الْفَرَائِضُ! أَدُّوْهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ
 مَجْهُولٍ، (وَ أَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ) (١)، وَ فَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى
 الْحَرَمِ كُلِّهَا؛ وَ شَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَ التَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي
 مَعَاقِدِهَا. فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَ
 لَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ، بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ
 وَ هُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ (٢)، وَ إِنَّ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ مِنْ
 خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلَحَّفُوا!! فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِكُمْ آخِرُكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي
 عِبَادِهِ وَ بِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَ الْبِهَائِمِ، وَ
 أَطِيعُوا (٤) اللَّهَ وَ لَا تَعْصُوهُ، وَ إِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَ إِذَا رَأَيْتُمْ
 الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

(١٦٧) و من كلام له عليه السلام

بعد ما يبيع بالخلافة و قد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوما ممن

أجلب على عثمان؟ فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ؛ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَ لَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ
 وَ الْقَوْمُ الْمَجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَ لَا نَمْلِكُهُمْ؟ وَ هَا هُمْ

٢- في ك: و روى فان البأس أمامكم.

٤- في ش: و البهائم اطيعوا الله.

١- ساقطة من ن و ف و ل.

٣- في ع: مسؤولون عن البيع.

هَؤُلَاءِ قَدْ بَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَالتَّقَتِ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَ هُمْ خِلَالَكُمْ، يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا، وَ هَلْ تَرُونَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً.
 إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ، وَ فِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ، وَ فِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَ لَا هَذَا^(١).
 فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَ تَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَ تُوْخِذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً، فَاهْدَءُوا عَنِّي، وَ انظُرُوا مَا ذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَ لَا تَفْعَلُوا فِعْلَةً تُضْعِضُ قُوَّةً، وَ تُسْقِطُ مَنَّةً وَ تُورِثُ وَهْنًا وَ ذَلَّةً، وَ سَأْمِسُكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ.

(١٦٨) و من خطبة له عليه السلام

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ^(٢) رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَائِمٍ؛ لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ، وَ إِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُسَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ، إِلَّا مَا حَفِظَ^(٣) اللَّهُ مِنْهَا، وَ إِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ^(٤) فَاعْطُوهُ

١- في ض و ب: لا ترى هذا ولا ذلك. وفي ل و ش: لا هذا ولا هذا.

٢- في ض و ح و ب و ش: ان الله بعث. ٣- في ش: الا ما عصم الله.

٤- في ش: عصمة لربكم.

طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ^(١) بِهَا. وَاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقَلَنَّ^(٢) اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِرَ الْأَمْرُ إِلَيَّ غَيْرِكُمْ.

إِنَّ هُوَ لَا يَدْرِي قَدْ تَمَّ الْأَمْرُ عَلَيَّ سَخَطَةً إِمَارَتِي، وَ سَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَيَّ فَيَا لَيْتَ هَذَا الرَّأْيِ، انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا^(٣) رَدَّ الْأُمُورِ عَلَيَّ أَدْبَارِهَا، وَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ. تَعَالَى وَ سِيرَةَ رَسُولِ^(٤) اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالتَّعَشُّ لِسُنَّتِهِ.

(١٦٩) و من كلام له عليه السلام

كَلَّمَ بِهِ بَعْضُ الْعَرَبِ، وَ قَدْ أُرْسِلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمَّا قَرَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبُهَةُ مِنْ نَفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: بَايِعْ: فَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَ لَا أُحْدِثُ حَدَثًا دُونَهُمْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- في حاشية ن: متلومين ولا مستكرهين.

٢- في حاشية ن: متلومين ولا مستكرهين.

٤- في ش: سيرة رسوله.

٣- في حاشية ن: و ارادوا.

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ
 الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَ أَخْبَرْتَهُمْ^(١) عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَيَّ
 الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتُ صَانِعًا؟ قَالَ: كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَ مُخَالِفُهُمْ
 إِلَيَّ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 فَاْمُدُّ إِذَا يَدُكَ! فَقَالَ الرَّجُلُ: فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْتَنِعَ عِنْدَ
 قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبِ
 الْجَزَمِيِّ.

بيانه

الصغر يكون في السن والقدر والمنزلة، والكبير: المسن. والعظيم أيضاً،
 يقول ليتأس: أي ليقتمدن يرى منزلته في العلم والعمل بمن له مثابة عالية
 فيها دينا والرأفة الرحمة، أي ليرحم كل من له جاه و منزلة في الدنيا بالمال
 والقوة كل من دونه ليسعد كل واحد منكم بصاحبه.

ثم قال: ولا تكونوا من قلة البرّ مثل قوم جفاة من عاداتهم الجفادون
 البرّ بالناس، و يكون الجهل غالباً عليهم لا يبنون أمورهم على العلم.
 قوله: «لا في الدين يتفقهون»، يجوز أن يكون صفة لجفاة الجاهلية، و
 يكون الرواية بالياء و يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً يخاطب به بعض
 أصحابه أو غيرهم والفقّه: الفهم و تفقه: أي تعاطى ذلك: أي أتم لا تتفقهون

في الدين، ولا تعقلون عن الله.

الرواية على هذا بالتاء والعامل من جنس الأشياء على مواضعها، و وضعها فيها والقيض ما تفلق من قشر البيض الأعلى و أداحي النعامة: الموضوع الذي تفرخ فيه، و هو أفعول من دحوت، أي بسطت لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه و ليس للنعام عش والجمع أداح.

والتقدير هم كقيض بيض، والمعنى إني أخرج عن قبلكم و ان أبقيتكم حتى بقاؤكم على الناس شرأً.

كان عليه السلام يحدث عن ابن ملجم عليه لعائن الله و ملائكته إنه يقتل علياً عليه السلام ف قيل له: اقتله فقال عليه السلام: كيف أقتل قاتلي، أي لا يعاقب من لم يذنب بعد و إن علم أنه يرتكب الذنوب و حضن الطائر يبيضه، يحضنه، أي ضمه إلى نفسه تحت جناحيه. والوزر: الاثم والثقل.

قوله: «و لا عن الله يعقلون»، أي تحبسون شيئاً في موضعه آخذاً عن الله و لا تفهمون شيئاً من الشريعة المنزلة عن الله.

ثم قال: في وصف قريش و من أسلم بعد الكفر: «أنهم تشتتوا»، أي تفرقوا عن محافظة أصلهم، و روي افترقوا بعد الفهم، إشارة إلى قوله تعالى: «لإيلاف قريش»، ثم ذكر أنه يبقي منهم من يتعلق بغصن من أغصان، الدين ثابتاً على الايمان.

ثم قال: إنهم إذا فسد دنياهم اجتمعوا على هلاك بني أمية من هنا و هنا. و قزع الخريف: قطع سحاب تجتمع و لها مطر. والركام: السحاب المتراكم المتراكب المجتمع، يقال: ركمت الشيء أركمه إذا جمعته وألقيت بعضه على بعض. والقارة: الأكمة. والسنن: الطريقة. ورضّ بطود: اتصال جبل.

يقال: رصت، الشيء أرصه، أي الصقت بعضه ببعض، و منه بُنيانٌ مرصُوصٌ، و يذعدعهم: يفرقهم و ثار الغبار سطح و ارتفع، و أثاره غيره و

ثور عليهم فلان الشر: إذا هيجه وأظهره. واستثارها: أي أزعجها وانهضها والمستثار: الموضع والمصدر والينبوع عين الماء والجمع ينيبع. و تهتم: تحيرتم، والمتاه والتهيه: التحير.

قال الخليل: التضعيف أن يزداد على أصل الشيء فيجعل المثلين أو أكثر، وكذلك الأضعاف والمضاعفة، يقال: ضعفت الشيء وأضعفته و ضاعفته و روي ليضعفن. والاعتساف: المشي على غير الطريق والظلم أيضاً، وأمر فادح: مثقل، يقال: فدحه أمر إذا بهطه، و فدحه الدين، أتقله.

قيل: إن قوله: على أن الله، سيجمعهم لشر يوم لبني أمية: والضمير في سيجمعهم للذين اجتمعوا مع أبي مسلم في هلاك ملك بني أمية فكانوا يسيلون على بني أمية من مستشارهم، أي من أوطانهم، و منازلهم التي أزعجهم بنو أمية إليها وألزموهم فيها مثل سيل الجنتين، و هو سيل العرم الذي ذكر الله في كتابه.

فقال تعالى: «كَانَ لِسَبَأً»، و هو أبو عرب اليمن كلها في مَسْكَنِهِمْ، أي في بلدهم آية، أي حجة على وحدانية الله، و كمال نعمته و قدرته، ثم فسر آية فقال: جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَ شِمَالٍ، أي يستنانان عن يمين ديارهم، و عن شمالها و كانت ثلاثة عشرة في كل قرية نبي يدعوهم إلى الله.

يقولون: كلوا من زرق الله في هذه البساتين، والسيول هذه بلدة طيبة فأعرضوا عن الحق و لم يشكروا الله، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ، و ذلك أن الماء يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، و كان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فاذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم و بساتينهم.

فلما كذبوا رسلهم بعث الله جراداً نقبت ذلك الردم و فاض الماء عليهم فأغرقهم و قيل: العرم السيل الذي لا يطاق، أخبر تعالى عن قصة سبأ بما

دل على حسن عاقبة الشكور و سوء عاقبة الكفور فأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك وعداً و وعيداً.

أصدفوا: أي أعرضوا عن سمت الشر، أي عن طريقة تقصدوا، أي تعدلوا والقصد: العدل والقصد بين الاسراف والتقتير، والقاصد: القريب الفرائض الفرائض: أي الزموا الفرائض أقضوا ما فات منها واحفظوا على ما يستقبل منها، و روي فان البأس أمامكم والبأس العذاب والشدة. والرواية الأخرى، أظهر و أكثر، أي إن الناس ماتوا قبلكم وهم كالمنتظرين لكم.

شوكة الانسان شدته، و شوكة العقرب إبرتها. والعبدان: جمع العبد. والأعراب: أهل البدو في ناحية الحجاز، والجفأة: الذين لا علم لهم. و خلالكم: أي وسطكم. يسومونكم: يكلفونكم، والمادة: الزيادة المتصلة و تؤخذ الحقوق مسمحة بكسر الميم من أسمحت قرونته، أي ذلت نفسه و تابعت، و بفتحها من أسمحت، و ساحت أي ساهلت.

قوله: «إن حرك هذا الأمر»، يعني إن عوتب قتلة عثمان يصير الناس على ثلاث فرق فمنهم من يقول: لا يعاقبون بل يكرمون، و من تأمل كلامه عليه السلام علم أنه دفع بالراح السائل فاهدأوا: أي اسكتوا و تضعض: أي يضعف يقال: ضعضعه الله، أي هدمه والمنة القوة و روي آخر الدواء الكي، و هذا أصحّ، و يؤول معناهما إلى شيء.

البدعة: الحدث في الدين بعد أن اكمله الله، والأشياء المبتدعة والاسلام مثل ذلك. و روي غير ملومة و لا مستنكرة بها. و يارز: أي ينقبض. و تمالؤا: أي تعاونوا، والفيالة: ضعف الرأي. و أفائها الله عليه: أي جعل تعالى تلك الأرض فيألة و غنيمة خاصة له، والكلاء: المرعى، والمجادب: مواضع القحط.

(١٧٠) و من كلام له عليه السلام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَ الْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ
مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرَىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَ مُخْتَلِفاً لِلنُّجُومِ
السَّيَّارَةِ، وَ جَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ^(١) لَا يَسْأَمُونَ مِنْ
عِبَادَتِكَ؛ وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ، وَ مَدْرَجاً
لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَ مَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَ مِمَّا لَا يُرَى؛ وَ رَبَّ
الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً وَ لِلخَلْقِ اعْتِمَاداً - إِنَّ
أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا الْبُغْيَ، وَ سَدَّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَ إِنَّ أَظْهَرْتَهُمْ
عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَ اعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذَّمَارِ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نَزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ
الْحِفَاطِ؟! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

(١٧١) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا.

منها:

وَ قَالَ قَائِلٌ^(١): إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ^(٢)
لِحَرِيصٍ! فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ!
وَ إِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَ أَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، وَ تَضْرِبُونَ وَجْهِي
دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ^(٣) لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي
بِهِ!

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ^(٤) عَلَى قُرَيْشٍ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا
رَحِمِي، وَ صَغَّرُوا عَظِيمَ مَنَزَلَتِي، وَ أَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ

١- في ض: وقد قال لي قائل. وفي ح و ب و ل: وقد قال قائل. وفي ش: وقال قائل.

٢- في ش: يابن ابني طالب على هذا الامر لحريص.

٣- في ض و ح و ش: في الملأ الحاضرين هب كانه بهت لا يدري. وفي ب: كانه لا يدري ما يجيبني. وفي ن:

لا يدري مما يجيبني به و في ل: هب لا يدري.

٤- في ب: استعينك على قريش.

لي؛ ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ^(١) فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا تَجَرَّتْ الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا؛ مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ: فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بَيْتَيْهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا عَلَيَّ عَامِلِي بِهَا وَخُرَّانَ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا، وَطَائِفَةً غَدْرًا! فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ؛ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ^(٢). دَعَا مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

(١٧٢) و من خطبة له عليه السلام

أَمِينٌ وَحِيهِ، وَخَاتَمَ رُسُلِهِ، وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ؛ وَأَعْلَمُهُمْ^(٣) بِأَمْرِ اللَّهِ

١- في ب: الا ان الحق ان تأخذه.

٢- في ض و ب: بلسان ولا بيد.

٣- في ش: واعلمهم.

فِيهِ؛ فَإِنَّ شَعَبَ شَاغِبٍ اسْتُعْتَبَ، فَإِنَّ أَبِي قُوتِلَ. وَ لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ
الْإِمَامَةَ لَا تَتَعَدُّ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا^(١) إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ،
وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ
يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ؛ وَ آخَرَ مَنَعَ
الَّذِي عَلَيْهِ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ^(٢) بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَّا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ،
وَ خَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ، وَ قَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ، وَ بَيْنَ
أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَ لَا^(٣) يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصْرِ وَ الصَّبْرِ، وَ الْعِلْمِ
بِمَوَاضِعِ^(٤) الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُوْمَرُونَ بِهِ، وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ،
وَ لَا تَفْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكَرُونَهُ غَيْرًا^(٥).

أَلَا وَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَ تَرْغَبُونَ فِيهَا، وَ
أَصْبَحْتُمْ تُغْضِبُكُمْ وَ تُرْضِيكُمْ؛ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَ لَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي
خُلِقْتُمْ لَهُ وَ لَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا، وَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، وَ لَا
تَبْقُونَ عَلَيْهَا، وَ هِيَ وَ إِنَّ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَدَرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا
غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَ أَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَ سَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ

١- في ن و ف: مالى الى ذلك.

٢- في ر: و روى و لا يحملن هذا العلم.

٤- في ض و ح و ب: بمواقع الحق.

٢- في ش: اوصيكم بتقوى الله.

٥- في حاشية ش: عبرا.

الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَ انصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، وَ لَا يَخِنَنَّ أَحَدُكُمْ خَيْنًا^(١) الْأَمَّةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا، وَ اسْتَمْتُمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ.
 أَلَا وَ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَ إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَ الْهَمَّا وَ إِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

(١٧٣) و من كلام له عليه السلام

في طلحة بن عبيد الله

قَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهَدِّدُ بِالْحَرْبِ، وَ لَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَ أَنَا عَلَى مَا^(٢) وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ، وَ اللَّهُ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظْتَنَّهُ، وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ^(٣) مِنْهُ، فَارَادَ أَنْ يُعَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبَسَ الْأَمْرُ^(٤)، وَ يَقَعَ الشُّكُّ! وَ وَ اللَّهُ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ.

١- في م و ك و ر: الحنين بالحاء المهملة.

٢- في ب و ض: ما قد وعدني.

٣- في ش: احرص منه عليه.

٤- في ح و حاشية ش: ليلبس الامر.

لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَقَّانَ ظَالِمًا، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازَرَ قَاتِلِيهِ^(١)، أَوْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ، وَ لَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَهَنِّهِينَ عَنْهُ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ، وَ لَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخُصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَرِلَهُ وَ يَزُكِّدَ جَانِبًا، وَ يَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ، وَ لَمْ تَسَلِّمْ مَعَاذِيرَهُ.

(١٧٤) من خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا الْعَافِلُونَ^(٢) غَيْرِ الْمَعْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ^(٣) وَالمَأْخُودُ مِنْهُمْ، مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاعِبِينَ؟ كَأَنَّكُمْ نَعَمُ أَرَاخَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعَى وَيِّي، وَ مَشْرَبٌ دَوِيٍّ^(٤)!! إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمَدَى، لَا تَعْرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا: إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسِبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَ شَبَعَهَا أَمْرَهَا.

وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَ مَوْلِجِهِ وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

١- في ض وح ول وش: وان ينابذ. وفي ب: او ان ينابذ.

٢- في ح: ايها الناس غير المعفول.

٣- في ض وب: و التاركون المأخوذ منهم.

٤- في هامش ن: و شرب روى.

عليه و آله و سلم، آلا، وَ إِنِّي مُفْضِيهِ^(١) إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ^(٢) ذَلِكَ مِنْهُ.

وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ؛ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا، وَ لَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَ بِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ، وَ مَنجَى مَنْ يَنْجُو؛ وَ مَا لِ هَذَا الْأَمْرِ؛ وَ مَا أَبْتَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أُذُنِي وَ أَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَ اللَّهُ مَا أَحْتَكُمُ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَ لَا أَنهَاكُمُ عَنْ مَعْصِيَةِ إِلَّا، وَ أَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

بيانه

السقف المرفوع هو السماء، وكذا الجو المكفوف، والجو في اللغة الهواء، والمكفوف الذي جعل كالتميص الذي جعل عليه الكفة وهي ما استدار حول الذيل، و قال الاصمعي: كل ما استطال فهو كفة بالضم نحو كفة الثوب وهي حاشيته وكفت الثوب، أي خطت حاشيته وهي الخياطة الثانية.

عيبة مكفوفة: أي مشرحة مشدودة. والمغيض: الموضع الذي يغيض فيه الماء و ينضب، و قيل: فاذا نبت فيه الشجر فهو غيضة و كون السماء والفلك مغيضاً لليل والنهار مجازاً، أي ينقص الله الليل مرة والنهار أخرى، و

١- في هامش ن و ر: و روى انى مفض.

٢- في م و ن: ممن يؤمن.

أن زاد في الآخر و ذلك بحسب جريان الشمس.

الليل: إسم يقع على امتداد الظلام من أول وقت غروب الشمس في الناس من يقول: الجو المكفوف هو الفلك الدوار، مجرى القمرين والكواكب التي تسير. والأظهر أن جميع ذلك عبارة عن السماء لأنه قال: و جعلت سكانه سبطاً، أي جماعة من الملائكة والسبط الأمة، قال تعالى: «اسباطاً أمماً»، فترجم عن الأسباط بالأمم.

قوله: سبط من ولد إسحاق بمنزلة القبيلة من ولد إسماعيل فهو واقع على الأمة. و لا يسأمون: أي لا يملون. والسامة: الضجر. والأنام: الخلق. والمدرج: موضع مشي كل هامة و لا يقع هذا الاسم على المخوف من الحيات والعقارب و نحوها، والأنعام تقع على الابل والغنم والبقر.

أين الغاير عند نزول الحقائق هو من الغيرة و لا توارى، أي لا تستتر و قوله: و قال: قائل إنك لحريص على هذا الأمر لما عقد الأمر على السقيفة جعل عليه السلام يقول تصريحاً و تعريضاً للقوم هذا حقي و يتأخر عنهم قال: له عمر أو أبو عبيدة بن الجراح أو أحد هؤلاء إنك لحريص على هذا الأمر.

فلما قرعه الامام علي عليه السلام بالحجة المسكتة في وسط الملاء الحاضرين هب، أي طفق كأنه لا يدري و لا يعلم شيئاً يجيبه به، و يقال: قارعته: أي ضاربتة و جادلته فقرعته: أي غلبته بالمجادلة والملاء جماعة أشرف وهب فلان يفعل كذا و روي بهت لا يدري: أي تحير و صار مهوتاً متحيراً.

استعديت الأمير على فلان فأعد اني استعنت عليه فأعاني، و استعديك على قريش، أي أطلب منك أن تنتقم لي منهم و حرمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم زوجته، و كذا حبيس رسول الله ووجه و قد

قال: الله سبحانه؛ لثناء النبي عليه السلام: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»^(١) و قد أخرجها لأجل أنفسها طلحة والزبير و لأجل فتنة هيجاهها، بل قتلوا جماعة من الزهاد أكثر من خمسمائة كانوا يحفظون بيت المال بالبصرة، احتساباً و أخذوا ماله و القتل صبرا هو أن يقتل و قد حبس أسيراً مغلولاً بين الناس حتى يقتل.

قوله: «أن لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا»، روي بكسر الهمزة و فتحها و الكسر هو الصواب و أن مخففة من الثقيلة، أي والله إن الأمر والشأن لم يقتلوا إلا رجلا لحل لي قتلهم و لما دخل أصحاب الجمل إلى البصرة دفعهم عامل الامام علي عليه السلام- بها و هو عثمان بن حنيف الأنصاري و جماعة من المؤمنين دفعاً شديداً عن الدخول والاستيلاء.

فعاهدوا على أن لا يجرکوا يداً و رجلاً حتى يحضر أمير المؤمنين و انصرف الناس إلى بيوتهم فدخلوا ليلاً و قتلوا جماعة كثيرة و قبضوا على ابن حنيف و أرادوا قتله فقالت: زوجته أليس أخوه سهل بن حنيف عاملاً على المدينة و أهلکم بالمدينة فكل ما تفعلوه به يفعل مثله أخوه بأهلکم فخلوا سبيله.

قد قال تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا»^(٢)، فذلك قال: عليه السلام: «حل لي قتلهم»، و روي و أعلمهم بأمر الله و كلاهما حسن: فكان عليه السلام يعلم أن الامامة هي من قبل الله و باختياره تعالى ينص على من يستحقها على لسان نبيه، الا أن هؤلاء الذين جعلوا الامامة بالاختيار.

حكّموا أن أهل الحل والعقد إذا اختاروا رجلاً واحداً للامامة و بايعوه و رضوا به انعقدت له و لا يكون لحاضر رجوع عن ذلك و لا للغائب اختياراً فيه، فاستدل بطريقتهم عليهم، و روي و لا يحملن هذا العلم، و الخنن بالحاء المعجمة كالبيكاء في الأنف، و الخنة كالغنة، و روي بالحاء غير المعجمة، و روي على ما روى عنها منها.

المظنة: الموضع. و أجليه: أعانه. و روي ليلتبس الأمر و يؤازر: يعاون و ينابذ: يحارب و المنهنة: الذي يكف الغير عن شيء و يزره عنه، يقال: نهنت السبع إذا صحت له لتكفه و المعذر كلاهما روي، و المعذرون الذين جاوا بعذر و كان لهم، و بالتشديد من له عذر و من لا يكون.

و أصله متعذر فادغم التاء في الذال لقرب مخرجهما، و المعذر: المقصر أيضاً. و يركد: أي يسكن جانباً. و التاركون: أي الغافلون الذين تركوا ما يجب عليهم. و المأخوذ منهم: أي يطالبون بما أمروا به و قوله: «كأنكم نعم» أي ماشية أراح بها سائم.

السوائم و السائم بمعنى، و هو المال الراعي: أي اتبعتم بأمثالكم بالراعي كالغنم التي ترى غناً ترعى في كلاء يؤدي إلى هلاكها فتتبعها و ترعى أيضاً معها، و يقال: سامت الماشية: أي رعت و أسمتها أنا إذا أخرجتها، أي الرعي، و يقال: من غفل عن هذا المعنى كأن سائماً لغة في المسيم.

الشراب الدوي: أي يمرض، الشيء الوبي الذي يأتي بالوباء و هو مرض عام، يقال: أرض وبتة على فعلة و فعيلة و لكن أخاف أن تكفروا في: أي في تضييع حقي الثابت عليكم برسول الله، و أفرغه في الاناء: أي صبه، و روي ألا إني مفض به إلى الخاصة، يقال: أفضيته إليه بسري: أي خلوت معه.

(١٧٥) و من خطبة له عليه السلام

اتَّفَعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَ اتَّعَظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَ اقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ.
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَ أَخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَ بَيَّنَّ لَكُمْ
مَحَابَّهُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهِ مِنْهَا؛ لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَ تَجْتَنِبُوا هَذِهِ؛ فَإِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُقَّتْ»^(١)
بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِ؛ وَ مَا مِنْ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنِ شَهْوَتِهِ،
وَ قَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزَعًا، وَ إِنَّهَا لَا تَزَالُ
تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى.

وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمَسِي وَ لَا يُصْبِحُ إِلَّا وَ نَفْسُهُ
ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا، وَ مُسْتَزِيدًا لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ
قَبْلَكُمْ وَ الْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ،

وَطَوَّوْهَا طَيِّ الْمَنَازِلِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَ مَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدًا إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةً فِي هُدًى، وَ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لِأَوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ؛ وَ هُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالْعَيْ وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَ لَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ^(١) وَمُشَفَّعٌ، وَ قَائِلٌ وَ مُصَدِّقٌ، وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ، وَ مَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

«أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةٍ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثِهِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرْثَتِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَ اسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَ اتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَ اسْتَعِشُّوا^(٢) فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ، الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّهْيَةَ النَّهْيَةَ وَ الْإِسْتِقَامَةَ الْإِسْتِقَامَةَ.

ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَ الْوَرَعَ الْوَرَعَ، إِنَّ لَكُمْ نَهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهَائِتِكُمْ، وَ إِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ، وَ إِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا

١- في ف ون وش : شافع مشفع. وفي ف ون : وما حل مصدق. وفي ش : قائل مصدق.

٢- في ر ول وش : واغتشوا.

إِلَى غَايَتِهِ، وَ أَخْرَجُوا إِلَى اللَّهِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَ بَيَّنَّ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَاهِدٌ^(١) لَكُمْ وَ حَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

أَلَا وَ إِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِي قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ وَ حُجَّتِي؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أُنَّ لَا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وَ قَدْ قَلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَ عَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَ لَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَ لَا تُخَالِفُوا عَنْهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَ تَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَ تَصْرِيفَهَا.

وَ اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا، وَ لِيُخْتَزِنَ^(٢) الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَ اللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى^(٣) يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ، وَ إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ؛ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَ إِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمَ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ؛ لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ؛ وَ مَا ذَا عَلَيْهِ!!

وَ قَدْ^(٤) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَ لَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ

١- في ن و ب : انا شهيد لكم.

٢- في ن و ب و ح و ض و ل : ليخزن الرجل.

٣- في ض و ب : يخزن لسانه.

٤- في ض و ح و ب : لقد قال رسول الله.

لِسَانُهُ» فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ نَقِيٌّ الرَّاحَةَ مِنْ دِمَاءِ
الْمُسْلِمِينَ وَ أَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ: فَلْيَفْعَلْ.

وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَامًا
أَوَّلًا، وَ يُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلًا، وَ أَنَّ مَا أَخَذَتْ النَّاسُ لَا يُحِلُّ
لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَ لَكِنِ الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَ الْحَرَامُ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَ ضَرَّسْتُمُوهَا، وَ عُظِّمْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،
وَ ضَرَبْتِ الْأَمْثَالَ لَكُمْ^(١) وَ دُعَيْتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَصْمُ عَنْ
ذَلِكَ إِلَّا أَصْمُ، وَ لَا يَعْمَى عَنْهُ إِلَّا^(٢) أَعْمَى !!، وَ مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ
بِالْبَلَاءِ وَ التَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَ أَتَاهُ التَّقْصِيرُ^(٣) مِنْ
أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَ يُنْكِرَ مَا عَرَفَ.

فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ: مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ، وَ مُبْتَدِعُ بِدْعَةٍ، لَيْسَ مَعَهُ^(٤)
مِنَ اللَّهِ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَ لَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ، وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا
بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَ فِيهِ رِبْعُ
الْقَلْبِ، وَ يَتَابِعُ الْعِلْمِ، وَ مَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ
الْمُتَذَكَّرُونَ، وَ بَقِيَ النَّاسُونَ وَ الْمُتَنَاسُونَ^(٥).

فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَ إِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ

١- في ح و ض و ب: و ضربت لكم الامثال.

٢- في ب: و لا يعمى عن ذلك الا اعمى.

٣- في ض و ش و هامش م: اتاه النقص و في ع: و يروى النقص.

٤- في ش: من الله سبحانه و برهان. ٥- في ض و ب و ش: الناسون او المتناسون.

رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ اَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ».

(أَلَا وَ إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُعْفَرُ، وَ ظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَ ظُلْمٌ مَعْفُورٌ لَا يُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُعْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُعْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهِنَاتِ، وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا) ^(١) التِّصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ! لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى، وَ لَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ، وَ لَكِنَّهُ مَا يُسْتَضَعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ.

فَأَيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكَرَّهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا: مِمَّنْ مَضَى وَ لَا مِمَّنْ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ، وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَ أَكَلَ قُوتَهُ، وَ اشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلِ، وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

١- فيما بين الهلاليين تقديم و تأخير في النسخ.

٢- في ش: و اشتغل بطاعته.

بيانه

قوله: «أعذر إليكم بالجلية»، أي بالغ بالذي له عذر فيه من الحجة الواضحة العقلية والجلية الخبر اليقين، وكرر عليكم الحجة شرعاً، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وروي لتبتغوا هذه: أي لتطلبوا هذه المحاب التي أحب الله أن يفعلوها.

الحجة: الكلام المستقيم على الاطلاق. والحجاب: الحاجز، وقوله: «الجنة حجبت بالمكارة، والنار حفت بالشهوات»، فرق بينهما لأن المحجوب لا يكون محفوفاً فكأن المكارة حجبتها لشدة ممارستها والشهوات أطيقت بالنار وجعلت على أحفتها، أي على جوانبها.

ثم فسر ذلك، فقال: ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره و هو المشقة، وبالفتح ما أكرمت عليه و ما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة و هي ما إذا وجد في قلب أوجب كون صاحبه ملتذاً بادراك ما يتعلق ذلك به، و في كلتا القرينتين مجاز و نزع عن شهوته رجوع و انتهى عنها و قمع: أي قهر و أذل.

يقال: قعت الفيل إذا ضربته بمقمة حديد و تنزع إلى معصية، أي تذهب إليها، يقال: نزع إلى أبيه في الشبه: أي ذهب، والمنزع من النفس إلى الشيء الاشتياق إليه والتسرع نحوه و نفس المؤمن ظنون عنده، أي لا يعتمد على كل ما يتمنى و يعلم أن نفسه كثيرة الظنون قليلة العلوم أكثر ما يخظر بياله ظن.

فالظان اسم الفاعل، والظنون بناء المبالغة فيه كالشكور والشاكر و يجوز أن يكون بمعنى المفعول، أي مظنونة متهمة عنده، الظنون الرجل السيء الخلق فلا يزال زارياً عليها، أي عايياً فانه إما أن يكون مقصراً أو

متعدياً، إلا من عصمه الله، و قوضوا: مفعوله محذوف، أي قوضوا خيامهم طوعاً و رغبة مثل من يقوض خيمته من منزل إذا أراد الرحيل.

يقال: قوضت البناء، أي نقضته من غير هدم، والفاقة: الفقر. واللاواء: الشدة. و شفعت إليه فشفعني، أي قبل شفاعتي و محل فلان بفلان و فلاناً: إذا قال عليه: قولاً يوقعه في مكروهه، و المحل المكر والكيد، و محل به: إذا سعى إلى السلطان و الحرت: ما عمل من الزراعة.

قيل: في قوله تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ»^(١)، أي من يرد عمل الآخرة يضاعف له عمله و قيل: أراد من كان يريد جزاء عمله للندنيا و احتراث المال: كسبه و اغتشوا، أي اتخذوا أهوائكم غاشة، و روى استغشوا خلاف استنصحوها، و روي استغشوها، أي عدوها غشاوة و لا تتبعوها.

العمل العمل: أي ألزموها ثم، النهاية: أي ثم اقصدوا لغاية التي هي الموت، و اعملوا له و الغاية التي وراء هذا و هو الجنة، و إن لكم علماً، أي إماماً بعد نبيكم فاهتدوا بمنهاج إمامكم يعني به نفسه و من ظن أن المراد بالعلم القرآن فقد غفل عن قوله: و أن للاسلام غاية و هي الشريعة التي ينطق بها الكتاب و السنة.

الأحسن أن يكون لكل الكلام فائدة أخرى. و الحجيج: المجادل و المحاصم، و المظهر للحجة، أي البرهان، و قيل: المراد به الشفيق و أن القضاء قد تورّد، أي ورد الحكم الالهي شرعاً، و لا حاجة: إلى بدعة، و عدة الله: وعده و موعوده، ثم لا تمرقوا منها، أي لا تخرجوا من عبادة الله مروق السهم من الرمية.

و قوله: «و إياكم و تهزيع الأخلاق»، أي تغييرها عن محاسنها إلى مساوئها، يقال: هزعت الشيء و هزعته، إذا كسرتة، و التهزيع: الاضطراب و السرعة و الجموح للفرس التي تغتر فارسها و تغلبه، و الجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده. جمع: أي أسرع.

قال تعالى: «لَوْ لُوا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ»^(١)، و قوله: «المؤمن يستحل العام ما استحل عاماً»، أول إشارة إلى أن المحرمات و المحللات في دين الحنيفي، و الشريعة المحمدية صلى الله عليه و آله وسلم كلها منصوص عليها فالحلال ما أحله الله و المحرام ما حرمه الله سبحانه.

فالمؤمن لا يستحل شيئاً إلا بعد العلم بأنه حلال، و لا يحرم شيئاً إلا بعد أن يعلمه حرام بنص قاطع و لا يقدم إلى أحد الأمرين إلا باليقين، و إذا كان كذلك فإنه يرى طول عمره الأشياء المحظورة محرمة و الأشياء المباحة محللة على وجوهها.

من حرم المتعنين و أحل ما حرمه الله فلا يتأتى على هزاله عذر و من حمل المسكون على المنطوق يشبه بينها فإنه يكون تابعاً للظنون.

الظن يخطئ و يصيب، و المظنون ربما لا يكون على ما يظن به ظان فيعمل العام على ظن، ثم تختلف به الظنون فيعمل في وقت آخر على خلاف ذلك، و قد ورد النص بجواز اقامة غلبه الظن في بعض المواضع في تعريفات الشرع، و لا يتجاوز المظنون عليه و جنسه و قبيله إلى غير ذلك إلا بدليل. و لا دليل من الكتاب و السنة و نحوهما على جواز ذلك على سبيل الاطلاق، و ضرستموها: أي جربتموها، يقال: ضرسته الحروب، أي جربته و أحكمته و عضته العض الشديد، و المضرس الذي جرب الأمور كأنه

عضها بالأضراس، والقرآن جلاء للقلب: أي يذهب الشكوك والاحزان عنه من جلوت السيف جلاء، أي صقلته و جلوت بصري بالكحل. والمتذكر: المتعظ.

الناسون، الذين انتفى تجدد العلوم الضرورية منهم بعد عدم مثله، والمتناسون الذين يظهرون نسيان شيء مكلفاً، كما يقال: تمارض و تماوت، والجواد القاصد: الفرس البينة السير لا تعب فيه و لا بطاء و في فلان هنات، أي خصلات شر و لا يقال: ذلك في الخير.

هن على وزن أخ كلمة كناية و معناه شيء، و أصله هنو و هما هنوان والمدية الشفرة والجمع مدى و طوبى له: هو فعلى من الطيب، أي طاب له العيش على سبيل الدعاء.

قيل: هو من أسماء الجنة، و قيل: طوبى، شجرة تظلل الجنان كلها أصلها في دار النبي محمد صلى الله عليه و آله و سلم و هي في أعلى عليين و تهدل في دار كل مؤمن غصن على خلاف المعهود في الدنيا و من شجون الحديث أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم. قال: طوبى شجرة في دار الامام علي عليه السلام فقال: بعض المنافقين قد ذكرت هذا على خلاف ذلك، فقال: إن داري و دار الامام علي عليه السلام في الجنة واحدة.



(١٧٦) و من كلام له عليه السلام

في معنى الحكيم

فَأَجْمَعَ رَأْيِي مَلِكِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ
يُجْعَجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَ تَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ، وَقُلُوبُهُمَا
تَبِعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَ تَرَكَ الْحَقَّ، وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا،
وَ الْإِعْوِجَاجُ دَابَّهُمَا، وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ
وَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا! وَالثَّقَّةُ^(١) فِي أَيْدِينَا
لِأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَ آتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ
الْحُكْمِ.

(١٧٧) و من خطبة له عليه السلام

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَ لَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَ لَا يَصِفُهُ
لِسَانٌ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَ لَا نُجُومُ السَّمَاءِ، وَ لَا سَوَافِي

الرِّيحِ فِي الْهُوَاءِ، وَ لَا دَيْبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَ لَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي
اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ، وَ خَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ.

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَ لَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَ لَا
مَكْفُورٍ دِينَهُ، وَ لَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةً مَنْ صَدَقَتْ نَبِيَّتُهُ، وَ صَفَتْ
دِخْلَتُهُ، وَ خَلَصَ يَقِينُهُ، وَ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ
رَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَاتِقِهِ، وَ الْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَ الْمُخْتَصُّ
بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَ الْمُصْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَ الْمُوضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ
الْهُدَى، وَ الْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمَّلَ لَهَا، وَ الْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَ لَا
تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَ تَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَ أَيُّمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ
فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ. وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ - حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقْمُ وَ تَزُولُ
عَنْهُمْ النِّعْمُ -

فَزَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نَبَاتِهِمْ وَ وَ لَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدَّ
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَ أَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَ إِنِّي لِأَخْشَى ^(١) عَلَيْكُمْ أَنْ
تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ، وَ قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتَمٌ فِيهَا مِئَلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا
عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَ لَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدَاءُ، وَ مَا
عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ! وَ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.

(١٧٨) و من كلام له عليه السلام

وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال:

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ^(١) بِمُشَاهَدَةِ الْعَيْنِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ بِلَا رَوِيَّةٍ^(٢)، مُرِيدٌ بِلَا هِمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ^(٣)، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعِظَمَتِهِ، وَ تَحِبُّ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

١- في ن: لا تراه العيون.

٢- في ض و ب: متكلم لا بروية وفي ح: ومريد لا همة.

٣- في م و ل: بلا جارحة وفي ر: روى صانع بلا جارحة.

(١٧٩) و من خطبة له عليه السلام

في ذم أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَ عَلَى
 ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَ إِذَا دَعَوْتُ لَمْ
 تُجِبْ، إِنْ أَهْمَلْتُمْ خُضْتُمْ، وَ إِنْ حُورِبْتُمْ^(١) خُرْتُمْ! وَ إِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ
 عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ^(٢)، وَ إِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ، لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ مَا
 تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَ الْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ: الْمَوْتُ أَوِ الذُّلُّ لَكُمْ!
 فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَ لِيَأْتِيَنِي - لَيَفْرَقَنَّ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أَنَا
 لِيُحْبِبَّتْكُمْ قَالَ^(٣)، وَ بِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ. اللَّهُ أَنْتُمْ!! أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ، وَ لَا
 مَحْمِيَّةً^(٤) تَشْحَذُكُمْ؟ أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجَفَاءَةَ الطَّعَامَ،
 فَيَسْبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَ لَا عَطَاءٍ، وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ - وَ أَنْتُمْ تَرِيكَةُ
 الْإِسْلَامِ، وَ بَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ

٢- في حاشية م: على امام طغيتم.

١- في م و ك و ر: ان حوربتم جرتم.

٣- في ب: وانا لكم قال. وفي ل: واني لصحبتكم قال.

٤- في م و ض و ح: ولاحمية.

عَنِّي، وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟

إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا فَتَرْضَوْنَهُ، وَ لَا سُخْطًا فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَ إِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لِأَقِي إِلَيَّ الْمَوْتُ. قَدْ دَارَسْتُمْ الْكِتَابَ، وَ فَاتَحْتُمْ الْحِجَابَ، وَ عَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَ سَوَّعْتُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!! وَ أَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَ مُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ.

(١٨٠)، وَ مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَ قَدْ أُرْسِلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَغْلُمُ لَهُ عِلْمُ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، وَ كَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: أَمِنُوا فَقَطَّنُوا أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا؟! فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ طَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ:

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ، أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَ صَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ^(١)! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَقْلَهُمْ^(٢)، وَ هُوَ غَدَاً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَ مُتَحَلِّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَ ارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَ الْعَمَى، وَ صَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَ جَمَّاحِهِمْ فِي التَّيْبِ.

١- في ش: على هامهم.

٢- في ح و ب و ض: استقلهم و في ر: روى استفزهم.

بيانه

الاجماع من قوم هو جمعهم في الآراء و ان كانوا متفرقين في آرائهم
الملا: أشرف القوم والرجلان اللذان أختارهم أصحاب الامام علي عليه
السلام بصفين للتحكيم هما أبو موسى الأشعري، و عمرو بن العاص.

الجمععة: الحبس بالجمعاع و هو الموضع الخشن الضيق، و كتب ابن
زياد إلى ابن سعد عليهما اللعنة أن جعجع بالحسين عليه السلام، أي احبسه
و جعجع بهم، أي أناخ بهم، وألزمهم الجمعاع.

يقول: لما أبيتتم إلا التحكيم و أن يكون الحكمان في ذلك إلا الرجلين
أخذت العهد والميثاق عليهما أن يحبسا أنفسهما عند حكم القرآن و لا
يتجاوزاه إلى الهوى والطغيان، و أن يكون لسان كل واحد منهما مع القرآن
و أن يعضي قلب كل واحد منهما خلف القرآن.

يقال: تبعت القوم تبعاً إذا مشيت خلفهم أو مروا بك فمضيت معهم،
التبع يكون واحداً و جماعة لأنه في الأصل مصدر قال تعالى: «أنا لكم
تبعاً»، و يجمع على أتباع فتاها، أي تحيراً و دأبها، أي عاداتها و سوء رأيها
مفعول سبق استثناء ونا، والثقة: الواو للحال و روي البقية.

العكس ردك آخر الشيء إلى أوله، و منه عكس البلية عند القبر،
لأنهم كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس إلى مؤخرها مما يلي ظهرها حتى
تموت، والسافيات والسوافي: الرياح التي تسفي التراب، يقال: سفت الريح
التراب تسفيه إذا ذرته و ديبب النمل مشيها على وجه الأرض.

يقال: دب الشيخ إذا أمشى مشياً رويداً. والصفاء: الحجر الأملس.
والمقيل: موضع القيلولة. والذر: صغار النمل غير معدول به، أي لا يستوي
بالله أحد، يقال: عدلت فلاناً بفلان إذا سويت بينهما. والدخلة: الضمير

والقلب والمجتبى. والمعتمام: المختار.

العقائل: الكرائم و أشرط الهدى: علاماته والمجلوبة غريب العمى، أي يذهب به و يجلى بنوره شدة سواد الضلالة والعمى. والغريب: الشديد السواد، قال تعالى: «وَعَزَّايِبُ سُوْدٌ»، والمخلد إليها: أي المستند إليها و لا تنفس الدنيا، أي لا تضن بمن نافس فيها: أي رغب فيها.

يقال: نفس بكذا ينفس إذا ضن به و نافست في كذا إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، و روي و لا تنفس: أي لا تفرج، يقال: نفست عنه أي رفهت، و نفس الله عنه كرتبه: أي فرجها والباء بمعنى عن أو يكون التشديد للتكثير على الوجه الأول، أي لا تراه الدنيا يستأهل أن يضن به.

ثم أقسم أن أحداً قط لم يكن في غض نعمة فزال إلا بذنب اجترحه و عيش غض: أي طري ناضر، و اجترح: أي اكتسب. والنقم: العقوبات و فزعوا إلى رهبم، هربوا إليه والتجأوا به، والوله: التحير، الشارد: المتفرق. و إني أخشى أن تكونوا في فترة، أي أخاف عليكم أن تكونوا في جاهلية.

الفترة: ما بين الرسولين، والجهد: المشقة، والجهد: الطاقة، و روي لا يراه العيون والمعنى واحد والروية: الفكر مرید بلاهمة، أي لا عزم له على ما يفعله لأن الهمة والعزيمة يجوز ان على من له قلب فيطمئن بها على فعل شيء في المستقبل.

كان الشيخ المفيد يثبت كونه تعالى مریداً و كارهاً على طريقة البغداديين، و لا يقول: بأن له إرادة محدثة لا في محل في كونه مریداً و من يكون على طريقته يتمسك بهذا الكلام.

روي صانع بلا جارحة، و كلاهما واحد والرحمة من بني آدم رقة تدخل قلوبهم فتقتضي الاحسان إلى الغير، والرحمة من الله الاحسان على العباد والانعام عليهم تعنوا الوجوه، أي تتخضع. والعالني: الأسير و وجل

القلب يوجل، و جل يجل، و وجب يجب، أي اضطرب و تحرك من الخوف. روي: على ما ابتلاءني بكم، و أهملت الشيء خليت بينه و بين نفسه و روي إن أهلتم و أمهله، أي أنظره و أخره و الاسم المهلة و خرتم بالحناء: أي ضعفت و انكسرتم، يقال: خار الرجل؛ أي انكسر و ضعف، و قيل: خرتم؛ أي صحتم من خار الثور يخور إذا صاح قال تعالى: «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا»^(١).

روي جرتم بالجيم: أي أعرضتم من جار عن الطريق إذا عدل عنه، و الجور: الميل عن القصد، و المشاقة: الخلاف، و العداوة و نكصتم، أي رجعتم قال تعالى: «نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ»^(٢)، و النكوص: الاحجام عن الشيء و أنا لصحبتكم قال: أي مبغض.

رُوي و لا حمية يشحذكم و الحمية و الحمية كلاهما مصدر حميت عن كذا، أي أنفت منه و شحذته شحذاً حددته. و الطغام: أوغاد الناس، و الطغام: الأراذل و يوصف به الواحد و الجماعة. و التريكة: البيضة التي يتركها النعام، و التريكة أيضاً الروضة التي لم ترعى، و تريكة الاسلام و بيضة الاسلام بمعنى.

قوله: «و إنه لا يخرج إليكم من أمري رضا فترضونه و لا سخط فيجتمعون عليه»، المعنى إنكم لا توافقوني في مرضي، و لا في ساخطي، قوله: «فيجتمعون عليه»، أي يجمعون معي عليه، و ساغ الشراب: أي سهل مدخله في الحلق.

سغته أنا يتعدى و لا يتعدى، و الأجود أسغته، يقال: اسغ لي غصتي:

أي أمهلي و لا تعجلني، قال الله تعالى: «يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسِيغُهُ»^(١)، و سوغته للتكثير، أي جوزته و مج الماء من فيه، أي رمى به و أقرب بقوم من الجهالة تعجب، أي ما أقربهم من الجهل بالله، و ابن النابغة عمرو بن العاصي قطنوا، أي سكنوا و نزلوا.

ظعنوا: رحلوا و سافروا كما بعدت، أي هلكت و البعد ضد القرب، أي أبعدهم الله بعداً فيه هلاكهم و أشرعت الرمع قبله، أي سدده و استقلهم الشيطان، أي عدهم قليلاً، و إن كان بنزع الخافض فأصله.

استقل بهم الشيطان، أي مضى بهم و ارتحل بهم و روي بالفاء، و استقلهم الشيطان، أي كسرهم بوسواسه لأجل نفسه و ليكونوا من أتباعه و فل الجيش و استقله، أي كسره و هرمه و استقلهم، أي وجدهم مغلولين فاستزهم، و روي استفرهم: أي استخفهم.

الرکس رد الشيء مقلوباً، و منه الارتكاس هو الوقوع في أمر كان قد نجا منه، قال تعالى: «و الله أركسهم بما كسبوا»^(٢)، أي ردهم إلى عقوبتهم، و الجماح في التيه، الاسراع في التحير، و الجموح من يركب هواه.



(١٨١)، وَ مِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رُوي عَنْ نَوْفِ الْبِكَالِيِّ قَالَ: حَطَبْنَا هَذِهِ الْحُطْبَةَ بِالْكُوفَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْخَزْزَمِيَّةُ، وَ عَلَيْهِ مَذْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ، وَ حَمَائِلُ سَيْفِهِ لَيْفٌ، وَ فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لَيْفٍ، وَ كَانَ جَيْسَهُ تَفْنَةً بَعِيرٍ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَ عَوَاقِبُ الْأُمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَ نَتَبَرَّأُ بِرُحْمَانِهِ، وَ نَوَامِي فَضْلِهِ وَ أَمْتِنَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَ لِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَ إِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا، وَ لِحُسْنِ مَزِيدِهِ. مُوجِبًا. وَ نَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَ آتِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ.

وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاهُ مُوقِنًا، وَ أَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَ خَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا، وَ أَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا، وَ عَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَ لَادَيْهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا: لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارَكًا، وَ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ مَوْرُوثًا^(١)

هَالِكًا، وَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَ لَا زَمَانٌ، وَ لَمْ يَتَعَاوَزْهُ زِيَادَةٌ وَ لَا تَقْصَانٌ،
بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ، وَالْقَضَاءِ
الْمُبْرَمِ.

فَمِنْ شَوَاهِدِ^(١) خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ
بِلَا سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّثَاتٍ وَ لَا
مُبْطِنَاتٍ، وَ لَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَ إِذْعَانُهُنَّ لَهُ بِالطَّوَاعِيَّةِ^(٢) لَمَا
جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ وَ لَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ، وَ لَا مَصْعَدًا لِلِكَلِمِ
الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا
الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ.

لَمْ يَمْنَعُ ضَوْءُ نُورِهَا إِذْلَهَامُ سَجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَ لَا
اسْتِطَاعَتُ^(٣) جَلَائِبِ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَوَاتِ
مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ، وَ
لَا لَيْلِ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ، وَ لَا فِي يَفَاعِ الشَّفْعِ^(٤)
الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَ مَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَ مَا تَلَاشَتْ
عَنْهُ بُرُوقُ الْعَمَامِ، وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا
عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَ أَنْهَطَالُ السَّمَاءِ، وَ يَعْلَمُ مَسْقَطُ الْقَطْرَةِ وَ مَقَرَّهَا، وَ

١- في ب: و من شواهد خلقه.

٢- في م و ن: بالطواعية و في ش: و اذعانهن بالطواعية.

٣- في حاشية ن: و لا استطاعت. ٤- في م و ف و ن: بقاع الشفع.

مَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَ مَجْرَهَا، وَ مَا يَكْفِي البُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَ مَا
تَحْمِلُ^(١) أَنْثَى فِي بَطْنِهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشُ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ
أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لَا يُدْرِكُ بِهِمْ، وَلَا يَقْدَرُ بِفَهْمٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ
سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، وَلَا يَنْظُرُ^(٢) بَعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلَا
يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ
بِالنَّاسِ. الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَ أَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا
جَوَارِحٍ وَ لَا أَدْوَاتٍ، وَ لَا نُطْقٍ وَ لَا لَهَوَاتٍ.

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِيُوصَفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ
وَ مِيكَائِيلَ وَ جُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِينِ،
مُتَوَلِّهَةً عَقُولَهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذُو
وَالِهِيَّاتٍ^(٣) وَالْأَدْوَاتِ، وَ مَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ! فَلَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلُّ ظَلَامٍ، وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلُّ نُورٍ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَ أَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ وَ لَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِدْفَعِ الْمَوْتِ^(٤)
سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَ عَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَ

١- في ض و ح: و ما تحمل الأنثى.

٢- في ف و ن و م: و لا يبصر بعين.

٣- في ش: ذو الهيئة.

٤- في ض و ب: او انى دفع الموت.

اسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِي الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وَاصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَّةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً!

أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَ أبنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفِرَاعِنَةُ وَ أبنَاءُ الْفِرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ. وَ أَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَ أَحْيَوْا سُنَنَ^(١) الْجَبَّارِينَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ، وَ هَزَمُوا الْأُلُوفَ، وَ عَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ، وَ مَدَّنُوا الْمَدَائِنَ.

منها:

قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتُهَا، وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا: مِنَ الْأَقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّمَرُّغِ لَهَا، وَ هِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَ حَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُعْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامَ، وَ ضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ وَوَلَّصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بِقِيَّةٍ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةً مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهَمُ؛ وَ أَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَ أَدَّبْتُكُمْ بِسَوَاطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَ حَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا!! لِلَّهِ أَنْتُمْ، أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطُّ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَ يُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟!

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَ أَزَمَعَ التَّرْحَالَ^(١) عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ؛ وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْتَقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ^(٢) بِصِفِّينَ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ، وَ يَشْرَبُونَ الرَّنْقَ؟! قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ فَوْقَاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَ أَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ؟ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَ أَيْنَ نُظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا^(٣) عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَ أُبْرِدَ بَرءُ وَسِيهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ؟! قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ (الشَّرِيفَةَ الْكَرِيمَةَ)^(٤) فَاطَالَ الْبُكَاءُ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ^(٥) فَأَحْكَمُوهُ، وَ تَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوْا السُّنَّةَ، وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَاجَابُوا، وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ. ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ!! أَلَا وَ إِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيُخْرُجْ.

٢- في ح و ش و ض : سفكت دماهم بصفين.

٤- ساقطة من ف و م و ن و ش .

١- في ب : و ازمعوا الترحال.

٣- في ك : تعاهدوا على المنية.

٥- في ض و ح و ب : قرأوا القرآن.

قَالَ تَوْفُ: وَ عَقَدَ لِلْحُسَيْنِ - عَلَيْهِ السَّلَام - فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَ لِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ، وَ هُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صَفِينٍ، فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنَ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَتَرَا جَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَّتْ رَاعِيَهَا تَحْتَطِفُهَا الذَّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

بيانه

بكال حي من همدان، من اليمن، يقال: لها بكيل أيضاً، وهذا أكثر قال الكميت: (فقد شركت فيه بكيل و أرحب)، و من شدد الكاف فقد أخطأ، قال تعلقب: البكالي بكسر الباء، قال: و بكالة من اليمن، و جعدة أبو هؤلاء الجعديين، و كان ابن أخت أمير المؤمنين، و كان الامام علي عليه السلام زوجه ابنة من بناته، و كان ابنه شجاعاً فارساً، و فيه يقول الشاعر:

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم و لا خراسان حتى ينفخ الصور^(١)

الليف: شيء خشن غليظ، يكون بين جرائد النخل على رأس الجذع ترى بين كلّ جريدتين على خطّ سواء قطعة منه تسمى ليفة كالحبائل في أصلها في مقدار رأس من الجدار يقطع و تدقّ، و تجعل بحيث يمكن غزها و يؤخذ من ذلك حمالة السيف والنعل و غيرهما.

ثفنة البعير ما تقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ و غلظ

١- قهندز معرب كهن دز بالدال و الزاء الفارسية يعني القلعة القديمة، و في كل بلد من بلاد خراسان قهندز يقيم فيها الامراء و الحكام منها قهندز نيشابور و هرات و مرو و قهندز بلد بطخارستان قرب جيحون يقال: لها اليوم قندز - و قد دخلتها سنة ١٣٨٨ ق.

كالكركبتين، و منه سمي الامام علي بن الحسين عليهما السلام بذئ الثفنتان لأن طول السجود كان قد أثر في مساجده السبعة، و شبه الراوي جبين أمير المؤمنين عليه السلام بثفنة بعير لما كان رآه قائماً يحطب بهذه الخطبة. و يقال: صرت إلى فلان مصيراً قال تعالى: «والى الله المصير»، أي المرجع.

هذا شاذ والقياس مصار مثل معاش و انما جمع المصير و هو مصدر - على مصائر، لأن الخلائق يرجعون إليه تعالى في أحوال شتى، ينقلبون إليه و ينقطعون إليه عاجلاً و آجلاً، اختياراً و اضطراراً في جلب منفعة أو دفع مضرة فجمع المصدر و ان كان يقع بلفظه على القليل والكثير لاختلاف وجوهه كما قال تعالى: «وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا».

عاقبة كل شيء آخره، والجمع عواقب أقر بعد التحميد بالبعث والنشور، و أن إليه مرجع الأمور، و أن لا يملك غيره تعالى يوم القيامة أحد جميع التدبير، ثم حمده على أشياء بعد أن أطلق اطلاقاً.

فقال: نحمده على أصول نعمه التي هي الحياة والقدرة والشهوة، و غيرها، مما لا يدخل من أجناس المقدورات تحت القدر، و ذكر أن ذلك من عظيم إحسانه ثم نحمده ثانياً على ما نصبه من الدلائل القاهرة على وحدانيته، و على ما أبدع من خلقنا و تراكيبنا و عقولنا، و غيرها من عجائب ما أظهره في العالم و ذكر أن هذا من نير حجته.

و حمده ثالثاً على أرزاقه الدارة الهنيئة المريئة عاجلاً، و على ما وعد من نوامي فضله و زوائد امتنانه آجلاً، ثم ذكر أن العبد إذا حمد الله فقد ظفر بأربعة أشياء قضى حق الله تعالى، و أدى شكر نعمه الماضية، و تقرب من استحقاق ثواب الله، و استحقق المزيد من نعمائه.

ثم طلب المعونة من الله كما يطلب العون منه تعالى من يكون على أربع خصال: من الخير يرجو الله في الافضال معه في آخره، و في الانعام

عليه في دنياه، و يتق بدفع المضار منه في الدنيا والآخرة، و يعترف له تعالى بأنه ذوالكرم العظيم فيما غفرو عفا و على ما منع و أعطى.

و يتقاد لله تعالى بالقيام بأوامره من الأعمال والأقوال وجوباً لوجهه، لا لاقتناء الثواب و لا للخلاص من العقاب، والرجاء والأمل يقرب معناهما الا أنّ في الرجاء تأخيراً لا يكون في التأميل و لذلك خصّ الرجاء بالثواب الذي يكون في الآخرة والأمل بالنعم الدنياوية.

ثم إنه قال: إن إيمانه بالله يشتمل على ستّ خصال و قد فصلها، والايان في اللغة هو التصديق، و في عرف الشرع هو التصديق بالقلب لأركان الدين واليقين العلم بالشئ على سبيل القطع عليه والوثوق به، و أيقنت، أي حصلت علماً عند استنباط. و أناب: رجع و خنع: أي ذلّ خاضعاً والمذعن الذليل الخاضع.

تمجيد الله هو أن ينسب الرجل إلى المجد و هو الكرم والمجيد الكريم: والتمجيد في الانسان أن ينسب الرجل إلى المجد و هو الشرف والاباء، رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف والمجد في عرف الشرع مخصوص بالقائل، لا حول و لا قوة إلا بالله، والتمجيد قول: ذلك و لاذ به: أي عاذ به، و لجا إليه.

قوله: لَمْ يُوَلَّدْ، أي لم يتولد من شيء، و لَمْ يَلِدْ، أي لم يخرج منه شيء و مفعوله محذوف، أي لم يلد ولدا، و قوله: لَمْ يُوَلَّدْ لَأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ مَحْدُوثٌ وَ جَسْمٌ وَ هُوَ تَعَالَى قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ وَ لَيْسَ بِجَسْمٍ وَ لَمْ يَلِدْ لِأَنَّهُ لَا يَجَانِسُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ جِنْسِهِ صَاحِبَةٌ فَيَتَوَالِدُ وَ قَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ: «سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَوَلَدٌ»^(١).

انما قدم أمير المؤمنين هاهنا لم يولد لأنه تعالى لو كان ممن يولد لدل ذلك على حدوثه، وذلك من صفات الأجسام، وقوله: «لَمْ يَلِدْ» يدل على نفي حاجته فان الانسان يشتهي الولد لحاجته إليه، فاستدل أولاً على صفة الاثبات له تعالى، وهو القدم. ثم استدل ثانياً على صفة النفي له تعالى وهو كونه غنياً وذاك نفي الحاجة عنه، فحسن التقديم والتأخير لذلك، وأما القرآن فان سبب نزول سورة الاخلاص؛ هو أن اليهود الذين يقولون: إن عزيزاً ابن الله سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن نسب الرب فرد الله تعالى عليهم أولاً بقولهم: لم يلد عزيزاً كما يقوله اليهود.

لا المسيح كما تقوله النصراني، ولا الملائكة بنات الله كما تقوله الصابئون، وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن تفسير سورة الاخلاص فقال: هُوَ اللهُ أَحَدٌ بلا تأويل عدد، الصَّمَدُ بلا تبعيض، لَمْ يَلِدْ فيكون موروثاً هالِكاً و لَمْ يُوَلَدْ له من خلقه كُفُواً أَحَدٌ، أي عديلاً ونظيراً يماثله.

المبرم: المحكم. والموطد: المجعول ثابتاً، و توطد: أي ثبت و قد وطدت على باب الغار الصخر إذا سدته به و نضدته عينه و وطدت الشيء و وطدته. أي أثبتته وأثقلته. والعمد: جمع عماد البيت نحو اهاب في أهب و منه في عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ، و قوله: «رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»^(١)، أي خلقها مرفوعة بلا عمد لا تحتاجون مع الرؤية إلى الخبر.

قيل: لا ترون عمدها وهي قدرة الله. والسند: ما قابلك من الجبل و علا عن السفح و فلان سند، أي معتمد و سندات إلى الشيء استندت إليه بمعنى و تلكأ عن الامر تباطأ عنه و متلكئات متأخرات، و قوله: «دعاهن»، أي دعا الله السموات فأجبن طائعات.

هذا مجاز و سئل ابن عباس عن قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِينَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^(١)، قال: ثم قصد الله الي خلق السماء و كانت السماء دخاناً، أي بخار الأرض، فأتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم و أتت الأرض بما فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار، و ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة و لا جواب لذلك القول.

بل أخبره الله تعالى عن اختراعه السموات و الأرض و إنشائه لهما من غير تعذر و لا كلفة و لا مشقة بمنزلة ما يقال للأموال فيفعل من غير تلبث و لا توقف فعبر عن ذلك بالأمر و الطاعة و الدعاء و الإجابة هو قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٢)، و إنما قال: أَتَيْنَا طَائِعِينَ لَأَن المعنى أَتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكمهم.

فان قيل: هب إن القول في الدعاء هاهنا، و الإجابة ما قلتم: فما تقولون في قوله: «و لولا اقرارهن بالربوبية»، إلى قوله: «لما جعلهن مسكناً للملائكته». قلنا: المجاز هاهنا بحاله و الاستعارة على ما تقدم و ذلك لأن من تفكر في السماء التي هي قائمة بلا عمد مع عظمتها كان الاقرار بربوبية صانعها و حافظها أقرب ممن ينظر في الأرض.

فلما كانت السموات أعظم في باب الدلالة و في كونها آية على إثبات للصانع الحكيم من الأرض، و جعل السموات مساكن للملائكة الكرام، الذين لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، و جعلها أيضاً موضع العرش، أي خلق الله العرش فوق سبع سموات أيضاً. أمر الله الكرام الكاتبين باصعاد الأعمال الصالحات من بني آدم إلى

السموات أيضا، لأن المواضع العالية الرفيعة تليق بالأمر العلية الشريفة، فراقت الازدواج لفظاً ومعناً ثم: إنه تعالى جعل كواكبها علامات يهتدي بها الضال المتحير في الفجاج المختلفة وهي طرق الجبال.

والأقطار جمع قطر، وهو الناحية والجانب، والادلهام الظلمة و ليلة مدهمة: أي مظلمة، والأحسن أن يكون ادلهام مرفوعاً ليكون فاعل لم يمنع وضوء نورهما مفعول ليكون المعنى مزدوجاً لما بعده.

و لا استطاعت جلايبب سواد الحنادس أن تزد نورا القمر. و يجوز أن يرتفع ضوء نورها بالفاعلية والمفعول ادلهام سجد الليل فيكون معناه على عكس ما بعده و جاز ذلك أيضا.

السجد: الستر و روي سجدف. والحنادس: الظلمات. و شاع: أي تفرق و ظهر. والتألوء: اللمعان. و لا استطاعت: أي ما أطاقت. والجلايبب الثياب. والغسق: الظلمة والليل الساجي؛ ساكن والداجي: المظلم. و تطأطأ: أي تطأمن، و تطأطأت لك، أي خفضت لك نفسي، والمتطاطيات: المتطامنات.

السفعة في الوجه، سواد في خد المرأة الشاحبة، والسفع جمع السفعاء و هو السوداء و جمع أسفع أيضا و يعنى بالسفع المتجاورات: الجبال. واليفاع: ما ارتفع من الأرض. واللجلجة: صوت الرعد. و تجلجل قواعد البيت: أي تضعضعت. والأفق: الناحية. و تلاشت: مركب من لا شيء.

يقول: سبحان من لا يخفى عليه ما يجري في شدة سواد الليل لا ما يكون في سهل الأرض و لا في الجبل، و لا يخفى عليه ما يحركها الرعد و ما يتفرق من شعاع البرق و من شجون الحديث أنه قيل: لبعض العلماء أين يذهب نور السراج إذا انطفأ قال: يذهب شعاعه شعاعاً: أي متفرقاً.

العواصف الرياح الشديدة، والأنواء جمع النوء و هو سقوط نجم من

المنازل في المغرب مع الفجر، و طلوع رقبه من المشرق، يقابله من ساعة في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كل نجم منها إلى إنتضاء السنة ما عدا الجهة فان لها أربعة عشر يوماً.

قال أبو عبيد: و لم يسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع: و كانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها في سلطانه، و قال الأصمعي: ينسب ذلك إلى الطالع منها فيقول: مطرنا بنوء كذا، والانهطال: الانصباب.

العلاج: المعالجة، و هي المزاولة، والله يخلق بلا مقاساة و لا تعب والحواس الخمس: العين، والخيشوم، واللهاة، والصماخ، واللمس. والله تعالى لا يدرك بشيء منها و فائدة قوله: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» أنه تعالى كلم موسى بلا واسطة ابانة له بذلك من سائر الأنبياء لأن جميعهم كلمهم الله بواسطة الوحي.

إنما قال: تَكْلِيمًا ليعلم أن كلام الله من جنس هذا المعقول الذي يشق من التكليم بخلاف ما قاله المبطلون والمجرة القطعة من الأرض المحجورة، بحايط يحوط عليها و هي مفعلة بمعنى مفعول كالمغرفة والقدس: الطهر والمراد بحجرات القدس: منازل الملائكة و في القرآن: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ» و «وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ» * و «إِنَّا لَنَحْنُ»^(١).

الارجحنان: الميل و جيش مرجح و رحى مرجح، أي ثقيلة و أرجح الشيء اهتز و متوهة: أي متحيرة، والزلفة: القربة. و استوفى طعمته، كناية عن أنه مات، والرياش: اللباس والزينة. و أسبغ: أتم. والعمالقة: قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح و هم أمم

تفرقوا في البلاد.

فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر و كل عات فرعون، والعتاة
الفراعنة و قد تفرعن و هو ذو فرعنة، أي دهاء و نكر. والرّس اسم بين
للبقية من ثمود قوم صالح، و قيل: الرس قرية بفلج اليمامة أهلها هؤلاء، و
قال الصادق عليه السلام أصحاب الرس كان نساؤهم ساحقات.

قيل: أصحاب الرس هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا
مبتلين بالعنقاء و هي أعظم ما يكون من الطير لطول علتها و كان تسكن
جبلهم الذي يقال له: فيح و هي تنقض على صبيانهم فتخطفهم أن أعوزها
الصيد.

فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم أنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا.
والعسكر: الجيش، و أخرج منه الفعل فقيل: عسكر الرجل فهو معسكر
والموضع معسكر.

المدينة فعيلة من مدن الرجل بالمكان إذا قام به و مدن المدائن كما
يقال: مصر الأمصار، و قيل: هي مفعلة من قولك دين، أي مسلك فعلى هذا
لا تهمز جمعها.

الجنة: ما استترت به من سلاح، و ليس جنة الحكمة، أي لم يفعل و لم
يقبل شيئاً إلا إذا ادعى الحكمة، فهي ضالته، أي الحكمة بمنزلة ضالة التي لا
يطلبها إلا هو و عسيب الذنب منبته في الجلد والعظم. والجران: الصدر.

هذا إشارة إلى غيبة الامام المهدي عليه السلام، يقول: أنه أقبل في
زمان الخوف على الحكمة، لا يظهر لأن العلم والحكمة كلاهما يمنعه من
الظهور خوف الهلاك، فهو غريب إذا عاد الاسلام غريباً و هو بقية من
حجج الله في أرضه.

البعير إذا ناخ وألصق الأرض بصدرة بعسيب ذنبه فلا يكون له

تصرف و لا ذهاب و لا مجيء، والبث التفريق والنشر و لم تستوسقوا: لم تجتمعوا يقال: و سقت الشيء، أي أجمعته قال تعالى: «و اللَّيْلَ وَ مَا وَسَقَ»^(١).

استوسق: أي اجتمع و أزمع الترحال: ثبت عليه عزمه عن الكسائي يقال: أزمعت الأمر و لا يقال: أزمعت عليه قال الاعشى: أزمعت من آل ليلى ابتكاراً، و قال الخليل: أزمعت على أمر فأنا مزعم عليه قال الفراء: أزمعته و أزمعت عليه بمعنى.

يسيغون الغصص: أي يتجرعونها والرفق الكدورة و ابن التيهان هو أبو الهيثم و ذكر المبرد أن التيهان و ذو الشهاداتين خزيمية بن ثابت تعاهدوا على المنية و أوثقوا العهد على جهاد العدو و ممارسته و إن؛ أدى إلى هلاكهم. أبرد برؤسهم إلى الفجرة، أي بعث برؤسهم إلى الفسقة على يد البريد لتصل سريعاً إليهم فيفرحوا بذلك و أوه كلمة توجع و تتكلم بها العرب عند الشكاية، و ربما قلبوا الواو ألفا فقالوا: آه من كذا و ربما شدد الواو فقالوا: آوه بالمد والتشديد لتطويل الصوت بالشكاية و تلوا القرآن، اي والجهاد والجهاد: أي اقصدوه.



(١٨٢) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ
 الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَ سَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ. وَ
 هُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَ بَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ؛
 لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَن غِطَائِهَا، وَ لِيَحْذَرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا، وَ لِيَضْرِبُوا
 لَهُمْ^(١) أَمْثَالَهَا، وَ لِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِبِهَا وَ
 أَسْقَامِهَا، وَ لِيُبْصِرُوهُمْ عُيُوبَهَا وَ حَلَالِهَا^(٢) وَ حَرَامِهَا، وَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ
 لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَ كَرَامَةٍ وَ هَوَانٍ.
 أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، جَعَلَ^(٣) لِكُلِّ شَيْءٍ
 قَدْرًا، وَ لِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا، وَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا.

منها:

في ذكر القران: فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةٌ اللَّهُ

٢- في ب: هنا تقديم و تأخير.

١- في م: لهم عن امثالها.

٣- في ض و ب: و جعل.

عَلَى خَلْقِهِ: أَخَذَ عَلَيْهِمْ^(١) مِيثَاقَهُ، وَ ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ^(٢)، أَمْ نُورَهُ، وَ أَكْمَلَ بِهِ^(٣) دِينَهُ، وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَ قَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ، فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ، إِلَّا وَ جَعَلَ لَهُ عِلْماً بَادِئاً، وَ آيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِداً، وَ سَخِطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِداً.

وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ وَ لَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ إِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيِّنٍ، وَ تَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَه الرَّجَالُ مِنْ قَبْلَكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةً دُنْيَاكُمْ، وَ حَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَ افْتَرَضَ مِنَ الْأَسْتِتِكُمْ الذُّكْرَ، وَ أَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَ جَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَ حَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ؛ وَ نَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَ تَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ: إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ، وَ إِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ، قَدْ وَكَّلَ^(٤) بِذَلِكَ حَفِظَةً كِرَامًا، لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا، وَ لَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ، وَ نُورًا مِنَ الظُّلْمِ، وَ يُخَلِّدُهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَ يُنَزِّلُهُ مَنْزِلَ^(٥) الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ،

١- في ض و ب و ش: اخذ عليه ميثاقهم. وفي ك: اخذ على المكلفين ميثاقه.

٢- في م: و ارتهن عليهم نفوسهم. وفي ض و ب و ش: و ارتهن عليه انفسهم.

٣- في ش: و اكرم به دينه. ٤- في ض و ب: قد وكل بكم حفظة.

٥- في ب و ض: منزلة الكرامة.

فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ: ظَلَّهَا عَرْشُهُ، وَ نُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَ زُورُهَا
مَلَائِكَتُهُ، وَ رُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَ سَابِقُوا الْأَجَالَ، فَإِنَّ
النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطَعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَ يَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَ يُسَدَّ عَنْهُمْ
بَابُ التَّوْبَةِ.

فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ أَنْتُمْ
بُنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَ قَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا
بِالِازْتِحَالِ، وَ أَمِرْتُمْ فِيهَا بِالرَّادِ، وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ
صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ
الدُّنْيَا. أَمْ فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوَكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ،
وَالرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ،
وَ قَرِينَ شَيْطَانٍ؟! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا
بَعْضًا لِعُضْبِهِ، وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ؟!!!
أَيُّهَا الْيَقِينُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْفَتِيرُ! كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ
أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَ نَشِبَتْ الْجَوَامِعُ، حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ
السَّوَاعِدِ؟! فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ، وَ أَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ
السُّقْمِ!! وَ فِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَائِكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا:

أَسْهَرُوا عْيُونَكُمْ. وَ أَضْمِرُوا بَطُونَكُمْ، وَ اسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَ

أَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا^(١) بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ لَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُبَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ» وَ قَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ»؟

فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلِّ؛ وَ لَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلِّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَ لَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَ اسْتَقْرِضْكُمْ، وَ لَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ، وَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَ إِنَّمَا^(٢) أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ رَافِقَ بِهِمْ رُسُلُهُ، وَ أَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَ أَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ^(٣) أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا، وَ صَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا، وَ نَصَبًا «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي، وَ أَنْفُسِكُمْ، وَ هُوَ حَسْبُنَا^(٤)، وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ.

١- في ض: فجودوا بها. وفي ب: ما تجدوا بها.

٢- في م: عن ان تسمع.

٣- في ب: و اراد ان يبلوكم.

٤- في ب: و هو حسبي. و حسبنا الله.

(١٨٣) و من كلام له عليه السلام

قاله للبرج بن مسهر الطائي وقد قال له بحيث يسمعه:

«لا حكم إلا لله» وكان من الخوارج

اسْكُتْ! قَبَّحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ
ضَيَّلاً شَخْصُكَ خَفِيّاً صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ
الْمَاعِزِ.

بيانه

المعرفة ما تقع من العلم على شيء معين أو على أكثر من ذلك بعد أن يكون معيناً أثنى على الله تعالى بعد التحميد أنه تعالى، معروف دل عليه بأفعاله، فعرف بها ولم يرو العقلاء لما دلوا على الله فكأنهم عرفوه والمنصبه والنصب التعب.

الخائق: المحدث على سبيل التقدير وهو على الاطلاق يختص القديم تعالى والياء للحال في جميع هذه المواضع، واستعبدت فلانا، أي اتخذته عبداً و قوله: «ليكشفوا لهم عن غطاياها»، أي بعث الأنبياء إلى المكلفين من الثقليين ليبينوا لهم أحوال الدنيا و يخوفونهم من أضرارها.

الغطاء: ما تغطيت به لغطاء القدر وهو ما يسترها وكل شيء ارتفع و طال على الشيء فقد غطا عليه، وكشف الغطاء كناية عن حل الشبهة

والضراء والبأساء الشدة و هما اسمان مؤنثان من غير تذكير.

قال الفراء: لو جمعا على أبوس و أضر كما يجمع النعماء بمعنى النعمة على أنعم لجاز، أي لتندر كل بنى أمية من الذكور إلى الدنيا و الاغترار بزيتها و بهجتها، و رخائها فان شدتها تتبعها.

المثل: ما يمثل به الشيء، أي يشبه فهو اسم مصرح لما يضرب ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة فيقال: مثلك هذا: أي صفتك.

قال تعالى: «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ أَزْيَنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمْرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^(١).

أي صفة الحياة الدنيا، أو شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها و زوالها أنزلناه من السماء و هو المطر، فاختلط به، أي بذلك المطر نبات الأرض لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به.

قيل: فاختلط بسببه بعض النبات ببعض مما يأكل الناس كالحبوب و الأنعام كالحشيش و التبن شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير إلى الزوال.

قيل: شبهها بالماء فيما يكون به من الانتفاع و قيل: شبهها بحياة مقدرة على هذه الصفات، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، أي حسنها بأجناس النبات و غيرها و تزينت في عين رائيها و ظن مالكيها أنه يقدر على الانتفاع بها.

أي بلغت المبلغ الذي ظن أهلها أنهم يحصدونها و يقدرون على علتها

أتاها عذابنا من برد أو برد أتاها قضاؤنا باهلاكها فجعلناها محصورة مقطوعة يابسة كأن لم يلبث زرعها لابد من حذف مضاف مثل ذلك تميز الآيات لمن يتأمل فيها فيعتبر بها و ليهجموا عليهم بمتبر، أي ليدخلوا على أهمهم بشيء يعتبرون به.

قال تعالى: «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ»، أي استدلوا بما شاهدتم لما غاب عنكم، و هجمت على الشيء بغته أهجم هجوماً و هجمت غيري يتعدى و لا يتعدى فجعل الغرض في بعث الأنبياء خمسة أشياء و أجملها و فصل الأخير الذي هو الاعتبار و جعله على أنواع من الصحة والسقم اللذين يصيبان أهل الدنيا.

الحلال والحرام اللذين هم مبتلون بهما والكرامة والهوان اللذين للاستحقاق في الآخرة و في الدنيا للتكليف والابتلاء والجنة والنار اللتين هما دار الثواب والعقاب.

ثم ذكر إني أحمد الله متقرباً إليه مثل ما طلب الحمد، محسناً إليهم يعني على ما يوافق أمره تعالى و ليس على شهوة مني أو ببدعة ابتدعتها و استحمد إليه: إذا فعل ما يحمد عليه.

ثم قال: إنه تعالى جعل لكل شيء من أفعاله و أوامره قدراً، و هو أن فعل جميع ذلك لغرض مثله، فيكون مقدراً بذلك الغرض و جعل لكل مقدر وقتاً ينقطع فيه و لكل انقضاء مكتوب قاله تعالى: «يُمَحُّوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(١).

ثم قال: «القرآن أمر زاجر»، أي فيه أمر و زجر كما يقال: ليله قائم و نهاره صائم و القرآن صامت ناطق: أي مع كونه صامتاً ينطق بالحكمة و هو

البرهان من الله على المخلوقين، و قد أخذ الله على المكلفين منهم عهداً و ميثاقاً بما لهم من المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم. فذكر النبي محمد أن حلال القرآن حلال و حرامه حرام، فكأنه تعالى أخذ ميثاقاً علينا بأن نعمل بذلك و أخذ نفوساً رهناً على ذلك، والمرتمن: الذي يأخذ الرهن و لم يخف، أي لم يستر رسول الله عنكم شيئاً من أمر الدين، فإما بينه و إما نصب لكم عليه دليلاً قاطعاً. والعلم: العلامة والجبل والراية، والبادي: الظاهر.

الآية المحكمة التي لا تحمل من التأويل إلا وجهاً واحداً فتى سمعها من عرف طريقة الخطاب ممن علم العربية و علم القوانين أمكنه أن يستدل في الحال على ما يدل عليه و ليس كذلك المتشابه لأنه و إن كان من العلماء باللغة فانه يحتاج عند سماعه إلى ذكر مبتداء أو نظر مجدد ليحمله على الوجه الذي يطابق المحكم أو دليل العقل.

قوله: «واعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم و لن يسخط عليكم بشيء رضىه من كان قبلكم»، فالسخط: هو أن تكره الفعل من غيرك فيقع ما كرهته منه، والرضا: يذكر بمعنى أنه اكتفى بفعله و حمده عليه.

فعلى هذا يسقط كل سؤال يورد عليه، لأن كل من فعل ما أمره الله به كان تعالى عنه راضياً و كل من ارتكب ما نهاه الله فقد سخط الله عليه سواء كان في أول الدهر أو في وسطه أو في آخره.

سواء كان ذلك الواجب عقلياً أو سمعياً لما كان عالماً به أو متمكناً منه و لم يكن ملجأً و لا مكرهاً، فان قيل أليس قد رضى الله عن أمة موسى و غيرهم من المتقدمين بأفعال ان فعلها الواحد منا سخط الله عليه.

قلنا قد احترزنا عن هذا بما ذكرناه من حد الرضا والسخط ثم الذي

يأمر الله به من الواجبات، و ما ينهى عنه من المقبحات على ضربين أحدهما عقلي والآخر سمعي فالعقليات لا يختلف بحال من الأحوال، فان الواجبات العقلية ما نهى الله عنها أبداً فأما الواجبات السمعية والمقبحات الشرعية فانها تختلف باختلاف المكلفين أو اختلاف أوقاتهم.

لأن ما كان مصلحة لزيد أمس من الشرعي يجوز أن يكون مفسدة له غداً أو غيره فاذا أمر الله العباد بمصالحهم و نهاهم عن مفاسدهم، فانه تعالى هو العالم بتفاصيل ذلك في أفعالهم، فإنه تعالى يرضى عن العبد باتباعه مصلحة التي أمره الله بها و يسخط على عبد يرتكب مفسدته التي نهاه الله عنها، فالسؤال ساقط على كل وجه.

قيل: يعنى بالرضا المرضي، أي يرتضي في المستقبل ما ارتضاه في الماضي، و يسخط ما سخطه من العقليات، و أصول العبادات، أي رضا الله فيما بقي من الزمان و هو رضاه فيما مضى والسخط كذلك فعلى هذا يبطل استحلال الخمر في الملل المتقدمة كما يدعيه العامة لأنها تستر العقل.

قوله: «في دار اصطنعها لنفسه»، يريد بها الجنة، أي اختارها الله لخاصة أمره و صنع فلان كذا، أي فعله و اصطنعه، أي فعله لخاصة أمره فالله تعالى غني عن الحقيقة لا يحتاج إلى شيء فلا يجري اصطنعها على الظاهر.

إنما يكون تأويله على ما يوافق الدليل العقلي كما أشرنا إليه من أنه تعالى اختار الجنة دار الثواب للمطيعين الذين هم خواص عباده و قد وصفهم عليه السلام والبهجة: الحسن والضمير في بهجته للعرش، و يجوز أن يكون لله و فيه مجاز.

الرفقاء: الأصحاب. و يوشك: أي يقرب. و يرهقهم: أي يغشاهم قال

تعالى: «وَلَا يَزْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ»^(١)، ويرهقهم: أي يغشيمهم وكلاهما مروى، وقال: أرهقه عسراً، أي كلفه إياه فغني ويرهقهم الأجل، أي يحمل أجل الموت عليهم شدة وكلفة.

قوله: «فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم»، إشارة إلى قوله؛ «رَبِّ اِرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»^(٢).

يقول: هو إنكم بلغتكم إلى تلك الحالة و طلبتم للرجعة و ردتكم إلى الدنيا فاعملوا الآن، والرمضاء: الرملة الحارة فمن لم يطق المشي عليها كيف يطيق المقام بين طابقين من نار والطابق الآجر الكبير فارسي معرب.

ضجيع حجر: إيماء إلى قوله تعالى: «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ»^(٣)، قيل: انها حجارة الكبريت، و مالك هو الملك الذي جعله الله خازن نار جهنم، والغضب منه إرادة الانتقام من العصاة و إنزال العقوبة بهم على حسب ما يأمر الله به.

فانه يفعل بالكفار ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده، والحطم: الكسر. واليفن: الشيخ الكبير. و لهزه القتير: أي خالطه الشيب فقال: «لهزت القوم»، أي خالطتهم و دخلت بينهم و هو ملهور: أي أشمط. لهزه بالريح: طعنه في صدره، والقتير: رؤوس المسامير في الدروع، و يقال: للشيب قتير تشبيهاً به، و التحمت أطواق النار بالأعناق، أي التفت و انضمت بها و بعظامها و التصقت بها و انفتلت. و نشبت الجوامع: أي غلقت. الأغلال و الجامعة: الغل لأنها تجمع الديدن إلى العنق. الفسحة: السعة.

٢- المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

١- يونس: ٢٤.

٣- البقرة: ٢٤.

و فكاك الرقاب: أي تخليصها، يقال: فككت الشيء خلصته، و فك الرقبة: أي أعتقتها، و انفكت رقبتك من الرق قبل ان تغلق رهانها، أي من قبل ان لم تقدروا على تخليص رقابكم.

كان من أفاعيل الجاهلية ان الراهن إذا لم يرد ما عليه في الوقت الموقت ملك المرتهن الرهن، يقال: غلق الرهن إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر على تخليصه.

سئل ابراهيم النخعي عن غلق الرهن فقال: يقول: إن لم أفكه إلى غد فهو لك و قد أبطل الله رسم الجاهلية في ذلك و نحوه والقل: القلة. والذلة: الذلة. و حسيس النار: صوتها اللغوب. والنصب: التعب و قبحه الله، أي أبعده عن الخير فهو من المقبوحين.

يقال: قبحاله والأثرم في اللغة من سقط ثنيتيه و ذلك ليس بعيب و لعله كان كذلك أو يلقب به لوجه معيب، والضئيل: الدقيق. و نعر الباطل، أي صاح يعني أهله و نعر العرق ينعر، أي فار منه الدم و نعر فلان في الفتنة نهض فيها.

نجمت: أي طلعت بلابوة^(١)، و لا قدم كما ينبت قرن الشاة على غفلة يقال: نجم القرن والسن، أي ظهر، و نجم الخارجي: ظهر، و فلان منجم الباطل: أي معدنه، و نجمت ناجمة بمكان كذا: أي نبعت.

* * *

(١٨٤) و من خطبة له عليه السلام

رُوي أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُقَالُ لَهُ: هَمَّامٌ - كَانَ رَجُلًا عَابِدًا فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ! فَتَنَاقَلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنِ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ، وَأَحْسِنِ «فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِذَلِكَ^(١) الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ - ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، وَ تَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ - حِينَ خَلَقَهُمْ - غَنِيًّا عَنِ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ، وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ^(٢)، وَ وَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَ مَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ، وَ مَشِيئُهُمُ التَّوَاضُعُ.

غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نَزَلَتْ فِي

١- في ض و ح و ب: بهذا القول.

٢- في ب: معيشتهم.

الرَّحَاءِ، وَ لَوْ لَا الْأَجْلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ^(١) لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي
أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظَمَ
الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ.

فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَ هُمْ، وَ النَّارُ
كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَ شُرُورُهُمْ
مَأْمُونَةٌ، وَ أَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَ حَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَ أَنْفُسُهُمْ عَقِيفَةٌ،
صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ
رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَ أَسَرَّتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ^(٢) لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ: يُرْتَلُونَهَا^(٣)
تَرْتِيلًا يَحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَ يَسْتَتِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ
فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَ تَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَ ظَنُّوا
أَنَّهَا نُصِبُ أَعْيُنِهِمْ، وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ
قُلُوبِهِمْ، وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ، وَ شَهيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ.

فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِّشُونَ لِجَبَاهِهِمْ وَ أَكْفِهِمْ وَ
رُكْبِهِمْ وَ أَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَ

١- في ض: كتب الله عليهم. وفي ب: كتب عليهم.

٢- في ش: تالون لأجزاء القرآن.

٣- في ض و هاشم م و ش: يرتلون. وفي ر: ويرتلونها.

أَمَّا النَّهَارُ فَحَلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِي الْقِدَاحِ
يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى، وَ مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ، وَيَقُولُ
لَقَدْ قَدْ خَوْلَطُوا: وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ:

لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ
لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّي أَحَدُهُمْ، خَافَ
مِمَّا يُقَالُ لَهُ! فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي؛ وَ رَبِّي أَعْلَمَ مِنِّي
بِنَفْسِي. اللَّهُمَّ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَ اجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ،
وَ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينِهِ، وَ حَزْمًا فِي لِينِهِ،
وَ إِيمَانًا فِي يَقِينِهِ، وَ حِرْصًا فِي عِلْمِهِ، وَ عِلْمًا فِي حِلْمِهِ، وَ قَصْدًا فِي
غِنَى، وَ خُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ، وَ تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَ صَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَ
طَلَبًا فِي حَلَالٍ، وَ نَشَاطًا فِي هُدًى، وَ تَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ، يَعْمَلُ
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي، وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ، وَ يُصْبِحُ،
وَ هَمُّهُ الذُّكْرُ يَبِيْتُ حَذِرًا، وَ يُصْبِحُ لِمَا فَرِحًا: حَذِرًا لِمَا حَذَّرَ مِنْ
الْغَفْلَةِ، وَ فَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ.

إِنْ اسْتَصَعَبَتْ^(١) عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا

تُحِبُّ، قُرَّةٌ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَ زَاهِدَةٌ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلُّهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَتَزُوراً أَكْلُهُ، سَهلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينَهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظوماً غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَ إِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ، يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَ يُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَ يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيْتاً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٍ، وَ فِي الْمَكَارِهِ صَبُورٍ، وَ فِي الرَّخَاءِ شُكُورٍ.

لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُنْغِضُ، وَ لَا يَأْتِمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَ لَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَ لَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَ لَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَ لَا يَشْتُمُ بِالْمَصَائِبِ، وَ لَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَعْمَهُ صَمْتُهُ، وَ إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَ أَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ، وَ نَزَاهَةٌ، وَ دُئُوبُهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَ

رَحْمَةً، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ، وَ عَظَمَةٌ، وَ لَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ^(١)، وَ خَدِيعَةٌ.
 قَالَ فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 أَمَا، وَ اللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ! ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ
 الْبَالِغَةَ بِأَهْلِهَا؟

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِالكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.
 فَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ، وَ سَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ،
 فَمَهْلًا لَا تَعُدُّ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ.

بيانه

همام هذا كان من المتقين، والهمام في اللغة البعيد الهممة، و همت
 بالشئ أردته و عزم عليه، أي أقسم همام على الامام علي عليه السلام، أن
 يصف المتقين على التفصيل و روي حيث خلقهم، و حيث كلمة تدلّ على
 المكان لأنه ظرف في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة والروايتان حسنتان.
 لأن معناه إن الله خلق من خلق في الوقت والمكان الذي خلق لينفعه
 لا ينتفع به فانه غني والفضيلة ضد النقيصة، والجمع فضائل و انما جعل
 المتقين أهل الفضائل لانهم صيروا حواسهم مقصورة على مرضاة الله كقوله:
 منطلقهم الصواب و جعلوا ليلهم نهارهم في طاعة الله كما قال: «أما الليل

١- في ب: بمكر و خدعة.

فصافون إلى آخره...».

الاقتصاد: واسطة الامور لا إسراف و لا تقصير، و غضوا أبصارهم عما حرمه الله، أي خفضوها و انقضاض الطرف انغماضه، و غض الطرف احتمال المكروه.

قوله: «نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء»، يعني أن المتقين يتعبون أبدانهم في الطاعات فيطيبون نفساً بتلك المشقة التي يحتملونها مثل طيب قلب الذي نزل نفسه في الرخاء، والراحة والسعة و رجل رخي البال، أي واسع الحال بين الرخاء.

لا بد من تقدير حذف في قوله كالذي لان تشبيه الواحد بالجمع لا يصح، أي كلّ واحد منهم إذا نزل في البلاء يكون كالرجل الذي نزل نفسه في الرخاء، و نحوه قول الله تعالى: «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ»^(١).

تقديره و مثل الداعي الذين كفروا كهائم الذي ينعق و تقدير ذلك نزلت أنفسهم في البلاء من قبلهم اختياراً و يطيبون به قلباً مثل طيب قلب الذي نزلت نفسه في الرخاء و يجوز أن يكون بمعنى ما المصدرية كقول الشاعر:

أترفح اكباد المحبين كالذي أرى كبدي من حب مية تفرح
كقوله تعالى: «وَحُضُّهُمُ كَالَّذِي»^(٢)، أو يكون نزوله في البلاء كنزوله في الرخاء، كقوله: «فهم و الجنة كمن قدرآها فهم فيها منعمون»، أي ان رجاءهم لثواب الجنة لاستقراره و ثباته بدرجة ثواب من دخل الجنة ورآها و تنعم فيها «و هم والنار، كمن قدرآها فهم فيها معذبون»، أي و خوفهم من عذاب الله بمنزلة خوف من رأى جهنم، و عذب فيها فهم مبتداء

والجنة عطف عليه، و روي والجنة بالنصب فيكون الواو بمعنى مع و خبر
المبتداء كمن قدرآها صبرواً على الطاعة و عن المعصية أياماً قصيرة.

أعقبتهم: أي أورتهم تلك الأيام راحة طويلة و نصب تجارة مريحة
على وجوه، إما للبدل من راحة، وإما نصب على المدح، وإما على الحال، و
إما على تقدير التجروا، و نصب المصدر مع حذف فعله كثير في الكلام
والترتيل في القراءة: الترتيل فيها والتبين و يرتلونها الضمير للاجراء و
روي و يرتلونه والضمير يكون للقرآن.

سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن الترتيل فقال: حفظ الوقوف و
أداء الحروف و هذا يشتمل على جميع ما يعتبره القراء والتطلع الانتظار، و
يقال: تطلعت: أي ورود كتابك و ظنوا بها نصب أعينهم، أي و أيقنوا أن
الجنة معدة لهم بين أيديهم والظن يجيئ بمعنى العلم.

قال تعالى «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ»^(١)، و نصب أعينهم:
النصب على الظرف أحسن و رفعه جائز. و أصغى اليه: أي مال بسمعه
نحوه، والزفير: في اللغة أول صوت الحمار والشهيق آخره و حنى الشيء:
عوجه، والحنى: القسي، و حنت العود عطفته يتعدى و لا يتعدى و كونه
متعدياً أكثر، أي فهم حانون و عاطفون ظهورهم على أوساطهم.

انحنى الشيء انعطف هذا هو المستعمل و فرشت الشيء بسطته، و
افترش ذراعها بسطها على الأرض و قوله: «مفترشون لجباههم» كناية
عن سجودهم على سبعة أعضاء كما أن قوله: «حانون على أوساطهم» كناية
عن ركوعهم و قوله: «و أما النهار» فعطفت على قوله: «أما الليل» و كلاهما
يجوز فيه الرفع والنصب فاذا كانا منصوبين فهما ظرفان.

أي اما كونهم الليل، فكذا و كذا و أما كونهم النهار فكذا، و بالرفع على المبتداء والخبر مجازاً، أي ليل هؤلاء صافون، و نهارهم حلما، و هذا استعارة حسنة و روي مالين فيكون حالاً عن الضمير في صافون و قد برأهم: أي لجهم^(١)، الخوف كما يبرى السهام من بريت القلم.

بريت البعير إذا حسرته و أذهبت لحمه في السير و خلطوا، أي جنوا يقال: اختلط الرجل إذا فسد عقله و خولط مثله و ما بهم جنة ولكن خالطهم و مازح قلوبهم أمر عظيم، والمشفق: الخائف، والتحرج: المأثم. والوجل: الخشية. و استصعبت نفسه: أي صارت صعبة. والسؤل: الحاجة. نزر الشيء: أي قل فهو نزر تافه و نزرت الشيء و عطاء منزور: أي قليل. والحريز: المحفوظ. و كظم غيظه: اجترعه، والغيظ مكظوم. و حرمت الرجل العطاء منعه إياه. والوقور: الحليم، والوقار الرزانة والحلم. و لا يحيف: أي لا يجور و لا يظلم. و يعرف: أي يقر. و نبزه و نابزه: أي لقبه. والشماتة: الفرح بيلية الغر.

يقال: شمت به و إن فلاناً لبرية، أي كريم. والنزاهة: البعد من اللوم. و صعق همام، أي غشي عليه و مات، قال: فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ و من في الارض، أي مات، و ويج: كلمة رحمة. و ويل: كلمة عذاب.

الأجل في العرف الوقت الذي يموت منه الانسان، والوقت أعم منه و هو حادث معلوم أو جار مجراه. و لا يعدوه: أي لا يتجاوزوه. و مهلاً: أي رفقاً. و نفث من فيه شيئاً: أي رمى به، والنفاتة: ما نفثه من الفم والنفث شبيه بالنفخ.



(١٨٥) و من خطبة له عليه السلام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَ ذَادَ عَنْهُ مِنَ المَعْصِيَةِ، وَ
نَسَّأَلُهُ لِمَنَّتِهِ ^(١) تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً، وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَ
رَسُولُهُ: خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَ قَدْ
تَلَوْنَ لَهُ الأَدْنُونَ، وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصُونَ، وَ خَلَعَتْ إِلَيْهِ العَرَبُ أَعْتَتَهَا،
وَ ضَرَبَتْ إِلَى ^(٢) مُحَارَبَتِهِ بَطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ
عَدَاوَتَهَا: مِنْ أْبَعْدِ الدَّارِ، وَ أَسْحَقِ المَزَارِ.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَ أَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ؛ فَإِنَّهُمْ
الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ، وَ الزَّالُونَ المُرْتَلُونَ: يَتَلَوْنُونَ أَلْوَانَ، وَ يَفْتَنُونَ
اِفْتِنَانًا، وَ يَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَ يَرْضِدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ
دَوِيَّةٌ، وَ صِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الخِفَاءَ، وَ يَدْبُونَ الضَّرَاءَ. وَصَفَهُمْ
دَوَاءً، وَ قَوْلُهُمْ شِفَاءً، وَ فِعْلُهُمُ الدَّاءُ العِيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَ مَوْكَدُو

الْبَلَاءِ؛ وَ مُقَنِّطُوا الرَّجَاءِ.

لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ، وَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ؛ وَ لِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارَضُونَ^(١) الثَّنَاءَ، وَ يَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ: إِنْ سَأَلُوا الْخَفَا، وَ إِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَ إِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَ لِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَ لِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَ لِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا.

يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَ يَنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ: يَقُولُونَ فَيَسْبَهُونَ، وَ يَصِفُونَ فَيَمَوَّهُونَ، قَدْ هَيَّبُوا^(٢) الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ؛ فَهُمْ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ، وَ حَمَّةُ النَّيِّرَانِ «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ».

(١٨٦) و من خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَ جَلَّالِ كِبَرِيَّائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ^(٣) قُدْرَتِهِ، وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْقَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ. وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ، وَ إِيقَانٍ، وَ إِخْلَاصٍ، وَ إِذْعَانٍ. وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ، وَ

٢- في ض و ح و ب: هونوا الطريق.

١- في ر: و رُوِيَ يَتَفَارِضُونَ بِالْفَاءِ.

٣- في ر: و رُوِيَ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ.

أَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَ مَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَ نَصَحَ
لِلْخَلْقِ، وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَ أَمَرَ بِالْقُدِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَ آلِهِ، وَ
سَلَّمَ،

وَ اعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَ لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا .
عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ، وَ أَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَفْتَحُوهُ، وَ
اسْتَنْجَحُوهُ، وَ اطْلُبُوا إِلَيْهِ، وَ اسْتَمْنَحُوهُ^(١)، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَ
لَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَ إِنَّهُ لِبِكَلِّ مَكَانٍ، وَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَ أَوَانٍ،
وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ، وَ جَانٍ.

لَا يَتْلِمُهُ الْعَطَاءُ، وَ لَا يَنْقُصُهُ^(٢) الْحِبَاءُ، وَ لَا يَسْتَفِدُّهُ سَائِلٌ، وَ لَا
يَسْتَفْصِيهِ^(٣) نَائِلٌ، وَ لَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَ لَا يُلْهِبِيهِ صَوْتٌ
عَنْ صَوْتٍ، وَ لَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَ لَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ
رَحْمَةٍ، وَ لَا تُؤَلِّهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَ لَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ،
وَ لَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى، وَ عَلَا فَدَنَا، وَ ظَهَرَ
فَبَطَنَ، وَ بَطَنَ فَعَلَنَ، وَ دَانَ، وَ لَمْ يَدْنُ، لَمْ يَذْرَأِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ^(٤)، وَ
لَا اسْتِعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الرِّمَامُ وَ الْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا
بِوَتَائِقِهَا، وَ اعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا؛ تَوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ، وَ أَوْطَانَ

١- في ر: واستمتحوه.

٢- في ب: ولا ينغصه.

٣- في م: ولا يستنقصه نائل.

٤- في ر: وزوي ولم يدر الخلق باحتيال.

السَّعَةِ، وَ مَعَاقِلِ الْحِرْزِ، وَ مَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،
وَ تُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ، وَ تَعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ؛
فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَ تَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَ تَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَ الصُّمُّ
الرَّوَّاسِخُ، فَيَصِيرُ صُلْدُهَا سَرَاباً^(١) رَقْرَقاً، وَ مَعْهَدُهَا قَاعاً سَمَلَقاً، فَلَا
شَفِيعَ^(٢) يَشْفَعُ، وَ لَا حَمِيمٍ يَدْفَعُ، وَ لَا مَعْذِرَةَ^(٣) تَنْفَعُ.

بيانه

نحمده على ما وفق له من الطاعة يتعلق له بالطاعة، أي نحمد الله، على ما وفقنا من الطاعة له تعالى. و يجوز أن يكون ما مصدرية و نحمده على ما زاده، أي دفعه و نسأله تماماً لمنتته. واللام يتعلق بتماما الذي هو مفعول ثان لنسأله و روي بمننه.

خاض كل غمرة، أي دخل في كل شدة والأحسن أن يكون الضمير في له لما و كذا الضمير في عنه لما لتعذره و تلون الادنون له أي تغير عليه الأقرباء و تألب، أي تجمع عليه، أي على محاربتيه. والأقصون: أي البعداء و خلعت العرب أعتها، أي أوجفوا الخيل، أي جانبه للمحاربة.

ضربت الرواحل: أي ساقوا الجمالات إلى قتاله يعني أتوه للمقاتلة فرساناً و ركباناً و خلعت الاعنة للافراس، و خلعت العذار للفرسان، و كلاهما أن يجعل شيء من ذلك خليعاً بينا خلاعته و هو الذي خلعه أهله فيكثر

٢- في ب: ولا شفيع ولا حميم.

١- في ر: و روي سرايا رقرقا.

٣- في ش: ولا معذرة تدفع.

جنايته فانه يجيء كما يشاء، اذ لا مانع ولا دافع.

ساحة الدار و باحتها قرارها و أصلها، و فناؤها و أنزلت عداوتها بساحته، يعني أن كفار العرب اجتمعوا على النبي محمد صلى الله عليه و آله للمحاربة الاقرباء و البعداء و أنزلوا آثار العداوة عليه و هي الخيل التي أسرجوها و أجموها للقتال معه في قرار داره.

الاسحق: الأبعد. و يفتنون: أي يصيرون فنوناً و ألواناً في المعادة. و يعمدون: أي يقصدون بعماد، أي بما يعتمد عليه و رصده: أي ترقبه. و المرصاد: الطريق. و شيء دوي فاسد الجوف من داء و الانثى دوية، و كذا الجماعة و من شدد دوية فلازدواج نقيه فكانه أشبع فعلة صارت فعلية.

صفاحهم جمع صفحة، و هي الظاهر من الجسد يعني أن ظواهرهم نقيه ظاهرة، و بواطنهم دوية فاسدة، يمشون مستخفين العداوة و خفي الأثر خفاء، أي استتروا، و يمشون الخفاء، أي في المكان الخافي، و يجوز أن يكون نضبه على المصدر و على أنه مفعول به و على الظرف.

الضراء: الشجر الملتف في الوادي، و منه قولهم: فلان يمشي الضراء، أي يمشي مستخفياً و يسعى في الفساد مستترا. و الداء: العياء الذي يعيب و يعجز من المداواة و المعالجة و روى مولدوا البلاء. و مقنطوا: أي مخبيوا أهل الرجاء و لهم إلى كل قلب شافع هذا لكثرة وفاقهم مع كل أحد يطلبون رضا الخلق لا رضا الله.

الشجو: الحزن. يتقارضون: أي يمدح كل واحد منهم الآخر على سبيل القرض لمدحه هو أيضاً، و روي تتفارضون: الثناء بالفاء، أي لا يكون بينهم فرض و عطية و إنما يكتفون بالمدح، يقال: قرضت الرجل إذا أعطيته، أي يجعلون الثناء بذل العطاء، و قيل: أي يستوجبون و يرون واجباً الثناء على الغير و ينتظرون المكافات إما بالثناء أو العطاء.

الاحفاف: السؤال على الاستقصاء و يتوصلون إلى الطمع بالياس، أي يتقشفون و يرون الناس من أنفسهم الياس من حطام الدنيا و غرضهم أن يصلوا بذلك إلى الدنيا، و روي أن علياً عليه السلام مرّ برجل و عليه مرقع خلق، فقال: زهد في الدنيا للدنيا.

ينفقوا به أعلاقهم، أي لكي يجعلوا نفائس متاعهم نافقة و أعلاقهم كناية عن نفاقهم و يصفون فيموهون، أي يذكرون الصفات الحسنة لمن لا يستحقها فيزينون بها، و يلبسون أمره على الناس بها، و التمويه مشتق من الماء لان الماء أصله مؤ، و الجمع أمواه، فيقال: لكل ما باطنه بخلاف ظاهره مموه.

التمويه في العرف أن يطلي الحديدية فيجري عليها ماء الفضة، و على الشبه و نحوه ماء الذهب هيئاً، أي أعدوا من التهيئة، أي هيئوا ذلك الطريق الذي ذكره في قوله: قد أعد و الكل حق باطلاً إلى آخره و روي و هيبوا الطريق، أي جعلوه مخوفاً ذا هيبة.

أضلعوا: أي قروا المضيق على المسلمين بما أعدوا، و قيل: أضلعوا: أي مالوا، و اللمة: الجماعة و الأصحاب بين الثلاثة إلى العشرة و الهاء عوض. و الحممة: سم العقرب و ضيزها، و الأصل حمي و حمو و الهاء عوض، و حمة الحر بالتشديد سورتها. و الحزب: الطائفة.

ثم ذكر في الخطبة الأخرى بعد التحميد أنه تعالى فعل أفعالاً عجيبة إذا نظر العقلاء إليها بمقلهم و عيونهم فنظروا فيها تحيروا و عجزوا عن وصفها، كما هي على سبيل التفصيل، و المقلة: شحمة العين التي يجمع البياض و السواد، و مقلته: أي نظرت إليه بمقلتي.

حيره: أي جعله متحيراً، و مقل العيون مجاز و يذكر تفسيرها على وجهين، اما أن يراد بها العيون الحقيقية التي يستعمل العقل بها صاحبها، و

إما أن يجعل بصائر العقل أبصاراً له استعارة، و روي من آيات قدرته، و ردع: أي زجر و دفع. والمهاهم: جمع المهمة و هي صوت يسمع و لا يفهم محصولة.

العرفان و المعرفة كلاهما مصدر. والكنه: الغاية. والايقان: العلم يقيناً والاذعان: الانقياد. والاعلام: الرايات و الجبال و العلامات. و المناهج: الطرق الواضحة، و الطامسة؛ الدارسة التي انمحي أثرها. و صدع: أي بين و تحقيقه أن يشق ذلك فيتين مستوره. و أمر بالقسط: أي العدل، و العيث: اللعب. المهمل: الخلى بلا راع. و استفتحوه: أي سلوا الله النصر. و الفتح: النصر. و الفتح: القاضي لأنه ينصر المظلوم، قال تعالى: «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح»^(١)، أي استنصروا فقد جاءكم النصر. و استنجحوه: أي أن اطلبوا النجاح و الظفر منه تعالى.

روي و استمنحوه، و الاستمحة و الاستمحة طلب العطاء. و الحباء: العطاء. و لا يثلمه، أي يظهر العطاء خللاً في ماله و استنقذ و أنقذ بمعنى، و استقصى فلان في المسألة، أي بلغ أقصاها. و النائل: العطاء. و لويت الحبل فتلته، و لوى الرجل رأسه و لوى برأسه، أي أمال و أعرض.

قال تعالى: «وَإِنْ تَلَوُا أَوْ تُعْرَضُوا»^(٢)، بواين، هو القاضي يكون ليه و اعراضه لأحد الخصمين على الآخر، و قرئ بواو واحد من وليت، و لوت الناقة ذنبها و ألوت؛ ذنبها، أي حركته و روي و لا يلويه بضم الياء أيضاً، و لا يلويه: أي لا يشغله.

يقال: ألهاه، أي شغله و لا يحجزه هبة عن سلب، أي هو تعالى الوهاب يهب أي يعطي على وفق المصلحة للعباد و يمنع للمصلحة أيضاً.

لاجلهم، و يسترد ما أعطى العبد لمصلحته الربية. لا يحجزه، أي لا يمنع كونه واهباً أن يسلب و يسترد ما أعطاه لأنه تعالى يعطي العباد نعماء مصالح لهم في الدين، و يأخذ لصالح دينهم أيضاً ما يأخذ، لا يرجع نفعه و ضره إليه تعالى، لأن الخلق والأمر له، و هو غني على الحقيقة.

يهب المال والعمر هذا و يسلبها ذلك، و داعى الحكمة يدعوه إلى ذلك رحمة للخلائق، و قيل: معناه لا يمنع الهدايا والرشى والهبات إذا ما أراد أن يسلب عباده شيئاً عن السلب. فانما ينخدع ذوي الحاجات بالرشى و هو تعالى غني لا يحتاج إلى شيء.

لأن يكون الهبة والسلب كلاهما منه تعالى أولى لازدواج ما بعده و لا توله رحمة عن عدات: أي لا يدفعه و لا تحيره رحمته و انابته للعباد تفضلاً و استحقاقاً عن عقوبة من يستحقها.

لا يجنه، أي لا تستره، و نأى: أي بُعد و ظهر للعلم به بدلالة أفعاله و بطن من الإدراك: أي استتر، يقال: بطنن الوادي: أي دخلته و بطن تعالى جميع البواطن: أي علمها.

يقال: بطنن هذا الأمر، أي عرفت بطنه و منه الباطن في صفة الله تعالى و دان، أي جزى المحسنين باحسانه و لم يدن، أي لم يجاز و لم يقدر أحد أن يجزيه، و لم يذراً، أي لم يخلق، و روي لم يذر الخلق باحتيال، أي لم يتركهم أن تحتالوا على الغير.

روي و لم يذر الخلق، فيحتمل أن يكون المعنى لم يعلمهم الاحتيال و لم يأمرهم به، و ذرت به و ذريته، أي علمت به و أدريته أعلمته قال تعالى: «و لا أذريكم به»، والكلام: التعب والتقوى قوام الطاعات، أي يقوم بها. الوثائق: جمع الوثيقة و هي الأخذ بالثقة. و آل يؤول: أي رجع.

والكن: الستر والجمع أكنان، والدعة: الراحة، والسعة: الحدة والغنى والطاقة. قال تعالى: «و لينفق ذو سعة من سعته»، والحرز: الحفظ، و روي معاقل والمعقل الملجاء.

روي و منازل العز، و شخص بصره إذا فتح عينيه و جعل لا يطرف، و الاقطار: الجوانب. والصرمة: القطعة من الابل نحو الثلاثين. والعشار: جمع العشراء، و هي الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل فيه الفحل عشرة أشهر. و زال عنها اسم المخاض، و لا يزال ذلك اسمها حتى تضع ما في بطنها، و هي أعز أموال العرب، قال تعالى: «وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ»، و ترهق: أي تهلك. فالمهجة: دم القلب خاصة.

خرجت مهجته، أي روحه و تبكم كل لهجة، أي تخرس. واللهجة: اللسان و قد تحرك. «و تذلل الشم الشواخ» أي الجبال و جبل أشم طويل الرأس فالشواخ: الشواحق العالية.

حجر أصم شديد صلب مصمت، و الرواسخ: الثوابت. والصلد: الحجر الأملس. والسراب: الالّ الذي يبصر و يرى و يظن أنه ماء و ليس به و ذلك يكون في المفازة وقت الحاجرة.

ترقق السراب لمع و تلاًلاً، و كل شيء له تلاًلاً و ذهاب و مجيء فهو رقراق، و وصف السراب بالرقراق معروف، و روي هنا أيضاً سراباً رقراقاً، و الرقراق: إما حذف منه الألف لازدواج ما بعده أو للتخفيف أو هي لغة.

القاع: الأرض الخالية. والسملق: الكرية. والمعهد: المنزل الذي لا يزال القوم إذا انتهوا رجعوا إليه، والسلق: القاع الصفص، و كذا السملق بزيادة الميم و الجمع السالمق، و الحميم القريب الذي يهتم لأمره.